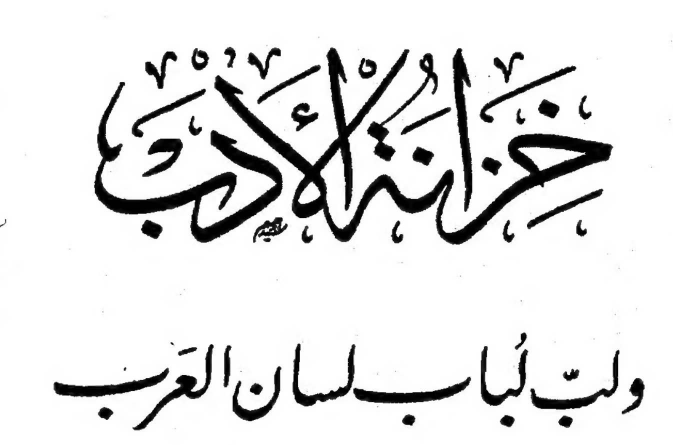


الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن شواهدُ آياته غنيةٌ عن الشرح والبيان ، ودلائل توحيده متلوّة بكل لسان . صلّ وسلم على رسولك محمد المؤيَّد بقواطع الحجج والبرهان ، وعلى آله وصحبه الباذلين مهجَهم فى نَصر دينه على سائر الأديان . صلاةً وسلاماً دائمين على ممرّ الأزمان .

أما بعد فيقول المفتقر إلى معونة ربه الهادى ، عبدُ القادر بن عمر البغدادي :

هذا شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة ، وفاضل هذه الأمة ، المحقِّق محمد ابن الحسن ، الشهير بالرضيّ الأستَراباذى ، عفا الله عنه ورحمه . وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء ، ودقَّق النظر فيه أماثل الفضلاء ؛ وكفاه من الشرف والمجد ، ما اعترف به السيِّد والسعد[1] ؛ لما فيه من أبحاث أنيقة ، وأنظار دقيقة ، وتقريرات رائقة ، وتوجيهات فائقة ؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة ، أو كالأمّة الممسوخة ؛ إلا أن أبياته التى استشهد بها – وهى زُهاء ألف بيت – كانت محلولة العِقال[2] ، ظاهرة الإشكال ، لغموض معناها ، وخفاء مغزاها ؛ وقد انضم إليها التحريف ، وبان عليها أثر التصحيف . وكنتُ ممن مَرَن فى علم الأدب ، حتى صار يلبِّيه من كَثَب ؛ وأفرغَ فى تحصيله جُهدَه ، وبذل فيه وُكده وكَدَّه[3] ؛ وجمع دواوينه ، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل

---

(١) السيد هو على بن محمد بن على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ . وهو صاحب التعريفات . قال كاتب جلبي : « له حاشية على شرح الرضى للكافية . وله شرح الكافية بالفارسية » . وأما السعد فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢ .

(٢) عبارة عن عدم التقييد والضبط والتحرير .

(٣) الوُكد ، بالضم : السعى والجهد . يقال : ما زال ذلك وُكدى ، اى فعلى . والوَكد ، بالفتح : المراد والهم والقصد . والكد : الإلحاح فى الطلب .

الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار ؛ فشمَّرتُ عن ساعد الجد والاجتهاد ، وشرعت فى شرحها على وَفق المنى والمراد . فجاء بحمد الله حائز المفاخر والمحامد ، فائقاً على جميع شروح الشواهد ؛ فهو جدير بأن يسمى :

(خِزانة الأدب ، ولُبّ لُباب لسان العرب)

وقد عرضتُ فيه بضاعتى للامتحان ، وعنده يكرم المرء أو يهان

٣ على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلُصَ منه لاَ علىّ ولا ليا[١]

وقد جعلته هديّةً لسُدّةٍ هى مُقبَّل شفاه الأقيال[٢] ، ومُخيَّم سرادق المجد والإقبال : حضرة سيِّد ملوك بنى آدم ، وواسطة عقد سلاطين العالم ، ملك ألبس الدنيا خِلَع الجمال والكمال ، وأحيا دائِرَ الأمانى والآمال[٣] . حامى بيضة الإسلام ، بالصارم الصمصام ، وناشر أعلام الشريعة الغراء ، والملة الحنيفية البيضاء ، ومُرغم أنوف الفراعين ، ومعفّر تيجان الخواقين[٤] ، خليفةِ رب السموات والأرضَين ، ظلِّ الله على العالمين ، وقطب الخلافة فى الدنيا والدين ، خادمِ الحرمين الشريفَين ، وسلطان المشرقين[٥] ، الغازى فى سبيل الله ، والمجاهد لإعلاء كلمة الله ، ألا وهو السلطان ابن السلطان ، السلطان الغازى (محمد خان[٦]) ابن السلطان (إبراهيم خان) ، نخبة آل عثمان .

(١) البيت للمجنون برواية أخرى فى تزيين الأسواق ٦٩ .

(٢) القيل ، بالفتح : الملك ، وقيل : من كان ملوك حمير . ومثله المقول ، كمنبر . والجمع أقيال ، وأقوال ، ومقاول ، ومقاولة .

(٣) ط : « وأدى لأهلها دائر الأمانى والآمال » ، صوابه فى ش .

(٤) جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك . معرب .

(٥) المشرقان : الشرق والغرب . وبهما فسر قوله تعالى : « ياليت بينى وبينك بعد المشرقين » .

(٦) هو السلطان محمد خان بن إبراهيم خان بن أحمد خان . تولى السلطنة بعد قتل أبيه سنة ١٠٥٨ هـ . وأقام فى السلطنة إحدى وأربعين سنة ثم خلع سنة ١٠٩٩ . تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى ص ١٦١ .

خلّد الله ظلال خلافته السابغة الوارفة ، وأفاض على العالمين سِجال رأفته المترادفة . ويسّر له النصر المتين ، وسهّل له الفتح المبين ، بجاه حبيبه ورسوله محمد الأمين . آمين .

وها هنا مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود ، فنقول بعون الله المعبود :

الأمر الأول

فى الـكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف .

قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر[1] « علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو ، والمعانى والبيان والبديع ؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولّدين ، لأنها راجعة إلى المعانى ، ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قُبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى ، وأبى تمام ، وأبى الطيب وهلم جرّا » . اهـ

وأقول : الـكلام الذى يستشهد به نوعان : شعر وغيره :

فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع :

(الطبقة الأولى) : الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الإسلام ، كامرئ القيس والأعشى .

(١) الأندلسى هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى المتوفى سنة ٧٧٩ . وابن جابر هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن على بن جابر الهوارى المولود سنة ٦٩٨ والمتوفى سنة ٧٨٠ . وكلاهما نحوى . وكان أولهما معروفا بالبصير ، والآخر يعرف بالضرير ، وبديعيته تسمى « بديعية العميان » ، واسمها « الحلة السيرا ، فى مدح خير الورى » . وكانا يترافقان فى التجوال والسفر من الأندلس إلى بلاد المشرق ، حيث طوفا زمنا طويلا فى ربوع مصر والشام .

(الثانية): المخضرَمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلَبيد وحسّان.

(الثالثة): المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام، كجرير والفرزدق.

(الرابعة): المولَّدون، ويقال لهم المحْدَثون، وهم مَن بعدهم إلى زماننا، كبشّار بن بُرد وأبى نُواس.

فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعاً. وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها.

وقد كان أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن أبى إسحاق، والحسن البصرى وعبد الله بن شبرُمة، يلحّنون الفرزدق والكميت وذا الرُّمّة وأضرابهم، كما سيأتى النقل عنهم فى هذا الشرح إن شاء الله، فى عدة أبيات أُخذت عليهم ظاهراً، وكانوا يعدّونهم من المولّدين لأنهم كانوا فى عصرهم، والمعاصرة حجاب.

قال ابن رشيق فى العمدة[1] «كل قديم من الشعراء [فهو[2]] محدَث فى زمانه بالإضافة إلى من كان قبله. وكان أبو عمرو يقول: لقد أحسنَ هذا المولّد حتّى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره — يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق — فجعله مولّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين. وكان لا يعدّ الشعرَ إلاّ ما كان للمتقدّمين، قال الأصمعى: جلست إليه عشر حجج[3]، فما سمعته يحتج ببيت إسلامى». ٤

وأما (الرابعة) فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً؛ وقيل يستشهد بكلام من يوثَق به منهم، واختاره الزمخشرى، وتبعه الشارح المحقق؛

(١) العمدة ١ : ٥٦.
(٢) التكملة من العمدة.
(٣) فى بعض نسخ العمدة: «ثمانى حجج».

فإنّه استشهد بشعر أبى تمّام فى عدة مواضع من هذا الشرح .

واستشهد الزمخشرى أيضاً فى تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره ، وقال : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل مايقوله بمنزلة مايرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » اهـ

واعتُرِض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبنى على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها ، ومن البيّن أن إتقان الرواية [لا[1]] يستلزم اتقان الدراية . وفى الكشف أن القول رواية[2] خاصة ، فهى كنقل الحديث بالمعنى .

وقال المحقق التفتازانى فى القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى : « ليس بسديد ، بل هو بعمل الراوى أشبه ، وهو لا يوجب السماع ، إلاّ ممّن كان من علماء العربية الموثوق بهم ، فالظاهر أنه لايخالف مقتضاها ، فإن استُؤنس به ولم يجعل دليلا ، لم يرد عليه ماذكر ولا ماقيل ، من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ما وقع فى كلام علماء المحدثين كالحريرىّ وأضرابه ، والحجة فيما رووه لافيما رأوه . وقد خطّئوا المتنبي وأبا تمام والبحترىّ فى أشياء كثيرة كما هو مسطور فى شروح تلك الدواوين .

---

(١) تكملة لا يصلح الكلام بدونها . وفى حاشية الكشاف لعمر بن عبد الرحمن القزوينى بدار الكتب المصرية ٨٣ م تفسير ، ما نصه :

« قوله : فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، قيل عليه : عمل الراوى ليس بحجة فى مثله اتفاقا ، إذ لا يدل على عدم العدالة . وإتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية ، لا سيما فى الشعر فإنه محل الضرورات . والجواب عنه : أن القول رواية خاصة فهو كنقل الحديث بالمعنى » .

(٢) فى النسختين : « دراية » ، والوجه ما اثبت . وانظر الحاشية السابقة .

وفى الاقتراح[١] للجلال السيوطى : « أجمعوا على أنه لا يُحتجُّ بكلام المولَّدين والمحدَثين فى اللغة والعربية . وفى الكشّاف مايقتضى تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول أبى تمام الطائى[٢] . وأوّلُ الشعراء المحدثين بشّار بن برد ، وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقرباً إليه ، لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره المرزبانى وغيره . ونقل ثعلب عن الأصمعى أنه قال : ختم الشعر بابراهيم بن هَرْمة وهو آخر الحجج[٣] » اهـ .

وكذا عدّ ابن رشيق فى العمدة[٤] طبقات الشعراء أربعاً ، قال : هم جاهلى قديم ، ومخضرم ، وإسلامى ، ومحدث . قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج هكذا فى الهبوط إلى وقتنا هذا .

وجعل الطبقات بعضهم ستاً ، وقال : الرابعة المولَّدون وهم من بعدهم كأبى الطيب المتنبى .

والجيد هو الأول ، إذ ما بعد المتقدمين لايجوز الاستدلال بكلامهم ، فهم طبقة واحدة ، ولا فائدة فى تقسيمهم .

---

(١) الاقتراح فى أصول علم النحو وجدله . ذكر فى مقدمته أنه اختزل فيه من تضاعيف خصائص ابن جنى ما يتعلق بهذا الفن ، وأنه أول مقيم لهذا العلم . وقد طبع هذا الكتاب مرتين فى حيدر آباد .

(٢) فى الاقتراح ٢٦ : « بقول حبيب بن أوس » . وبين هذا الكلام وتاليه فيه : « ثم قال : وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة . فهو من علماء العربية ، فاجعل ما أقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لتوثقهم بروايته وإتقانه » .

(٣) فى الأغانى ٤ : ١٠٤ : « كان الأصمعى يقول : ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » .

(٤) العمدة ١ : ٧٢ .

وأما قائل الثانى(١) فهو إما ربنا تبارك وتعالى، فكلامه — عز اسمه — أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه، كما بينه ابن جِنّى فى أول كتابه (المحتسب) وأجاد القول فيه؛ وإما بعض إحدى الطبقات الثلاث الأول من طبقات الشعراء التى قدمناها.

وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوّزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق فى ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم. وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان، وسندهما أمران:

أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رويت بالمعنى(٢).

وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصريّين لم يحتجوا بشىء منه.

ورُدّ الأول — على تقدير تسليمه — بأنّ النقل بالمعنى إنما كان فى الصّدر الأول قبل تدوينه فى الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايته تبديلُ لفظٍ بلفظٍ يصحُّ الاحتجاج به، فلا فرق. على أنّ اليقينَ غير شرط، بل الظن كاف.

وردّ الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به، والصواب جوازُ الاحتجاج بالحديث للنحوىّ فى ضبط ألفاظه. ويُلحق به

(١) أى النوع الثانى من الكلام، وهو ما كان غير شعر.

(٢) قال الميمنى: «النقل بالمعنى شىء ليس بمقصور على الأحاديث فحسب، بل إن تعدد الروايات فى بيت واحد من هذا القبيل. والقول بأن منشأه تعدد القبائل ليس مما يتمشى فى كل موضوع. على إن إثبات ذلك فى كل بيت دونه خرط القتاد. زد إلى ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق، من مثل ابن دأب، وابن الأحمر، والكلبى، وأضرابهم. ورواة الشعر أيضاً فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم. على أن المسلمين فى القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت فى روايته. وقد قيض الله لأحاديث رسوله، من الجهابذة النقاد، من نفى عنه ما كان فيه من شبه الوضع والانتحال. وهذا حرم الشعر مثله».

ما روى عن الصحابة وأهل البيت ، كما صنع الشارح المحقق .

وإن شئت تفصيل ماقيل فى المنع والجواز، فاستمع لما ألقيه باطناب دون إيجاز:

قال أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجُمَل : « تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة — كسيبويه وغيره — الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللغة كلامُ النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصح العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً ، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروىّ فحسن ، وإن كان يرى أن من قَبْله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى » اهـ .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل [(١)] : قد أكثر المصنف [(٢)] من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب . وما رأيتُ أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب — كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين — لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرُهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس . وقد جرى الكلام فى ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال : إنما ترك [(٣)] العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول

(١) نقل السيوطى فى الاقتراح ١٧ قول أبى حيان هذا .

(٢) فى الاقتراح : « هذا المصنف » .

(٣) ط : « ذكر » صوابه فى س والاقتراح .

صلى الله عليه وسلم ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية . وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدةً قد جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم لم تُقَل بتلك الألفاظ جميعها : نحو ما روى من قوله : « زوَّجتكها بما معك من القرآن » « ملَّكتكها بما معك من القرآن » ، « خُذها بما معك من القرآن » ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة ، فتعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا يُجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ [غيرها[١]] ، فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما [مع[٢]] تقادم السماع ، وعدم ضبطها[٣] بالكتابة ، والاتكال على الحفظ . والضابط منهم من ضبط المعنى ، وأما من ضبط اللفظ فبعيدٌ جداً لا سيما في الأحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثوري : « إنْ قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدّقوني ، إنما هو المعنى » . ومن نظر في الحديث أدنى نظرٍ علم العلم اليقينَ أنهم يروون بالمعنى . الأمر الثاني : أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ويتعلّمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللّحنُ في كلامهم وهم لا يعلمون ، وقد وقع[٤] في كلامهم وروايتهم غيرُ الفصيح من لسان العرب . ونعلم قطعاً من غير شك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب[٥] فلم يكن يتكلّم إلاّ بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ، وإذا تكلم

---

(١) التكملة من الاقتراح .
(٢) التكملة من سه والاقتراح .
(٣) في الاقتراح : « عدم ضبطه » .
(٤) ط : « ودخل » وأثبت ما في سه والاقتراح .
(٥) هذه الكلمة من سه فقط ، وبدلها في الاقتراح : « الناس » .

بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم [الله[١]] ذلك له من غير معلم . والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد فى الأثر متعقباً بزعمه على النحويين ؛ وما أمعن النظر فى ذلك ، ولا صحب من له التمييز . وقد قال لنا [قاضى القضاة[٢]] بدر الدين بن جماعة — وكان ممن أخذ عن ابن مالك — قلت له : يا سيدى ، هذا الحديث رواية الاعاجم ، ووقع فيه من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول . فلم يجب بشىء . قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام فى هذه المسألة لئلا يقول مبتدئ : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب ، وفيهم المسلم والكافر ، ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول ، كالبخارى ومسلم وأضرابهما ؟ ! فمن طالع ماذكرناه أدرك السبب الذى لأجله لم يستدلّ النحاة بالحديث » اه[٣] .

وتوسط الشاطبى فجوّز الاحتجاج بالأحاديث التى اعتُنِىَ بنقل ألفاظها . قال فى شرح الألفية :

« لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم، الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارِهم التى فيها الفُحش والخَنَى ، ويتركون الأحاديثَ الصحيحة ، لأنها تُنقل بالمعنى ، وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم ، فإنّ رواته اعتنَوا بألفاظها ، لما ينبنى عليه من النحو ، ولو وقفتَ على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات . وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهادُ أهل اللسان . وقسم

(١) التكملة من ســ والاقتراح .

(٢) التكملة من الاقتراح .

(٣) فى الاقتراح للسيوطى : « انتهى كلام ابى حيان بلفظه » .

عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص ؛ كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ككتابه لهمْدان ، وكتابه لوائل بن حُجر ، والأمثال النبَوية ؛ فهذا يصح الاستشهاد به في العربية . وابن مالك لم يفصّل هذا التفصيلَ الضروري الذي لابد منه ، وبَنى الكلام على الحديث مطلقاً ؛ ولا أعرف له سلفاً إلا ابنَ خروف ؛ فإنه أتى بأحاديثَ في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع: لاأعرف هل يأتي بها مستدلا بها ، أم هي لمجرد التمثيل ؟ والحق أنّ ابن مالك غير مصيب في هذا ، فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى ، وهو قول ضعيف » اهـ .

وقد تبعه السُّيوطي في الاقتراح[1] . قال فيه : « وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيُستدل منه بما أُثبت أنه قاله على اللفظ المرويّ ، وذلك نادرٌ جداً ، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً ، فإنّ غالب الأحاديث مرويّ بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فرووَها بما أدّت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدّموا وأخّروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثَم أنكرَ على ابن مالك إثباته القواعد النحويةَ بالألفاظ الواردة في الحديث » .

ثم نقل كلام ابن الضائع وأبي حيان وقال : ومما يدل على صحة ماذهبا إليه، أن ابن مالك استشهد على لغة أكلوني البراغيث بحديث الصحيحين : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وأكثرَ من ذلك ، حتى صار يسميها لغة يتعاقبون . وقد استشهد به السهيلي ، ثم قال : لكني أنا أقول : إن الواو

(١) الاقتراح ص ١٦ .

فيه علامة إضمار ، لأنه حديث مختصر . رواه البزار مطولا [١] . فقال فيه : « إنّ لله تعالى ملائكةً يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار [٢] » . وقال ابن الانبارى – فى الإنصاف – فى منع « أنْ » فى خبر كاد . وأما حديثُ « كاد الفقر أن يكون كفراً » فإنّه من تغيير الرواة ، لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح من نَطق بالضاد » اهـ .

وقد ردّ هذا المذهب الذى ذهبوا إليه البدر الدمامينى فى شرح التسهيل ، ولله درُّه ! فإنه قد أجاد فى الرد ، قال :

« وقد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية ، وشنّع أبو حيان عليه وقال : إن ما استند إليه من ذلك لا يتم له ، لتطرّق احتمال الرواية بالمعنى ، فلا يوثق بأن ذلك المحتجَّ به لفظه عليه الصلاة والسلام حتّى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوّب رأى ابن مالك فيما فعله ، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هذا الباب ، وإنما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناطُ الأحكام الشرعية ، وكذا مايتوقّف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب ، فالظن فى ذلك كلّه كاف . ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدَّل ، لأن الأصل عدم التبديل ، لاسيما والتشديد فى الضبط ، والتحرى فى نقل الأحاديث ، شائع بين النَّقلة والمحدّثين . ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هو عنده بمعنى التجويز العقلى الذى لا ينافى وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرّون فى الضبط ويتشددون ، مع قولهم بجواز النقل

---

(١) فى الاقتراح وشرح الأشمونى للألفية : « مطولا مجردا » ، أى مجرداً من علامه الجمع الموجودة مع الاسم الظاهر لعدم إسناده فى تلك الرواية التالية إلى الظاهر ، بل إلى الضمير .

(٢) قال الأشمونى بعده : « وحكى بعض النحويين أنها لغة طيّ ، وبعضهم أنها لغة أزدشنوءة » .

بالمعنى ؛ فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدّل، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً ، فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها . ثم إنّ الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدوّن ولا كتب ، وأما مادوّن وحصّل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى : إنّ هذا الخلاف لانراه جارياً ولا أجراه الناس ـ فيما نعلم ـ فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنّف ويثبت فيه لفظاً آخر اﻫ . وتدوين الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات ، وقع في الصّدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، حين كان كلام أولئك المبدّلين على تقدير تبديلهم يسوغُ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ[1] يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ؛ ثم دُوِّن ذلك المبدل ـ على تقدير التبديل ـ ومنع من تغييره ونقله بالمعنى ، كما قال ابن الصلاح ، فبقي حجّةً في بابه . ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصواب » . اﻫ كلام الدماميني .

وعلم مما ذكرنا ـ من تبيين الطبقات التي يصحّ الاحتجاج بكلامها ـ أنه لايجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يُعرف قائله ، صرح بذلك ابن الأنباري في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ؛ وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً ، أو لمولّد ، أو لمن لا يوثق بكلامه . ٧

ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح ، وفحصنا عن قائليها ، حتى عزونا كل بيت إلى قائله ـ إن أمكننّا ذلك ـ ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميّزنا

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ســه .

الإسلامىّ عن الجاهلى ، والصحابىّ عن التابعىّ ، وهلم جرّا ، وضمنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ، وإن كان من قطعةٍ نادرة أو قصيدة عزيزة ، أوردناها كاملة ، وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومنشأها ؛ كلُّ ذلك بالضبط والتقييد ، ليعمّ النفع ، ويؤمن التحريف والتصحيف ، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه .

قال ابن النحاس فى التعليقة : « أجاز الكوفيون إظهار (أنْ) بعد كى واستشهدوا بقول الشاعر[1] :

أردتُ لكيما أن تطيرَ بِقربتى فتتركها شَنًّا ببيداء َبلقعِ[2]

قال : والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ، ولو عرف لجاز أن يكون [من] ضرورة [الشعر] .

وقال أيضاً : ذهب الكوفيون إلى جواز دخول اللام فى خبر لكنّ ، واحتجوا بقوله :

* ولكننى من حبها لعميدُ[3] *

والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله ، ولم يذكر منه إلا هذا ، ولم ينشده أحد ممن وثّق فى اللغة ، ولا عُزى إلى مشهور بالضبط والإتقان » اهـ .

ويؤخذ من هنا أن الشاهد المجهول قائله وتتمته ، إنْ صدَر من ثقة يعتمد عليه قُبل ، وإلا فلا . ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحَّ الشواهد ، اعتمد عليها خلفٌ بعد سلف ، مع أن فيها أبياتا عديدة جُهل قائلوها ، وما عيب بها ناقلوها . وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة ،

(١) لم يعلم قائله . وانظر الخزانة ٣ : ٥٨٥ والعينى ٤ : ٤٠٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٧٣ .

(٢) الشن : القربة الخلق .

(٣) الخزانة ٤ : ٣٤٣ والعينى ٢ : ٢٤٧ والأشمونى ١ : ٢٨٠ .

ونُظر فيه وفتّش ، فما طمن أحد من المتقدمين عليه ولا ادّعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفةَ جميع ما فيها ، ولا ردُّوا حرفا منها .

قال الجرمى : « نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا ، فأما الألف فقد عَرفت أسماء قائليها فأثبتّها ، وأمّا الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها[1] » . فاعترف بعجزه ولم يطعن عليه بشىء .

وقد روى هذا الكلام لأبى عثمان المازنى أيضاً .

ولكون أبياته أصحَّ الشواهد ، التزمنا فى هذا الشرح أن ننصّ على ماوُجد فيه منها بيتا بيتا ، ونميّزها عن غيرها ، ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها . وربما رُوى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ، ربّما لا يكون موضع الشاهد فى بعضها أو جميعها ، ولا ضير فى ذلك ، لأنَّ العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التى فطره الله عليها ، وبسببه تكثر الروايات فى بعض الأبيات ، فلا يوجب ذلك قدحا فيه ولا غضًّا منه . فإذا وقع فى هذا الشرح من ذلك شىء نبهنا عليه .

---

(١) كتب المغفور له أحمد تيمور باشا على هامش الخزانة فى هذا الموضع ما نصه : « ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنقيطى رحمه الله فى كتابه الحماسة السنية ، أن واحداً منها عرف اسم قائله ، وهو :

* أفبعد كندة تمدحن قبيلا *

قال : وصدره :

* قالت فطيمة حل شعرك مدحه *

وهو لامرئ القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتاً نادرة الوجود ، أوردها كلها فى الحماسة المذكورة » .

قلت : والقصيدة فى ديوانه بتحقيق الأخ محمد أبى الفضل إبراهيم ص ٣٥٨ . و« حل » أريد بها حلئ . والمحلأ : المطرود عن الماء . وفى أصل الحاشية « جل » بالجيم ، تحريف.

والتزمنا فى شرح هذه الشواهد عدَّها واحداً بعد واحد ، ليسهل موضع الحوالة فيه ، ويزول التعبُ عن متعاطيه .

الأمر الثانى

فى ذكر المواد التى اعتمدنا عليها وانتقينا منها

وهى ضروب وأجناس

فمنها ما يرجع إلى (علم النحو) وهو كتاب س[1] . والأصول لابن السراج . ومعانى القرآن للفرّاء . ومعانى القرآن للزجاج . وتآليف أبى على الفارسى : كالتذكرة القصرية ، والمسائل البغدادية ، والمسائل العسكرية ، والمسائل البصرية ، والمسائل المنثورة ، ونقض الهاذور[2] على ابن خالويه ، وكتاب الشعر . وتآليف تلميذه ابن جنى : كالخصائص ، والمحتسب ، وشرح تصريف المازنى ، وسر الصناعة ، وإعراب الحماسة ، والمبهج فى شرح أسماء شعرائها[3] ، وشرح ديوان المتنبى . والإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى . وتذكرة أبى حيان ، وارتشاف الضرَب له أيضاً . والضرائر الشعرية لابن عصفور . والأمالى لابن الحاجب . والأمالى لابن الشجرى . وشروح الكافية . وشروح التسهيل . ومغنى اللبيب ، وشروحه . وغير ذلك من المتداول .

ومنها ما يرجع إلى (شروح الشواهد) وهو شرح أبيات الكتاب :

---

(١) هذا الحرف رمز إلى أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب بسيبويه المتوفى سنه ١٨٠ .

(٢) انظر ما سيأتى فى ص ٣٥٢ من صفحات الطبعة الأولى من الجزء الأول . والهاذور من الهذر .

(٣) ط : « فى شرح أسمائها » ، والوجه ما أثبت من ش . وقد طبع هذا الكتاب فى دمشق سنه ١٣٤٨ بمطبعه الترقى .

لأبى جعفر النحاس ، وللأعلم الشنتمرى ، ولابن خلف ، ولأبى محمد الأعرابى المسمى فُرحة الأديب . وشرح أبيات الجمل لابن السِّيد البطليوسى ، ولابن هشام اللخمى ، ولغيرهما . وشرح أبيات المفَّصل لابن المستوفى الإربِلِىّ ، ولبعض علماء العجم المسمى بالتخمير[1] . وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعينى ، وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصارى ، ولم يكمل . وشرح أبيات الكشّاف للحموى . وشرح أبيات التفسيرين لخضر الموصلى[2] . وشرح أبيات الإيضاح والمفتاح فى علم المعانى . وشرح أبيات التلخيص للعباسى . وشرح أبيات إصلاح المنطق ليوسف بن السيرافى[3] . وشرح أبيات الغريب المصنَّف له أيضاً . وشرح أبيات أدب الكاتب للجواليقى ، ولابن السِّيد البطَلْيَوْسى ، وللَّبلى[4] . وشرح أبيات الآداب المسمى بالعباب وغير ذلك .

---

(١) وقد ورد باسم « التحبير » فى بعض مواضع من الخزانة ، وكذا فى حرف التاء فى كشف الظنون . وأورد صاحب كشف الظنون فى رسم (المفصل) برسم «التخمير» أيضاً للقاسم بن الحسينى المعروف بصدر الأفاضل الخوارزمى المتوفى سنة ٦١٧ وهو أحد شراح سقط الزند لأبى العلاء المعرى ، وقد نشر شرحه فيما قامت به لجنة أحياء آثار أبى العلاء . وصواب عنوان الكتاب « التجمير » كما ورد فى ترجمته من معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ٢٥٣ . قال : « وله من التصانيف : كتاب المجمرة فى شرح المفصل ، صغير . وكتاب السبيكة ، فى شرحه أيضا ، وسط . وكتاب التجمير ، فى شرح المفصل أيضا ، بسيط» . والمراد بالبسيط الكبير . وهو فى ثلاثة مجلدات كما ذكر صاحب كشف الظنون .

(٢) قال الميمنى : « يوجد منه نسخة بحيدر أباد ، وأخرى ببانكى بور ، واسمه : الإسعاف بشرح شواهد القاضى والكشاف . وخضر هذا ترجم له الخفاجى فى الريحانة ص ١٠٦ سنة ١٣٠٦ هـ » .

(٣) السيرافى المشهور هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوى القاضى شارح كتاب سيبويه سنة ٣٦٨ . وابنه هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، شارح أبيات الكتاب المتوفى سنة ٣٨٥ .

(٤) نسبة إلى لبلة ، كتمرة ، وهى مدينة الحمراء الأندلسية . واسمه أحمد بن يوسف ابن على بن يوسف الفهرى . توفى سنة ٦٩١ . بغية الوعاة ١٧٦ وصفه جزيرة الأندلس للحميرى ١٦٨ .

ومنها ما يرجع إلى (تفسير أبيات المعانى المشكلة) ، وهو أبيات المعانى للأخفش المجاشعى ؛ وأبيات المعانى للأشناندانى[1] بخط ابن جنى وعليها أجازة أبى على له . وأبيات المعانى لابن السكيت . وأبيات المعانى لابن قتيبة[2] فى مجلدين ضخمين . وأبيات المعانى لابن السِّيد البطليوسى وغير ذلك .

ومنها ما يرجع إلى (دفاتر أشعار العرب) وهو قسمان : دواوين ومجاميع (فالأول) : ديوان امرئ القيس الكندى ، وديوان الأعشى ميمون ، وديوان علقمة الفحل ، وديوان ابن حِلِّزة ، وديوان أبى دُواد الإيادى ، وديوان طَرَفة ابن العبد ، وديوان عمرو بن قَميئة ، وديوان طُفيل الغنَوى ، وديوان عامر ابن الطفيل ، وديوان بشر بن أبى خازم ، وديوان أوس بن حَجر ، وديوان أعشى باهلة ، وديوان عوف بن عطية بن الخَرِع ، وديوان مَطير بن الأشيم ، وديوان الحادرة ، وديوان المثقِّب العبدى ، وديوان لقيط بن يعمُر الإيادى ، وديوان نابغة بنى شيبان ، وديوان النابغة الذبيانى ، وديوان زهير بن أبى سُلمىٰ ، وديوان أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم . (ومن شعر الصحابة) : ديوان حسان بن ثابت ، وديوان لبيد بن ربيعة العامرى ، وديوان كعب بن زهير ، وديوان حُميد بن ثور ، وديوان أبى محجن الثقَفى ، وديوان النمر بن تولب ، وديوان عمرو بن معد يكرب ، وديوان خُفاف بن ندبة ، وديوان الخنساء أخت صخر ، وغير ذلك . (ومن شعر الإسلاميين) : ديوان رافع بن هُريم اليربوعى ، وديوان القَطامى ، وديوان جِران العَود ، وديوان محمد بن

---

(١) طبع فى دمشق سنة ١٣٤٠ باسم معانى الشعر لأبى عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى ، برواية ابن دريد . وانظر الفهرست لابن النديم ١٢٣ وكشف الظنون فى رسم (معانى) . ولا عبرة بما ورد فى الفهرست ٨٩ من تكرار اسم الكتاب بلفظين.

(٢) طبع فى حيدر أباد سنة ١٣٦٨ باسم كتاب المعانى الكبير عن نسخة وحيدة فى خزانة أيا صوفيا .

بشير الخارجى[١] ، وديوان ابن همام السلولى[٢] ، وديوان الشَّماخ ، وديوان عَدى بن الرِّقاع ، وديوان عُروة بن حِزام العُذرى ، وديوان عبيد الله الهذلى[٣] ، وديوان أبى دَهْبَل الجمحىّ ، وديوان الحطيئة ، وديوان عمرو بن الأهتم المِنقرى ، وديوان ابن قيس الرُّقَيَّات ، وديوان الفرزدق ، وديوان جرير ، وديوان الأخطل النصرانى ، وديوان ذى الرُّمَّة ، وديوان جَميل العذرى ، وديوان المغيرة بن حبناء ، وديوان رجز رؤبة بن العجاج ، وديوان رجز الزُّفَيان السعدى ، وديوان رجز أبى الأخزر الحِمَّانى وغير ذلك . (ومن دَوَاوين المولَّدين والمحدَثِينَ) ديوان مسلم بن الوليد ، وديوان ابن الوكيع ، وديوان العباس بن الأحنف ، وديوان على بن جَبَلَة الطوسى ، وديوان أبى نواس وديوان ابن المعتز ، وديوان ابن الرومى ، وديوان أبى تمام الطائى ، وديوان الشريف المرتَضى[٤] ، وديوان المتنبى ، وديوان أبى فراس الحمدانى . وغير ذلك . (والمجاميع) منها أشعار بنى محارب للشيبانى . والمفضليات للمفضل الضبّى . وأشعار الهُذَليين للسكرى وشرحها له ، وللإمام المرزوقى . وأشعار لصوص العرب للسكّرى أيضاً . والنقائض لابن حبيب[٥] . ومختار شعر الشعراء الستة : امرىء القيس والنابغة وعَلقمة وزهير وطَرَفة وعنترة ، وشرحها

(١) نسبة إلى بنى خارجة بن عدوان . الاشتقاق ٢٦٧ بتحقيقنا . وترجمته فى الأغانى ١٤ : ١٤٢ .

(٢) هو عبد الله بن همام .

(٣) كذا فى النسختين . ويقال له أيضا « عبد الله » ، وهو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلى . وشعره فى بقية أشعار الهذليين المطبوع فى برلين ١٨٨٤ ص ٧٣-٧٥ وانظره باسم « عبد الله » أيضا فى الأغانى ١ : ١٥٣ / ٤ : ٥٤ / ٥ : ١٣٨ / ٦ : ٧ / ٨ : ١٢٥ / ١٥ : ٦٥ وباسم « عبيد الله » فى الأمالى ٣ : ٨٧ .

(٤) طبع أخيرا فى سنة ١٩٥٨ بمطبعة الحلبى بتحقيق الأديب العراقى رشيد الصفار .

(٥) ط : « لأبى حبيب » ، صوابه فى س وهو محمد بن حبيب ، وحبيب اسم امه لا يصرف . وقد طبعت النقائض فى ليدن بتحقيق المستشرق بيفان ، برواية محمد بن حبيب عن أبى عبيدة .

للأعلم الشنتمرى . وأشعار تغلب لأبى عمرو الشيبانى . ومختار شعراء القبائل[١] لأبى تمام ، والحماسة أيضاً وشرحها للنمرى وأبى محمد الأعرابى وللإمام المرزوقى[٢] ، وللخطيب التبريزى ، ولأبى الفضل الطَّبرسى . والحماسة البصرية ، وحماسة الشريف الحَسنى[٣] ، وحماسة الأعلم الشنتمرى ، وأشعار النساء للمرْزُبانى . وشروح المعلقات لابن النحاس ، وللزَّوزنى ، وللخطيب التبْريزى . وجمهرة أشعار العرب . ومنتهى الطلب من أشعار العرب : فيه أكثر من ألف قصيدة . واليتيمة للثعالبى . وكتاب المُغْربين ، وكتاب النساء الفوارك ، وكتاب النساء النواشز ، والثلاثة للمدائنى[٤] . والمجتنى لابن دُرَيد[٥] . وشروح لامية العرب : للخطيب التبريزى ، وللزمخشرى ، ولغيرهما . وشرح بانت سعاد لابن الأنبارى ، ولأبى العباس الأحول ، ولابن خالويه ، ولابن هشام الأنصارى[٦] ، ولابن كُتَيلة البغدادى[٧] . وشرح البردة لابن مرزوق[٨]

(١) ويسمى أيضا « أشعار القبائل » .

(٢) طبع هذا الشرح بتحقيقنا فى سنة ١٣٧٢ .

(٣) فى النسختين : « الحسينى » تحريف . وهو هبة الله بن على بن محمد بن حمزة ابن على بن عبيد الله بن حمزة بن محمد بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، المعروف بابن الشجرى ، المتوفى سنة ٥٤٢ . وقد طبعت حماسته فى حيدر أباد سنة ١٣٤٥ . انظر ترجمته فى نزهة الألباء والبغية والوفيات ، والمستفاد لابن الدمياطى نسخة دار الكتب برقم ٢٩٦ .

(٤) ولأبى عبيدة أيضا كتاب النواشز ، ومنه نص فى اللآلىء لأبى عبيد البكرى ٢٩ .

(٥) فى النسختين : « المجتبى » صوابه بالنون ، وقد طبع الكتاب بحيدر أباد سنة ١٣٤٢ . وقال ابن دريد فى مقدمته : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه طرائف الآثار كما نجتنى أطايب الثمار » .

(٦) ولعبد القادر البغدادى حاشية على شرح ابن هشام ، كما فى كشف الظنون ٢ : ٢٢٤ .

(٧) هو أحمد بن محمد بن الحداد البجلى البغدادى . ألف شرحه فى بغداد سنة ٧٢٤ كما نص عبد القادر البغدادى فى الخزانة ٤ : ٨ وذكر أن حجم هذا الشرح فى حجم شرح ابن هشام ، وأن عصرى تأليفهما متقاربان .

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمسانى المتوفى سنة ٧٨١ . ط : « للمرزوقى » صوابه فى سه . ولا ريب أن وفاة المرزوقى سنة ٤٢١ سابقة على مولد البوصيرى محمد بن سعيد سنة ٦٠٨ .

وغير ذلك . (ومن المجاميع) : النوادر والأمالى . أما النوادر فهى نوادر أبى زيد الأنصارى وشرحها لأبى الحسن الأخفش ولغيره . ونوادر ابن الأعرابى . ونوادر أبى على القالى ، وشرحها لأبى عبيد البكرى . وأما الأمالى فهى أمالى ثعلب ، وأمالى الزجّاجى الصغرى والكبرى ، وأمالى أبى على القالى ، وشرحها لأبى عبيد البكرى[١] ، وذيل أمالى القالى للقالى أيضاً ، وصلة الأمالى له أيضاً ؛ وأمالى الصُّولى ، وأمالى السيد المرتضى المسماة بالغرر والدرر ، فى مجلدين ضخمين . وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى .

ومنها ما يرجع إلى فن الأدب وهى : البيان للجاحظ ، والمحاسن والأضداد له أيضاً ، وكتاب الشعر والشعراء له أيضاً[٢] . والكامل للمبرد ، وشرحه لابن السِّيد البَطْليوسى ، ولأبى الوليد الوَقَّشى[٣] ، ولغيرهما . والعقد الفريد لابن عبد ربِّه . وزهر الآداب للحُصْرى ، وجواهر النكت والملح له أيضاً[٤] . ١١ وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . والأغانى للأصفهانى فى عشرين مجلداً . والعمدة لابن رشيق ، فى مجلدين . والمثل السائر لابن الأثير . وتحرير التحبير لابن أبى الإصبَع . ومساوى الخمر لابن الحباب السعدى . والأوائل لابن هبة الله الموصلى فى مجلدين . ومدرج البلاغة لابن فضالة المجاشعى[٥] . ونقد الشِّعر[٦]

(١) فصل بين النوادر والأمالى للقالى ، وهما شىء واحد ، وذلك ليجعل جزءاً من الكتاب مع كتب النوادر ، وجزءاً آخر منه مع كتب الأمالى ، وقد نشر شرح البكرى للأمالى بتحقيق الأستاذ الميمنى سنة ١٣٥٤ .

(٢) لم يذكر فى الخزانة إلا فى هذا الموضع .

(٣) بتشديد القاف : نسبة إلى مدينة وقش ، من أعمال طليطلة . وهو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام المتوفى سنة ٤٨٨ . معجم البلدان والروض المعطار ١٩٦ .

(٤) طبع باسم «جمع الجواهر فى الملح والنوادر» سنة ١٣٥٣ بالمطبعة الرحمانية .

(٥) كتب الميمنى : « ابن فضالة غلط ، صوابه ابن فضال ، كشداد . ترجم له فى معجم الأدباء ٥ : ٢٨٩ — ٢٩٥ » .

(٦) فى النسختين : « نقد الشعراء » تحريف ، وإن كان قد صحح فى سه « الشعر » . ونسبة هذا الكتاب إلى قدامة موضع تحقيق .

لقُدامة الكاتب ، وشرحه لعبد اللطيف البغدادي . وسفر السعادة للسخاوى .

ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وهو : سيرة ابن هشام وشرحه : الروض الأنُف للسهيلى . وسيرة الكَلاَعى . وسيرة ابن سيِّد الناس[1] . وسيرة الشامى . والاستيعاب لابن عبد البر . والإصابة لابن حجر . وجمهرة الأنساب لابن الكلبى ، ومختصرها لياقوت الحموى . وأنساب قريش ، للزُّبير بن بكَّار[2] . ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البَرّ . والمعارف لابن قتيبة . وتنكيس الأصنام لابن الكلبى[3] .

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو : كتاب الشعراء لابن قتيبة . والمؤتلف والمختلف للآمدى . والموشَّح لأبى عبيد الله المرزُبانى[4] . وكتاب المعمَّرين لأبى حاتم السجستانى . وكتاب المقتولين غِيلة لابن حبيب[5] ، وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء له أيضاً[6] . وكتاب المنسوبين إلى أمهاتهم للحلوانى بخطه . وطبقات النحويِّين للتاريخى[7] . وطبقاتهم أيضاً لأبى عبد الله اليمنى . ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ، فى عدة مجلدات .

---

(١) طبعت باسم « عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير » سنة ١٣٥٦ نشر مكتبة القدسى .

(٢) طبعت منه قطعة باسم « جمهرة نسب قريش وأخبارها » تبدأ بالجزء الثالث عشر وهو أول القسم الثانى بتحقيق محمود محمد شاكر بمطبعة المدنى سنة ١٣٨١ .

(٣) هو المعروف بكتاب الأصنام ، نشره المغفور له أحمد زكى باشا سنة ١٣٣٢ .

(٤) ط : « لأبى عبد الله » ، صوابه فى ـ . وهو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٩٦ ـــ ٣٨٤) . وليس الموشح فى طبقات الشعراء ، وإنما هو فى نقد الشعراء وإن كان مظهره مظهر الطبقات .

(٥) انظر تحقيق تسميته فى صدر نشرى له فى المجلد الثانى من نوادر المخطوطات ص ١٠٦ ـــ ١٠٨ .

(٦) قمت بنشره مرتين : إحداها فى مجلة المقتطف جزء مايو سنة ١٩٤٥ والأخرى فى المجلد الأول من نوادر المخطوطات ص ٨١ ـــ ٩٦ .

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج كما سيأتى فى ص ١١٥ من أرقام طبعة بولاق .

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو : الجمهرة لابن دريد . والصحاح الجوهري . والعباب للصاغاني[1] . والقاموس لمجد الدين . واليواقيت لأبي عُمَر المطرِّزي[2] . وكتاب ليس لابن خالويه . والنهاية لابن الأثير . والزاهر لابن الأنباري . والمصباح لخطيب الدهشة[3] . والتقريب في علم الغريب لولده[4] . وكتاب النبات في مجلدات كبار ستة لأبي حنيفة الدِّينَوَري . وإصلاح المنطق لابن السِّكِّيت ، وشرحه لِلَّبْلي ، ومختصره للخطيب التبريزي . وكتاب الألفاظ لابن السكيت . وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقي ، ولابن السيد البطْلَيوسي ، وللزَّجاجي ، وللَّبْلي ، ولابن بَرِّيّ . والفصيح لثعلب ، وشروحه لابن درستويه ، وللهرويّ ، وللمرزوقي ، وللَّبْلي ، ولابن هشام اللخمي ، ولغيرهم . وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادي . وكتاب الأضداد لابن السكيت ، ولعبد الواحد اللغوي ، ولغيره . وكتاب الفروق لأبي هلال العسكري . وكتاب البيضة والدرع لأبي عبيدة . وخَلْق

---

(١) نسبة إلى صغانيان . والصغاني نسبة أخرى إليها . وبها ينعت صاحب العباب أحياناً .

(٢) في النسختين : « لأبي عمرو المطرزي » وإن كان قارئ نسخة سه قد محا الواو من « عمرو » . وهو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، واسمه محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم . والمطرز الذي يقوم بتطريز الثياب ، وتلك كانت صناعته . وفي النسختين « المطرزي » ، تحريف .

والمعروف بالنسبة الأخيرة أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي صاحب المغرب في غريب ألفاظ فقه الحنفية . توفي سنة ٦١٠ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي . وكان يعرف بخطيب جامع الدهشة . توفي سنة ٧٨٠ . الدرر الكامنة ١ : ٣١٤ وبغية الوعاة ١٧٠ .

(٤) هو نور الدين محمود بن أحمد الفيومي المتوفى سنة ٨٣٤ . وكتابه في غريب الموطأ والصحيحين . كشف الظنون ١ : ٣١٨ .

الإنسان للزجاج . والمعرّبات[١] للجواليقي . والمثلّثات لابن السِّيد البَطَلْيَوسي وكتاب التفسّح في اللغة[٢] لأبي الحسين النحوي . والمرصّع لابن الأثير . والمزهر للجلال السيوطي . وكتاب القلب والإدغام لابن السكيت[٣] وكتاب المذكر والمؤنث له أيضاً ولغيره . وكتاب الأيام والليالي للفرّاء[٤] . وكتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر لأبي عُمر المطرّز[٥] . وكتاب الأنواء وأسماء الشهور للزجاج . والأنواء لأبي العلاء المعري[٦] وغيره . والمقصور والممدود لابن الأنباري ، وللقالي ، ولابن ولاّد ، ولغيرهم ، وغير ذلك .

ومنها ما يتعلق بأغلاط اللغويين وهو : التنبيهات على أغلاط الرواة[٧]

٢١ لعلي ابن حمزة البصري وفيه : أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدِّينَوَري ، وأغلاط الغريب المصنّف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجمهرة لابن دريد ، وأغلاط المجاز لأبي عبيدة[٨] ، وأغلاط الفصيح لثعلب ،

---

(١) طبع باسم « المعرب » مرتين : إحداهما في ليبسك سنة ١٨٦٧ م والأخرى في دار الكتب المصرية بتحقيق المغفور له الشيخ أحمد شاكر سنة ١٣٦١ هـ .

(٢) يبدو أنه من كتب المجاز اللغوي ، كما يظهر من نصوصه المقتبسة في ٢ : ٤٥٣/٤ : ١٦٤ ، ٤٢٠ من أرقام طبعة بولاق . وقد ورد في الموضع الأخير باسم « تفسيح اللغة » .

(٣) كذا في النسختين . وصوابه « القلب والإبدال » . وقد طبع في بيروت في مجموعة الكنز اللغوي سنة ١٩٠٣ .

(٤) طبع في مصر بتحقيق الأستاذ الأبياري .

(٥) في ط : « لأبي عمرو » وفي ش . « لأبي عمر » مع أثر تصحيح ، وهو الصواب انظر ما سبق من التحقيق في ص ٢٧ . وفي نسختين : « المطرزي » تحريف . وانظر كشف الظنون في رسم « كتاب » .

(٦) لم نجد من ذكره في مؤلفات أبي العلاء . وانظر تعريف القدماء بأبي العلاء المعري . ولم يذكر البغدادي منه نصاً واحداً في الخزانة .

(٧) صوابه « أغاليط الرواة » كما هو في سائر المواضع التي وردت نصوص منه فيها من الخزانة . ومنه نسخ في دار الكتب المصرية بالأرقام ٢٠٠٠٢ ، ٢٢٠٠٥ – ٣ لغة .

(٨) في ط : « لأبي عبيد » ، تحريف صوابه في ش . وكتاب المجاز طبع في القاهرة سنة ١٣٧٤ بتحقيق محمد فؤاد سزكين .

وأغلاط الكامل للمبرد ، وغير ذلك . وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحزة الأصفهانى[1] . ولحن العامة للجواليقى[2] ولأبى بكر الزُّبيدى . وحاشية ابن بَرِّىّ على صحاح الجوهرى . وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى . ودرة الغَوّاص للحريرى ، وشرحها لابن برى ، [ولابن ظَفر[3]] ، ولابن الحنبلى ، ولشيخنا الشهاب الخفاجى .

ومنها كتب الأمثال وهى : أمثال أبى عبيد القاسم بن سلاّم ، وشرحها لتلميذه[4] . وأمثال أبى فيد : مؤرِّج السَّدوسى . والفاخر للمفضل الضبىّ[5] والأمثال التى على « أفعَل » لحزة الأصفهانى . ومجمع الأمثال للميَدانى . ومستقصى الأمثال للزمخشرى . وغير ذلك .

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهى : المعجم فيما استعجم[6] لأبى عبيد البكرى فى ثلاث مجلدات كبار . ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى عشر مجلدات كبار ، وغير ذلك مما لو سردته لطال ، وأورث السأم والملال .

---

(١) منه نسخة فى المكتبة التيمورية برقم ٨٩٦ أدب .

(٢) طبع بتحقيق عز الدين التنوخى باسم « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة » فى مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٣٥ . ونشرت قبل ذلك فى المجلة الألمانية سنة ١٨٧٥ . وهو تكملة لدرة الغواص للحريرى .

(٣) التكملة من سه . وهو محمد بن محمد ، المعروف بابن ظفر المكى المتوفى سنة ٥٦٨ كما فى كشف الظنون .

(٤) لم يظهر من هو . وفى ترجمته من طبقات الزبيدى ٢٢٠ : « قال أبو عبد الرحمن اللحية صاحب أبى عبيد » . فلعله هو .

(٥) كذا فى النسختين ، وإنما هو المفضل بن سلمة اللغوى الكوفى ، وليس بالضبى وأما المفضل الضبى صاحب المفضليات فهو المفضل بن محمد بن يعلى الضبى المتوفى سنة ١٧٨ فيما نرجح ، وهو أقدم من المفضل بن سلمة . انظر تحقيق ذلك فى مقدمة المفضليات بشرحنا مع الشيخ أحمد شاكر .

(٦) هو معجم ما استعجم ، ولكن وردت تسميته هكذا هنا .

الأمر الثالث

يتعلق بترجمة الشارح المحقق والحبر المدقق، رحمه الله وتجاوز عنه

ولم أطَّلع على ترجمة له وافية بالمراد، وقد رأيت فى آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصه: « هو المولى الإمام، العالم العلامة، ملك العلماء، صدر الفضلاء، مفتى الطوائف، الفقيه المعظم، نجم الملة والدين، محمد بن الحسن الأستَرَاباذى. وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية[1] فى ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة ».

هذا صورة ما رأيته. وهذا التاريخ غير موافق لما أرّخه هو فى آخر شرحه قبل أحكام هاء السكت. قال فيه: « هذا آخر شرح المقدمة، والحمد لله على إنعامه وإفضاله، بتوفيق إكماله، وصلواته على محمد وكرام آله. وقد تم تمامه وختم اختتامه، فى الحضرة المقدسة الغروية على مشرِّفها أفضل تحية رب العزة وسلامه، فى شوّال سنة ست وثمانين وستمائة ».

وقد أورده الجلال السيوطىّ فى معجم النحويين[2] ولم يعرف اسمه، قال: « الرضىّ الإمام المشهور، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذى لم يؤلف عليها بل ولا فى غالب كتب النحو مثلُه جمعاً وتحقيقاً وحسنَ تعليل. وقد أكبّ الناس عليه وتداولوه، واعتمده شيوخ العصر فمن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم. وله فيه أبحاث كثيرة واختيارات جمة ومذاهب ينفرد بها. ولقبه نجم الأئمة، ولم أقف على اسمه ولا على شىء من ترجمته. إلا أنه فرغ من تأليفه هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وأخبرنى صاحبنا شمس الدين بن عزم

---

(١) نسبة إلى الغرى، وهو مشهد الإمام على بن ابى طالب بالنجف.

(٢) هو المعروف ببغية الوعاة انظر منه ص ٢٤٨.

بمكة أن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وستمائة ، الشك منى . وله شرح على الشافية » .

هذا ما ذكره السيوطى ، والتاريخان غير موافقين لما ذكرناه . وقد ذكر البقاعى (فى مناسبات القرآن) تاريخ هذا الشرح كما نقلنا ، قال : « هو محمد ابن الحسن الأستَرَاباذى العلامة نجم الدين ، وتم شرح الكافية فى سنة ست وثمانين وستمائة . ولم ينقل الشرح من العجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبى حيان وابن هشام » اهـ . ١٣

وعلى هذا لا يمكن أن يكون تاريخ وفاته ما ذكره السيوطى ؛ فإنه عاش مدة يحرر شرحه ، ولهذا تختلف نسخه اختلافاً كثيرا ، كما نقله السيد الجرجانى فى إجازته الآتية . وشرحه للشافية متأخر عن شرحه للكافية فلا يصح ذلك التاريخ . وعصره قريب من عصر ابن الحاجب ، فإن وفاة ابن الحاجب كانت فى سنة ست وأربعين وستمائة .

وقد رأيت أن أكتب هنا صورة إجازة الشريف الجرجانى لمن قرأ عليه هذا الشرح ، فإنه بالغ فى تقريظه وأطرى ، ومدح الشارح بما هو اللائق والأحرَى. وهى هذه : « أحمده على جزيل نواله ، وأصلى على نبيه محمد وصحبه وآله . وبعد فإن صناعة الإعراب لا يخفى شأنها ، فى رفعة مكانها ، تجرى من علوم الأدب مجرى الأساس ، وتنزل منها منزلة البرهان من القياس . وبها يتم ارتشاف الضَّرَب ، من تراكيب كلام العرب . بل هى مرقاة منصوبة إلى علم البيان ، المطلع على نكت نظم القرآن . وإنّ شرح الكافية ــ للعالم الكامل نجم الأئمة، وفاضل الأمة ، محمد بن الحسن الرضىّ الأستراباذى ، تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه ــ كتابٌ جليل الخطر ، محمود الأثر ، يحتوى من أُصول هذا الفن

على أمهاتها ، ومن فروعه على نكاتها ، قد جمع بين الدلائل والمبانى وتقريرها ، وبين تكثير المسائل والمعانى وتحريرها ، وبالغ فى توضيح المناسبات ، وتوجيه المباحثات ، حتى فاق ببيانه ، على أقرانه ، وجاء كتابه هذا كعقد نُظم فيه جواهر الحكم ، بزواهر الكلم . لكن وقع فيه تغييرات ، وشىء كثير من المحو والإثبات ، وبدّل بذلك صور نُسخه تبديلا ، بحيث لانجد إلى سيرتها سبيلا . وإنى — مع ما منيت به من الأشغال ، واختلال الحال ، وانتكاس سوق الفضل والكمال ، وانقراض عصر الرجال ، الذين كانوا محط الرحال ، ومنبع الأفضال ، ومعدن الإقبال[1] ، ومجمع الآمال ، وتلاطم أمواج الوسواس ، من غلبة أفواج الشوكة وظهور الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، قد بذلتُ وسعى فى تصحيحه بقدر ما وفى به حتى مع تلك العوائق ، ووسعه مقدرتى مع موانع العلائق ، فتصحّح إلا ماندر ، أوطغى به القلم أو زاغ البصر . وقد قرأه علىّ من أوله إلى آخره ، المولى الإمام ، والفاضل الهمام ، زبدة أقرانه فى زمانه ، وأسوة الأفاضل فى أوانه ، محمد حاجى ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر بن محمد — زِيدت فضائله كما طابت شمائله — قراءة بحث واتقان ، وكشف وإيقان . وقد نقرّ فيها عن معضلاته ، وكشف عن وجوه مخدّراته . هذا ، وقد أجزته أن يرويه عنّى مع سائر ما سمعه علىّ من الأحاديث وفنون الأدب والأصولين ، راجياً منه أن لا ينسانى فى خلواته ، وفى دعواته عقيب صلواته ، لعل الله يجمعنا فى جناته ، ويتغمدنا برضاته ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . كتبه الفقير الحقير الجانى ، على بن محمد الحسينى الجرجانى . وذلك بمحروسة سمرقند سنة اثنتين وثمانمائة » .

---

(١) فى النسختين : « ومدن الإقبال » ، والوجه ما أثبت .

وهذا آخر الإجازة . وقد حان أن نشرع فيما انتوينا ، ونتوجه إلى ما انتحينا ، راجين من الله إخلاص العمل ، والعصمة عن الزيغ والخطل . ومن هنا نقول ، وعلى الله القبول . ١٤

أنشد فى :

خواص الاسم

١ (يَقُولُ الخَنَى وأبغضُ العُجمِ ناطقاً إلى ربِّنا صوتُ الحمار اليُجدَّعُ)

أورده الشارح ، وابن هشام فى مغني اللبيب ، على أن « أل » فى اليجدع اسم موصول ، دخل على صريح الفعل لمشابهته لاسم المفعول ، وهو مع ذلك شاذ قبيح لا يجيء إلا فى ضرورة . وقال الأخفش : أراد الذى يجدع كما تقول : هو اليضربك ، تريد الذى يضربك . وقال ابن السراج فى كتاب الأصول : لما احتاج إلى رفع القافية قلب الاسم فعلا ، وهو من أقبح ضرورات الشعر . قيل : لا ضرورة فيه فإنه يمكن أن يقول (يجدع) بدون أل لاستقامة الوزن ، وأن يقول المتقصع .

أقول : هذا مبنى على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، وهو فاسد كما يأتى بيانه . والصحيح تفسيرها بما وقع فى الشعر دون النثر سواء كان عنه مندوحة أولا .

قال شارح شواهد الألفية : « ذاك مسلم فى يجدع دون المتقصع فإنه يلزمه الإقواء وهو عيب » .

أقول : لا يلزمه الإقواء ، فإن اليربوع مرفوع والمتقصع وصفه كما يأتى بيانه . وقيل « أل » فيه زائدة والجملة صفة الحمار أو حال منه ، لأن أل فى الحمار جنسية ، وهذا لا يتمشى فى أخواته .

وقول الشارح المحقق « لمشابهته لاسم المفعول » يريد أنها إذا دخلت على مضارع مبنى للمفعول إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم المفعول ، نحو اليجدع واليتقصع ، وقول الفرزدق :

ما أنت بالحكم التُرضى حُكومتُه ولا الأصيلِ ولا ذى الرأى والجدلِ

وإذا دخلتْ على مضارع مبنى للفاعل إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم الفاعل كقوله :

وليس اليَرى للخِلِّ مثلَ الذى يرى له الخلُّ أهلا أن يُعدَّ خليلا

وقوله :

ما كاليروحُ ويغدو لاهياً فرِحاً مشمّرٌ يستديم الحزمَ ذو رشَدِ

وقوله :

لا تبعثنَّ الحرب إنى لك الـ ـيُنذِرُ من نيرانها فاتَّقِ

وقوله :

فذو المال يؤتى ماله دون عرضه لما نابه والطارق اليتَعمّلُ

وقوله :

أحين اصطبانى أن سكتُّ وإننى لفى شغل عن دخلى اليتتبع

وقول أبى على الفارسى فى المسائل العسكرية : إن دخول (أل) على الفعل المضارع لم يوجد إلا فى اليجدع واليتقصع ، وأظن حرفاً أو حرفين آخرين ، ليس كذلك كما ذكرنا ؛ وسكت عن دخولها على الظرف نحو :

من لا يزال شاكراً على المعَهْ فهو حَرٍ بعيشةٍ ذاتِ سَعهْ

١٥ وقوله .

وغيّرنى ما غال قيساً ومالكا وعمراً وحُجراً بالمشقّر ألْمعا[1]

---

(١) البيت لمتمم بن نويرة فى المفضليات ٢٦٩ .

يريد الذين معا ـ وقال الكسائى : أراد معا و أل زائدة ـ وعن دخولها على الجملة الاسمية نحو :

بل القومُ الرسولُ اللهِ فيهم همُ أهل الحكومة من قصىٍّ

لأنه لايرد النقض بها وإن كانت موصولة اسمية شاذة كشذوذها مع الفعل والكل خاص بالشعر .

قال الشاطبى فى شرح ألفية ابن مالك : وأما أل فمختصة بالأسماء على جميع وجوهها : من كونها لتعريف العهد ، أو الجنس ، أو زائدة ، أو موصولة أو غير ذلك من أقسامها .

واعلم أنّ صريح مذهب الشارح المحقق فى (الضرورة) هو المذهب الثانى وهو ماوقع فى الشعر ، وهو مذهب الجمهور . وذهب ابن مالك إلى أنها ماليس للشاعر عنه مندوحة ، فوصلُ أل بالمضارع وغيره عنده جائز اختياراً ، لكنه قليل ، وقد صرح به فى شرح التسهيل فقال : وعندى أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لإمكان أن يقول الشاعر : صوت الحمار يجدع ، وما من يُرى للخل ، والمتقصع ، وإذا لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففى ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار . وما ذهب إليه باطل من وجوه :

(أحدها) إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله فى النظر القياسى جملة . ولو كان معتبراً لنبهوا عليه . (الثانى) أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لايمكن فى الموضع غير ما ذكر ، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل . هذه الراء فى كلام العرب من الشّياع فى الاستعمال بمكان لايجهل ، ولا تكاد تنطق بجملتين تَعريان عنها ، وقد هجرها واصل بن عطاء لمكان لُثغته فيها ، حتّى كان

يناظر الخصوم ويخطب على المنبر فلا يسمع فى نطقه راء، فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلا . ولا مرية فى أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدى أن لاضرورة فى شعر عربى. وذلك خلاف الإجماع ، وإنما معنى الضرورة أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ماتضمنته ضرورة النطق به فى ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص أو غير ذلك ، بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال فى شىء يزيل تلك الضرورة . (الثالث) أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ، ولا شك أنهم فى هذه الحال يرجعون إلى الضرورة ، لأن اعتناءهم بالمعانى أشد من اعتنائهم بالألفاظ . وإذا ظهر لنا فى موضع أن مالا ضرورة فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال . (الرابع) أن العرب قد تأبى الكلام القياسى لعارض زِحاف ، فتستطيب المزاحفَ دون غيره أو بالعكس، فتركب الضرورة لذلك .

وقد بَسط الردَّ عليه الشاطبى فى شرح الألفية ، وهذا أنموذج منه . ثم قال : وقد بينت هذه المسألة بما هو أوسع من هذا فى باب الضرائر من أصول العربية .

صاحب الشاهد — وهذا البيت ثانى أبيات سبعة أوردها أبو زيد فى نوادره لذى الخِرَق الطُّهَوىّ وهى :

١٦ (أتانى كلام ابن الثعلبىّ ابن دَيسق ... ففى أىّ هذا ويلَه يتترَّعُ
يقول الخنى وأبغض العجم ناطقاً ... إلى ربنا صوتُ الحمار اليُجدَّع
فهلا تمنّاها إذ الحربُ لاقحٌ ... وذو النَّبَوانِ قبره يتصدَّع
يأتك حيّا دارِم وهما معاً ... ويأتك ألفٌ من طُهَيَّة أقرع

فيستخرجَ اليربوع من نافقائه ... ومن جُحره بالشيحة اينقصع

ونحن أخذنا الفارس الخير منكم ... فظل ـ وأعيا ذو الفَقار ـ يُكرّع

ونحن أخذنا ـ قدعلمتم ـ أسيركم ... يساراً فنُحذِي مِن يسارٍ ونَنقَع)

شرح قصيدة الشاهد

قوله « أتانى كلام الثعلبىّ » هو بفتح المثلثة وسكون العين المهملة كما فى نوادر أبى زيد فى نسخة قديمة صحيحة ، نسبة إلى ثعلبة بن يربوع[1] : أبى قبيلة ، لا بمثناة فوقية فغين معجمة نسبة إلى تغلب بن وائل : أبى قبيلة كما ضبطه بعضهم . فإن ابن ديسق هو أبو مذعور طارق بن دَيسق بن عوف ابن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . كذا سرد نسبه الأسود أبو محمد الأعرابى الغُندجانى فى شرحه نوادر ابن الاعرابى ، وأورد له شعراً جيداً . وديسق علم منقول ، قال الصاغانى فى العباب : قال الليث : (الديسق) خوان من فضة ، والطريق المستعمل ، والحوض الملآن ، والشَّيخ ، والتَّنور ، وكل حلى من فضة بيضاء صافية ، ووعاء من أوعيتهم ؛ مأخوذ من الدَّسَق بفتحتين وهو امتلاء الحوض ، يقال ملأت الحوض حتى دسق أى ساح ماؤه . وقيل هو بياض الحوض وبريقه . وقوله (يتترّع) التترُّع بفتحتى التاء المثناة فوق والراء ، فى العباب : ترع الرجل كفرح ، إذا اقتحم الأمور مرحاً ونشاطاً . وقيل ترع سارع إلى الشر والغضب ، وتترع إليه بالشر أى تسرع . وكأنه توعده بالقتل والسبى والنهب وما أشبه ذلك . يقول : إلى أى هذه الأمور يسابق بشرّه وبَلائه . وقوله (يقول الخنى . .) البيت ، قال الجوهرى وتبعه الصاغانى : « هذا من أبيات الكتاب » وهذا لا أصل له . وقد تصفّحتُ شواهد سيبويه

(١) ط : « ثعلب بن يربوع » ، صوابه فى ش ومن نص نوادر أبى زيد ٦٦ وفيها : « الثعلبى هذا من بنى ثعلبة بن يربوع » . وانظر الإنباه على قبائل الرواة ٧٧ وجمهرة ابن حزم ٢١٣ .

فى عدة نسخ ولم أجده فيها . قال الصاغانى : لم أجد هذا البيت فى شعر ذى الخِرق ، وقد قرأت شعره فى أشعار بنى طُهيّة . وساق له أبياتاً سبعة لم يكن هذا البيت فيها ، وذكر له بيتاً بدل ما قبل البيت الأخير ، وهو :

(ونحن حَبسنا الدُّهم وسط بيوتكم   فلم تقربوها والرماحُ تزعزع)

والخنى بالخاء المعجمة والنون : الفحش من الكلام ، وألفه منقلبة عن ياء ، ولهذا كتبت بالياء . يقال كلام خَنٍ وكلمة خنية ، وقد خنِيَ عليه بالكسر وأخنى عليه فى منطقه ، إذا أفحش . وهو منصوب بالقول لتضمنه معنى الجملة كقلت قصيدةً ، فلا حاجة لتأويل يقول بيفُوه ويتكلّم . وجملة يقول الخنى تفسير لقوله أتانى كلام الثعلبى . و (أبغض) اسم تفضيل على غير قياس ، لأنه بمعنى اسم المفعول من أبغضته إبغاضاً فهو مبغض ، أى مقتُّه وكرهته ، ولأنه من غير الثلاثى ، أو هو[1] من بغُض الشىء بالضم بغاضة بمعنى صار بغيضاً ، فلا شذوذ. قال السخاوى فى شرح المفصل : قالوا هو أبغض لى من زيد وأمقت لى منه ، أى يبغضنى أكثر مما يبغضنى زيد ، وقالوا إنه مردود إلى بغُض ومقُت ، يقال بغُض بغاضة إذا صار بغيضاً . قال ابن برِّىّ : إنما جعل شاذاً لأنه جعل من أبغض ، والتعجب لا يكون من أفعل إلا بأشد . وليس كما ظن الجوهرى ، بل هو من بغض فلان إلىّ . وحكى اللغويون والنحويون ما أبغضنى له إذا كنت أنت المبغض له ، وما أبغضنى إليه إذا كان هو المبغض لك . انتهى . وإلى فى التفضيل غير ماذكر فى التعجب . فإن إلى هنا بمعنى عند ومجرورها فاعلٌ معنى . و (العُجم) : جمع أعجم وعجماء ، وهو الحيوان الذى لاينطق . والأعجم أيضا : الإنسان الذى فى لسانه عُجمة ، وإن كان بدويا ، لشبهه

١٧

---

(١) فى النسختين : « وهو » .

بالحيوان . و (ناطقاً) فاعل من النطق ، قال الراغب : النطق فى التعارف : الأصوات المقطّعة التى يظهرها اللسان وتعيها الآذان . . ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً أو على طريق التشبيه ، كقول الشاعر[١] :

عجبت لها أنَّى يكون غِناؤها فصيحا ولم تفغَر بمنطقها فما

انتهى . وهو هنا مجاز عن الصوت ، من إطلاق الخاص وإرادة العام ، وهو منصوب على التمييز للنسبة ، وأصله : وأبغض نطق العجم ، أى تصويتها ، فلما حذف صارت نسبة البغض إلى العجم مبهمة ففسرت بالتمييز ، ولابد من هذا المحذوف ليصح الإخبار . أراد الشاعر تشبيه صوته إذ يقول الخنى ، فى بشاعته بصوت الحمار إذ تقطع أذناه . وصوت الحمار شنيع فى غير تلك الحال ، فما الظن به فيها ؟ ! وزعم جماعة أن ناطقًا حال ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : هو حال من العجم . ويرِد عليه أنه مفرد وصاحب الحال جمع . ومن صححه بإنابة المفرد مناب الجمع ، أو أن ناطقا بمعنى ذات نطق ، فقد تكلّف . وقال بعضهم : هو حال من أبغض ، ويرد عليه أن الأصح أن المبتدأ لا يتقيد بالحال . وجوز هذا القائل أن يكون حالا من ضمير يقول ، مع اعترافه بأنه يلزم الفصل بين المبتدإ والخبر بالأجنبى . وذهب بعضهم إلى أنه حال من ضمير أبغض ، وهذا سهو ، إذ ليس فيه ضمير ، ولو كان خبراً لتحمله . وقوله (إلى ربنا) متعلق بأبغض . وروى ابن جنّى فى سر الصناعة : « إلى ربه » فالضمير يرجع إلى ابن ديسق . وقوله (اليجدّع) قال الصاغانى : « الجَدْع بالدال المهملة : قطع الأنف ، وقطع الأذن ، وقطع اليد ، وقطع الشَّفة . وجدعته أى سجنته وحبسته » ثم قال : « وحمار مجدّع مقطوع الأذنين » . وأنشد هذا البيت عن نوادر أبى زيد . وزعم شارح

(١) هو حميد بن ثور . ديوانه ٢٧ والمخصص ١٣ : ٩ .

مغنى اللبيب ـ وهو الحقّ ـ أنّه من جدعت الحمار : سجنته ، قال : لأن الحمار إذا حبس كثر تصويته ، وإذا جعل من الجدع الذى هو قطع الأذن لم يظهر له معنى . قال السيوطى : « وليس كما قال ، لأنّ صوت الحمار حالةَ تقطيع أذنه أكثر وأقبح . وكأنه ظن أن المراد صوته بعد التجديع ؛ وليس كذلك ، بل المراد وقت التجديع » . هذا كلامه ، وفيه نظر فإنه قيل لا يصوت عند قطع أذنه أصلا ، وقيل إن الحمار إذا كان مقطوع الأذن يكون صوته أرفع ، وإنما كان صوت الحمار مستكرها لأنّ أوله زفير وآخره شهيق ؛ وهذه حالة تنفر منها الطباع . وقد ورد تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار فى القرآن ، قال تعالى فى وصية لقمان لابنه : «واغضُضْ من صوتك إن أنكَر الأصواتِ لصوت الحَمير » ، أى أوحش الأصوات وأقبحها . قال القاضى[1] : «وفى تمثيل الصوت المرتفع به[2] ثم إخراجه مُخرَج الاستعارة مبالغة شديدة . وقال معين الدين الصفوى[3] : « شبه الرافعينَ صوتَهم بالحمير من غير أداة التشبيه ، مبالغةً فى التنفير . ولما كان صوته لا يكاد يختلف وأصواتُ سائر الحيوانات مختلفة جداء أفرد وجمعت . والحمير بمنزلة أسماء الأجناس على الأصح . والظاهر أن أنكر الأصوات الخ كلام لقمان ، وقيل هذا من كلام الله » انتهى . وهذا القول الأخير يناسبه قول الشاعر (إلى ربنا) فإن إلى بمعنى عند . وقال النسفى : ولو كان فى ارتفاع الصّوت فضيلة لم يُستشنع صوت الحمار الذى هو أرفع الأصوات . وقوله : (فهلا تمنّاها) الضمير راجع إلى معهود فى الذهن ، أى فهلا تمنى الحرب حين كانت حُبلى بمنايا الرجال ،

١٨

---

(١) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٨٥ . ونسبته إلى البيضاء : بلدة بفارس قرب شيراز . واسم تفسيره « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » .

(٢) لفظ البيضاوى : « بصوته » .

(٣) صاحب « جامع البيان فى تفسير القرآن » ، ولعل عبارته منقولة من كتاب آخر غير التفسير ، لأنها ليست فى تفسير آية « إن أنكر الأصوات » .

ومقارعةِ الأبطال . و (لاقح) من لقِحت الناقة لقَحا ، من باب تعب ، فهى لاقحٌ مطاوع ألقح الفحل الناقة إلقاحا : أحبلها ؛ كذا فى المصباح . وقوله (وذو النَّبَوَان) فى شرح نوادر أبى زيد « وذُو النبوان[١] لم يعرفه أبو زيد » . والنبوان ـ بفتح النون والبا الموحدة ـ اسم ماء بنجد لبنى أسد ، وقيل لبنى السَّيد من ضبّة . كذا فى معجم البلدان لياقوت الحموى[٢] . ويقال له نبوان أيضاً بلا لام ، قال أبو صخر الهذَلى :

ولها بذى نبَوانَ منزلة قفرٌ سوى الأرواح والرِّهمِ

أى لها بأراضى نبوان منزلة . والمراد بذى النبوان هنا رجل ، وهو إما صاحب هذا الماء أو لأنه دفن فى أرضها . و (التصدع) : التشقق ، يقال صدعته صدعا ، من باب نفع : شققته . وصدعت القوم صدعا فتصدعوا : فرقتهم فتفرقوا . والمراد به هنا الحفر والنبش ، أى هلا تمنيتَ الحرب إذ قتلنا منكم ذا النبوان فحفرتَ له قبرا وواريته فيه ، وأنت شديد الحزن عليه ولم تقدر على الأخذ بثاره ؟! وقوله : (يأتِكَ حيا دارم) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، جزم « يأت » فى جواب شرط مقدر ، أى إن تمنيت حربنا يأتك الحيان من دارم دفعة . ودارم : أبو قبيلتين من تميم . وطُهَيّة : حى من تميم ، سموا باسم أمهم ، وهى طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهى أم أبى سُود وعوف بن مالك بن حنظلة ، والنسبة إليها طُهْوى بسكون الهاء وبعضهم يفتحها على القياس . و (أقرع) بالقاف : تامّ ، يقال ألف أقرع ، ودرهم أقرع ، ومِائة قرعاء . وقوله : (فيستخرجَ اليربوع .. الخ) الفاء للسببية ، ويستخرجَ منصوب بأن مضمرة وجوبا ، وهو مبنى للمفعول ، ويجوز بالبناء

---

(١) ط : « والنبوان » ، وأثبت مافى سه و النوادر ٦٧ .

(٢) فى رسم (النبوان) .

الفاعل نسبة إلى الألفِ . واليربوع دُوَيْبَّةٌ تحفر الأرض — والياء زائدة ، لأنه ليس فى كلام العرب فَعلول سوى صَعفوق على مافيه — وله جحران أحدهما: القاصِعاء وهو الذى يدخل فيه . وأما قول الفرزدق يهجو جريرا :

وإذا أخذتُ بقاصعائك لم تجد   أحداً يعينك غير من يتقصّعُ

فمعناه إنما أنت فى ضعفك إذا قَصدتُ لك كأولاد اليرابيع لا يعينك إلاضعيف مثلك . والآخر: النافقاء وهو الجحر الذى يكتمه ويُظهر غيره ، وهو موضعٌ يرققّه ، فإذا أُتىَ من قِبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج . وجمعهما قواصع ونوافق . ونافق اليربوع : اخذ فى نافقائه ، ومنه المنافق ، شبه باليربوع لأنّه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذى دخل فيه ، وقيل لأنه يستر كفره ، فشبه بالذى يدخل النفقَ — وهو السَّرَب — يستتر فيه . والجحر يكون للضب واليربوع والحية ، والجمع جِحَرة كعنبة[1] وانجحر الضب على انفعل : أوى إلى جحره . وقوله (بالشيحة) رواه أبو عُمر الزاهد وغيره تبعاً لابن الأعرابى : « ذى الشِّيحة » وقال : لكل يربوع شيحة عند جحره . وردّ الأسود أبو محمد الأعرابى الغُندجانى على ابن الأعرابى وقال : ما أكثر ما يصحّف فى أبيات المتقدمين ، وذلك أنّه توهم أن ذا الشيحة موضع يُنبت الشينح ، وإنما الصحيح : « ومن جحره بالشِّيخة » بالخاء المعجمة ، وقال : هى رملة بيضاء فى بلاد بنى أسد وحنظلة . وكذا رواه الجرمى أيضا . والشين فى الروايتين مكسورة . وقوله (اليتقصّع) رواه أبو محمد الخوارزمى عن الرياشى بالبناء للمفعول[2] . يقال تقصّع اليربوع دخل فى قاصعائه ، فتكون صفة

(١) وأجحار أيضا .

(٢) النص فى نوادر أبى زيد ٦٧ وليس فيه قيد « بالبناء للمفعول » لا لفظاً ولا ضبطا .

الجُحر وصلته محذوفة ، أى من جحره الذى يتقصع فيه ، كما قدَّره ابن جنى فى سر الصناعة . وروى بالبناء للفاعل فيكون صفة اليربوع ولا حذف ورواه أبو زيد « المتقصَّع » بصيغة اسم المفعول وقال : « والمتقصَّع متفعَّل من القاصعاء » ، فيكون صفة اليربوع أيضا لكن فيه حذف الصلة . قال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : رواه لنا أبو العباس ثعلب اليَتقصع واليجدّع ، قال : هكذا رواه أبو زيد . قال : والرواية الجيدة عنده المتقصَّع والمجدَّع . وقال : لايجوز إدخال أل على الأفعال ، فإن أريد بها «الذى» كان أفسدَ فى العربية . وكان لا يلتفت إلى شىء من هذه الروايات التى تشذ عن الإجماع والمقاييس . ومعنى البيت : إنكم إن حاربتمونا جئناكم بجيش لُهَام ، يحيطون بكم فيوسعونكم قتلا وأسرا ، ولا نجاة لكم ولو احتلتم بكلّ حيلة ، كاليربوع الذى يجعل النافقاء حيلة للخلاصة من الحارش ، فاذا كثر عليه الحارش أخذوا عليه من نافقائه وقاصعائه ، فلا يبقى له مهرب البتة .

وروى بعض شراح الشواهد هذا البيت بعد البيتين الأولين ، ولم يزد على الثلاثة ، وظن أن قوله يَستخرج اليربوع بالبناء للمعلوم — معطوف على قوله يقول الخنى فقال : ووصفه أخيرا بالخديعة والمكر .

ثم أخذ الشاعر فى الفخر عليه بما فعل قومُه فيهم من القتل والأسر فى الحروب السابقة فقال : (ونحن أخذنا .. الخ) الخير هنا إما أفعل تفضيل أى أفضلكم ، وإما مخفف خيِّر بالتشديد ، أى الجيد الفاضل . (ومنكم) على التقديرين متعلق بأخذنا . وقوله (فظلّ) أى استمرّ فى أسرنا . وقوله (وأعيا ذو الفقار) هو بفتح الفاء ، قال الصاغانى : هو مسثر بن عمرو الهَمْدانى . وهو فاعل أعيا ، من أعيا فى مشيه أى كلّ ، بمعنى لم يقدر على شىء . وجملة (يكرَّع) بالبناء للمفعول حال من الفاعل ، ومعناه تقطع أكارعه : جمع كُراع بالضم

وهو — كما قال ابن فارس — من الإنسان : مادون الركبة ، ومن الدوابّ : ما دون الكعب . وروى الصاغانى : « وأضحى ذو الفقار يكرع » فجملة يكرع إما خبر أضحى ، أوحال أيضا إن كانت تامة . وقوله (ونحن أخذنا قد علمتم) الخ يقول : نحن قد فككنا يساراً — الذى أسرتموه — من أسركم بأموالنا .

٢٠ فنحن نُعطى ونضيف من ثروة ، وأنتم صعاليك لا تقدرون على شيء من ذلك . ويسار الأول اسم رجل ، والثانى بمعنى الغنى والثروة . و (نُحذِى) بضم النون وسكون المهملة والذال المعجمة بمعنى نُعطِى ، من الإحذاء وهو الإعطاء . و (ننقع) بالنون والقاف ، يقال نَقَع الجزورَ ينقَع بفتحتين نقوعا ، إذا نحرها للضيافة . قال الصاغانى : وفى كلام العرب إذا نقى الرجل منهم قوماً يقول : ميلوا يُنقع لكم ، أى يجزر لكم ، كأنه يدعوهم إلى دعوته . والنقيعة : الجزور التى تجزر للضيافة . وفسر بعض مَن كتب على نوادر أبى زيد (نُنقع) بقوله نُروى . وهذا غير مناسب . وقال الرياشى : حفظى « ونمنع » ومصدره المنع إما مقابل الإعطاء ، وإما بمعنى الحياطة والنصرة . يقال فلان عزّ وَمَنَعة بالتحريك ، وقد تسكن النون ، وكلاهما مناسب لنُحذى . قال الصاغانى : والمانع — من صفات الله تعالى — له معنيان : أحدهما مقابل الإعطاء ، والثانى أنّه يمنع أهل دينه ، أى يحوطهم وينصرهم .

(تتمـــة)

صاحب الشاهد نسب أبو زيد فى نوادره هذا الشعر لذى الخرق الطُّهَوى قال : « وهو جاهلى » . ومن لقب من الشعراء من بنى طهية ذا الخرق ثلاثة : (أحدهم) خليفة بن حمل بن عامر[1] بن حميرىّ بن وقدان بن سُبيع بن عوف بن مالك ابن حنظلة بن طهية ، ولقب ذا الخرق بقوله :

(١) المؤتلف والمختلف ١٠٩ . والذى فيه : « خليفة بن عامر » بإسقاط « حمل »

ما بال أمِّ حُبيش لا تـكلّمنا لمـا افتقرنا وقد نُثرى فنتفقُ
تقطّع الطرفَ دونى وهى عابسة كما تَشاوسَ فيك الثائر الحنق
لمّا رأتْ إبلى جاءت حُمولتها غرثى عجافا عليها الريش والخرق
قالت : ألا تبتغى مالاً تعيش به عما تلاقى وشر العيشة الرَّمَق[1]
فيئى إليك فأنا معشر صُبر فى الجدب لا خفّة فينا ولا ملق
إنا إذا حُطمة حتَّت لنـا ورقا نمارس العيش حتى ينبت الورق

(الثانى) قُرط ، ويقال له ذو الخرق بن قرط[2] أخو بنى سعيدة بن عوف ابن مالك بن حنظلة بن طهية ، وهو فارس أيضا . (الثالث) شَمير بن عبد الله ابن هلال بن قُرط بن سعيدة ، كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى[3]. ولم يذكر هذا صاحبُ العباب ولم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهليا ، فلا يظهر أن هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة . وقال العينّى : إن ذا الخرق الطهوى صاحب الشعر اسمه دينار بن هلال . ولا أدرى من أين نقله . وقال شارح شواهد المغنى : وفى المؤتلف والمختلف للآمدى أن اسمه قرط ، شاعر جاهلى ، سُمّى بذلك لقوله :

* جاءت عجافا عليها الريش والخرقُ *

وفيه ثلاثة أمور : الأول أن الآمدى لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه إلى قرط[4] . الثانى أنّه لم يقيد قرطا بكونه جاهليا . الثالث أنّ هذا الشعر

---

(١) ويروى : « الرنق » كما فى نسخة من الأصمعيات . انظر الأصمعيات ١٣٤ بتحقيقنا مع الشيخ أحمد شاكر . والرواية فيها أيضاً : « مما تلاق » .

(٢) فى المؤتلف ١١٩ : « ويقال ذو الخرق بن قرط » رواية أخرى فى اسمه .

(٣) ذكر هذا الثالث فى المؤتلف على أنه حاشية من ابن حبيب لا من صلب الكتاب .

(٤) الحق أن الآمدى ذكره فى موضع متقدم وهو ص١٠٩ كما سبق فى الحواشى .

ليس لقرط ، وإنما هو لخليفة بن حمل كما تقدم آنفا . وفيه أيضا أن الرواية « غرنى عجافا » لا « جاءت عجافا » .

بقى من يلقب بذى الخرق من الشعراء من غير طهية . وهم اثنان : أحدهما ذو الخرق اليربوعى أحد بنى صَبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . والثانى : ذو الخرق بن شُريح بن سيف بن أبان بن دارم . وهذا والذى قبله من شعراء الجاهلية .

ومن غير الشعراء (ذو الخرق) النُّعمان بن راشد بن معاوية بن عمرو ابن وهب بن مرّة ، كان يُعلِم نفسه فى الحرب بخرق حمر وصفر . ٢١

و (ذوالخرق) أيضا : فرس عَبّاد بن الحارث بن عدى بن الأسود[١] ، كان يقاتل عليه يوم اليمامة . والخرق : جمع خرقة وهى القطعة من الثوب .

ترجمة الأسود الغندجانى

والأسود الغُندِجانى ترجمة ياقوت الحموى فى معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب[١] ، قال : هو الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابى المعروف بالأسود الغندجانى اللغوى النسابة ، وغندجان بلد قليل الماء لايخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح . فى القاموس : غَندَجان بالفتح[٢] بلد بفارس بمفازة مَعطِشة . وكان الأسود صاحبَ دنيا وثروة ، وكان عارفا بأيام العرب وأشعارها ، قيِّماً بمعرفة أحوالها . وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبى الندى . وكان قد رزق فى أيامه سعادة ، وذاك أنه كان فى كنف الوزير العادل أبى منصور بهرام بن مافنّه ، وزير الملك أبى كالَنْجار[٣] ابن بهاء الدولة

(١) انظر القاموس (خرق) .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٦١ — ٢٦٤ .

(٣) ضبطه ياقوت فى معجم البلدان بضم فكسر فسكون .

(٤) فى معجم الأدباء : « كاليجار » .

ابن بويه صاحب شيراز ، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة . وكان الأسود إذا صنف له كتابا جعله باسمه . وكان يُفضل عليه إفضالا جما ، فأثرى من جهته . ومات أبو منصور الوزير فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . قال ياقوت : وقرأت فى بعض تصانيفه أنّه صنفه فى شهور سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وقرئ عليه فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وله من التصانيف : فُرحة الأديب ، فى الرد على يوسف بن أبى سعيد السيرافى[1] فى شرح أبيات سيبويه . وكتاب قيد الأوابد فى الرد على ابن السيرافى أيضا فى شرح أبيات إصلاح المنطق . وكتاب ضالّة الأديب فى الرد على ابن الأعرابى فى النوادر التى رواها ثعلبٌ عنه . وكتاب الرد على أبى على النمرى فى شرح مشكل أبيات الحماسة . وكتاب نزهة الأديب فى الرد على أبى على فى التذكرة . وكتاب السّلّ والسرقة . وكتاب الخيل : مرتب على حروف المعجم . وكتاب فى أسماء الأماكن . وأكثرها عندى ، ولله الحمد والمنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى من شواهد سيبويه[2] :

٢ (ولا أرضَ أبقلَ إبقالَهَا)

أوله :

(فلا مُزْنَةٌ وَدقت وَدْقَها)

أورده نظيراً لعرفات : فى كونها مؤنثة لايجوز فيها التذكير إلا بتأويل بعيد ، وهو أن يراد بها المكان . وأورده أيضاً فى باب المذكر والمؤنث

---

(١) وأبو سعيد السيرافى هو الحسن بن عبد الله .

(٢) سيبويه ١ : ٢٤٠ .

على أنّه لايحذف علامة التأنيث من المسند إلى ضمير المؤنث المجازى إلا لضرورة الشعر . وهو من شواهد الكتاب ومغنى اللبيب . قال ابن خلف: الشاهد فيه أنه ذكّر أبقل وهو صفة للأرض ضرورةً ، حملا على معنى المكان ، فأعاد الضمير على المعنى وهو قبيح . والصحيح أنه ترك فيه علامة التأنيث للضرورة واستغنى عنه مما علم من تأنيث الأرض . وإلى هذا الوجه أشار أبو على . وقال غيره : وإنما قبح ذلك لاتصال الفاعل المضمر بفعله ، فكأنه كالجزء منه حتى لايمكن الفصل بينهما بما يسدُّ مسدّ علامة التأنيث . ولا يخفى ما فيه . وعند ابن كيسان والجوهرى أن الفعل إذا كان مسنداً لضمير المؤنث المجازى لايجب إلحاق علامة التأنيث .

وقول بعضهم : وهذا ليس بضرورة لأنه كان يمكنه أن يقول « ولا أرضَ أبقلتِ إبقالها » بنقل حركة الهمزة إلى ماقبلها وإسقاطها — ليس بجيد ، ٢٢ لأن الصحيح أن الضرورة ماوقع فى الشعر ، سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا . وأجاب السيرافى بأنه يجوز أن يكون هذا الشاعر ليس من لغته تخفيف الهمزة ، وحينئذ لايمكنه ماذكره . وذكر ابن يسعون أنّ بعضهم رواه بالتاء بالنقل المذكور . قال ابن هشام : فإن صحت الرواية وصح أن القائل ذلك هو الذى قال ولا أرض أبقل بالتذكير صحَّ لابن كيسان مُدّعاه ، وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم بعضاً ، وكلٌ يتكلم على مقتضى لغته التى فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات فى بعض الأبيات .

وزعم جماعة أنه لاشاهد فيه ، فقال ابن القوّاس فى شرح ألفية ابن معطى أنه روى إبقالها بالرفع ، مسنداً إلى المصدر . ويردّه أن إبقالها منصوب على المصدر التشبيهى : أى ولا أرض أبقلت كإبقال هذه الأرض . ولو كان كما زعم كان معناه نفى الإبقال ، وهو نقيض مراد الشاعر . وزعم بعضهم أن ضمير

أبقل عائد على مذكر محذوف : أى ولا مكان أرض ، فقال أبقل باعتبار المحذوف ، وقال إبقالها باعتبار المذكور . وهذا فاسد أيضاً ، لأن ضمير إبقالها ليس عائداً على الأرض المذكورة هنا ، فتذكير أبقل باعتبار المحذوف لادليل عليه ، ولو قال إن الأرض مما يذكر ويؤنث — كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات عندما أنشد هذا البيت : إن الأرض تذكّر وتؤنّث ، وكذلك السماء ، ولهذا قال أبقل إبقالها — لكان وجهاً .

قال ابن الحاجب فى أماليه : الضمير فى « ودقها » « وإبقالها » ، راجع إلى غير المزنة والأرض المذكورتين ، ولا يستقيم أن يعود إليهما لئلا يصير مخبِراً أنّه ليس مزنة تدق مثلَ ودق نفسها ، وهو فاسد . وإن لم تقدّر محذوفاً كان أفسد ، إذ يصير المعنى أنه ليس مزنة تَدِقُ وَدْق نفسها ، والأمر على خلافه ، إذ لاتدقُ مزنة إلاّ ودق نفسها . فوجب أن يكون التقدير فلا مزنة ودقت ودقا مثل هذه المزنة ، المحذوفة . وزعم الصاغانى فى العباب : أن الرواية « ولا روض أبقل إبقالها » ، وهذا لا يصادم نقل سيبويه لأنه ثقة ، والاعتماد عليه أكثر .

فقوله : (فلا مزنة الخ) لا الأولى نافية للجنس على سبيل الظهور عاملة عمل ليس أو ملغاة ، والثانية نافية للجنس على سبيل التنصيص ، و (مزنة) اسم لا إن كانت عاملة عمل ليس ، أو مبتدأ إن كانت غير عاملة ، وصح الابتداء بالنكرة إمّا للعموم وإما للوصف . وجملة (ودقت) محلها نصب : خبر لا ، أو رفع : خبر المبتدأ ، أو نعت لمزنة والخبر محذوف أى موجودة أو معهودة . وجملة (أبقل) خبر لا فقط ، ولا يجوز كونها صفة لاسم لا ، كما جوزه شراح الشواهد ، لأنه يجب حينئذ تنوين اسم لا لكونه مضارعاً للمضاف . والمزنة — واحدة المزن — السحابة البيضاء ، ويقال المطرة . والمعنى

هنا على الأول . انتهى . وكلاهما غير صحيح ، أما الأوّل فلأن السحابة البيضاء لا ودق لها ، وأما الثانى فيرده قوله تعالى : « أأنتم أنزلتموه من المُزْن » . والودق : المطر ، قال المبرد فى الكامل : يقال ودَقت السماء يافتى تَدِق ودقا ، قال تعالى: « فترى الودْق يخرج من خِلاله » ، وأنشد هذا البيت .

٢٣ و (أبقل) قال الدينورى فى كتاب النبات : يقال بقل المكان يَبقُل بقولا إذا نبت بقله ، وأبقل يبقل إبقالا وهذا أكثر اللغتين وأعرفهما ، وأكثر العلماء يردّ بقل المكان . وقال بعض الرواة : أبقلت الأرض وأبقلها الله وبَقل وجهُ الغلام إذا خرج وجهه[1] .وقال بعض علماء العربية : أبقل المكان ثم يقولون مكان باقل ، قال : ولا نعلمهم يقولون بقل المكان . ومثلة قولهم أدْرستِ الأرض ونبت دارس ، ولا يقولون غيرها ، وقال أيضاً : أعشب البلد ثم قال بلد عاشب ، وكذا قال أبو عبيدة والأصمعى ، وتبعهما ابن السكيت وغيره ، قالوا : يقال بلد عاشب ، ولا يقال إلاّ أعشب ، وباقل الرِّمْث — وهو نبت — وقد أبقل ، ودارس الرمث وقد أدرس ، فيقولون فى النعت على فاعل ، وفى الفعل على أفعلَ ، كذا تكلمت به العرب . قال الدينَوَرىّ — وتبعه على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة — : وقد جاء عن العرب مايردّ عليهم ، قال رؤبة :

* يملحنَ من كل غَميس مُبقلِ[2] *

وقال ابن هَرْمة :

---

(١) أى بدت لحيته .

(٢) ملح : ورد . والغميس : الجدول الصغير بين البقل والنبات. وفى اللسان (بقل) مع نسبته إلى أبى النجم « يلحن » تصحيف . ولم يرد الشطر فى أرجوزته ولا فى ديوان العجاج .

لرُعَت بصفراء الشحالة حرةً   لها مرتع بين النبيطين مبقلُ[1]

وقال آخر :

* ولا أرضَ أبقل إبقالها *

فجاء به على أبقل يبقل فهو مبقل . وقال النابغة الجعدى :

على جانبىْ حائرٍ مفرط   ببرث تبوَّأنَه معشبِ[2]

وقال الدِّينوَرىّ فى موضع آخر : « النبات كله ثلاثة أصناف : شىء باق على الشتاء أصلُه وفرعه . وشى آخر يُبيد الشتاء فرعه ويبقى أصله ، فيكون نباته فى أرومته الباقية . وشىء ثالث يبيد الشتاء أصله وفرعه ، فيكون نباته من بزره . وكل ذلك يتفرق ثلاثة أصناف أخر : فصنف يسمو صعداً على ساقه مستغنياً بنفسه عن غيره . وصنف يسمو أيضاً صعداً لا يستغنى بنفسه ، ويحتاج إلى ما يتعلق به ويرتقى فيه . وصنف ثالث لا يسمو ولكن ينسطح على الأرض فينبت مفترشاً . فيقال لكل ما سما بنفسه : شجر ، دقّ أو جل ، قاوم أو عجز عنه . وقيل له شجر لأنّه شجرَ قِسما ، فكلُّ ما سمكتَه ورفعته فقد شجرته . وما كان منه ينبت فى بزره ولا ينبت فى أرومته فاسمه البقل . وكل نابتة بقلةٌ فى أول ما تنبت ، ولذلك قيل لوجه الغلام أوّلَ ما يخرج : بقَلَ . وما نبتَ فى أرومة وكان مما يهلك فرعه فاسمه الجَنْبة ، لأنه فارق الذى يبقى فرعُه وأصله ، وفارق البقل الذى يبيد أصلُه وفرعه فكان جَنبةً بينهما . وما تعلق بالشجر فرقىَ فيه وعصَب به فهو فى طريقة العَصْبَة . وما افترش ولم يسمُ فهو فى طريقة السُّطَّاح ، وقد زعم أبو عبيدة أنّه النجم . على أنّ كل ما طلع من الأرض فقد نجم ، فهو نجم إلى أن تتبين وجوهه » . اهـ .

(١) اللسان (بقل) و (برث) .

(٢) ديوانه ص ٣٢ واللسان (برث) .

وقال الجواليقى فى لحن العامة : يذهب العامة إلى أنّ البقل ما يأكله الناس خاصة دون البهائم ، من النبات الناجم الذى لا يحتاج فى أكله إلى طبخ . وليس كذلك ، إنّما البقل العشب وما يُنبت الربيع ممـا تأكله البهائم ، قال الشاعر :

* ولا أرض أبقل إبقالها *

وقال آخر[1] :

قومٌ إذا نبتَ الربيع لهم   نبتت عِداتهمُ مع البقل[2]

٢٤ وقال زهير :

رأيتَ ذوى الحاجات حول بيوتهم   قطيناً لهم حتّى إذا أنبتَ البقلُ

يقال منه : بقلت الأرض وأبقلت ، لغتان فصيحتان ، إذا أنبتت البقل . قال أبو النجم يصف الإبل :

* تبقّلتْ فى أول التبقّل *

والفرق بين البقل ودِقّ الشجر : أنّ البقل إذا رعى لم يبق له ساق ، والشجر يبقى له .

صاحب الشاهد (تتمة) قال شراح شواهد الكتاب : هذا البيت لعامر بن جُوين الطائى ، وهو أحد الخلعاء الفُتّاك ، قد تبرأ قومه من جرائره . وله حكاية مع امرئ القيس ، وستأتى فى ترجمته إن شاء الله . وصف به أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث . ولم يذكروا مما قبله ولا مما بعده شيئاً . وقال شارح شواهد المغنى : قال الزمخشرى : أوّله :

---

(١) هو الحارث بن دوس الإيادى ، كما فى حواشى ابن برى على تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى ص١٣ واللسان (بقل) .

(٢) فى اللسان وتكملة الإصلاح واللآلى ٢٤ : « عداوتهم » ، وهو الوجه

وجارية من بنات الملو ... ك قعقعت بالرمح خلخالها
كـكِرفئة الغيث ذات الصبيـ ... ـر ترمى السّحابَ ويُرمى لها
تواعدتْها بعد مرّ النجو ... م كلفاء تكثر تهطالها
فلا مزنة ودقت ودقها . . .. (البيت)

انتهى . وقد رأيت البيتين الأولين فى شعر الخنساء من قصيدة ترثى بها أخاها صخراً[1] أولها :

ألا ما لعينى ألا ما لهـا ... لقد أخضلَ الدمعُ سربالها

ثم وصفت جيشاً فقالت :

ورَجراجة فوقها بيضُها ... عليها المضاعَف زفْنا لها
كـكِرفئة الغيث ذات الصبيـ ... ـر . . . (البيت المذكور)

وقال شارح ديوانها الأخفش : الرجراجة : الكتيبة ، كأنها تتحرك وتتمخض من كثرتها . والمضاعَف من الدروع : التى تنسج حلقتين حلقتين . وزِفنا لها : مشينا لها باختيال ، وهى بالزاى المعجمة والفاء ، زاف يَزيف زيفاً وزَيفاناً : تبختر فى مشيته . وشبه الرجراجة فى كثرتها وحركتها وتمخضها بالكرفئة ، وهى السحابة العظيمة التى يركب بعضُها على بعض حَملا للماء . والحَمل بالفتح : ما كان فى الجوف مستكناً . والحِمل بالكسر : ظاهر مثل الوقر على الظهر . شبه الكرفئة بالناقة يكثر لحمها وشحمها ، يقال : إنّ عليها[2]

(١) فى ديوان الخنساء : مخطوط دار الكتب رقم ٤٣ سه أدب : « وقالت لمعاوية أخيها وقتله بنو مرة على غدير قلهى » . وفى الأغانى ١٣ : ١٣١ : « ليست هذه فى صخر ، وإنما رثت به معاوية أخاها » . وبعد هذه الكلمة فى ط : « وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طيىء » ، وهى عبارة مقحمة رج عليها فى ش . وواضح أنه سهو كتابى ، وإنما هو اسم لقبيلة عامر بن حوين ، كما سيأتى .

(٢) ط : « عليه » ، صوابه فى سه .

لكرافئ من اللحم والشحم . والصبير : سحاب أبيض . ترمى السحابَ هذه الكرفئة أى تنضم إليه وتتّصل به ، ويُرمى لها بالبناء للمفعول ، أى يُضمّ إليها حتى يستوىَ ويخلولق .

قال ابن الأعرابى : هذا البيت لعامر بن جوين الطائى . وقال الأصمعى : الكرفئة وجمعه كرافئ : قِطع من السحاب بعضها فوقَ بعض . والصبير : السحاب الأبيض

ثم قالت تخاطب أخاها :

وبِيضٍ منعتَ غداةَ الصباح وقد كَفّتِ الرّوعُ أذيالها
وهاجرةٍ حـرّها واقدٌ جعلتَ رداءك أظلالهـا
وجامعةِ الجمع قد سقتها وأعلمتَ بالرمح أغفالهـا
ورُعبوبةٍ من بنات الملو ك قعقعت بالرمح خَلخالها

٢٥ بيض ، تعنى جوارى سُبين . كفت : كشفت . والروع : الفزع[1] . وروى ابن الأعرابى : « تكشّف للروع أذيالها » . واقد : شديد الحر . جعلت رداءك أظلالها ، أى استظللت فيها بالرداء . وتعنى بجامعة الجمع إبلا كثيرة . قد سقتها إمّا لتزويج وإما لسباء تفكّه . وروى ابن الأعرابى : « ومُعلَمة سقتها قاعداً » معلمة : إبل . قاعداً : أى قاعداً على فرسك . والأغفال : التى لا سِماتِ عليها ولا علامات . تقول : أعلمتَ منها ما كان أغفالا . والرُعبوبة : الناعمة الرخصة اللينة . قعقعت خلخالها ، أى تزوجت بها أو سبيتها، فهو سلبها .

ولا يخفى أن هذه الأبيات غير مرتبطة ببيت الشاهد ، ولا مناسبةَ لها به . والله أعلم .

---

(١) وأتته بتضمينه معنى الحرب .

وقد نسب أبو محمد الأعرابى - فى فرحة الأديب - الأبيات التى نقلت عن الزمخشرى إلى عامر المذكور .

وقال المظهرى - فى شرح المفصل - كلاما يشبه كلام المبرسمين وهذيان المحمومين ، وهو قوله : قصة هذا البيت أنّ جارية هربت من غارة وفى رجلها خَلخال ، يقول الشاعر : إنّ هذه الجارية تعدو ويصوّت خلخالها كصوت الرعد ، فليس مزنة تمطر مطراً مثل السحاب الذى يشبه هذه الجارية ، وليس أرض تخرج النبات مثل أرض أصابها ذلك السحاب . هذا كلامه[١]

ترجمة عامر ابن جوين

و (عامر بن جوين) صاحب الشاهد : هو - كما قال محمد بن حبيب فى أسماء المقتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام[٢] - : هو عامر بن جُوين ابن عبد رُضاء بن قمران الطائى ، أحد بنى جَرم بن عمرو بن الغوث بن طيء ، كان سيداً شاعراً فارسا شريفا ، وهو الذى نزل به امرؤ القيس بن حجر . وكان سبب قتله أن كلبا غزت بنى جَرم ، فأسر بشر بن حارثة وهُبيرة ابن صخر الكلبى ، عامر بن جوين - وهو شيخ - فجعلوا يتدافعونه لكبره ، فقال عامر بن جوين : لا يكن لعامر بن جوين الهوان ! فقالوا له : وإنك لهو ؟! قال : نعم . فذبحوه ومضوا ، فأقبل الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلا تتبعهم فأخذ منهم ثمانية نفر - وكانوا قتلوا عامراً وقد هبت الصبا - فكمعهم ووضع أيديَهم فى جفان فيها ماء ، وجعل كلما هبت الصبا ذبح واحداً حتى أتى عليهم .

قال أبو حاتم السجستانى - فى كتاب المعمَّرين[٣] - : عاش عامر ابن جوين مائتى سنة .

---

(١) انظر اللسان (صبر) .
(٢) ص ٢٠٩ من المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .
(٣) المعمرين ص ٤١ .

ورُضاء بضم الراء والمد ؛ قال ابن الكلبي في كتاب الأصنام[١] : وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبّدونها لا أدرى أعبّدوها للأصنام أم لا : منها عبد رُضاء ، كان بيتا لأبي ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر في الإسلام وقال :

ولقد شددتُ على رُضاء شدّة فتركتُها تلاً تنازع أسحما

وقران بفتح القاف وسكون الميم وبعدها راء مهملة . وجَرم اسم ثعلبةَ حضنته أمةٌ يقال لها جَرم فسمّى بها ، وابنه الأسود كان شريفا شاعراً . وقبيصة ابن الأسود وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه نسبة عامر بن جوين من الجمهرة : عامر بن جوين بن عبد رُضاء ابن قران بن ثعلبة بن جيّان (وهو جَرم) بن عمرو بن الغوث بن طيّء .

ترجمة أبي حنيفة الدينوري

(وأبوحنيفة الدينوري) هو أحمد بن داود بن وَنَند[٢] . أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت ، وكان نحويا لغويا مهندسا منجما حاسبا ، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه . مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ قال أبو حيان التوحيدى : أبو حنيفة الدينوري من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم . وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، وأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلامِ أبدَى بدويّ ، وعلى طباع أفصح عربيّ . ولقد قيل لى إن له في القرآن كتابا يبلغ ثلاثة عشر مجلدا — وما رأيته — وإنه ما سُبق إلى ذلك النمط مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وله من الكتب : كتاب الباءة . كتاب ما تلحن فيه العامة . كتاب الشعر

٢٦

(١) الأصنام ص ٣٠ . وفي نقل البغدادى بعض التصرف .

(٢) هذه الترجمة برمتها من معجم الأدباء ٣ : ٢٦ — ٣٢ .

والشعراء . كتاب الفصاحة . كتاب الأنواء . كتاب فى حساب الدر[1] . كتاب البحث فى حساب الهند . كتاب الجبر والمقابلة . كتاب البلدان ، كبير . كتاب النبات ، لم يصنف مثله فى معناه . كتاب الجمع والتفريق . كتاب الأخبار الطوال . كتاب الوصايا . كتاب نوادر الجبر . كتاب إصلاح المنطق . كتاب القِبلة والزوال . كتاب الكسوف . وله غير ذلك .

روى أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ما الشاة المجثَّمة التى نهى النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هى الشاة القليلة اللبن ، مثل اللَّجْبة ، فقال : هل من شاهد ؟ قال : نعم ، قول الراجز :

لم يبقِ من آل الحميد نسمهْ إلا عنيز لجبة مجثَّمهْ

فإذا الحاجب يستأذن لأبى حنيفة الدينورى ، فلما دخل عليه قال : أيها الشيخ ،ما الشاة المجثَّمة التى نُهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هى التى جثِّمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول وهذا شيخ أهل العراق يقول هى مثل اللجبة؟! وأنشده الشعر . فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة ، إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان الشعر إلّا ساعته هذه . فقال أبو العباس : صدق الشيخ ، فإنى أنفت أن أرِد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع ، فأول ما تسألنى عنه لا أعرِفه . فاستحسن منه هذا الإقرار .

* * *

وأنشد بعده لامرئ القيس ، وهو الشاهد الثالث ، وهو من شواهد س[2] :

---

(١) فى معجم الأدباء : « الدور » .

(٢) سيبويه ٢ : ١٨ .

٣ (تنوّرتُها من أذرعات وأهلُها بيثرِبَ أدنَى دارها نظرٌ عالِ)

وقال الشارح : يروى بكسر التاء بلا تنوين ، وبعضهم يفتح التاء فى مثله مع حذف التنوين ، ويروى « من أذرعاتَ » كسائر ما لاينصرف . فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف . والأشهر بقاء التنوين فى مثله مع العلمية .

أقول : أراد بهذا الكلام تقرير ما ذهب إليه تبعاً للربعى والزمخشرى ـ وإن خالفهما فى الدليل ـ من أن تنوين جمع المؤنث السالم تنوين صرف لا تنوين مقابلة ، فإنّ حذف التنوين فى بعض اللغات مما سمى بهذا الجمع ، دليلٌ على أن تنوينه قبل التسمية تنوين صرف . فاستند أولا إلى تجويز المبرد والزجاج حذف التنوين منه مع العلمية ، وثانياً إلى رواية منع الصرف فيه مع العلمية بوجهين : سماعى وقياسى ، فالأول نقله ابن جنى ـ فى سر الصناعة ـ عن بعض العرب فقال : واعلم أنّ من العرب من يشبه التاء فى مسلمات ـ معرفةً ـ بتاء التأنيث فى طلحة وحمزة ، ويشبّه الألف التى قبلها بالفتحة التى قبل هاء التأنيث ، فيمنعها حينئذ الصرفَ فيقول : هذه مسلماتُ مقبلة . وعلى هذا بيت امرئ القيس : « تنورتها من أذرعاتَ » ، وقد أنشدوه من أذرعاتٍ بالتنوين . وقال الأعشى : ٢٧

تخيّرها أخو عاناتَ شهراً ورجّى خيرها عاماً فعاما[1]

وعلى هذا ما حكاه س من قولهم : هذه قرشياتُ[2] غير منصرفة . انتهى . والثانى أن بعضهم ـ أى بعض النحاة ـ يفتح التاء فى مثله ، أى فى

---

(١) فى النسختين : « لخيرها » ، صوابه من الديوان ١٣٤ واللسان (عون) ، وقال : « عانات : موضع بالجزيرة تنسب إليها الخمر العانية » .

(٢) فى كتاب سيبويه : « قريشيات » . والنسبتان صحيحتان .

مثل أذرعات مما سمى بجمع مؤنث سالم ، مع حذف التنوين ، أى بفتح التاء ويحذف التنوين منه ، ويروى ذلك البعض من أذرعاتَ بفتح التاء قياساً على سائر مالا ينصرف . فعلى هذين الوجهين أى حذف التنوين مع كسر التاء وحذف التنوين مع فتح التاء التنوين للصرف أى التنوين الذى كان قبل التسمية . فإنّ النحاة اتفقوا على أن التنوين الذى يحذف فيما لاينصرف إنما هو تنوين الصرف .

و (أذرعات) قال ياقوت فى معجم البلدان : وهى بلد فى أطراف الشام يجاور البلقاء وعَمّان ، وينسب إليه الخمر . وقد ذكرتها العرب فى أشعارها لأنها لم تزل من بلادها . والنسبة إليه أذرعىّ . و (يثرِب) زاد الصاغانى : وأثرِب[1] . اسم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ياقوت ــ نقلا عن الزجاجى : « سُمّيت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طَيبة وطابة ، كراهيةً للتثريب . وسميت مدينةَ الرسول صلى الله عليه وسلم لنزوله بها . ثم اختلفوا فقيل : إن يثرب اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل يثرب ناحية من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم[2] ، وقيل هى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال ابن عباس : من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثا إنما هى طَيْبَة » . وقال فى المصباح : ثرب عليه من باب ضرب : عتب ولامَ ، وبالمضارع بياء الغائب سمى رجلٌ من العمالقة ، وهو الذى بنى المدينة سميت باسمه ، قاله السهيلى . وأما (يترب) بالمثناة الفوقية بدل المثلثة ، فقال ياقوت : هى بفتح الراء قيل

---

(١) ط : « ويترب » صوابه فى س كما تقتضيه المغايرة .

(٢) فى النسختين : « من ناحية مدينة الرسول » ، صوابه فى معجم البلدان .

قرية باليمامة عند جبل وشم . وقيل اسم موضع فى بلاد بنى سعد . وقال الحسن ابن أحمد الهمْدانى اليمنى[١] : هى مدينة بحضرموت نزلها كِندة . وإياها عنى الأعشى بقوله :

* بسهام يترب أو سهام الوادى[٢] *

ويقال إن عرقوباً صاحب المواعيد كان بها . ثم قال : والصحيح أنه من قدماء يثرب . وأما قول ابن عبيد الأشجعى :

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيد عُرقوب أخاه بيترب

فهكذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة ؛ قال ابن الكلبى : وكان من حديثه أنه كان رجلا من العماليق يقال له عرقوب ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا أطلعَت النخلة فلك طلعها . فلما أتاه للعِدَة قال : دعها تصير بلحاً.
٢٨ فلما أبلحت قال : دعها تصير زهواً ؛ ثم حتى تصير بسراً ؛ ثم حتى تصير رطباً ؛ ثم تمراً . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدّها ولم يعطه شيئاً ، فصار مثلا فى الخلف » . و (التنوُّر) قال المبرد فى الكامل : المتنوّر الذى يلتمس ما يلوح له من النار . ورد عليه أبو الوليد الوقشى ـ فى شرحه عليه ـ بأن المتنور إنما هو الناظر إلى النار من بعد ، أراد قَصْدها أو لم يرد ، كما قال امرؤ القيس : « تنورتها من أذرعات » ، ولم يرد أن يأتيها ، كما لم يُرِدِ القائل[٣] :

وأشرفُ بالقُور اليَفاع لعلنى أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

---

(١) هو صاحب كتاب الإكليل ، وصفة جزيرة العرب ، المتوفى سنه ٣٣٤ .

(٢) فى ديوان الأعشى ٩٨ ومعجم البلدان ٢ : ٢٥٨ : « أو سهام بلاد » . وصدره :

* منعت قياس الماسخية رأسه *

(٣) هو توبة بن الحمير من مقطوعة فى الأمالى ١ : ٨٨ ، كما ورد بهذه النسبة فى اللسان (بصر) .

والنظر إلى نارها إنما هو بنظر قلبه، تشوقاً إليها . كما قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى[١] : هذا تحزُّن وتظنُّنٌ منه[٢] ، ليس أنه رأى بعينه شيئاً إنما أراد رؤية القلب . ومثله قول الآخر :

أليس بصيراً من رأى وهو قاعد بمكة أهلَ الشام يختبزونا

وقال الأعشى[٣] :

أريتُ القوم نارك لم أغمّض بواقصة ومشربنا زَرودُ
فلم أر موقداً منها ولكن لأية نظرة زَهَرَ الوقود[٤]

وجوّز أرباب البديع فى الإغراق من المبالغة أن يكون نظراً بالعين حقيقة . قالوا : لا يمتنع عقلا أن يرى من أذرعات من الشام نار أحبَّتِه ، وكانت بيثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم على بعد لهذه المسافة ، على تقدير استواء الأرض وأن لا يكون ثمّ حائل من جبل أو غيره ، مع عظم جِرم النار ، وإن كان ذلك ممتنعاً عادة . وجملة تنورتها استئنافية ، و (أدنى دارها) مبتدأ و (نظر عالى) خبره بتقدير مضاف . قال أبو على فى الإيضاح الشعرى : ولا يجوز أن يكون نظرٌ خبر أدنى لأنه ليس به ، لأن أدنى أفعل تفضيل ، وأفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضٌ له ، فوجب أن يكون بعض الدار ، وبعض الدار لا يكون النظر فإما أن يحذف المضاف من النظر ، أى أدنى دارها ذو نظر ، وإما أن يحذف من الأوّل ، أى نظرُ أدنى دارها نظر عالى ، ليكون الثانى الأوّل. فى المصباح: علا علوّاً من باب قعد : ارتفع ، فهو عال . يريد أن أقرب مكان من دارها

---

(١) المعانى الكبير ص ٤٣٥ .
(٢) ط : « وتمن منه » صواب النص من ـــ والمعانى
(٣) ديوانه ص ٦٥ .
(٤) زهر السراج والقمر ونحوها : تلألأ .

بعيد . فكيف بها ودونها نظر عالٍ ! والجملتان الاسميتان حال من ضمير المؤنث في تنوّرتها ، وجاءت الثانية بلا واو كقوله :

واللهُ يبقيك لنا سالماً بُرْداك تعظيم وتبجيلُ

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس عدتها ستة وخمسون بيتاً ، وهي من عيون شعره ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين : هنا ، وفي مغني اللبيب ، وفي كتب النحو والمعاني . فينبغي شرحها ـ تتميا للفائدة ـ وإن شرحت هنا بأجمعها طال الكلام . فلنوزعها مع الأبيات التي ذكرت

قصيدة الشاهد

منها في هذا الكتاب متفرقة ، فنذكر هنا من أول القصيدة إلى البيت الذي شرحناه :

(ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العُصر الخالي

وهل يعمنْ إلا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوجال)

٢٩

قوله « عم صباحاً » هذه الكلمة تحية عند العرب ، يقال : عم صباحاً وعم مساء وعم ظلاماً . والصباح من نصف الليل الثاني إلى الزوال ، والمساء من الزوال إلى نصف الليل الأوّل . قال ابن السيد في شرح شواهد أدب الكاتب « يقال وَعَمَ يَعِمُ كوعد يعد وومق يمق . وذهب قوم إلى أن يم محذوف من ينم ، وأجازوا عم صباحاً بفتح العين وكسرها ، كما يقال انعَم صباحاً وانعِم . زعموا أن بعض العرب أنشد :

* ألا عم صَباحاً أيها الطلل البالي *

بفتح العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة :

* وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي *

فقال : هو من نعم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كثر زَبَدُه ، كأنه

يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير . وقال الأصمعى والفراء : إنما هو دعاء بالنعيم والأهل وهو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . ولم يذكر صاحب الصحاح مادة وعم قال : «وقولهم عم صباحاً كأنه محذوف من نعم ينعم بالكسر». وزعم ابن مالك فى التسهيل أن عم فعل أمر غير متصرف . قال أبو حيان : ليس الأمر كما زعم ، بل هو فعل متصرف ، وقد حكى يونس وعمتُ الدارَ أعم، أى قلت لها انعمى . قال الأصمعي : عم فى كلام العرب أكثر من انعمْ . وقد روى « ألا انعم صباحاً الخ » . ونَعُم الشىء نعومة صار ناعماً ليناً ، من باب كرم وحذر وحسب. ويقال انعم صباحك أيضاً، من النعومة . وصباحاً ظرف أو تمييز محول عن الفاعل . والطلل : ماشخص من آثار الدار . والرسم : مطلق الأثر . والبالى : من بلى الثوب من باب تعب ، بِلًى بالكسر والقصر وبَلاء بالفتح والمد : خلق . أو من بلىَ الميتُ : أفنته الأرض . وقوله « وهل يعمن » هو استفهام إنكارى ، استشهد به ابن هشام ــ فى شرح الألفية ــ على أن مَن يستعمل فى غير العقلاء . وقال العسكرى ــ فى كتاب التصحيف ــ اختلفوا فى معناه لا فى لفظه ، فقال الأصمعى : اللفظ على مذهب أنت يا طلل قد تفرق أهلك وذهبوا ، فكيف تنعم بعدهم ؟ ! أو المعنى كيف أنعم أنا ؟ فكأنه يعنى أهل الطلل . و «العصر» بضمتين : لغة فى العصر وهو الدهر . والخالى: الماضى، قال تعالى : « وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فيها نذير » . وقوله « وهل يعمن إلا سعيد إلخ » قال العسكرى : المخلَّد : الطويل العمر الرخىّ البال ، ومخلد إذا لم يشب . وقيل المخلَّد المقرّط ، والقُرط الخلَدة . ورواه بعضهم :

* وهل ينعمنْ الا خلىٌّ مخلَّد *

وقال : يعنى غلاماً حدَثاً خليا من العشق . والأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف ، وفعله من باب تعب .

(وهل يَعِمنْ من كان أحدثُ عهده ثلاثين شهراً فى ثلاثة أحوال)

قال السكرى — نقلا عن الأصمعى وابن السكّيت — يقول : كيف ينعم من كان أقربُ عهده بالرفاهية ثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال ، على أن فى بمعنى من . ثم قالا : وقد تكون بمعنى مع ، قال ابن السيد « وكونها بمعنى مع أشبهُ من كونها بمعنى من . ورواه الطوسى: «أو ثلاثة أحوال» . وكل من فسره ذهب إلى أن الأحوال هنا السنون جمع حول[1] . والقول فيه عندى أن الأحوال هنا جمع حال لا جمع حول ، وإنما أراد كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنَّعيم ثلاثين شهراً وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهى اختلاف الرياح عليه ، وملازمة الأمطار له ، والقدم المغيّر لرسومه . فتكون « فى » هنا هى التى تقع بمعنى واو الحال فى نحو قولك: مرت عليه ثلاثة أشهر فى نعيم . أى وهذه حاله » .

(ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذِى الخالِ ألحّ عليها كلُّ أسحمَ هطَّالِ)

عافيات : من عفا المنزل يعفو عَفواً وعفوّاً وعفاء بالفتح والمدّ : درس . وذو الخال قال ابن الأثير — فى المرصّع — جبل مما يلى نجداً ، وقيل موضع ، وأُنشد هذا البيت . ولم يذكره ياقوت فى معجم البلدان . والأسحم : الأسود ، أراد به السحاب لكثرة مائه . وهذا البيت مصرّع . وديار مبتدأ ، ولسلمى وصفٌ ، وعافيات خبره ، وبذى الخال حال من ضمير عافيات ، وجملة ألح خبر بعد خبر .

(وتحسب سَلمى لا تزالُ كعهدنا بوادى الخزامَى أو على رأس أوعالِ[2])

(١) فى النسختين : « جمع سنة » ، صوابه من الاقتضاب لابن السيد ٤٥٣ .
(٢) وروى : « رس أوعال » وبذلك غيرت فى ب .

العَهْد: الحال والعِلم ، يقال هو قريب العهد بكذا، أي قريب العلم والحال . والخزامى — بالضم والقصر — خِيرِىّ البر . ووادى الخزامى ورأس أوعال : موضعان . ويروى « ذات أوعال » قال ابن الأثير فى المرصَّع : هى هضبة فيها بئر ، وقيل هى جبل بين علمين فى نجد ، والأوعال : جمع وعل . وأنشد هذا البيت :

أى إن سلمى تظنُّ أنها تبقى على الحالة التى كنا عليها فى ذينك المكانين.

(وتَحْسَب سَلمى لاتَزَال تَرى طَلاً من الوحش أو بَيضاً بميناء مِحلالِ)

سلمى فاعل تحسب ، والمفعول الأول من ترى محذوف أى نفسها ، وجملة ترى خبرُ لاتزال — وهذا الإعراب جارفى السابق على هذا الترتيب — والرؤية عِلمية . وطلا مفعولها الثانى ، والطلا بالفتح : ولد الظبية . ومن الوحش صفة طلا ، وبيضا معطوف على طلا ، أراد بيض النعام فى البياض والملاسة والنعومة . والميناء قال فى العباب : « هو بالفتح الأرض السهلة » . وأنشد هذا البيت ، وقال العسكرى — فى التصحيف — هو بفتح الميم طريق للماء عظيم مرتفع من الوادى ، فإذا كان صغيرا فهى شعبة ، وهو نحو من ثلث الوادى أو أقل، فإذا كان أكثر من ذلك فهو تَلعة ، فإذا كان مثل نصف الوادى أو ثلثيه فهو مَيناء . والميث : مالان وسهل من الأرض ، وروى (الميناء) بالكسر ، وهى الأرض اللّيِّنة ، وروى (الميتاء) بالكسر وبالتاء المثناة فوق ، وهو الطريق المأتىّ أى المسلوك . والمحلال بالكسر ، من حللت إذا نزلت به ، قال الصاغانى : وأرض محلال إذا أكثر القوم النزول فيها ، وكذلك روضة محلال ، وأنشد هذا البيت . وقال العينى : أى تحسبها ظبية لاتزال تنظر إلى ولدها ، وتحسبها بيض نعام ، وقال بعض شراح

القصيدة : أى بالبادية حيث يكون بيض النعام أو ولد الوحش . اهـ . وهذا لا يخفى ما فيه .

(ليالىَ سلمى إذ تُريك منصَّبا وجِيداً كجيدِ الرِّيم ليس بمعطالِ)

ليالىَ منصوب بتقدير اذكر ونحوه ، وإذ بدل من ليالى . ومنصَّباً ، قال العسكرى : « من رواه بالنون أراد ثغرها ، والمنصب : المستوى من الأرض المتسق . ومن روى مقصبا بالقاف،أراد شعرها ، قصّبته : جعلته ذوائب ، وشعر مقصّب أى قُصابة [قُصَّابة[1]] . وقال الأصمعى : قصبة قَصبة . وقال غيره : قصيبة وقصائب » انتهى . وفى الصحاح : الذوائب المقصّبة تلوى ليا حتى تترجّل ، ولا تضفر ، واحدتها قصيبة وقُصّابة بالضم والتشديد . والمعطال : المرأة التى خلا جيدها من القلائد ، والفعل من باب قتل ، وعَطلا بالتحريك وعطولا بالضم .

٣١

(ألا زعمتْ بَسباسةُ اليومَ أننى كبِرْتُ وأن لا يشهدَ اللهوَ أمثالى)

بسباسة : امرأة من بنى أسد . وكبر : شاخ ، يقال كبر الصبى وغيره ، من باب تعب ، مَكْبِرا كمسجد ، وكبراً كعنب . وشهده بالكسر يشهده بالفتح شهودا : حضره . واللهو : مصدر لهوت بالشىء ، إذا لعبت به . قال فى الصحاح : وقد يكنى باللهو عن الجماع . وقوله تعالى : « لو أردنا أن نتخذ لهواً » ، قالوا : امرأة ، ويقال [ولداً[2]] .

(بلى ربّ يوم قد لهوتُ وليلةٍ بآنسة كأنّها خطُّ تِمثال)

بلى : حرف إيجاب يختص بالنفى ويفيد إثباته ، وأثبت به هنا الشهود المنفى فى البيت السابق . ورواه ابن هشام فى مغنى اللبيب : « فيارب يوم الخ »

(١) التكملة من تصحيف العسكرى ص ٢٢٨ .

(٢) التكملة من ـــ والصحاح .

وأورده شاهدا على ورود ربّ للتكثير . وجملة قد لهوت صفة يوم ، والعائد محذوف أى فيه ، وصفة ليلة مع العائد محذوف أى لهوت فيها ، ولا يجوز أن يكون الوصف لهما . والآنسة : المرأة التى تأنس بحديثك . والخط : الكتابة ، قال فى العباب : يقال خطّه فلان كما يقال كتبه . وأنشد هذا البيت . وقال فى مادة مثل : والتمثال الصورة ، والجمع التماثيل . وقوله تعالى : « ما هذه التماثيل » ، أى الأصنام . وقوله تعالى : « يعمَلون له مايشاء من مَحاريبَ وتماثيلَ » وهى صور الأنبياء عليهم السلام ، وكان التصوير مباحا فى ذلك الوقت .

(يضىء الفراشَ وجهُها لضجيعها كمصباح زيتٍ فى قناديلِ ذُبّالِ)

الفراش : مفعول مقدم ووجهها الفاعل . والمصباح : السراج . والذبّال بضم الذال وتشديد الموحدة : جمع ذُبّالة وهى الفتيلة ، لغة فى الذُّبال بتخفيف الباء . ويروى : « فى قناديل آبال » : جمع أبيل ، كشريف وأشراف ، وهو الراهب ، قال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

إننى والله فاقبلْ حِلفتى بأبيلٍ كُلّما صلّى جأرْ

وفى ، بمعنى مع .

(كأنّ على لَبّاتها جمرَ مُصطَلٍ أصاب غَضًى جزلا وكُفّ بأجذال
وهبّتْ له ريحٌ بمختلَف الصُّوى صَبا وشَمالاً فى منازل قُفّال)

اللبة : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر ، والمراد هنا هو الثانى . والمصطلى اسم فاعل من اصطلى بالنار . وصلى بها وصليها من باب تعب : وجد حرّها ، وجملة أصاب غضًى صفة لمصطل . والغضى : شجر خشبه من أصلب الخشب ، ولهذا يكون فى فحمه صلابة . وأصاب : وجد . والجزل : الغليظ ، وجزُل الحطب بالضم إذا عظم وغلظ ، فهو جزل . وكُفّ بالبناء للمفعول ، من كففت الثوب ، أى خطت حاشيته ، وهى الخياطة الثانية . أراد : جُعل

حول الجمر أجذال ، وهى أصول الحطب العظام ، جمع جِذْل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة . والمختلف بفتح اللام : موضع الاختلاف أى التردد ، وهو أن تذهب ريح وتجىء ريح . والصُّوَى : جمع صُوَّة ، كقوى جمع قوّة ، والصوّة قال فى الصحاح : هى مختلف الريح ، وأنشد هذا البيت . والصوّة أيضاً : حجر يكون علامةً فى الطريق ، وليس بمراد هنا ، خلافاً لبعضهم . والقفّال : جمع قافل كعباد وعابد ، والقافل : الراجع من سفره ، وفعله من باب قعد ، ويكون القفول فى المبتدئ للسفر تفاؤلا بالرجوع . بالغ فى سخونة هذه المرأة فى الشتاء حيث وصَف الحلْى الذى على لبّاتها بما ذكر فى البيتين ، وهذا مدح فى النساء ، كما إذا بردت فى الصّيف[1] . قال الأعشى :

٣٢

وتسخن ليلةَ لا يستطيع نباحا بها الكلب إلا هريرا
وتبرد بردَ رداء العرو س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

(كَذَبتِ لقدأُصبِى على المرء عِرسَه وأمنع عِرسى أن يُزَنّ بها الخالى)

صرّح بتكذيب بسباسة ، حيث زعمت أنه لا يلهو بالنساء فقال : إنى أشوّقُ النساء إلىّ معوجود أزواجهن ، ولاأدع أحدا يُتّهم بامرأتى ، لأنها لاتميل إلى أحد مع وجودى ، لأنى محبّب عند النساء . وأصبى : مضارع أصبيت المرأة ، بمعنى شوّقتها وجعلتها ذاتَ صبوة وهى الشّوق . والعرس بالكسر : الزوجة . ويُزَنّ : يتهم ، بالبناء للمفعول ، يقال أزننته بشىء : اتهمته به ، وهو يزنّ بكذا ، وأزنّه بالأمر إذا اتهمه به . والخالى قال فى الصحاح : « قال الأصمعى : هو من الرجال : الذى لا زوجة له » . وأنشد هذا البيت .

(ومثلكِ بيضاءِ العوارض طَفلةٍ لعوبٍ تنسّينى إذا قمتُ سِربالى)

(١) قال الوزير أبو بكر : شبه توقد الحلى على صدورها بجمر المصطلى . وخص المصطلى لأنه يذكيه ويقلبه ، فهو يتوقد ويظهر جمرة جمرة .

الواو واو رب . وهو خطاب لبسباسة . فى القاموس : العارض والعارضة : صفحة الخد ، وصفحتا العنق ، وجانبا الوجه . والعارضة أيضاً : ما يستقبلك من الشيء ، ومن الوجه : ما يبدو عند الضحك . والطَّفلة بفتح الطاء : الناعمة البدنِ ، والطَّفل : الناعم . واللَّعوب : الحسنة الدَّل . والنسيان : خلاف الذكر . وأنسانيه الله ونسَّانيه تنسية بمعنًى . ورواه الجوهرى عن أبى عبيدة : « لعوب تناسانى إذا قمت سربالى » . قال : ومعناه تنسينى . والسِّربال : القميص .

(لطيفة طيُّ الكشحِ غيرَ مُفاضة إذا انفتلت مرتجَّةً غيرَ مِتفالِ)

لطف لطفا ولطافة ككرم : صغر ودقّ ، وهو لطيف . والكشح بالفتح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . وطى الكشح هنا : جدلها وفتلها ، يريد أنَّها مجدولة الكشح جدلاً لطيفاً ، فإنَّ هَيف الكشح والخصر ممدوح . والمفاضة من النساء : الضخمة البطن ، وهذا ذمٌّ فيهن ، ومن الدروع : الواسعة ، وهما من الفيض . وانفتلت : انصرفت . ومرتجَّة من الارتجاج ، وهو التحرُّك والاضطراب ، أراد عظم كفلها ، وهى خبر تكون محذوفة . والمِتفال بالكسر : من تَفِل بالمثناة الفوقيّة والفاء ، قال فى العباب : التَّفَلَ بالتحريك : مصدر قولك تَفِل الرجل بالكسر ، إذا ترك الطيب ، فهو تفل ، وامرأة تفلة . وفى الحديث : « لا تمنعوا إماء الله مساجدَ الله ، وليَخرجنَ إذا خرجنَ تَفِلاتٍ » ، أى تاركات للطيب . وامرأة متفال ، إذا كانت كذلك ، وأتفله غيره ، ومنه حديث على رضى الله عنه لرجل رآه نائماً فى الشمس : « قم عنها فإنها تُتفِل الرِّيح ، وتبلى الثوب ، وتظهر الداء الدفين » . وصفها بثلاثة أمور : بِهَضمِ الخصر ، وضخامة الكفَل ، والطيب. ٣٣

(إذا ما الضجيعُ ابتزَّها من ثيابها تَميلُ عليه هونةً غيرَ مِعطالِ)

ابتزها : نزع بزّها أى ثيابها ، وأراد مطلق النزع والسلب . والمونة والهونة بالفتح والضم : المتئدة . والهَوْن : السكينة والوقار . والمعطال تقدم تفسيره . ويروى « مجبال »[1] قال الأصمعى : معناه هى الغليظة .

(كدِعص النَّقا يمشى الوَليدانِ فوقه بما احتسبا من لين مسٍّ وتَسهالِ)

الدعص بالكسر : قطعة من الرمل مستديرة . والنقا : الكثيب من الرمل . أراد تشبيه عجزها بالدِّعص لعظمه ، حتى أنّ ولدين يمكنهما أن يلعبا فوقه من غير ضرر عليهما ، للينه وسهولته . والوليدان : الصبيّان . واحتسب : اكتفى . والتَّسهال : السهولة .

(إذا ما استحمّت كان فيضُ حَميمها على مَتْنَتيها كالجُمان لدَى الحال[2])

استحمت : اغتسلت بالحميم ، وهو الماء الحار . ومتنتا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم ، والمفرد متن ومتنة . والجمان بالضم : اللؤلؤ . والحال : وسط الظهر ، ومن الفرس : موضع اللبد . أراد أن الماء الذى ينفصل من ظهرها عند الاغتسال يشبه اللؤلؤ المتناثر .

(تنورتُها من أذرعات . . . . (البيت)

الضمير راجع إلى بساسة . وقد شُرح البيت .

(نظرتُ إليها والنجومُ كأنّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّال)

ضمير إليها راجع إلى النار المفهوم من تنورتها ، وجملة والنجوم الخ حال من الفاعل ، وجملة تشبّ حال من ضمير النار . قال ابن رشيق فى العمدة[3] :

---

(١) فى ط : « محيال » صوابه فى س والديوان ٣١ .

(٢) ويروى : « الجالى » وهو الذى يجتليها ، أى يعرضها كما فى شرح الطوسى . الديوان ٣٧٨ .

(٣) العمدة ٢ : ٤٥ .

ومن أبيات المبالغة قول امرئ القيس يصف نارا ، وإن كان فيه إغراق :
نظرت إليها والنجوم ، البيت ؛ يقول : نظرتُ إلى نار هذه المرأة تشبّ لقفال، والنجوم كأنها مصابيح رهبان . وقد قال « تنورتها من أذرعات » البيت ، وبين المكانين بُعد أيام ، وإنما ترجع القفال من الغزو والغارات وجهَ الصباح ، فإذا رآها من مسيرة أيام ، وجهَ الصباح ، وقد خمد سناها وكَلَّ مُوقدها ، فكيف كانت أول الليل ؟ ! وشبه النجوم بمصابيح الرُّهبان لأنها في السَّحَر يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدةِ ليلها أجمع ، لا سيما مصابيح الرهبان ، لأنهم يكلُّون من سهر الليل ، فربّما نعسوا في ذلك الوقت » .

وقال بعضهم : ومن التشبيه الصادق هذا البيت ، فإنّه شبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها ، وتعهُّد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل إلى الصبح كتضاؤل المصابيح له .

وقال « تشب لقفال » لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوى إليها من مَصيفٍ إلى مشتًى إلى مربع ، أُوقدت لها نيران على قدر كثرة منازلها وقلّتها ، ليهتدوا بها . فشبّه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها من مكان بعد مكان ، على حسب منازل القفال بالنيران الموقدة لهم .

وقد طال الكلام هنا ولم يمكننا أن نترجم امرأ القيس . ونترجمه إن شاء الله في الشاهد الثاني من شواهد شعره . ٣٤

* * *

وأنشد بعده وفي آخر الشرح ،في التنوين ،وهو الشاهد الرابع :

٤ (أقلّي اللّومَ عاذلَ والعتابَنْ وقُولى إن أصبتُ لقد أصابَنْ)

على أن تنوين الترنم يلحق الفعل والمعرّف باللام ـ وقد اجتمعا فى هذا البيت ـــ والفعلَ سواء كان ماضياً كما ذكر أو مضارعا ، كقوله :

* داينتُ أروىٰ والديونُ تُقضَيَنْ [1] *

وقد لحقت المضمرَ أيضاً كقوله :

* يا أبتا علّكَ أو عساكن *

قال الشارح : ولم يسمع دخولُها على الحرف ، ولا يمتنع ذلك فى القياس .

أقول : قد سمع فى الحرف أيضاً كما مثّل له شُراح الألفية بقول النابغة :

أفِدَ التَّرحُّل غير أنّ ركابنا لما تزلْ برحالنا وكأن قدن

ولحاق هذا التنوين لما ذكر إنما هو عند بنى تميم ، كما قال الشارح ، وعند قيس أيضاً كما قاله ابن جنّى فى سر الصناعة .

و (أقلِّى) فعل أمر مسنَد إلى ضمير العاذلة ، يقال أقللته وقلّلته بمعنى جعلته قليلا ، بتعدية قلّ بالهمزة والتضعيف . وهذا المعنى ليس بمراد ، بل المقصود اتركى اللوم ؛ فإنّ القلة يعبر بها عن العدم كما هو مستفيض . و (اللّوم) مفعول أقلّى ، وهو مصدر لام يلوم ، ومعناه العذل ، والتوبيخ . و (عاذلَ) منادى محذوف منه حرف النداء ، ومرخم عاذلة ، من عذل يعذل من بابى ضرب وقتل ، بمعنى لام . و (العتاب) معطوف على اللّوم ، مصدر عاتب معاتبة وعتابا . قال الخليل : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة أى الغضب . وهذا ليس بمقصود إذ هو بهذا المعنى لا يكون إلاّ بين متحابّين ، وإنّما المراد مصدر

(١) قال الميمنى : هذا من تمحّل النحاة ، فإن الشطر لرؤبة . راجع اللآلىء ص ٥٧) ويليه :

* فطلت بعضاً وأدت بعضا *

فكيف تستقيم الأشطار بتنوين الترنم .

عَتَب عليه عتباً من بابى ضرب وقتل ، بمعنى لامه فى تسخُّط . وقوله (قُولى) فعل أمر أيضاً معطوف على أقلى . وقوله (لقد أصابن) مقول القول ، وجملة (إن أصبتُ) معترضة بينهما ، وجواب الشرط محذوف وجوبا يفسره جملة القول .

وهذا البيت مطلع قصيدة طويله عدد أبياتها مائة وتسعة ، لجرير[1] يهجو صاحب الشاهد عُبيدا الراعى النميرى ، والفرزدق . وسبب هجوه إياهما على ما حكى فى شرح المناقضات ، أنّ عَرَادة النميرى كان نديماً للفرزدق ، فقدم الراعى البصرةَ فقدّم عرادة طعاماً وشراباً ، فدعا الراعىَ ، فلما أخذت الكاس منهما قال عَرادة للراعى : يا أبا جندل ، قل شعراً تفضّل الفرزدق على جرير . فلم يزل يزيّن له ذلك حتى قال :

يا صاحبىّ دنا الأصيلُ فسيرا غلب الفرزدقُ فى الهجاء جريرا

فغدا به عرادة على الفرزدق فأنشده إياه ، وكان عبيد الراعى شاعر مضر وذا سنِّها ، فحسب جرير أنه مغلّب الفرزدقَ عليه ، فلقيه يوم الجمعة فقال : يا أبا جندل : إنى أتيتك بخبر أتانى ، إنى وابن عمى هذا — يعنى الفرزدق — نستبّ صباحاً ومساء ، وما عليك غلبة المغلوب ولا عليك غلبة الغالب ، فإما أن تدعَنى وصاحبى ، وإما أن تغلِّبنى عليه ، لانقطاعى إلى قيس وحَطْبى فى حبلهم . فقال له الراعى : صدقت ، لا أبعِدك من خَير ، ميعادك المِربد . فصحبه جرير ، فبينما هما يستخرج كلٌّ منهما مقالةَ صاحبه رآهما جَندل بن عُبيد فأقبل يركض على فرس له فضرب بغلة أبيه الراعى ، وقال : مالك يراك الناس واقفاً على كلب بنى كليب ؟! فصرفه عنه . فقال جرير : أما والله ٣٥

(١) ديوانه ٦٤ — ٨٠ والنقائض ٤٣٢ .

لأثقلنّ رواحلك . ثم أقبل إلى منزله ، فقال للحسين رَاوِيتِهِ : زد فى دُهن سراجك الليلة ، وأعدِد لوحاً ودواة. ثم أقبلَ على هجاء بنى نمير ، فلم يزل يُملى حتى ورد عليه قوله .

فغُضَّ الطرفَ إنك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فقال : حسبك ، أطفِ سراجك ونم ، فرَغتُ منه . ثم إنَّ جريراً أتم هذه بعد ، وكان يسمِّيها الدامغة أو الدمَّاغة ، وكان يسمى هذه القافية المنصورة ، لأنه قال قصائدَ فيها ، كلُّهن أجاد فيها . وبعد أن أتمها أدخل طرفَ ثوبه بين رجليه ثم هَدَر ، فقال : أخزيت ابن يربوع ! حتّى إذا أصبح غدًا ورأى الراعى فى سوق الإبل ، فأتاه وأنشدَه إياها ، حتى وصل إلى قوله :

أجندلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ إذا ما الأير فى آست أبيك غابا

فقال الراعى : شراً والله تقول !

علوتُ عليك ذِروة خِندِفيٍّ ترى من دونها رُتَباً صعابا
لنا حَوضُ النبي وساقياه ومَن ورث النبوّة والكتابا
إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناس كلهم غضابا
فغضّ الطرف إنك من نمير . . . (البيت[1]) .

فقال الراعى وهو يريد نقضها :

أتانى أنَّ جحش بنى كليب تعرَّض حَول دِجلة ثم هابا
فأولى أن يظلَّ البحر يطفو بحيث ينازع الماء السحابا
أتاك البحرُ يضرب جانبيه أغرَّ ترى لجريته حَبابا

(١) ورد فى ط فقط بعده الحرف « ن » ، ولعله إشارة إلى النقائض ، كما يشير بالحرف « س » إلى سيبويه .

ثم كفّ ورأى أن لا يجيبه . فأجاب عنه الفرزدق على رويّ قوله :

أنا ابن العاصمين بنى تميم إذا ما أعظم الحدَثان نابا

ثم إنّ الراعى قال لابنه : ياغلام بئسما كسَبْنا قومُنا[1] . ثم قام من ساعته وقال لأصحابه : ركابَكم فليس لكم ها هنا مقام ، فضَحكم جرير . فقال له بعض القوم : ذلك بشؤمك وشؤم ابنك . وسار إلى أهله ، فلما وصل إليهم سمع عند القدوم :

فغضّ الطرف إنّك من نمير . . . . (البيت)

وأقسم بالله مابلَّغَها إنسىّ ، وإن لجرير لأشياعاً من الجن . فتشاءمت به بنو نمير وسبُّوه وسبُّوا ابنه . وهم يتشاءمون به إلى الآن .

قال ابن رشيق فى العمدة[2] : « وممن وضعه ماقيل فيه من الشعر ، حتى أنكر نسبه وسقط عن رتبته ، وعِيب بفضيلته ، بنو نمير . كانوا جمرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخم لفظه ومدّ صوته وقال : من بنى نمير . إلى أن صنع جرير قصيدته التى هجا بها عُبيد بن حُصينٍ الراعى فسهر لها فطالت ليلته إلى أن قال : فغض الطرف إنك من نمير . . البيت . فأطفأ سراجَه ونام ، وقال : والله قد أخزَيتُهم آخر الدهر . فلم يرفعوا رأساً بعدها ، إلاّ نكس بهذا البيت ، حتّى أن مولى لباهلة كان يرِد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير : ياجُوذَابَ باهلة ، فقص الخبر على مواليه — وقد ضجر من ذلك — فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

٣٦

فغضّ الطرف إنك من نمير . . . . (البيت)

ومرّ بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه فقال : غمِّضْ وإلاّ جاءك

(١) انظر النقائض ٤٣٢ .
(٢) العمدة ١ : ٢٦ .

ماتكره ! فكفُّوا عنه ، ولم يَعرِضوا له بعدها . ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : قَبحكم الله يابني نمير ، ماقَبِلتم قول الله عز وجل : « قُلْ لِلمُؤْمِنين يَغُضُّوا مِن أبْصارِهِمْ » ، ولا قول الشاعر :

فغضّ الطرف إنك من نمير . . (البيت)

وهذه القصيدة تسمِّيها العرب الفاضحة ، وقيل سماها جرير الدمّاغة ، تركت بني نمير بالبصرة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً إلى أبيه ، هرباً من ذكر نمير ، وفراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة » .

جمرات العرب

واعلم أنّ جمرات العرب ثلاث : وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضَبة بن أدّ . فطَفِئت جمرتان وهما بنو ضبة لأنّها حالفت الرِّباب ، وبنو الحارث بن كعب لأنّها حالفت مذحجاً ، وبقيت نمير لم تحالف فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له : مَنْ أنت ؟ قال : نميريٌّ ، إدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير :

فغضّ الطرف إنك من نمير . . (البيت)

وكعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . والتجمير في كلام العرب التجميع ، وإنّما سموا بذلك لأنّهم متوافرون في أنفسهم لم يُدخلوا معهم غيرهم. وفي القاموس : الجمرة : النار المتقدة ، وألف فارس ، والقبيلة لاتنضم إلى أحد ، أو التي فيها ثلاثمائة فارس . وجمرات العرب : بنو ضَبة بن أد ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو نمير بن عامر ؛ أو عبس ، والحارث ، وضبّة لأنّ أمهم رأت في المنام أنه خرج من فرجها ثلاث جمرات ، فتزوّجها كعب بن المَدَان[1]

(١) وكذا في القاموس ، والوجه « بن عبد المدان » كما في اللسان (بيت ، جمر) والمدان : صنم لهم . وانظر للجمرات أيضاً ثمار القلوب ١٢٦ وجنى الجنتين ٣٦ وشمس العلوم ٢٢ والشريشي ١ : ٢٩٨ والحيوان ٥ : ١٢٣ .

فولدت له الحارث ، وهم أشراف اليمن . ثم تزوّجها بَغيض بن رَيث فولدت له عَبساً ، وهم فرسان العرب . ثم تزوّجها أدّ فولدت له ضَبة . فجمرتان فى مضر ، وجمرة فى اليمن .

ترجمة جرير

و (جرير) ابنُ عطية بن الخَطَفى بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وجرير من الأسماء المنقولة ، لأن الجرير حبل يكون فى عنق الدابة أو الناقة من أدم ، كذا فى أدب الكاتب . وسمى جريراً لأنّ أمه كانت رأت فى نومها — وهى حاملة به — أنها تلد جريراً ، فكان يلتوى على عنق رجلٍ فيخنقه ، ثم فى عنقِ آخر ، ثم فى عنق آخر ، حتى كاد يقتل عدّةً من الناس ، ففزعت من رؤياها وقصّتها على معبِّر ، فقال لها : إن صدقتْ رؤياك ولدتِ ولداً يكون بلاء على الناس . فلما ولدته سمّته جريراً . وكان تأويل رؤياها أنه هجا ثمانين شاعراً فغلبهم كلهم إلا الفرزدق . وكانت أمه ترقّصه وهو صغير[1] وتقول :

قصصت رؤياى على ذاك الرجلْ		فقال لى قولاً وليتَ لم يقُلْ
لَتلدِنّ عُضلةً من العُضَل		ذا منطق جزل إذا قال فصل
مثل الحسام العَضْب ماسٍّ فَصل		يَعدِل ذا الميل ولمّا يعتدل
يُنْهل سماً من يُعادى ويُعلّ

والخَطَفى لقب جده، واسمه حذيفة ، مصغر حَذْفة ، وهى الرمية بالعصا ، ولُقّب بالخطفَى لقوله :

يرفعنَ بالليل إذا ما أسدفا		أعناقَ جِنّانٍ وهاما رُجَّفا
وعنقا باقى الرسيم خطفا

(١) ط : « قصير » ، صوابه فى ش .

ويروى «خَيطفا» ، وهو السريع . ويكنى جريرٌ أبا حَزْرة ، بفتح المهملة وسكون المعجمة ، بابن كان له . والحزرة : فعلة من حزرت الشيءَ ، إذَا خرصته وخمّنته ، والحزرة أيضاً : خيار المال ، وحموضة اللبن .

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء « وكان له عشرة من الولد : ثمانية ذكور ، منهم بلال وكان أفضلَهم وأشعرهم .. وله عقب[1] منهم عُمارة ابن عقَيل بن بلال . ومن ولد جرير : نوح وعكرمة ، وكانا شاعرين أيضا . وكان جرير من فحول شعراء الإسلام ، وكان يشبّه بالأعشى ميمون ، وكان من أحسن الناس تشبيباً[2] . قال الأصمعى : سمعت الحى يتحدثون عن جرير أنه قال : لولا ماشغلنى من هذه الكلاب لشبّبت تشبيباً تحنُّ منه العجوز إلى شبابها ، حنين الناقة إلى سقبها . وكان من أشد الناس هجاء » .

وقد أجمع علماء الشعر على أنّ جريرا والفرزدق والأخطل مقدَّمون على سائر شعراء الإسلام ، واختلفوا فى أيُّهم أفضل ، وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله :

ذهب الفرَزْدَقُ بالفخار وإنّما   حلو الكلام ومرُّه لجريرِ[3]

ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تغلب   وحَوى اللُّهَى بمديحه المشهور

فحكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجو ، ولجرير بجميع فنون الشعر .

قال المدائنى : كان جرير أعقّ الناس لأبيه ، وكان ابنه بلال أعقّ الناس به[4] . فراجع جرير بلالا فى الكلام ، فقال بلال : الكاذب من ناك أمه !

---

(١) ط : « ولهم » صوابه فى ــه والشعر والشعراء ٤٣٥ وفيه : «ولبلال عقب» .

(٢) فى النسختين : « تشبيهاً » صوابه من الشعراء ٤٣٧ وما يقتضيه السياق .

(٣) أنشد هذا البيت فى الشعراء ٤٣٨ .

(٤) قال الميمنى : « الصواب له ، فإن عق لا يحتاج إلى الباء فى التعدية »

فأقبلَتْ عليه وقالت له : يا عدوّ الله أتقول هذا لأبيك ؟ ! قال جرير : فوالله لكأنّى أسمعها وأنا أقولها لأبى .

ولما بلغ موتُ الفرزدق جريرا قال :

هلك الفرزدقُ بعد ماجدَعتُه ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلا وبكى ، فقيل له : ما أبكاك ؟ قال : بكيت على نفسى ، والله إنّى لأعلم أنى عن قليل لاحِقُه ، فلقد كان نجمنا واحدا ، وكلٌّ واحد منا مشغول بصاحبه ،وقلما مات ضدٌّ أو صديق إلا تبعه الآخر. ثم أنشأ يرثيه :

فُجِعنا بحمّال الديات ابن غالب وحامى تميم عُرضها والبَراجم[1]
بكيناكَ حِدثانَ الفراق وإنّما بكيناكَ إذ نابتْ أمورُ العظائم
فلا حَملَتْ بعد ابن ليلى مَهيرةٌ ولا شدَّ أنساع المطىّ الرواسم

ثم لم يلبث أن مات بعد قليل باليمامة .

ذكر من اسمه جرير

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه جرير من الشعراء سبعة : أحدهم هذا وتُوفى فى سنة عشر وقيل إحدى عشرة ومائة ، وعمره قد قارب التسعين . والثانى : جرير العِجْلى[2] ، وهو عصرىّ الأوّل ، وقد رد على الفرزدق . الثالث : جرير بن عبد الله ، أحد بنى عامر بن عُقيل ، فارس شاعر . والرابع : جرير بن عبد المسيح الضُّبعى ، وهو المتلمس صاحب طرفة بن العبد . والخامس : جرير بن كليب بن نوفل ، وهو إسلامى . السادس: جرير بن الغوث ،

(١) البراجم فى بنى تميم : عمرو ، وقيس ، وغالب ، وكلفة ، وظليم ؛ وهم بنو حنظلة ابن زيد مناة ، تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع فى الاجتماع . الاشتقاق ١٣٤ واللسان (برجم) . وفى النسختين : « المراجم » بالميم ، وهى على الصواب الذى أثبت فى الشعراء ٤٥٤ . وعرض تميم ، بالضم ، أى معظمها وجمهورها .

(٢) هو جرير بن الخرقاء ، كما فى المؤتلف ٨١ .

أخو بنى كنانة بن القين . السابع : جُرير وهذا مصغّر ، وهو أبو مالك المُدلجى .

* * *

٣٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس ، وهو من شواهد سيبويه[١] ، أنشده فى باب وجوه القوافى ، واستشهد به لما يلزم من إثبات الواو والياء إذا كانتا قافيتين ، كما يلزم إثبات القاف فى المخترق لأنّها حرف الروى :

٥ (وقاتِم الأعماقِ خاوى المخترَقْنْ)

على أن تنوين الترنم قد يلحق الروى المقيَّد فيختص باسم الغالى ، تبع الشارح المحقق فى جعل تنوين الغالى نوعاً من تنوين الترنم لابن جنى ، فإنه قال فى سر الصناعة : الرابع من وجوه التنوين وهو أن يلحق أواخر القوافى معاقباً لما فيه من الغنة لحرف الميم ، وهو على ضربين : أحدهما أن يلحق متمماً للبناء ، والآخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه ، نيفاً[٢] من آخره بمنزلة الزيادة المسماة خزماً فى أوله . ثم قال : وإنما زادوا هذا التنوين فى هذا الموضع ونحوه بعد تمام الوزن ، لأن من عادتهم أن يلحقوه فيما يحتاج إليه الوزن نحو :

* قِفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلن *

وقوله :

* الحمد لله الوهوب المجزلنْ[٣] *

فلما اعتادوه فيما يكمل وزنه ألحقوه أيضاً بما هو مستغنى عنه . وهذا معنى

(١) سيبويه ٢ : ٣٠١ .

(٢) النيف ، بالفتح ، وكسيد: الزيادة .

(٣) لأبى النجم العجلى من أرجوزته المسماة أم الرجز ، المنشورة بالعدد الثامن من مجلة المجمع العلمى بدمشق سنه ١٩٢٨ .

قول الشارح : «وإنما ألحق بالروى المقيد تشبيهاً له بالمطلق» . وزعم ابن يعيش أن فائدة هذا التنوين التطريب والتغنى . وجعله ضرباً من تنوين الترنم ، وزعم أن تنوين الترنم يراد به ذلك . وهو غلط كما بينه الشارح المحقق . وقال عبد القاهر : فائدته الإيذان بأنّ المتكلم واقف ، لأنه إذا أنشد مجلاً والقوافى ساكنة صحيحة لم يُعلم أواصلٌ هو أم واقف؟ وأنكر هذا التنوين الزجاج والسيرافى، وزعما أن رؤبة كان يزيد فى أواخر الأبيات (إن) فلما ضعف صوته بالهمزة لسرعة الإيراد ظن السامع أنّه نون، وفى هذا توهيم الرواة الثقاتِ بمجرد الاحتمال.

وقول الشارح «فيفتح ماقبل النون تشبيهاً لها بالخفيفة ، أو يكسر للساكنين كما فى حينئذ» قال ابن هشام فى شرح الشواهد : والأخفش يسمّى هذا التنوين غالياً ، والحركة التى قبل التنوين غلوًّا ، وهى الكسرة ، لأنّها الأصل فى التقاء الساكنين ، كقولهم يومئذٍ ومهٍ . وزعم ابن الحاجب أنّ الأولى أن تكون الحركة قبلُ فتحةً ، كما فى نحو اضربن ، وأنّ هذا أولى من أن يقاس على يومئذ لأن ذاك له أصل فى المعنى ، وهو عوض من المضاف إليه . ولنا أن قياس التنوين على التنوين أولى ، لاتحاد جنسهما ، ولأنهما يكونان فى الاسم ، والنون لاتكون إلا فى الفعل . ثم إن فتحة اضربَنْ ، للتركيب كما فى خمسة عشر ، لا لالتقاء الساكنين .

والروى هو الحرف الذى تنسب إليه القصيدة ، مأخوذ من الرِّواء ، بالكسر والمد ، وهو الحبل . والمقَيد : الساكن الذى ليس حرف علة .

وهذا البيت مطلع قصيدة مرجّزة مشهورة لرؤبة بن العجاج . وقال ابن قتيبة فى أول كتاب الشعر والشعراء[٢] : حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : صاحب الشاهد

(١) الشعر والشعراء ص ٥ .

كان ثلاثة إخوة من بنى سعد لم يأتوا الأمصار ، ذهب رجزهم ، يقال لهم نُذير ، ومنيذر ومنذر ، يقال إنَّ قصيدة رؤبة التى أولها « وقاتم الأعماق » لنذير .

٣٩ وهذه القصيدة طويلة لا فائدة فى إيراد جميعها ، لكنْ فيها بيت من شواهد التفسير ومغنى اللبيب لا يتَّضح معناه إلا بشرح الأبيات التى قبله ، فلهذا شرحت.

شرح الأرجوزة فقوله (وقاتم) الواو واو رب ، وهى عاطفة لا جارّة ، وقاتم مجرور برب لا بالواو على الصحيح . وقد أنشد الشارح هذا البيت فى ربّ من حروف الجرّ أيضاً على أن ربّ محذوفة بعد الواو ، وذكر أنه يجوز حذفها فى الشعر بعد الواو والفاء وبل . ولم أر من قيَّد حذفها فى الشعر وغيره . وهذا هو مذهب البصريين ؛ وزعم الكوفيون والمبرد أن الجر بالواو لا بربّ ، واستدلوا فى افتتاح القصائد بها ، كهذا البيت . وأجيب بجواز العطف على كلام تقدّم ملفوظٍ به لم ينقل ، أو مقدر حكم له — منوياً فى النفس — بحكم المنطوق به . ورد مذهبهم بوجوه أيضاً :

أحدها : أنها — مع ذكر ربّ — عاطفة باتفاق ، فكذلك مع حذفها ، ولا تنقل عن ذلك إلا بدليل ، والأصل عدمه . قال ابن خالويه : الواو إذا كانت فى أوائل القصائد نحو « وقاتم الأعماق » فإنها تدل على ربّ فقط ولا تكون للعطف ، لأنه لم يتقدَّم ما يعطف عليه بالواو . قال أبو على الفارسى فى نقض الهاذور : هذا شىء لم نعلم أحداً ممن حكينا قوله فى ذلك ذهب إليه ولا قال به ، وليس هذا الذى تَظنّاه من الفصل بين الأوائل وغيرها بشىء ، وذلك أن أوائل القصائد يدخلُ عليها حروف العطف على جهة الخزم ، نحو مارووا من قوله :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا[1] *

(١) للعجاج فى ديوانه ٧ واللآلىء ١٥٥ . وروى الشطر بدون الخزم أيضاً .

وكأنه جعله عطفاً على كلام قد كانوا يقولونه ، وقصّةٍ خاضوا فيها ، فعطف الشعر بحرف العطف على ذلك الكلام الذى كانوا فيه .

الثانى : لو كانت الواو عوضاً من ربّ لما جاز ظهورها معها ، لأنه لا يجوز أن يجمع بين العوض والمعوّض عنه .

الثالث : أنها لو كانت نائبة عن ربّ لجامعها واو العطف كما تجامعها واو القسم ، كقوله :

* ووالله لولا تمره ما حَبِبته[1] *

الرابع : أنّ رب تضمر بعد الفاء وبل ، ولم يقل أحد إنهما حرفا جرّ ، فكذلك ينبغى أن يكون الحكم مع الواو .

وقال الشاطبى : وفى هذه الأدلة كلها نظر ، وأقربها الرابع إنْ ثبت الاتفاق من الفريقين على أن الفاء وبل ليستا جارتين عند حذف رب ، فإنّ الفرق بينهما وبين الواو فيه بُعْدٌ وبُعد . فهذه المسألة لا ثمرة لها فى النحو ، وإنّما البحث فيها مظهر للمرتكب الأولىٰ فى ضبط القوانين خاصة . وإذا كان كذلك فما قاله أهل البصرة له وجه صحيح ، وما قاله الآخرون كذلك . والله أعلم .

و (قاتم) قال الأصمعى فى شرح ديوان رؤبة : القُتمة : الغبرة إلى الحمرة ، مصدر الأقتم . وقال ابن السكيت فى كتاب القلب والإبدال : ويقال أسود قاتم وقاتن ، بالميم والنون ، وفعله من بابى ضرب وعلم ؛ وهو صفة لموصوف محذوف أى رب بلد قاتم . و (الأعماق) جمع عمق بفتح العين وضمها ،

---

(١) لعيلان بن شجاع النهشلى ، كما فى اللسان (حبب) . وعجزه :

* ولا كان أدنى من عبيد ومشرق *

وهو مابَعُد من أطراف المفاوز ، مستعار من عمق البئر ، يقال عمقت البئر عمقاً من باب قرب ، وعَماقة بالفتح أيضاً : بعُد قعرها . وتعديته بالهمزة والتضعيف . و (الخاوى) من خوى المنزل ، إذا خلا . و (المخترق) بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخرق بالفتح ، وأصله من خَرقت القميص من باب ضرب إذا قطعته ، وقد استعمل فى قطع المفازة فقيل خرقت الأرض ، إذا جبتها . ومخترق الرياح : ممرُّها .

(مشتبِهِ الأعلام لمّاع الخَفَقْ)

٤٠ الأعلام : جمع عَلَم ، وهى الجبال التى يهتدى بها ، يريد أن أعلام هذا البلد يشبه بعضها بعضاً ، فتشتبه عليك الهداية . والخَفْق بفتح الخاء وسكون الفاء : مصدر خفق السراب وخفقت الراية ، من بابى نصر وضرب ، خفقاً ، وخفقاناً ، إذا تحركت واضطربت ، وتحريك الفاء ضرورة . يريد أنه يلمع فيه السراب . ومشتبِه ولماع صفتان لقاتم .

(يكلّ وفدَ الريح من حيثُ انخرقْ)

يكل : مضارع كلّ — من باب ضرب — كلالة : تعب وأعيا . ويتعدى بالألف ، وروى بضم الياء مضارع أكلّه ، فالوفد مفعوله ، وضميره المستتر راجع لقاتم ، والجلة على الوجهين صفة لقاتم ، إلاّ أن الرابط فى الوجه الأوّل محذوف أى يكلّ فيه . والوفد : جمع وافد ، من وفد على القوم من باب وعد [وفداً[1]] ووفوداً بمعنى قدم . ووفدُ الريح : أولها ، وهذا مثل . وقوله حيث انخرق : أى حيث صار خرقاً ، والخرق الواسع ، يريد اتّسعَ ، فإذا اتسع الموضع فترت الريح ، وإذا ضاق اشتد مرورها فيه .

(١) التكملة من ش . وواو « ووفودا » ثابتة فى ط .

(شأز بمن عَوّهَ جدْبِ المنطلَقْ)

قال أبو زيد : شئز مكاننا شأزاً : غلظ واشتدّ ، ويقال قلق . وأشأزه : أقلقه . ومثله شأسٌ تصرفاً ومعنى . وهو هنا وصف كصعب بمعنى الغليظ والشديد . وعَوّه بالعين المهملة : مصدره التعويه بمعنى التعريس ، وهو النزول فى آخر الليل . وكل من احتبس فى مكان فقد عوّه . والجدب بالفتح : نقيض الخصب ، وهو هنا وصف كالأول ؛ فإنه يقال مكان جدبٌ وأرض جدبة ، ويقال أيضاً مكان جديب وأرض جُدوب[1] ، أى بيِّنُ الجدوبة فيهما . وشأز وجدب وصفان لقاتم . والمنطلق بفتح اللام : محلُّ الانطلاق . يعنى أن هذا البلد شديدٌ على من تلبّث فيه ، غير خصيب على المارّ والسالك .

(ناءٍ من التّصبيح نَأىَ المغتبَقْ)

يقول : هو بعيد من أن يصبحه الراكب فيصطبح فيه أو يأتيه ليلاً فيغتبق ، وهو وصف لقاتم أيضاً .

(تَبدو لنا أعلامُهُ بَعدَ الغرقْ)

يعنى تظهر جباله بعد أن تغرق فى الآل . وضميز أعلامه لقاتم . ومثله :

ترى قورها يغرقن فى الآل مرّةً   وآونة يخرُجنَ من غامرٍ ضحلِ

(فى قِطعِ الآل وهَبْوات الدُّقَق)

متعلق بالغرق قبله . قال الأصمعى . قطع الآل : غُدران من الآل ، جمع قطعة . والآل : قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « الفرق بين الآل والسراب : أن الآل يكون أوّلَ النهار وآخره ؛ وسُمّى آلاً لأن الشخص هو الآل . فلما رفع الشخص قيل هذا آلٌ قد بدا وتبين . أما السراب

(١) بضم الجيم ، وفى اللسان : « كأنهم جعلوا كل جزء منها جدبا ثم جمعوه على ذلك ».

فهو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء » . وردّ عليه ابن السِّيد فى شرحه فقال: « إنكار[١] أن يكون الآل هو السراب من أعجب شىء يسمع به » ، وذكر أبياتاً تدل على أن الآل هو السراب . والمبوة : الغبرة . والدُّقق : بضم الدال وفتح القاف الأولى : جمع دُقَّة ، وهو التراب الذى كسحته الريح من الأرض .

(خارجةً أعناقُها من معتَنَق)

خارجة : حال سببية من الأعلام . وأعناقها : فاعل خارجة ، والضمير للأعلام . والمعتنق : مخرج أعناق الجبال من السراب .

(تنشطَتْهُ كلُّ مِغلاة الوَهَقْ)

٤١ هذا جواب ربّ . وقد غفل عنه العينى مع أنّه شرح القصيدة جميعها ، فقال: وجواب وقاتم الأعماق محذوف ، والتقدير ورب قاتم الأعماق الخ قد قطعته أوجُبته أو نحو ذلك . انتهى . وتنشّطته : تجاوزته بنشاط ، قال أبو حاتم : « هو أن تمد يدها ثم تسرع ردها » . والضمير للقاتم . وكلّ فاعل . والمغلاة من النوق : التى تُبعد الخطو وتغلو فيه ، أى تفرط . والوهَق : المباراة فى السير . وقال الليث : المواهقة : المواظبة فى السير ومدّ الأعناق ، وتواهقت الرِّكاب : تسايرت .

(مَضبورةٍ قرواءَ هرجابٍ فُنُق)

المضبورة : المجموعة الخلق المكتنزة . والقَرْواء : الطويلة القَرا ، بالفتح والقصر ، وهو الظهر . وفى الصحاح : « وناقة قرواء : طويلة السنام ، ويقال الشديدة الظهر بيِّنة القَرا » . والهِرجاب بالكسر والجيم : الطويلة الضَّخمة

(١) فى الاقتضاب ١١١ : « وإنكار من أنكر » . . الخ

من النوق . والفنق، بضم الفاء والنون : الناقة الفتية ، ولا يقال لشيء من الذكور فنق ، وقيل المنعمة في عيشها . وقال الأصمعي : هي الفتية الضخمة . وهذه الكلمات الأربع صفات للمغلاة .

(مائرةِ العَضُدَين مِصلاتِ العُنق)

مار الشيء يمور موراً : تحرّك ، وجاء ، وذهب . أي يَمور ضبعاها لسعة إبطيها وليست بكَنِزَة فرجعُهما سريع . والعَضُدان : بسكون الضاد مخفف مِن ضمّها ، ويروى « الضبعين » بفتح المعجمة وسكون الموحدة ، وهو كالعضدين وزنا ومعنى . والمصلات بالكسر ، ومثله الصَّلتة بالفتح ، وهي التي انحسر الشعر عن عنقها ، والهجينة تكون شَعراء العنق ، وقيل : هي التي تنصلت في السير أي تتقدم .

(مُسودَّةِ الأعطافِ من وسم العرَق)

مسودّة : مجرور كالمائرة والمصلاتِ ، صفات للمغلاة . يقول : قد جهدتْ حتى عرِقت ، وتراكب عليها العرَق واسودّ حتى صار وسما . يقال [وسمه[1]] وسما وسمة ، إذا أثّر فيه بسِمة وكيّ . وروى «من وشم» بالمعجمة ، يقال : وشم يده وشما ، إذا غرزَها[2] بإبرة ثم ذرَّ عليها النَّئُور وهو النِّيل ، والاسم الوشم أيضاً .

(إذا الدليلُ استافَ أخلاقَ الطرُقْ)

إذا : هنا ظرف ، وليست شرطية ، والعامل فيها ما في كأنّ من معنى التشبيه . واستاف : شمّ ، يقال ساف يسوف سَوفاً إذا شم ، وذلك بالليل ،

(١) التكملة من سه .

(٢) ط : « غزها » ، والصواب ما أثبت من سه . وانظر اللسان (وشم) .

يشمُّ الدليل التراب . وأخلاق الطرق : الدارس منها التى قد أُخلقت ، واحدها خَلَق بفتحتين . شبهها بالثوب الخلَق لأن الاستدلال بشم التراب إنما يكون فى الطرق القديمة التى كثُر المشى فيها ، فيوجد رائحة الأرواث والأبوال .

(كأنّها حَقباء بَلقاء الزَّلَقْ)

ضمير كأنّها للناقة المغلاة . والحقباء : مؤنث الأحقب ، وهو حمار الوحش سمى بذلك لبياضٍ فى حَقويه . شبه الناقة بالأتان الوحشية ، وهى فى الجلادة والسُّرعة مثلها . والبلقاء : مؤنث الأبلق . والزَّلَق : عجُز الدابة ، أى المكان الذى تزلق اليدُ عن كفلها أبيضُ وأسود .

(أو جادرُ الليتَينِ مطوىُّ الحَنَق)

فى العباب : وجَدِر لِيته ، إذا بقى فيها جدَر بالتحريك ، أى أثر الكدم والعضّ . وجادر بمعنى ذو جدر . والِّليت بالكسر : صفحة العنق ، وهما ليتان . يقول : عضّته الفحول فصار فى عنقه أثر . ومطوىُّ الحنق ، قال الأصمعى فى شرحه : يقول : طُوِى بالحنق أى بالضُّمر ، يقال أحنق إذا ضَمر ، وإبل محانيق أى ضوامر . وفى الصحاح : حمار محنق : ضَمُر من كثرة الضِّراب .

٤٢ شبه الناقة — التى سلكت به هذا البلد الهائل ممّره ، فى الوقت الذى يحار الدليل فى الطرق القديمة التى لا علَمَ بها ، وذلك آية الهلاك — بالأتان الوحشية أو الحمار الوحشى ، الموصوفين بهذه الأوصاف ، وإنما خصّها بالتشبيه لكونهما أجلدَ الوحوش وأسرع . وجادر معطوف على حقباء .

(مُحَلَّج أُدرِجَ إدراجَ الطَّلَق)

هذا وصفٌ للحمار الوحشى . والمحلج : اسم مفعول من حملج الحبل : فتله فتلا شديداً ، وأوله مهملة وآخره معجمة . وأدرج بالبناء للمفعول أيضاً

بمنى فُتل وطوى . وإدراج بكسر الهمزة : مصدر تشبيهى ، أى كإدراج الطلق .
والطَّلَق : بفتحتين : قيد من جلود . وصف هذا الحمار بالضمر واكتناز
الخلق ، وذلك أشدُّ لعدْوه

(لَوَّح منه بعدَ بُدْنٍ وسَنَقْ)

يقال : لاحه السفر ولوّحه : غيَّره وأضمره . وضمير منه لجادر الليتين .
وفاعل لوّحَ « قودٌ ثمان » فى البيت الثالث بعد هذا . ومن للتبعيض . وبُدْن :
بضم فسكون وبضمتين : السِّمَن والاكتناز ، تقول منه بَدَن الرجل بالفتح
يبدُن بدناً بالضم فيهما إذا ضخم ، وكذلك بَدُنَ بدانة فهو بادن ، وامرأة
بادن أيضاً . فى الصحاح : « والسنق ، بفتحتين : البشم ، يقال شَرِب الفصيل
حتى سنق — بالكسر — يسنق بالفتح ، وهو كالتُّخمة » . قال الأصمعى :
والسنَق : كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه . قيل لأعرابية :
أترين أحداً لا يشتهى الخبيص ؟ قالت : ومن لا يشتهيه إلاّ من سنق منه ؟!

(مِن طول تَعداء الرَّبيع فى الأنق)

هذا علّة للسنق . والأنق بفتحتين : الإعجاب بالشىء ، تقول أنقت به
من باب فرح ، فأنا به أنقٌ أى معجب . وقال الأصمعى : الأنق المنظر المعجب
ومنه أنيق . يعنى أنّه سنَق من طول ما عدا فى الربيع فى مكان أنيق .

(تلويحكَ الضّامرَ يُطوَى للسَّبَقْ)

تلويحك : مصدر تشبيهى منصوب بلوّح المذكور قبل ، وهو مضاف إلى
الفاعل . والضامر مفعول به . يقول : كما تلوِّح أنت الفرس الضامر تريد أن
تسابق عليه . ويُطوَى : يجوّع ويضمّر بالبناء للمفعول . والسبق : بفتحتين
والسبقة بالضم مثله : الخطر والرَّهن الذى يوضع بين أهل السباق ، والجمع أسباق

(قُودٌ ثمانٍ مثل أمراس الأبقْ)

قُود : فاعل لوَّح المتقدم ، وهو جمع قوداء بمعنى الطويلة العنق والظهر . والأمراس : جمع مَرَس ، وهو جمع مَرَسة بمعنى الحبل . والأبق : بفتح الهمزة والموحدة : القنّب وقيل قشر القنّب ، وقال الأصمعيّ : هو الكتان يفتل . يقول : هذه الأتن كأنّها حبال من شدة طيّها . وهذه الأوصاف مما تزيد فى نشاط الحمار وجريه ، فإذا كانت الناقة تشبهه فلا شيء أسرعُ منها .

(فيها خُطوطٌ من سواد وبَلَقْ كأنّه فى الجلد توليعُ البهقْ)

البلق بفتحتين والبُلقة بالضم مثله ، وهو سواد وبياض . والتوليع : استطالة البلق . قال الأصمعى : إذا كان فى الدابة ضروبٌ من الألوان من غير بلق فذلك التوليع ، يقال برذون مولع . والملمّع[1] : الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه ، فإذا كان فيه استطالة فهو مولَّع والبهق كما فى المصباح : بياضٌ يخالف للون الجسد وليس ببرص . وقال ابن فارس : سواد يعترى الجلد أو لونٌ يخالف لونه . وفعله من باب تعب ، وهو أبهق وهى بهقاء . وجملة فيها خطوط إما صفة ثالثة لقُود ، وإما حال منها ، والرابط الضمير . وبه علم سقوط ما نقله شارح شواهد التفسيرين خضرٌ الموصلى ، من أنَّ الضمير راجع إما إلى بقرة يصفها كما فى بعض الحواشى ، أو إلى أفراس كما قال جماعة ، أو إلى أتان كما قاله ابن دريد ، مع أنه لم يتقدّم ذكر شيء من بقر وأفراس . والعجب منه أنه سطر الأرجوزة برمّتها ولم يتأمل مرجع الضمير . وقوله من سواد وبلق ، بيان للخطوط ، يريد أن بعض الخطوط من سواد بحتٍ وبعضها من سواد يخالطه بياض ، فالتقابل بين سوادين . وجملة كأنه فى الجلد الخ صفة للخطوط

٤٣

(١) فى النسختين : « واللمع » ، والوجه ما أثبت . وانظر اللسان (لمع) .

أو للسواد والبلق ، والرابط الضمير بتأويله باسم الإشارة ، واسم الإشارة مؤوّل بالمذكور ونحوه ، وإنما لم يؤوّل بالمذكور ابتداء لأنّ التأويل قد كثر فى اسم الإشارة كما نقلوا عن أبى عبيدة ، أنه قال لرؤبة : إن كنت أردت الخطوط فقل كأنّها ، وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما . فقال رؤبة : أردت كأن ذلك ، ويلك ! وتأويل اسم الإشارة بالمذكور إذا خالف المشار إليه جعله علماء التفسير والعربية قانونا يرجع إليه عند الاحتياج ، وخرّجوا عليه آيات ، منها قوله تعالى: « ذلك بما عصوا » بإفراد اسم الإشارة مع أن المشار إليه شيئان : الكفر والقتل ، وأورد هذا البيت نظيرا له . وزعم ابن جنى فى المحتسب : أنه لو قال قائل إن الهاء فى كأنه عائدة على البلق وحده لكان مصيبا ، لأن فى البلق ما يحتاج إليه من تشبيهه بالبهق ، فلاضرورة إلى إدخال السواد معه. انتهى . وفيه أن المحدَّث عنه هو الخطوط ، وهى المشبَّهة بالبهق . فإما أن يرجع الضمير إلى المبين الذى هو المحدث عنه ، أو إلى البيان بتمامه ، وأما إرجاعه إلى بعض البيان فيلزم تشبيه بعضه دون بعض ، وهذا ليس بمقصود ، بل المراد تشبيه الخطوط التى بعضها من سواد بحت وبعضها من سواد فيه سواد وبياض أيضاً ، فتأمل . وروى الأصمعى « كأنها » أيضاً بضمير المؤنث ، وعليها فلا إشكال .

وفى هذه الأرجوزة بيت وهو :

(لواحق الأقرابِ فيها كالمَقَقْ)

أورده الشارح فى حرف الكاف من حروف الجر على أنّ الكاف فيه زائدة . ونشرحه هناك إن شاء الله تعالى .

ترجمة رؤبة

و (رؤبة) هو أبو الجحّاف بن العجاج عبدِ الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر ، من بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، هو وأبوه شاعران ، كلٌّ منهما له

ديوانُ رجز ، وهما مجيدان فيه عارفان باللغة وحشيِّها وغريبها . وهو أكثر شعرا من أبيه وأفصح منه . روى أنَّه قال لأبيه : أنا أشعر منك لأنى شاعر وابن شاعر ، وأنت شاعر فقط . وقيل ليونس النحوى : من أشعرُ الناس[1]؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : لم نعن الرجاز[2] . قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنّما الشعر كلام فأجوده أشعره[3] . قال ابن عون : ما شبَّهت لهجة الحسَن البصرى إلاّ بلهجة رؤبة .

وحكى عن يونس بن حبيب النحوى[4] أنه قال : كنت عند أبى عمرو ابن العلاء فجاءه شُبيل بن عَزْرة الضُّبعى[5] فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدة بغلته فجلس إليها ، ثم أقبل عليه يحدّثه فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألتُ رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه. قال يونس : فلم أملك نفسى عند ذكر رؤبة فقلت : لعلك تظن أنّ معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أفتعرف أنت ما الرُّؤبة ؟ وكررها خمسا فلم يُحِرْ جوابا وقام مغضبا ، فقال لى أبو عمرو : هذا رجل شريف يزور مجلسنا ويقضى حقوقنا . وقد أسأت بما فعلت مما واجهته به ! فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة ، فقال : أو قد سُلِّطت على تقويم الناس ؟ ! ٤٤

وحكى المدائنى قال : قدم البصرة راجزٌ من رجاز العرب فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، وجعل يقول : أنا أرجز العرب، أنا الذى أقول:

---

(١) فى النسختين : « أكثر الناس » ، والوجه ما أثبت من الأغانى ٢١ : ٦٠ .

(٢) فى الأغانى : « لم ؟ ولم نعن الرجاز » .

(٣) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى ، أحد رواة الحسن البصرى . تهذيب التهذيب . فى الأصل : «أبو عوف » ، صوابه من الأغانى ٢١ : ٦٠ .

(٤) فى الأصلين : « وحكى ابن حبيب عن يونس » والوجه ما أثبت مطابقاً لما فى الأغانى ٢١ : ٥٨ .

(٥) فى النسختين : « شبل بن عمرو » . صوابه من الاشتقاق ٧٤ ، ١٩٣ حيث تكلم فى الموضع الأخير على اشتقاق اسمه ، ومن الأغانى ٢١ : ٥٧ .

مروان يعطى وسعيد يمنع مروان نبعٌ وسعيد خِروعُ

والله أنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بينى وبينه — ورؤبة والعجاج حاضرًا المجلس — فقال رؤبة لأبيه : قد أنصفك الرجل فقم إليه . فأقبل عليه وقال : هأنا العجاج[1] وزحف إليه . قال أىُّ العجاجين أنت ! قال : ما خلتك تعنى غيرى ، أنا عبد الله الطويل ، وكان يعرف بذلك . فقال: ما عنيتُك وما قصدتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمى وتمنيت أن تلقانى ؟ ! قال : أو مافى الدنيا عجّاج سواك ؟ قال : فهذا ابنى رؤبة . قال : اللهمّ غفراً ، إنما مرادى غيركما . فضحك الناس وكفّا عنه .

قال ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء[2] : قال أبو عبيدة : دخلت على رؤبة وهو يجيل[3] جرذانا فى النار ، فقلت : أتأكلها ؟ قال : نعم أنها خير من دجاجكم التى تأكل العذرة ، إنها تأكل البر والتمر .

وكان رؤبة مقيما بالبصرة ولحق الدولة العباسية كبيرا ، ومدح المنصور وأبا مسلم . ولماظهر بها إبراهيم بن الحسن بن على رضى الله عنه وخرج على المنصور خاف على نفسه من الفتنة ، فخرج إلى البادية فمات بها فى سنة خمس وأربعين ومائة . كذا قيل ، وهذا يخالف ماروى عن يعقوب[4] قال: لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال لى : يا أبا عبد الله دفنّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت له وكيف ذاك ؟ فقال : هذا حين انصرفنا من دفن رؤبة بن العجاج .

---

(١) فى الأغانى ١١ : ٦٠ : « هأنذا العجاج » .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٦ .

(٣) فى الشعراء : « يمل » ، أى يشويها فى الملة ، وهى الرماد الحار .

(٤) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدى ، المتوفى سنة ١٨٢ . تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٣١ . وكانت حياة الخليل ما بين سنتى ١٠٠ و ١٧٥ . والنص فى الأغانى ١٨ : ١٢٥ ، وفيه : « عن يعقوب بن داود » .

ولم أر له في ديوانه من غير الرجز إلا هذين البيتين :

أيها الشامت المعيّر بالشيـ ـب أقِلَنّ بالشباب افتخارا
قد لبستُ الشباب غضا طريا فوجدت الشبابَ . ثوبا معارا

وبيتين آخَرين وهما :

إذا ما الموت أقبل قُبْلَ قوم أكبَّ الحظُّ وانتقِص العديد
أرانا لايفيق الموت عنا كأنّ الموت إيانا يكيد

من اسمه رؤبة

وذكر الآمدى ، فى المؤتلف والمختلف، مَن اسمه رؤبة ثلاثة . أحدهم هذا ، والثانى : رؤبة بن العجاج بن شَدقم الباهلى ، هو وأبوه شاعران ، وكنية هذا أبو يَبْهس[1] ومن شعره :

قالت لنا وقولها أحزانُ ذِروةُ والقول له بيان[2]
يا أبتا أرّقنى القِـذّانُ فالنوم لاتطعمه العينانُ[3]
من وخز بُرغوث له أسنانُ وللبعوض فوقه دَنْدان

الدندنة : الكلام الذى لايفهم ؛ والقِذّان : جمع قُذُذ[4] وهو البرغوث .
والثالث : رؤبة بن عمرو بن ظهير الثعلبى ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ابن بغيض .

(تتمة)

٤٥ رؤبة : اسم منقول إمّا من رؤبة بالهمز ، وهى قطعةٌ تَرأب بها الشيء أى تشده بها ، قال صاحب أدب الكاتب (فى باب مايغير من أسماء الناس) :

---

(١) فى ط : « بهيس » صوابه فى سه والمؤتلف ١٢١ . وانظر القاموس (بهس).
(٢) الرجز فى المؤتلف ١٢١ وشرح شواهد المغنى ٢٠ والضرائر للآلوسى ١٦٣ .
(٣) يستشهد به النحاة على ضم نون المثنى المرفوع .
(٤) فى ط : « قذن » ، تحريف . وانظر اللسان (قذذ)

إن رؤبة بن العجاج بالهمز لاغير . وهذا الحصر باطل لأنّ المهموز فى مثله يجوز تخفيف همزه بلا خلاف . وقد نقض قوله هذا بما ذكره فى أوائل الكتاب فى باب المسمَّين بالصفات وغيرها ، فجوز أن يكون مهموزاً وغير مهموز ، فإنه قال : رُوبة اللبن خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب ، وروبة الليل ساعة منه ، ويقال فلان لايقوم بروبة أهله أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، غير مهموز . ورؤبة بالهمز ، قطعة ترأب بها الشيء ، وإنما سمى رؤبة بواحدة من هذه[1] . فذكر لغير المهموز ثلاثة معان ، وبقى له معان أخر : رابعها رُوبة الفرَس وهى طَرقُه فى جِمامه[2] . خامسها يقال أرض روبة أى كريمة . سادسها شجر الزُّعرور . سابعها روبة الرجل عقله . ثامنها الفترة والكسل من كثرة شرب اللبن . تاسعها اللبن الذى فيه زبده ، و الذى نزع زبده ، فهو من الأضداد . وله معان أخر .

قال ابن خلف فى شرح شواهد سيبويه : قيل سمى روبة لأنهّ ولد نصف الليل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من شواهد مغنى اللبيب[3] ، وهو الشاهد السادس :

٦ (ياما أُميلِحَ غِزلاناً شَدَنَّ لنا مِن هؤُلَيّائِكُنّ الضالِ والسَّمُرِ)

أورده على أنّ التصغير فى فعل التعجب راجع إلى المفعول المتعجب منه ، أى هنّ مليحات ، والتصغير للشفقة . وأنشده فى باب التعجب أيضاً ، على

(١) انظر مثيل هذا النقد لابن السيد فى الاقتضاب ٢٢٦ .

(٢) الطرق ، بالفتح : ماء الفحل . وجمامه : اجتماعه . ط : « جماحه » صوابه فى سه .

(٣) المغنى ٢ : ١٩٢ فى الباب الثامن وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٤ .

أن الكوفيين غير الكسائى زعموا اسميته ، واستدلوا عليها بتصغيره فى نحو البيت . وهذا جواب س : قال الشاطبيّ : وعلّل ذلك سيبويه[١] بأنهم أرادوا تصغير الموصوف بالملاحة ، كأنك قلت مُليّح لكنهم عدلوا عن ذلك وهم يعنون الأول ، ومن عادتهم أن يلفظوا بالشيء وهم يريدون شيئاً آخر .

وقد ذكر ابن الأنبارى فى كتابه الإنصاف فى مسائل الخلاف جميع أدلة الكوفيين مع أجوبة البصريين عنها فقال : ومن جملة أدلتهم أنهم استدلوا على اسميّته بالتصغير . وأجاب عنه بثلاثة أوجه :

أحدها أن التصغير فى هذا الفعل ليس على حدّ التصغير فى الأسماء فإنه ـ على اختلاف ضروبه من التحقير ، والتقليل ، والتقريب ، والتحزن ، والتعطف كقوله صلى الله عليه وسلم : « أصيحابى ، أصيحابى » ، والتعظيم كقوله :

* دُويهيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ[٢] *

والتمدُّح كقوله : « أنا جُذَيلها المحكَّك » فإنه يتناول الاسم لفظاً ومعنى والتصغير اللاحق فعل التعجب إنما يتناوله لفظاً لامعنى ، من حيث كان متوجهاً إلى المصدر ، وإنما رفضوا ذكر المصدر ها هنا ، لأن الفعل إذا أزيل عن التصرف لايؤكد بذكر المصدر ، لأنه خرج عن منهب الأفعال ، فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغروا الفعل لفظاً ووجهوا التصغير إلى المصدر ، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله لأن الفعل يقوم فى الذكر مقام مصدره لأنه يدل عليه بلفظه ، ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله وإن لم يجر

(١) كتاب سيبويه ٢ : ١٣٥ .

(٢) للبيد فى ديوانه ٢٨ . وصدره :

* وكل أناس سوف تدخل بينهم *

له ذكر ، فكما يجوز عود الضمير إلى المصدر وإن لم يجر له ذكر ، استغناء بذكر فعله ، فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظ الفعل إلى مصدره وإن لم يجرِ له ذكر . ونظيره إضافة أسماء الزمان إلى الفعل نحو : « هذا يومُ ٤٦ ينفعُ الصادِقينَ صدقُهم » . وإنما جاز لأن المقصود بالإضافة إلى الفعل مصدره ، من حيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره ، فكما أن هذه الإضافة لفظية لا اعتداد بها فكذلك التصغير لفظي لا اعتداد به . الوجه (الثانى) : إنما دخله التصغير حملا على باب أفعل التفضيل ، لاشتراك اللفظين فى التفضيل والمبالغة ، ألا ترى أنك تقول : ما أحسن زيداً — لمن بلغ الغاية فى الحسن — كما تقول : زيد أحسن القوم ، فتجمع بينه وبينهم فى أصل الحسن وتفضله عليهم . و (الثالث) : إنما دخله التصغير لأنه ألزم طريقةً واحدة ، فأشبه بذلك الأسماء ، فدخله بعض أحكامها . وحملُ الشيء على الشيء فى بعض أحكامه لايخرجه عن أصله ، ألا ترى أن اسم الفاعل محمول على الفعل فى العمل ولم يخرج بذلك عن كونه اسما ؟ وكذلك المضارع محمول على الاسم فى الإعراب ولم يخرج بذلك عن كونه فعلا . اهـ .

شرح الشاهد و (يا) حرف نداء ، والمنادى محذوف ، أى ياصاحبي ونحوه . و (الملاحة) : البهجة ، وحسن المنظر . وفعله ملُح الشيء بالضم ملاحة . ومَلح الرجل وغيره مَلحاً من باب تعب : اشتدت زرقته ، وهو الذى يضرب إلى البياض ، فهو أملح وهى ملحاء ، والاسم المُلحة كغرفة . و (الغِزلان) : جمع غزال ، وهو ولد الظبية ، قال أبو حاتم : الظبي أوّلَ ما يولد هو طلا ، ثم هو غزال والأنثى غزالة ، فإذا قوى وتحرّك فهو شادن ، فإذا بلغ شهراً فهو شَصَر بمعجمة ومهملة مفتوحين — فإذا بلغ ستة أشهر أو سبعة فهو جَداية — بفتح الجيم — للذكر والأنثى وهو خِشْف أيضاً . والرشأ : الفتىّ من الظباء ، فإذا أثنى فهو ظبي ،

ولا يزال ثنيًا حتى يموت ، والأنثى ثنيةٌ وظبية . والثنى : الذى يلقى ثنيَّته : أى سنه — من ذوات الظلف والحافر — فى السنة الثالثة ؛ يقال أثنى فهو ثنىٌّ ، فعيل بمعنى فاعل . و (شدنَّ) ماضى شدن الغزال بالفتح يشدُن بالضم شدونًا : قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وربَّما قالوا شدَن المهر . وأشدنت الظبية فهى مُشدِن ، إذا شدن ولدها ، النون الثانية ضمير الغزلان . وجملة شدنَّ صفة غزلان . و (لنا) و (من) متعلقان بشدنَّ . وقوله (من هؤليائكنَّ) هو مصغر هؤلاء ، شذوذاً ، وأصله أولا بالمد والقصر . وها للتنبيه ، وهو اسم إشارة يشار به إلى جمع سواء كان مذكراً أو مؤنثاً ، عاقلا أم غير عاقل . والكاف حرف خطاب . والنون حرف أيضاً لجمع الإناث .

وقد استشهد به النحاة على دخول ها التنبيه عليه ، وعلى تصغيره شذوذاً ، وقد رواه الجوهرى :

* من هؤليَّاء بين الضَّال والسَّمُرِ[1] *

وقال : ولم يصغروا من الفعل غير هذا وغير قولهم ما أحيسنه . و (الضال) صفة اسم الإشارة أو عطف بيان . والضالُ : السِّدر البَرىّ ، جمع ضالَة ، ولهذا صح إتباعه لاسم الإشارة إلى الجمع ، وألفه منقلبة من الياء . والسدر : شجر النبق ، الواحدة سدرة . وما نبتَ منه على شطوط الأنهار فهو العُبرىّ ، نسبة إلى العُبر بالضم ، وهو شط النهر وجانبه . (والسَّمُر) بفتح السين وضم الميم : جمع سَمُرة ، وهو شجَرُ الطَّلْح . والطَّلْح : نوع من العِضاه ، وهو شجر عظام والعضاه بكسر العين : جمع عضاهة ، وهو كل شجر عظيم وله شوك .

---

(١) وروى صدره فى الصحاح (ملح) :

* ياما أميلح غزلانا عطون لنا *

وهذا البيت من جملة أبيات ذكرها ابن هشام فى شرح شواهده[١] وهى : أبيات الشاهد

(حوراء لو نظرتْ يوماً إلى حجرٍ لأثّرت سَقماً فى ذلك الحجرِ ٤٧

يزداد توريدُ خدَّيْها إذا لحظت كما يزيدُ نباتُ الأرض بالمطر

فالورد وجنتها والخمرُ ريقتها وضوء بهجتها أضوا من القمر

يامن رأى الخمر فى غير الكروم ومن هذا رأى نبت ورد فى سوى الشجر[٢]

كادت ترفُّ عليها الطير من طرب لما تغنت بتغريد على وتر

بالله ، ياظبيات القاع ، قلن لنا ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر

ياما أميلح غزلانا شدن لنا (البيت) ....

وروى العباسى فى معاهد التنصيص[٣] عن بعضهم أنّه من أبيات لبعض الأعراب . وذكرها فى الدمية للباخَرزىّ[٤] أنّه أول أبيات ثلاثة لبدوى اسمه كامل الثقفى ، ثانيها : بالله يا ظبيات القاع قلن لنا . . البيت . وثالثها :

إنسانة الحىِّ أم أُدمانة السَّمُرِ بالنِّهى رقّصها لحنٌ من الوتر[٥]

وقال العينى : إنّه من قصيدة للعَرْجىّ ، ومنها : بالله ياظبيات القاع .. البيت .

وهذا البيت قد روى للمجنون ، ولذى الرُّمّة ، وللحسين بن عبد الله .

والله أعلم .

(١) نص السيوطى فى شرح شواهد المغنى بعد إيراده للأبيات : « هكذا رأيته بخط المصنف فى بعض تعاليقه » . وليس لابن هشام مؤلف خاص لشرح الشواهد .

(٢) كلمة « هذا » ليست فى الأصل ، وبدونها لا يستقيم الوزن . وإثباتها من شرح شواهد المغنى .

(٣) معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ .

(٤) دمية القصر للباخرزى ص ٢٩ .

(٥) ليس البيت ثالث هذه الأبيات ، بل هو أولها ، والثانى فيها هو « ياأميلح ».

ثم رأيت الصاغانى قال فى العباب : يقولون ما أميلح زيدا . ولم يصغروا من الفعل غيره وغير قولهم ما أحيسنه . قال الحسين بن عبد الرحمن العرينى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا . . . . (البيت)

بانت لنا بعيونٍ من براقعها مملوءةٍ مُقلَ الغِزلان والبقرِ

ياما أميلح غزلان شدن لنا اهـ .

والأدمانة قال الجوهرى : والأدم من الظباء بيضٌ تعلوهن جدد ، فيهن غبرة ، تسكن الجبال، يقال ظبية أدماء . وقد جاء فى شعر ذى الرمة أُدمانة، قال :

أقول للركب لما عارضت أُصُلا أُدمانةٌ لم تُرَبِّبها الأجاليد[1]

وأنكره الأصمعى . والنِّهىُ بكسر النون وسكون الهاء : الغدير فى لغة نجد ، وغيرهم يقول بالفتح ، كذا فى الصحاح .

وقال السَّخاوى فى شرح المفصّل : والنحاة ينشدون : ياما أميلح غزلانا البيت ، ظنا منهم أنه شعر قديم ، وإنما هو لعلى بن محمد العرينى ، وهو متأخر ، وكان يروم التشبه بطريقة العرب فى الشعر ، وله مدح فى على بن عيسى وزير المقتدر . وقتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وثلاثمائة . ونسبه قوم من النحاة إلى مجنون بنى عامر وأنشدوا معه : بالله يا ظبيات القاع ، البيت ، والصحيح ما قدمته اهـ

ترجمة العرجى

(والعَرْجىّ) اسمه عبد الله ، وهو أموىٌّ ، وإنّما لقب العرجى لأنّه كان يسكن العرج . قال فى الصحاح : « والعرج منزل بطريق مكة ، وإليه

(١) فى الديوان ١٣٣ واللسان والصحاح (أدم) : « لما أعرضت » . و « لم تربها » كذا جاءت فى جميع المراجع ، وهى على لغة من قال :

* يوم الصليفاء لم يوفون بالجار *

ينسب العرجى الشاعر » . ولم يكن له نباهة فى أهله ، مات فى حبس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، وكان والياً بمكة بعد ضربٍ كثير وتشهير فى الأسواق ، لأنه شبَّب بأمه ليفضحه ، لا لمحبةٍ كانت بينه وبينها . وقال فى حبسه قصيدته التى منها :

كأنِّى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تكُ نسبتى من آل عمرو

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر

وكان من الفرسان المعدودين مع مَسلمة بن عبد الملك بأرض الروم . وترجمته مع أحواله مفصَّلة فى الأغانى والمعاهد .

* * *

وأنشد فى باب المعرب ، وهو من شواهد سيبويه[1] ، وهو البيت السابع : ٤٨

٧ (تَـكتُبانِ فى الطريق لامَ ألفْ)

على أنَّ مقصود الشاعر اللام والهمزة ، لا صورة لا ، فيكون معناه أنه تارة يمشى مستقيماً فتخط رجلاه خطًّا شبيهاً بالألف ، وتارة يمشى معوجا فتخط رجلاه خطًّا شبيهاً باللام . وعليه فالظاهر أن يقول لاما وألفا . ووجهه أنّه حذف التنوين من الأوّل من باب الوصل بنية الوقف ، وحذف العاطف ووقف على الثانى على لغة ربيعة ، وليس فى واحد من هذه الثلاثة ضرورة .

ووجّه هذا البيت ابنُ جنى فى سر الصناعة بوجهين آخرين فقال : « إنّما أراد كأنهما تخطان حروف المعجم ، لا يريد بعضها دون بعض ، وقد يمكن أنه أراد بقوله لام ألف شكل (لا) ، فإنه تلقَّاه من أفواه العامة ، لأنّ الخط ليس له تعلُّق بالعرب ولا عنهم يؤخذ . وقول من لا خبرة له بحروف

(١) سيبويه ٢ : ٣٤ .

المعجم كالمعلّمين لام ألف خطأ ، وصواب النطق به لا ، فإنّه اسمُ الألف اللينة التى تـكون قبل الياء فى آخر حروف المعجم » .

وفيما قاله نظر من وجهين :

الأوّل : قال الدمامينى فى شرح المغنى : نسبة العربى الفصيح إلى أنه اعتمد فى النطق على العامّة أمر بعيد لا يلتفت إليه . وقوله لأنّ الخط لا تعلّق له بالفصاحة ساقط ، لأن ما صدر عنه لفظٌ لا خط .

الثانى : أن قوله لام ألف خطأ ممنوع ، فإنه قد ورد فى الشعر ، أنشد أبو زيد فى نوادره[1] لراجزٍ يصف جندباً ، وقيل غرابا :

يخطُّ لامَ ألفٍ موصولِ والزاى والرا أيّما تهليلِ

وسيأتى شرحه فى الشاهد الثانى بعد هذا .

وأما ما أورده أبو بكر الشنوانى فى جواب أسئلة السيوطى السبع بقوله : قال : روى أبو ذرّ الغفارىّ رضى الله عنه أنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله كل نبى يرسل بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل . قلت : يا رسول الله أىُّ كتاب أنزله الله على آدم ؟ قال : كتاب المعجم ألف با تا ثا إلى آخرها . قلت : يارسول الله كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت عيناه ثم قال : يا أبا ذر ، والذى بعثنى بالحقّ نبياً ، ما أنزل الله على آدم إلاّ تسعة وعشرين حرفا . قلت : أليس فيها ألف ولام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لام ألف حرف واحد ، قال : أنزله الله تعالى على آدم فى صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل علىّ ، من لم يعدّ لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه ، ومن لم يؤمن

(١) نوادر أبى زيد ص ١٦٧ .

بالحروف وهي تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبدا[1] » ا هـ . فهو موضوع .
قال ابن عراق : سئل عنه ابن تيمية فقال : لا أَصْلَ له ، ولوائح الوضع عليه ظاهرة ، ولا سيما في آخره ، فهو كذب قطعا ا هـ

وعلى هذا فالفرق بين لا وبين لام ألف : أن لا اسم الألف اللينة ، ولام ألف اسم لا ، لأنّها على صورة اللام والهمزة إذا كتبتا معا . وعلم مما تقدم أنّ بيت الشاهد إنّما هو بإضافة لام إلى ألف بكون أصل لام ألف مركبا مزجيا ، فأعرب بإضافة أحد الجزءين إلى الآخر على أحد الوجوه . لا كما زعمه الشارح ٤٩
وتبعه الدماميني في شرح المغني .

ثم قال ابن جني : « وإنما لم يجز أن تفرد الألف اللينة من اللام وتقام بنفسها ـ كما أقيم سائر حروف المعجم سواها بأنفسها ـ من قِبَل أنها لا تكون إلا ساكنة تابعة للفتحة ، والساكنُ لا يمكن ابتداؤه ، فدُعمت باللام ليقع الابتداء بها . ويؤيد هذا أن واضع حروف المعجم إنما رسمها منثورة غير منظومة ، فلو كان غرضه في (لا) أن يرينا كيفية تركب اللام مع الألف لزمه أيضاً أن يرينا كيف تركب الجيم مع الطاء ، والقاف مع التاء ، وغير ذلك مما يطول تعداده ؛ وإنما غرضه التوصل إلى النطق بالألف ، فدعم باللام ليمكن الابتداء به . فإن قيل : ما بالهم دعموه باللام دون سائر الحروف ؟ أجيب بأنهم خصّوا اللام من قِبَل انّهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع الابتداء به قبلها أتوا بالهمزة فقالوا : الغلام ، فكما أدخلوا الألف قبل اللام كذلك أدخلوا اللام قبل الألف ليكون ذلك ضربا من التقارض » ا هـ .

واعترض عليه الدماميني بأن الذى تُوُصّل به إلى النطق بلام التعريف

(١) انظر محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر للبستوى ٦٥ .

هو الهمزة لا الألف ، والذى توصل باللام إلى النطق به هو الألف الموانى لا الهمزة . فلا تقارض اه .

وفيه أنّهما أخوان يبدل كل منهما إلى الآخر فتبدل الهمزة ألفا فى نحو راس ، وتبدل الألف همزة فى نحو دأبّة وشأبّة وحُبلأْ فى الوقف ، وفى هذا القدر من الاشتراك يتحقق التقارض .

واستشهد به سيبويه على أنه ألقى حركة « ألف » على ميم « لام » . وكذلك أورده الشارح فى شرح الشافية [1] أيضاً فى باب التقاء السا كنين . على أنه نقل حركة همزة ألف إلى ميم لام ، كما نقلت حركة همزة أربعة إلى الهاء فى قولك : ثلاثهَ َربعة ، إذا وصلت ثلاثة بما بعدها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت ثالث أبيات ثلاثة لأبى النجم العِجْلى ، وهى :

خَرجتُ من عند زيادٍ كالخرِفْ ... تخطُّ رجلاىَ بخطٍّ مختلِفْ

تـكتّبان فى الطريق لام ألف

قال المرزَبانى فى الموشح ـ وهو طبقات الشعراء فى الجاهلية والإسلام [2] أخبرنى الصُّولىّ قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل قال : أنشدنا محمد بن سلام لأبى النجم العجلى ، وكان له صديق يسقيه الشراب فينصرف من عنده ثملا :

أخرجُ من عند زياد كالخرف . . (الأبيات)

قال الصُّولى : وقد عيب أبو النجم [بهـذا [3]] فقيل : لولا أنه كان يكتب ما عرف صورة لام ألف وعناقها [لها [3]] اه . وقد عرفت ما فيه :

وروى أيضاً :

(١) شرح الشافية للرضى ٢ : ٢٢٣ .

(٢) هذا ما كان يفهم البغدادى ، وانظر ما سبق فى الحاشية٤ من ص ٢٤ .

(٣) التكلة من الموشح ١٧٧ .

أقبلت من عند زياد الخ

والخرِف : صفة مشبهة من خَرِف الرجل خَرَفا ، من باب تعب : فسَد عقله لكبره . وخط على الأرض خطًا : أعلم علامة . وخط بيده خطا : كتب . وكتَّب ، يقال بالتخفيف والتثقيل ، والتثقيل هنا لتكثير الفعل .

ترجمة أبي النجم

(وأبو النجم) هو الفَضْل بن قُدامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث ابن عبدة بن الحارث بن الياس بن المَوْف بن ربيعة بن مالك بن عجل بن لجيم ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . وهو أحد رجّاز الإسلام المتقدمين فى الطبقة الأولى . قال أبو عمرو بن العلاء : هو أبلغ من العجّاج فى النعت . قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء [1] : كان أبو النجم ينزل سو الكوفة . وزاجز العجاجَ فخرج إليه العجاج على ناقةٍ له كوماء ، وعليه ثيابٌ حسان ، وخرج أبو النجم على جمل مهنوء ، وعليه عَباءةٌ ، فأنشد العجّاج : ٥٠

* قد جبر الدينَ الإلهُ فجبرْ *

وأنشد أبو النجم :

* تذ كّرَ القلبُ وجهلا ما ذ كر *

حتى بلغ قولَه :

إنى وكُلٌّ شاعر من البشرْ شَيطانه أنثى وشيطانى ذكر
فما رآنى شاعرٌ إلّا استتر فِعلَ نجوم الليل عاينّ القمر

فبينا هو ينشد ، إذ وثب جمله على ناقة العجّاج ، فضحك الناس وانصرفوا يقولون :

* شيطانه أنثى وشيطانى ذكر *

(١) طبقات الشعراء ٥٨٤ — ٥٩١ .

وقال له هشام بن عبد الملك يوما : يا أبا النجم ، حدِّثنى . قال : عنّى أو عن غيرى ؟ قال : بل عنك . قال : إنى لمّا كبرت عرضَ لى البول ، فوضعت عند رجلى شيئاً أبول فيه ، فقمتُ من الليل أبول فخرجَ منى صوت ، فتشدّدت ثم عُدت فخرج منى صوتٌ آخر ، فأويت إلى فراشى فقلت : يا أمّ الخيار ، هل سمعتِ شيئاً ؟ قالت : لا ، ولا واحدة منهما ! فضحك هشام وأحسن إليه بصِلة . وله معه نوادر ومضحكات مذكورة فى الأغانى[1] وغيرها . وسنورد له إن شاء الله منها إذا ورد شاهد من شعره

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن :

٨ (تداعَيْنَ باسم الشِّيب فى مُتثلِّمٍ)

على أنّ اسم الصوت إنما أعرب فى هذا للتركيب ، وإن كان بناؤه أصلياً . يريد أن أسماء الأصوات إذا ركِّبت جاز إعرابها ، اعتباراً بالتركيب العارض بشرط إرادة اللفظ لا المعنى ، كما يجوز إعراب الحروف إذا قصد ألفاظها . والإعراب مع اللام أكثر من البناء لكونه علامة الاسم الذى أصله الإعراب ، لكنها لا توجبه بدليل « الآن » و « الذى » و « الخمسة عشر » . كذا فصله الشارح فى باب الصوت .

وعجز هذا المصراع :

(جوانبُهُ من بَصرةٍ وسِلام)

صاحب الشاهد — وهو من قصيدة لذى الرُّمّة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم . وقبل بيت الشاهد :

(١) الأغانى ٩ : ٧٣ — ٧٨ .

أبيات الشاهد

(وكم عَسَفتْ من منهل متخطًّا أفلَّ وأقوى ، فالجِمامُ طوامى
إذا ما وردنا لم نصادف بجوفه سوى وارداتٍ من قطاً وحمام
إذا ساقيانا أفرَغا فى إزائه على قُلُصٍ بالمقفرات حيام
تداعين باسم الشيب . . . . (البيت) .

يصف قطعةَ القفار على إبله . والعسف : الأخذ على غير هدى ، والضمير المستتر راجع إلى الإبل العيس . والمنهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل . والمنهل المتخطّأ : الذى تخطّأه الناس فلم ينزلوه . وأفلّ ، بالفاء ، فعل ماض بمعنى لم يصبه مطر ، وهو مع ضميره صفة لمنهل ، وهذا سبب كون الناس لم ينزلوا فيه . يقال أرضٌ فِلٌّ بالكسر : لا نبات فيها لعدم المطر . وأقوى بمعنى خلا ، يقال أقوت الدار وقويت أيضاً أى خلت . والجِمام : بكسر الجيم جمع جُمّة بضمها ، وهو المكان الذى اجتمع فيه ماؤه . وطوامى : مملوءة ، جمع طامٍ اسم فاعل من طما الماء يطمو طموًّا كسموّ ، إذا ارتفع وملأ النهر . وساقيانا : تثنية ساق ، وهو من يستقى الماء من البئر . والإزاء ، بكسر الهمزة والزاى معجمة : مصب الماء فى الحوض ، قال أبو زيد : هو صخرة، وما جعلت وقايةً على مصبّ الماء حين يفرغ الماء ، ويقال أزّيت الحوض تأزية ، وآزيته بالمد إزاء . وعلى قلص متعلق بأفرَغا . والقُلص ، بضمتين : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة . والحيام بكسر المهملة : جمع حوم ، والحوم بالفتح : القطيع الضخم من الإبل . وبالمقفرات صفة لقُلُص ، من أقفرت الدار : إذا خلت . و (تداعين) : دعا بعضُ القلص بعضاً ، وروى (تنادين) من النداء . والجملة جواب إذاً . و « الشِّيب » بالكسر : حكاية أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصَّوت شِيب شِيب ، جعل هذا الصوت مما يدعوهن

٥١

إلى الشرب ، ويأتى إن شاء الله تعالى فى باب الإضافة الكلامُ على إضافة « اسم » إلى الشيب . و « المنثلِم » : المتكسِّر والمتهدم ، أراد فى حوض متثلم ، فحذف الموصوف لدلالة مصبِّ الحوض عليه ، يقال ثلمته من باب ضرب كسرته فانثلم وتثلم . والبصرة ، بفتح الباء : حجارة رخوة فيها بياض ، وبه سميت « البصرة » . والسِّلام بكسر المهملة : جمع سلمة بفتحها وكسر اللام ، وهى الحجارة .

ترجمة ذى الرمة

و (ذو الرُّمَّة) هو غَيلان بالمعجمة ابنُ عقبة ، من بنى صعب بن مالك ابن عدىّ بن عبد مناة . ويكنى أبا الحارث . وسمى ذا الرمة بقوله :

لم يَبقَ فيها أبدُ الأبيدِ غير ثلاثٍ ماثلاتٍ سود
وغير مرضوخِ القفا موتود[1] أشعث باقى رُمَّة التقليد

والرُّمة : بضم الراء وتشديد الميم : قطعة من الحبل الخلق ، ويجوز كسرها . وقال ثعلب : إنّ ميّة لقبته بذلك ، وذلك أنه مر بخبائها قبل أن ينشّبب بها ، فرآها فأعجبته ، فأحبّ الكلام معها ، فخرقَ دلوه وأقبل إليها وقال : يافتاةُ اخرزى لى هذا الدلو . فقالت : إننى خرقاء — والخرقاء : التى لا تحسن عملا — فخجل غيلانُ ، ووضع دلوه على عنقه ، وهى مشدودة بقطعة حبل بال ، وولّى راجعاً . فعلمتْ مية ما أراد ، فقالت : ياذا الرمة انصرفْ . فانصرف ، فقالت له : إن كنت أنا خرقاء فإنّ أَمَتى صَناع ، فاجلس حتى تخرز دلوك . ثم دعت أمتها قالت : اخرزى له هذا الدلو . وكان ذو الرمة يسمى مية خرقاء لقولها إننى خرقاء . وغلب عليه ذو الرمة لقولها ياذا الرمة ، اهـ .

---

(١) فى النسختين : « موضوح » ، ولا وجه له ، وصوابه من ديوان ذى الرمة ١٥٥ والشعراء ٥٠٨ واللآلى ٨٢. والرضخ : الشق والدق .

وهذا خلاف ما نقله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[١] أن مية بنت فلان[٢] ابن طلبة بن قيس . وهى غير الخرقاء ، فإن الخرقاء من بنى البكّاء بن عامر . وكان سبب تشبيبه بها أنه مر فى بعض أسفاره ببعض البوادى ، وإذا خرقاء خارجة من خباء لها ، فنظر إليها فوقعت فى قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها وقال: إنّى رجل على ظهر سفر ، وقد تخرّقت إداوتى فأصلحيها — يستطعم بذلك كلامها — فقالت : والله إنى ما أحسن العمل ، وإنى لخرقاء . والخرقاء : التى لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها . فشبّب بها وسمّاها خرقاء .

وقال أبو العباس الأحول : سمّى ذا الرمة لأنه خُشى عليه العين وهو غلام فأتى به إلى شيخ من الحىّ ، وصنع له مَعاذةً ، وشُدّت فى عضده بحبل .

والمشهور القول الأول .

قال حمّاد الراوية : امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيها ، وذو الرمة أحسن الإسلام تشبيها ، وما أخّر القومُ ذكرَه إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ؛ وكان الفرزدق وجرير يحسدانه على شعره . ولقيه جرير فقال : هل لك فى المهاجاة ؟ ٥٢ قال : لا . قال : كأنك هبتنى . قال : لا والله ، ولكن حرمُك قد هتكهُنّ السِّفَل ، وما أرى فى نسوتك مُترقَّعاً[٣] . قال أبو المطرِّف : لم يكن أحد من القوم فى زمانه أبلغَ منه ولا أحسنَ جواباً ، ولقد عارضه رجلٌ بسوق الإبل فى البصرة يهزأ به ، فقال : يا أعرابى ، أتشهد بما لا ترى ؟ قال : نعم ؛ أشهد بأن أباك ناك أمك !

---

(١) الشعراء ٥٠٨ .

(٢) وكذا ورد النص فى الشعر . فلعله نسى اسم أبيها ، أو أهمله للخلاف فقيل مية بنت عاصم ، وقيل مية بنت مقاتل . اللآلئ ٨٢ والأغانى ١٦ : ١١٤ وجمهرة ابن حزم ٢٠٦ .

(٣) مترقعا : موضعا للشتم والهجاء . ط : « مرتعا » ش : « مرتقعا » ، وانظر اللسان (رقع) .

وقال أبو عمرو بن العلاء مرةً : خُتم الشعر بذى الرمة والرجز برؤبة . وقال أخرى — كما فى الموشح للمرزبانى[(١)] — شعر ذى الرمة نُقط عروس تضمحلُّ[(٢)] عن قليل ، وأبعار ظباء لها مَشَمٌّ فى أول شمّها ثم تعود[(٣)] إلى أرواح البعر وإنما وضع منه لأنه كان لا يحسن الهجاء والمدح . . قال المبرد : معنى قوله نقط عروس أنها تبقى أول يوم ثم تذهب ؛ وبعر الظباء إذا شممته من ساعته وجدت فيه كرائحة المسك ، فإذا غبَّ ذهب ذلك منه . وقد أسند هذا التعبير فى حقه إلى جماعة منهم الفرزدق وجرير . قال الأصمعى : إن شِعر ذى الرمة حلوٌ أولَ ما تسمعه ، فإذا كثر إنشاده ضُعف ولم يكن له حسن ، لأن أبعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحةُ ما أكلت من الشيح والقيصوم والجنجاث والنبت الطيِّب الريح ، فإذا أدمتَ شمه ذهبت تلك الرائحة ، ونُقط العروس إذا غسلَتْها ذهبت .

وقال ابن قتيبة[(٤)] : وقف ذو الرمة فى سوق الإبل ينشد شعره الذى يذكر فيه ناقته صيدح. فوقف عليه الفرزدقُ فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال : ما أحسن ما تقول ! قال : فمالى لا أُذْكر مع الفحول ! قال : قصّر بك عن غاياتهم بكاؤك فى الدِمن ، ونعتُك الأبعار والعطن . ومات بالبادية ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم . أى ابن الأربعين

وقال المفضل الضبى[(٥)] : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى يوما : هل لك فى خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ قلت : بلى. فتوجهنا نريدها

(١) الموشح ص ١٧٢

(٢) فى النسختين : « يضمحل » ، ووجهه من الموشح .

(٣) فى النسختين : « يعود » . صوابه من الموشح .

(٤) الشعر والشعراء ٥٠٦ .

(٥) الشعر والشعراء ٥١٠ .

فعدل بى عن الطريق بقدر ميل ، فإذا أبياتٌ فقرع باباً منها فخرجت إلينا امرأة حُسَّانة بها قوة[1] فتحدثنا طويلا فقالت : أحججت قبل هذه ؟ قلت : بلى . قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى منسَك من مناسك الحجّ ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول ذى الرمة :

تمامُ الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعةِ اللثام

وفى الأغانى عن ابن قتيبة : أنّ ميّة جعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه . فلما رأته رجلا دميا أسود ، وكانت من أجملِ الناس فقالت : واسَوءتاه ، واضيعة بَدَنتاه ! فقال ذو الرمة :

على وجه ميٍّ مَسحةٌ من ملاحة وتحت الثياب الشَّيْنُ لو كان باديا

قال : فكشفت ثوبها عن بدنها وقالت : أشيناً ترى لا أمَّ لك ؟ فقال :

ألم تر أنَّ الماء يخبث طعمُه وإن كان لون الماء أبيضَ صافيا

فقالت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمتَ أن لا شين فيه ، ولم يبق إلاّ أن أقول لك هلمَّ حتى تذوق ماوراءه ! والله لا ذقتَ ذلك أبدا . فقال :

فياضيعة الشعر الذى لجَّ وانقضى بمىّ ولم أملك ضلالَ فؤاديا[2]

قال : ثم صلَح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد إلى ما كان عليه من حبِّها .

ثم قال صاحب الأغانى : أنّ مية كانت لها بنت [عمٍّ] [3] قالت على لسان ذى الرمة : ٥٣

---

(١) وكذا فى الاغانى ١٦ : ١١٥ رواية عن ابن قتيبة . وفى الشعر والشعراء : « بها فوه » . والفوه ، بالتحريك : سعة الفم وعظمه .

(٢) فى شرح الأمير للمغنى ١ : ٧٣ نقلا عن هذا الموضع من الخزانة : « ضلالا فؤاديا » .

(٣) التكملة من الأغانى . وفيها : « وكانت لها بنت عم من ولد قيس ، يقال لها كثيرة أم سلهمة » . وانظر أمالى الزجاجى ٥٧ .

* على وجه ميّ مسحة من ملاحة *

الأبيات . فكان ذو الرمة إذا ذُكر ذلك له يتمعّض منه[1] ويحلف أنّه ما قاله قطّ .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع :

٩ (إذا اجتمعوا على ألفٍ وَواو وياءٍ هاج بينهمُ جِدالُ)

على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذا ركبت وإن كان بناؤها أصليًا . قيل : حيث كانت معربة لأجل التركيب عُلم أنها قبل التركيب غير معرَبة ، وهذا حكم جميع الأسماء ، سواء قلنا إنها قبل التركيب موقوفة أم مبنية ، فما الفرق بينها وبين سائر الأسماء ؟

أقول : الفرق أن أسماء حروف الهجاء إنّما وضعت لسردها مفردة للتعليم ، لا لأنْ تكون مركبة مع عامل ، فالتركيب فيها عارض بخلاف سائر الأسماء فإنها إنما وُضعت للتركيب ، وسردُها منثورة أمرٌ عارض . ثم رأيت الشارح المحقق قد ذكر ما قلتهُ فى مواضع أُخر من شرحه[2] فقال : إن أسماء حروف المعجم لم توضع إلا لتُستعمل مفردات ، لتعليم الصبيان ومن يجرى مجراهم ، موقوفاً عليهم . فإذا استعملت مركبة مع عاملها فقد خرجت عن حالها الموضوعة لها .

وهذا مذهب ابن جنى فى سر الصناعة حيث قال : « اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروفَ هجاء فإنها سواكن الأواخر فى الدَّرْج والوقف ، لأنها أصوات بمنزلة صه ومه ، فإن وقعت موقع الأسماء أعربت » .

---

(١) فى الأغانى : « يمتعض منه » .

(٢) انظر الرضى على الكافية : ٢ : ١٣٢ . ومنه نقل البغدادى النص الذى سيأتى

وأراد الشارح بإعرابها عند التركيب وجوب إعرابها كما نص عليه فى موضع آخر فقال : « إذا أردت إعراب أسماء حروف المعجم الكائنة على حرفين ضعّفت الألف وقلبتها همزة . ولا تجوز الحكاية فى أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها » .

وأغرب السيوطى فى جمع الجوامع وشرحه فقال : « وأسماء الحروف ألف با تا ثا إلى آخرها وقف ، إلاّ مع عامل فالأجود حينئذ فيها الإعراب ومد المقصور منها ، ويجوز فيها الحكاية كهيئتها بلا عامل ، ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصوراً منوّناً . كما إذا تعاطفت فإن الأجود فيها الإعراب والمدّ وإن لم يكن عامل » . انتهى .

فجوّز مع العامل الحكاية والقصر ، كما إذا لم تكن مع عامل ؛ وجوز أيضاً إعرابها مع القصر ، وجوز فى التعاطف مع عدم العامل الإعراب والمد .

وأما الأول فصرّح بمنعه ابن جنى والشارح .

وأما الثانى فمنعه ابن جنى أيضاً فقال : فأما ما كان من نحو با تا فإنك متى أعربته لزمك أن تمدّه ؛ وذلك أنه على حرفين ، الثانى منهما حرفُ لين ، والتنوين يدرك الكلمة فتحذف الألف لالتقاء الساكنين ، فيلزمك أن تقول بن وتن يافتى ، فيبقى الاسم على حرف واحد ، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحركا ، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكناً ، وهذا ظاهر الاستحالة . فأما ما روى « شربتُ مَاً » يريد ماء ، فحكاية شاذة لا نظير لها ، ولا يسوغ قياس غيرها عليها ، وإذا كان الأمر كذلك زدت على ألف با تا ألفاً أخرى ، كما رأيت العرب فعلت حين أعربت لوّا فقالوا :

* إن لوّا وإنّ ليتاً عناء(١) *

(١) هو الشاهد ٧٣٥ . ومثله فى الأغانى ١٩ : ١٥٨ :

عنت لوا تكررها إن لوا ذاك أعيانا

وأما قول الشاعر :

بخط لام ألفٍ موصول والزاى والرا أيّما تهليل

إنما أراد (والراء) ممدودة ، فلم يمكنه ذلك لئلا يكسر الوزن ، فحذف الهمزة من الراء ، وجاء بذلك على قراءة أبى عمرو وتحقيقه الأولى من الهمزتين إذا التقتا من كلمتين وكانتا جميعاً متّفقتى الحركتين ، نحو: «فقد جاء أشراطها» و « شاء أنشره » ، وكذلك كان أصل هذا « والزاى والراء أيما تهليل » ، فلما اتفقت الحركتان حذف الأولى من الهمزتين .

وأما الثالث فلا وجه للإعراب والمد جميعاً مع عدم العامل .

وأظن أن السيوطى لخص كلامه من الارتشاف لأبى حيّان ، وأصله من المقصور والممدود لابن الأنبارى ، وتبعه أبو على القالى — فى المقصور والممدود له أيضاً — حرفاً بحرف — فقالا : وما كان من حروف الهجاء على حرفين فالعرب تمده وتقصره فيقولون: باء وتاء ، ومنهم من يقصر فيقول با و تا ، ومنهم من ينون فيقول باً و تاً . قال يزيد بن الحكم يذكر النحويين :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وواو وياء ... (البيت)

والزاى فيها خمسة أوجه : من العرب من يمدها فيقول زاء فاعلم ، ومنهم من يقول زاى ، ومنهم من يقول هذه زا ، فيقصرها ، ومنهم من ينون فيقول زاً ، ومنهم من يقول زىّ فيشدّد . وأنشد الفراء :

بخط لام ألفٍ موصول والزاى والرا أيما تهليل

انتهى . فأنت تراهما كيف أطلقا ولم يفصّلا ، وهو مخالف لكلام الناس

ومراد الشارح بالتركيب أن تقع مع عامل ، نحو أول الجيم جيم ، وأوسط السين ياء ، وكتبتُ ياء حسنة . وكذلك العطف فيقال : ما هجاء بكر ؟ فنقول.

باء وكاف وراء، وكبيت الشاهد . فإن لم تعطف تبْن ، فتقول باءْ ، كافْ ، راءْ ، بإسكان الأواخر .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد ليزيد بن الحكم ، كما نسبه إليه الزَّجَّاج فى أول تفسيره ، وابن الأنبارى ، وأبو على القالى . وروى الحريرى في درة الغوّاص[1] عن الأصمعى أنه قال : أنشدنى عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين ، يعنى أنهم إذا اجتمعوا للبحث عن إعلال حروف العلة ثار بينهم جدال . والجدال : مصدر جادل إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، وهذا أصله ، ثم استعمل فى لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها . وهو محمود إن كان للوقوف على الحق ، وإلاّ فمذموم ، يقال : إن أول من دوّن الجدل أبو على الطبرى . ويروى بدله « قتال » .

ترجمة يزيد ابن الحكم

أما يزيد بن الحكم فهو يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثَّقفى البصرى ، الشاعر المشهور . ومن قال يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبى العاص فقد وهم ، فإن عثمان جدُّه أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم الطائف . حدث عن عمه عثمان المذكور ، وروى عنه معاوية بن قُرّة وعبدالرحمن بن إسحاق .

حكى أن الفرزدق مرَّ على يزيد هذا وهو يُنشد فى المسجد ، فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه شعرنا ؟ قالوا : يزيد بن الحكم . فقال : أشهد بالله أن عمتى ولدته .

وأم يزيد : بكرة بنت الزِّبرقان بن بدر . وأمها هُنيدة بنت صعصعة ابن ناجية . وكانت بكرة أول عربيّة ركبت البحر .

وروى الزجاجى فى أماليه الصغرى قال : ورد يزيد بن الحكم الثقفى من

---

(١) درة الغواص ١٠٦ .

٥٥ الطائف على الحجاج بن يوسف بالعراق ، وكان شريفاً شاعراً ، فولاه الحجّاج فارس ، فلما جاء لأخذ عهده قال له : يا يزيد أنشدنا من شعرك — يريد أن ينشده مديحاً له — فأنشده :

مَن يك سائلا عنّى فإنى ... أنا ابن الصَّيدِ من سلَفَىْ ثقيف
وفى وَسط البطاح محلُّ بيتى ... محلّ الليث من وسط الغريف
وفى كعب ومن كالحىّ كعبٍ ... حللت ذُؤابة الجبل المنيف
حويتُ فخارها غورا ونجداً ... وذلك منتهى شرف الشريف
نمانى كلُّ أصيدَ لا ضعيفٍ ... بحمل المضلات ولا عنيفِ

فوجم الحجاجُ وأطرق ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله ، أحمده وأشكره إذ لم يأت علينا زمان إلّا وفينا أشعر العرب ! ثم قال : أنشدنا يايزيد . فأنشأ يقول :

وأبى الذى فتح البلاد بسيفه ... فأذلّها لبنى الزمان الغابر
وأبى الذى سلب ابن كسرى رايةً ... فى المُلك تخفقُ كالعُقاب الكاسر
وإذا فخرتُ فخرتُ غير مكذَّب ... فخراً أدُقُّ به فخار الفاخر

فقام الحجاج مغضباً ، ودخل القصرَ وانصرف يزيد ـ والعهد في يده ـ فقال الحجاج لخادمه : اتبعه وقل له اردُدْ علينا عهدنا ، فإذا أخذته فقل له : هل ورّثك أبوك مثل هذا العهد ؟ ! ففعل الخادم وأبلغه الرسالة . فردَّ عليه العهد فقال : قل للحجاج : أورثنى أبى مجده وفَعاله ، وأورثك أبوك أعنُزاً ترعاها . ثم سار تحت الليل ، فلحق بسليمان وهو ولىّ عهد الوليد ؛ فضمَّه إليه وجعله فى خاصّته . ومدحه بقصائد ، فقال له سليمان : كم كان أُجرىَ لك فى عمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : هى لك علىّ ما دمت حياً .

ومما مدحه به هذه القصيدة ، ومطلعها :

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنَّ أحور من غزلان ذى بقرٍ ... أهدى لنا شبه العينين والجيدا
أجرِى على موعد منها فتُخلفنى ... فلا أملّ ولا توفى المواعيدا
كأننى يوم أمسى لا تكلّمنى ... ذو بغية يشتهى ما ليس موجودا

ومنها :

سُمِّيت باسم امرئٍ أشبهت شيمته ... فصلاً وعدلاً سليمان بن داودا
أحمِدْ به فى الورى الماضين من ملك ... وأنت أصبحت فى الباقين محمودا
لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكا ... أولاهم فى الأمور الحلم والجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات لعمر بن أبى ربيعة ، وذلك خطأ[1] .

وفى الأغانى بسنده إلى ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحكم على يزيد ابن المهلب فى سجن الحجاج ـ وهو يُعذَّب ـ وقد حل عليه نجم كان قد نُجِّم عليه ، وكانت نجومه فى كل أسبوعٍ ستة عشر ألف درهم ، فقال له :

أصبح فى قيدك السَّماحةُ والجـــودُ وفضل الصلاح والحسبُ
لا بطرٌ إن تتابعت نعم وصابرٌ فى البلاء محتسب
برَّزت سبق الجياد فى مهلٍ وقصّرتْ دون سعيك العرب ٥٦

قال : فالتفت يزيد إلى مولًى له ، وقال : أعطه نجم هذا الأسبوع ، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر[2] .

(١) الأغانى ١١ : ٩٧ .

(٢) بعده فى الأغانى ١١ : ٩٨ : « وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيض مع يزيد » .

وليزيد بن الحكم عدةُ قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحكم ، وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبى العاصى . ومما قال فى ابن عمه[1] :

ومولًى كذئب السوء لو يستطيعنى أصاب دمى يوماً بغير قتيل
وأعرض عما ساءه ، وكأنما يُقاد إلى ما ساءنى بدليل
مجاملة منى وإكرامَ غيره بلا حسنٍ منه ولا بجميل
ولو شئتُ ـ لولا الحلم ـ جدّعت أنفه بإيعاب جدع بادئٌ وعليل
حفاظاً على أحلام قومٍ رُزئتهم رزانٍ يزينون الندىَّ كهول

وقال فى أخيه عبد ربه :

أخى يسرُّ لى الشّحناء يضمرها حتّى وَرى جوفَه من غمره الداء
حرّانُ ذو غُصّة ، جُرّعت غصّته وقد تعرّض دون الغصّة الماء
حتّى إذا ما أساغ الريق أنزلنى منه كما يُنزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفر سعيى ما سعيتُ له إنى كذاك من الإخوان لقّاء
وكم يدٍ ويدٍ لى عنده ويدٍ يُعدّهن ترَاتٍ وهى آلاء

و (الغريف) بفتح الغين المعجمة هو الأجمة والغابة .

ترجمة عيسى ابن عمر

وأما عيسى بن عمر فهو عيسى بن عمر الثقفى ، مولى خالد بن الوليد . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحاق . وروى عن الحسن البصرى والعجاج ، ورؤبة ، وجماعة ـ وعنه أخذ الأصمعىّ وغيره ـ وكان يتقعّر فى كلامه ، حكى عنه الجوهرىُّ فى الصحاح ، أنه سقط عن حمار ، فاجتمع عليه الناس فقال : مالى أراكم تكأكأتم علىّ تكأكؤكم على ذى جِنّة ؟ افرنقعوا عنى[2] ! واتّهمه عمر بن هُبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط . فجعل يقول .

(١) الأغانى ١١ : ١٠٠ .
(٢) التكأكؤ : التجمع . والجنة : الجنون . والافرنقاع . التفرق .

والله إن كانت إلاّ أثيابا فى أسيفاط قبضها عشّاروك ! مات سنة تسع وأربعين ، وقيل سنة خمسين ومائة[١] ، كذا فى معجم النحويين للسيوطى .

والبيت الذى مثل به ابن جنى ووعدْنا بشرحه هو من أبيات رواها أبو زيد فى نوادره[٢] قال : إنها لراجز يصف بها جُندبا ، وهى :

أبيات الشاهد

يحجل فيها مقلزُ الحجول بغياً على شقّيه كالمشكول[٣]

بخط لامِ ألف موصول والزاىَ والرا أيَّما تهليل

خطَّ يد المستطرق المسئول

(الجندب) بفتح الدال وضمها : ضرب من الجراد ؛ وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : قال أبو العباس ثعلب إنه عنى غراباً يحجل . قال فى العباب : الحجَلان : مشية المقيّد ، يقال حجل الطائر يحجل بضم الجيم وكسرها ، إذا نزا فى مشيه ؛ والحجول بفتح المهملة وضم الجيم صفة الجندب أو الغراب . وضمير فيها للأرض . و (المقلز) بكسر الميم وفتح اللام ، أراد به رجل الجندب أو الغراب لأنه اسم آلة من قلز الغراب والعصفور فى مشيهما ، وكل من لا يمشى مشياً فهو يقلز بضم اللام وكسرها قلْزاً بسكون اللام . ورواه أبو حاتم بفتح الميم وكسر اللام ، فيكون مصدراً ميميًّا . وزعم الأخفش فى شرح النوادر أنه مقلوب مقزل من القزل بفتحتين وهو أسوأ العرج . وقد قزل[٤] بالكسر فهو أقزل، والقزَلان: العرَجان ، وقد قزَل بالفتح قزلاناً : إذا مشى مشية العرْجان . ولا حاجة إلى ادّعاء القلب ، لأن مادة (قلز) ثابتة مذكورة

٥٧

(١) هذا يصحح ما فى بغية الوعاة ٢٧٠ : « وقيل سنة خمس ومائة » .

(٢) نوادر أبى زيد ١٦٧ .

(٣) ط : « كالمشلول » ، صوابه من والنوادر ومما سيأتى من تفسير .

(٤) ط : « قزله » فى هذا الموضع وفى « مقلوبة من قزل » التالية ، صوابهما من

فى العباب والقاموس ، ولم يقل أحد إنها مقلوبة من قزل . ثم قال الأخفش : « روى لى ثعلب : مقلز الحجول بكسر الميم ، ولا وجه له عند أهل العربية ، لأنّ المقلز هو الحجول ، ولا يضاف الشىء إلى نفسه : والرفع فى الحجول أجود وإن كان الشعر يصير مُقوًى . وقد روى بالرفع . وفيه معهذا عيب ، وهو أنه حذف التنوين من مقلز لسكونها وسكون اللام . وحذف التنوين هو الذى شجّع من رواه مخفوضاً ولم يتأمّل المعنى ، والإقواء أصلح من الإحالة . انتهى .

أقول : هذا تطويل بلا طائل ، يعلم فسادُه ممّا قدمناه . على أن المقلز لم يقل أحد إنه بمعنى الحجول . و (البَغْى) هنا : الاختيال والمرح . و (المشكول) : الذى فى رجليه شِكال ، يقال : شكلته شكلاً من باب قتل : قيّدته بالشكال ، وشكلتُ الكتاب شكلاً : أعلمته بعلامات الإعراب . وقوله (بخطّ) الباء متعلقة بيحجل ، ويجوز أن يكون بمثناة تحتية مضارع خطّ ، فيكون ضميره المستتر للمقلز و (لام ألف) مفعوله . و (موصول) وصف اللام ، والصلة محذوفة أى موصول بها أى بالألف . و (الزاى والرا) منصوبان بالعطف على محل لام ألف . وقوله : (أيما تهليل) منصوب بفعل محذوف ، وما زائدة ، أى هلّل تهليلا أىّ تهليل ، وهو مصدر هلّل ، بمعنى نكَص وجبُن وفرّ و (خطاً) منصوب على المصدر التشبيهى ، أى بخط لام ألف كخط يد الكاهن المسئول منه التكهن . و (المستطرِق) : الكاهن الذى يطرق الحصى بعضَه ببعض ، والطرق : ضرب الكاهن الحصى ، وقد استطرقته أنا ، روى بكسر الراء وفتحها

وقد أورد هذه الأبياتَ ابن الأعرابى أيضاً فى نوادره . قال أنشدنيها المفضّل وذكر داراً خلت من أهلها فصار فيها الغربان والظباء والوحش . ثم قال : المستطرق : الذى يتكهّن ، فإذا سئل عن الشىء خَطّ فى التراب ونظر . وحكى عن أعرابى قال : عالجت جارية شابّة فإذا قَلَزَّة كأنها أتان وحش .

قال : القُلُزّة : الشديدة ، والقُلزّ : النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد . وقال أبو المنهال : هو القِلزّ ولم يعرف القُلُزّ : اهـ .

وروى (الحجول) بضمتين على أنه مصدر . وروى (نعبا) بدل بغيا ، بفتح النون وسكون العين المهملة بعدها موحدة ، وهو صوت الغراب . وروى (تفصيل) بدل تهليل .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد العاشر وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٠ (أحضُرَ الوغى)

وهو قطعة من بيت وهو :

(ألا أيُّهذا اللائمى أحضُرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللذات هل أنت مُخلدى)

على أن نصب (أن) المقدرة فى مثل هذا ضعيف وقال فى باب نواصب الفعل : نصبها فى مثله شاذ ، والكوفيون يجوّزون النصب فى مثله قياساً . ٥٨

أقول : ذهب الكوفيون إلى أنها تعمل محذوفة فى غير المواضع المعدودة . واستدلوا بهذا البيت فقالوا : الدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله :(وأن أشهد) فدل على أنها تنصب مع الحذف . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذفت ارتفع الفعل ؛ ومنه عند سيبويه قوله تعالى : « قل أفغير الله تأمرونِّى أعبد[2] » . وقالوا : رواية البيت عندنا إنما هى بالرفع ، فقال سيبويه أصله (أن أحضر) فلما حذفت

(١) سيبويه (١ : ٤٥٢)

(٢) الآية ٦٤ من سورة الزمر . وقرأ الحسن : « أعبد » بالنصب أيضاً ، كما فى الأشمونى ٣ : ٣١٥ .

(أن) ارتفع ؛ و (أن أحضر) مجرور بنى مقدرة و (أن أشهد) معطوف عليه . وقال المبرِّد : جملة أحضُر حال من الياء . و (أن أشهد) معطوف على المعنى ، لأنه لما قال أحضُر دل على الحضور كما تقول : من كذب كان شراً له ، أى كان الكذب . كذا نقلوا عنه ؛ ولئن صحت رواية النصب فهو محمول على أنه توهم أنه أتى بأن ، فنصب ، كقوله :

بدا لىَ أنّى لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا [١]

بجر (سابق) على توهم أنه قال : لست بمدرك ما مضى . وهذا لا يجوز القياس عليه .

وروى (ألا أيُّهذا الزاجرى) ، وروى أيضاً (ألا أيُّها اللاحىّ) بتشديد الياء . و (الوغى) : الحرب ، وأصله الأصوات التى تكون فيها ، وقال ابن جنى : الوغى بالمهملة : الصوت ، وبالمعجمة : الحرب نفسها . و (الشُّهود) : الحضور ، يقال : شهدت المجلس بمعنى حضرته . و (أخلده) : أبقاه .

ومعنى البيت : يامَنْ يلومنى فى حضور الحرب لئلا أقتل ، وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر ، ما أنت مخلدى إن قبلتُ منك ، فدعنى أنفق مالى فى الفتوّة ولا أخلّفه لغيرى .

صاحب الشعر

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد ، وهى إحدى المعلّقات السبع . ونذكر ترجمته وأخباره فى موضع آخر إن شاء الله تعالى[٢] . وبعد هذا البيت:

(فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ مَنيّتى فدرنى أبادرْها بما ملكتْ يدى)

---

(١) لزهير بن أبى سلمى أو لغيره . وهو الشاهد ٧٠٤ .

(٢) فى الشاهد ١٥٢ .

يقول : إن كنت لاتقدرُ أن تدفع موتى فذرنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالى . يريد أن الموت لابد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر :

١١ (أدنُو فأنظورُ)

وهو قطعة من بيت ثان[١] أنشدهما الفراء ، وهما :

(اللهُ يعلمُ أنّا فى تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُورُ

وأنّنى حوثُما يثنى الهوى بصرى من حوثما سلكوا أدنو فأنظورُ)

على أن الواو حاصلة من إشباع الضمة، وأصله أنظر . ويروى (إلى إخواننا) بدل أحبابنا . و (الصُّور) بصاد مهملة : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق من صَوِر[٢] يصوَر صوَراً بالتحريك : مال . وأصاره فانصار : أماله فمال . ويجوز أن يكون جمع (صُورة) ، أى إذا تلفتّنا إلى الأحباب عند رحيلهم فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح . و (أنّى) بفتح الهمزة . و (حوْث) ظرف مكان ، لغة فى حيث ، بتثليث الثاء فيهما ، وهو خبر أن . و (ما) زائدة . و (ثناه) : أماله . و (الهوى) : العشق ، وهو فاعل ، و (بصرى) مفعوله . أى أنا فى الجهة التى يُميل الهوى بصرى إليها . وقوله : (من حوثما) روى فى الموضعين (حيثما[٣]) متعلق بأدنو وبأنظر ، أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وروى ابن جنى فى سر الصناعة ،

(١) ش مع أثر إصلاح : « من ثانى بيتين » .

(٢) فى الأصل : « صار » .

(٣) وهى رواية الصاحبى ص ٢١ . وروى فى اللسان (شرى) :

وأننى حوثما يشرى الهوى بصرى من حيثما سلكوا أثنى فانظور

وفى الخصائص ، وفى المبهج : (يسرى) بدل يثنى ، وزاد فى المحتسب فقال : هكذا روى أبو على يسرى من سريت ، ورواه ابن الأعرابى (يُشرى) بالشين معجمة أى يعلّق ويحرّك المرى بصرى ؛ وما أحسن هذه الرواية وأظرفها ! انتهى .

أما الأول فهو مضارع سريت الثوب عنى سرْياً ، لغة فى سروته عنى سرواً بمعنى ألقيته . وأما الثانى فهو مضارع أشريته ، متعدى شرى البرق شرى من باب فرح ، إذا كثر لمعانه ، وشرى زمامُ الناقة إذا كثر اضطرابه ، وشرى الرجل واستشرى إذا لج فى الأمر . وقوله: (أدنو فأنظور) روى ابن جنى موضعه (أثنى فأنظور) ، أى أثنى عنقى فأنظر نحوهم ، من ثناه بمعنى لواهُ . قال أبو على ، وتبعه ابن جنى : لو سميت رجلا بأنظر لمنعته الصرف للتعريف ووزن الفعل ، ولو سميته بأنظور من قول الشاعر « أدنو فأنظور » لصرفته لزوال لفظ الفعل ، وإن كنا نعلم أن الواو إنما تولدت من إشباع ضمة الظاء وأن المراد عند الجميع : أنظر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر :

١٢ (ينباعُ من ذفْرى غَضُوبٍ جسرةٍ)

تمامه : (زيّافةٍ مثل الفنيق المُكدم)

على أن الألف تولدت من إشباع الفتحة ، والأصل ينبع ، كذا قال جماعة ؛ وقال ابن الأعرابى : ينباع ينفعل ، من باع يبوع إذا مرّ مرّاً ليّنا فيه تلوٍّ ، وأنكر أن يكون الأصل فيه ينبع ، وقال : (ينبع) يخرج كما ينبع الماء من الأرض ، ولم يرد هذا ، إنما أراد السّيلان وتلوّيه على رقبتها . وفى العباب :

وانباع العرق سال ، وأنشد هذا البيت ؛ وقال : ويروى (ينبعّ) ، وقيل ينبَع فتولدت الألف من إشباع الفتحة ، ويروى (ينهمّ) أى يذوب ، يقال همَّه المرضُ إذا أذابه ، وانهمّ الشحمُ والبرد : ذابا . وإنكار ابن الأعرابى رواية ينبع مردود برواية الثقات ؛ وقوله : ليس المراد ينبع الخ ، مردود أيضاً ، فإنّ (الذفرى) هو الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن . وفاعل ينباع ضمير عائد على الرُّب أو الكُحيل فى البيت السابق ، وجملة ينباع خبر كأنّ ، وهو :

(وكأنّ رُبًّا أو كُحيلا مُعقدا حشّ الوقودُ به جوانب قُمْقُم)

(الربّ) بضم المهملة معروف ، وهو شبيه الدِّبس و(الكُحيل) بضم الكاف وفتح الحاء المهملة : القطران ؛ شبّه عرق الناقة بهما . وقال الخطيب التبريزى : وقيل (الكحيل) هناء تُهنأ به الإبل من الجرب ، شبيه بالنِّفْط ، يقال له الخضخاض . وقال أبو جعفر النحوى : هو ردىء القطِران ، يضرب إلى الحمرة ثم يسودّ إذا عقد . وفى العباب : (الكحيل) مصغر : الذى يطلى به الإبل للجرب وهو النِّفْط ، قاله الأصمعى . قال : والقطران إنما يطلى به للدَّبر والقُراد وشبه ذلك ؛ وأنشد هذا البيت . و (معُقد) : اسم مفعول من أعقد ، وهو الذى أوقد تحته النارُ حتى انعقد وغلظ . قال فى الصحاح: «وعقد الرُّبُّ وغيره أى غلظ ، فهو عقيد ، أعقدته أنا وعقدته تعقيداً . قال الكسائى : يقال للقطِران والربّ ونحوه أعقدته حتى تعقّد » ، وهو وصف الثانى لا الأول فإن الربّ يكون معقداً . و (حشّ) بالحاء المهملة ، يقال ؛ حششت النار إذا أوقدتها . (والوقود) بفتح الواو : الحطب ، و (الوُقود) بالضم المصدر ؛ وهو فاعل حشّ . و (جوانب) مفعوله ؛ ويجوز أن يكون حشّ بمعنى احتشّ أى اتقد ، كما يقال : هذا لا يخلطه شىء بمعنى لا يختلط به ؛ فيكون (جوانب) منصوبا على الظرف ، كذا فى شرح أبى جعفر النحوى . و (القمقم) كهدهد : الجرة

٦٠

وآنية معروفة[1] . قال القاضى أبو الحسين الزوزنى فى شرحه : « شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل فى قمقم أو قدت عليه النار ، فهو يترشح به عند الغليان ، وعرق الإبل شبّه بهما وشبه رأسها بالقمقم فى الصلابة . وتقدير البيت : وكأن ربا أو كحيلا حشّ الوقود بإغلائه فى جوانب قمقم ، عرقُها الذى يترشح منها » اهـ . و (الذِّفرى) بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء ، من القفا : الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن ، يقال هذه ذفرى أسيلة ، لاتنوَّن لأن ألفها للتأنيث ، وبعضهم ينون ويجعل ألفها للإلحاق ، وهى مأخوذة من ذفَر العرق ، لأنها أول ما يعرق من الإبل الذفريان ، وأول ما يبدو فيه السمن لسانه وكرشه ، وآخر ما يبقى فيه السمن عينه وسُلاماه وعظام أخفافه . (والغَضُوب) بالغين والضاد المعجمتين قالوا : هى الناقة العبوس ، والمراد الناقة الصعبة الشديدة المراس ، قال الخطيب فى شرحه تبعاً لأبى جعفر : « الغضوب والغضبى واحد ، وغضوب للتكثير كما يقال ظلوم وغشوم » ، وروى شارح شواهد التفسيرين: (من ذفرى أسيل) ، قال : والأسيل من كل شىء : المسترسل الطويل السّهل . وهذه الرواية غير صحيحة ، لأنه إن كان بإضافة ذفرى إليه فكان يجب أن يقول أسيلة لأن كلامه فى الناقة بدليل ما بعده ، وإن كان الأسيل وصفاً للذفرى — وإن صح بتقدير ألفها للإلحاق — لكن تبقى الذفرى غير مقيدة . و (الجسرة) بفتح الجيم وسكون السين المهملة قال فى الصحاح : الجسر العظيم من الإبل ، والأنثى جسرة . وفى الشروح : (الجسرة) الماضية فى سيرها ، ومنه جسر فلان على كذا ، وقيل هى الضخمة

---

(١) وكذا فى القاموس ، ومثله فى المصباح : « والقمقم : آنية العطار . والقمقم أيضاً : آنية من نحاس يسخن فيه الماء ، ويسمى الحم كخفقم ، وأهل الشام يقولون غلاية » . وقد رأيت اشتراكهما فى تفسير القمقم وهو مفرد بأنه آنية ، والآنية جمع إناء . ففى عبارتيهما تجوز .

القوية . وروى بدله (حرة) والحر : الجيد الأصيل ، والخالص من كل شيء .
و (الزَّيَّافة) بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية والفاء ، مبالغة زائف ، وهو من زاف يزيف زيفاً وزيفانا إذا تبختر فى مشيته ، كذا فى العباب . وقال الخطيب : هى المسرعة . و (الفنيق) بفتح الفاء وكسر النون : الفحل . (المُكْدَم) : الذى لا يؤذى ولا يركب لكرامته على أهله ، والمكدم بضم الميم وسكون الكاف اسم مفعول ، قياسه أن يكون من أكدمه ، لكنهم[1] لم ينقلوا إلاّ كدمه ثلاثيا من الباب الأول والثانى[2] ، قالوا الكدم : العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار . والمكدَّم بالتشديد : المعضّض . وروى موضعه (المُقْرم) على وزنه ، وهو : البعير الذى لا يُحمل عليه ولا يذلّل ، وإنما هو للفِحلة بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة . قال الزوزنى : يقول : ينبع هذا العرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق ، شديدة التبختر فى سيرها ، مثل فحلٍ من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها بالفحل فى تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها .

صاحب الشاهد ٦١

وهذان البيتان من معلقه عنترة ، وهى من أجود شعره . وكانت العرب تسميها المذهبة[3] بصيغة اسم المفعول من الإذهاب أو التذهيب ، وهما بمعنى التَّمويه والتَّطلية بالذهب .

ومعنى المعلّقة : أن العرب كانت فى الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر

---

(١) فى النسختين : « لكونهم » والوجه ما أثبت .

(٢) يعنى بابى نصر وضرب .

(٣) وهذا غير الاصطلاح الذى جرى عليه ابو زيد القرشى فى تقسيم كتابه « جمهرة أشعار العرب » ، إذ جعل المذهبات لسبعة من الشعراء وهم عبد الله بن رواحة ، ومالك بن عجلان ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وابو قيس بن الأسلت ، وعمرو بن امرئ القيس .

فى أقصى الأرض فلا يُعبأ به ولا يُنشده أحدٌ، حتى يأتىَ مكة فى موسم الحج فيعرضه على أندية قريش، فإن استحسنوه رُوى وكان فخراً لقائله وعلّق على ركن من أركان الكعبة حتى يُنظر إليه، وإن لم يستحسنوه طُرح ولم يعبأ به. وأول من علق شعره فى الكعبة امرؤ القيس، وبعده علقت الشعراء. وعددُ من علّق شعره سبعة، ثانيهم طرَفة بن العبد، ثالثهم زُهير بن أبى سُلمى، رابعهم لبيد بن ربيعة، خامسهم عنترة، سادسهم الحارث بن حلّزة، سابعهم عمرو بن كلثوم التغلبى، هذا هو المشهور.

وفى العمدة لابن رشيق[1]: «وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب: إن أبا عبيدة[2] قال: أصحاب السبع التى تسمى السموط[3] امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة، قال: وقال المفضل: من زعم أن فى السبع التى تسمى السُّموط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل. فأسقطا من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حلزة، وأثبتا الأعشى والنابغة. وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر، فكتبت فى القباطى[4] بماء الذهب، وعلقت على الكعبة، فلذلك يقال: مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره، ذكر ذلك غير واحد من العلماء. وقيل: بل كان الملك إذا استجيدت قصيدةٌ يقول: علّقوا لنا هذه، لتكون

---

(١) العمدة ١ : ٦٠ — ٦١.

(٢) كذا خلط ابن رشيق بين قول أبى عبيدة والمفضل، ولم يطابق ما فى نص جمهرة أشعار العرب ص ٣٤ — ٣٥. وتبعه البغدادى دون رجوع إلى أصل الجمهرة.

(٣) فى ط وأصل س: «السمط»، وأثبت ما فى الجمهرة، وبذلك صححت أيضاً فى س.

(٤) القباطى: جمع قبطية بضم القاف على غير قياس النسب، وبكسرها على القياس، وهى ضرب من الثياب ينسب إلى القبط أهل مصر.

فى خزانته[١] » .

ونذكر إن شاء الله خبر كل واحد من أصحاب القصائد ، وأنسابهم ، والسبب الذى دعاهم إلى قول تلك القصائد ، عندما يأتى شعر كل منهم .

وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعةٍ منهم وأثبت مكانهم أربعة .

وروى أن بعض أمراء بنى أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسمّاها المعلقات .

والسبب الذى حمل عنترة على نظم هذه القصيدة : أنه كان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتّى سابّه رجل من قومه فعابه بسواده وسواد أمّه ، وأنه لا يقول الشعر ، فأجابه عنترة أبلغ جواب ـ نقله ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[٢] ـ وقال : أما الشعر فستعلم ! فقال هذه القصيدة .

ويستحسن منها قوله فى وصف روضة :

(وخلا الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفعل الشارب المترنِّمِ
هزِجاً يحُكّ ذراعه بذراعه فعلَ المكبِّ على الزِّناد الأجذمِ)

(البَراح) : الزّوال . و (الغرد) وصف من غرد ، من باب فرح ، إذا تغنّى . يقول : خلا الذباب بهذه الروضة فلا زال يرجّع صوته بالغناء كشارب الخمر . و (الهزَج) : تراكب الصوت . ومعنى يحكّ ذراعه بذراعه يمرّ إحداهما على الأخرى . و (الأجذم) بالمعجمتين : صفة المكبّ ، وهو المقطوع اليد ، شبّه الذباب إذا سنّ إحدى ذراعيه بالأخرى بأجذم يقدح ناراً بذراعيه ، وهذا من عجيب التشبيه ، يقال : إنّه لم يقل أحدٌ فى معناه مثله ، وقد عدّه

---

(١) إلى هنا ينتهى نقل البغدادى عن العمدة .

(٢) الشعر والشعراء ٢٠٥ — ٢٠٦ . وقد أغفله البغدادى هنا لطوله .

أرباب الأدب من التشبيهات العُقم ؛ وهى التى لم يسبق إليها ولا يقدر أحد
٦٢ عليها ، مشتق من الريح العقيم ، وهى التى لا تُلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ،
وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب ، وزاده اللطمَ فقال :

فعلُ الأديب إذا خلا بهمومه   فعلُ الذباب يزنّ عند فراغه[1]
فتراه يفرُك راحتيه ندامةً   منه ويُتبعها بلطم دماغه

ترجمة عنترة

وعنترة هو عنترة العَبْسى بن شدّاد بن عمرو بن قُراد ؛ قال الكلبى : شدّاد جدّه غلب على اسم أبيه ، وإنّما هو عنترة بن عمرو بن شداد . وقال غيره : شداد عمه ، تكفّله بعد موت أبيه فنسب إليه . ويقال : إن أباه ادّعاه بعد الكبر . وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها زَبيبة ، وكانت العرب فى الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أَمة استعبده . وكان لعنترة إخوة — من أمّه — عَبيدٌ . وكان سبب ادّعاء أبى عنترة إياه : أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم ، وفيهم عنترة ، فقال له أبوه : كُرّ يا عنترة . فقال : العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحِلاب والصر ! قال : كُرّ وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ ما فى أيدى القوم من الغنيمة ؛ فادّعاه أبوه بعد ذلك .

وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة . والثانى خُفاف كغراب واسم أمّه ندبة كتمرة ، والثالث السُّليك بالتصغير واسم أمه السُّلَكة بضم ففتح ، وأمهات الثلاثة سُود .

وكان عنترة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان شهد حرب داحسٍ والغبراء ، وحُمدت مشاهده فيها ، وقتل فيها ضمضما المرىّ :

(١) كذا فى النسختين . و « يزنّ » الوجه فيها يرن ، من الرنين أو الإرنان وهو الصوت . على أن الشعر يبدو أنه لمولد . وقد وردت « زن » بالزاى المعجمة فى المستطرف للأبشيهى ١ : ٣٥ فى الأمثال العامية « زنبور زن على حجر مسن » .

أبا الحصين بن ضمضم ، وأبا أخيه هرم ؛ ولذلك قال فى هذه القصيدة :

(ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تدُر للحرب دائرة على ابنَى ضمضم

الشاتمىْ عِرضى ولم أشتمهما والنّاذِرَيْن إذا لم آلقها دمى

إن يفعلا فلقد تركتُ أباهما جَزَرَ السباع وكلِّ نَسر قشم)

وهذا آخر المعلقة .

قال أبو عبيدة : إن عنترة ، بعد ما أوت عبس إلى غطفان بعد يوم جَبَلَة وَحَمْل الدماء احتاج ؛ وكان صاحبَ غارات ، فكبر وعجز عنها ، وكان له يدٌ على رجل من غطفان ، فخرج يتجازاه فمات فى الطريق .

ونقل عن أبى عبيدة أيضاً : أنَّ طيّئا تدّعى قتل عنترة، ويزعمون أن الذى قتله الأسد الرَّهيص[1] وهو القائل :

أنا الأسدُ الرهيص قتلت عمرا وعنترةَ الفوارس قد قتلتُ

والله أعلم . والعنتر[2] فى اللغة: الذباب الأزرق ، الواحد عنترة ؛قال سيبويه: نونه ليست بزائده .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر :

١٣ (فى كِلتَ رجلَيها سلامَى زائدهْ كِلتاهما قد قُرِنتْ بواحدهْ[3])

على أن (كلت) أصلها كلتا ، حذفت ألفها ضرورة ، وفتحة التاء دليل عليها ، رأيت فى حاشية الصحاح : أن هذا البيت من رجز يصف به نعامة ،

(١) فى الاشتقاق ٢٨٠ بتحقيقنا : « قتله طيء فيما تزعم العرب وعامة العلماء . وكان أبو عبيدة ينكر ذلك ويقول : مات بردا وكان قد أسن » .

(٢) فى النسختين : « العنترة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) أنشده فى اللسان (كلا) .

فضمير (رجليها) عائد على النعامة . و (السُّلامى) على وزن حُبارى : عظمٌ في فِرسِنِ البعير ، وعظامٌ صغار طولَ إصبع أو أقل في اليد والرجل ، والجمع سُلامَيات. والفِرسن بكسر أوّله وثالثه، هو للبعير بمنزلة الحافر للفرس. والضمير في (كلتاهما) للرجلين . وقوله (في كلت) خبر مقدّم ، والكسرة مقدرة على الألف المحذوفة ، و (سلامى) مبتدأ مؤخر . و (زائدة) وصفه و (كلتاهما) مبتدأ ، وما بعده الخبر .

٦٣

وهذا المصراع تأكيد للأول ، وفيه قلب : بجعل المجرور والمرفوع في الأول مرفوعا ومجرورا في الثاني ، أي قرنت بواحدة من السلاميات .

وأورده الشارح ـ مرة ثانية هنا ـ على أن الكوفيين زعموا أن كلت مفرد كلتا ، لكن هذا المفرد لم يستعمل ويجوز استعماله للضرورة ، كما في هذا البيت؛ أقول : (الكوفيون) ذهبوا إلى أنّ كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصلهما (كُلّ) فكسرت الكاف وخففت اللام وزيدت الألف للتثنية والتاء للتأنيث . وقد بين الشارح مذهبهم ؛ واستدلوا على أنهما مثنَّيان لفظاً ومعنى وأن ألفهما للتثنية ، بالسماع والقياس . أمَّا السماع فنحو هذا البيت ، فأفرد كلت وهي بمعنى إحدَى ، فدل عن أنّ كلتا تثنية وأما القياس فقالوا : الدليل على أنّ ألفهما للتثنية ، أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أضيفا إلى المضمر ، ولو كانت ألف قصر لم تنقلب .

وذهب (البصريون) إلى أنهما ليستا بمأخوذتين من كلّ ، لأنّ كلاًّ للإحاطة ، وهما لمعنًى مخصوص ، ليس أحد القبيلين مأخوذاً من الآخر ، بل مادّتهما الكاف واللام والواو وهما مفردان لفظاً مثنَّيان معنى ، والألف في كِلا كألف عصا وفي كلتا للتأنيث ، ويدلّ لما قالوا عود الضمير إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ، وقد اجتمعا في قوله :

كلاهما حين جدَّ الجرىُ بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى[1]

ولو كانا مثنيين حقيقة لَزِمَهم أمران :

الأول : كان يجب عود الضمير إليهما مثنى ، مع أن الحمل على اللفظ فيهما أكثر من الحمل على المعنى ؛ ونظيرهما كلّ ، فإنه يجوز عود الضمير إليها مفرداً بالنسبة إلى لفظها ، نحو كل القوم ضربته ، وعوده جمعاً بالنسبة إلى معناها نحو كل القوم ضربتهم ، لكن الحمل على المعنى فيه أكثر من الحمل على اللفظ ، عكس كلا وكلتا .

الثانى : كان يمتنع نحو كِلا أخويك ، لأنه يلزم إضافة الشىء إلى نفسه . ويدل على أن ألفهما ألف مقصورة إمالتُها : كما قرأ حمزة والكسائى وخلف ، بإمالة قوله تعالى : « إمَّا يبلُغنَّ عِندكَ الكِبَرَ أحَدُهما أو كِلاهُما » ، وقوله تعالى : « كِلْتا الجنّتين آتتْ أُكُلَها » ، فلو كانت للتثنية لما جاز إمالتُها .

وأجابوا عن الدليل الأوّل بأنه لاحجة فى البيت فإن أصله كلتا ، حذفت الألف ضرورة واكتفى عنها بفتحة التاء ، كما قال الشاعر :

* وصّانِىَ العجاج فيما وصَّنى[2] *

أراد وصَّانى . وقال الآخر :

فلستُ بمدركٍ ما فات منى بلهفَ ولا بليتَ ولا لوَ انى

أراد بلهفى ، فحذفت الألف منهُما ضرورة ، ومثله كثير .

أقول : استدلالهم بهذا البيت على الإفراد يردُّه معناه ، فإن المعنى على التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثانى ، فتأمل .

(١) البيت للفرزدق فى ديوانه ٣٤ ونوادر أبى زيد ١٦٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٨٨ .
(٢) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٧ .

وأجابوا عن الدليل الثانى بأنها إنما قلبت فى حال الإضافة إلى المضمر لوجهين :

٦٤

أحدهما : أنّه لما كان فيهما إفرادٌ لفظى وتثنية معنوية ، وكانا تارة يضافان إلى المظهر وتارة إلى المضمر ، جعلوا لهما حظًّا من حالة الإفراد وحظًّا من حالة التثنية . وإنّما جعلوهما مع الإضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد لأن المفرد هو الأصل ؛ وجعلوهما مع الإضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية لأن المضمر فرع والتثنية فرع ، فكان الفرع أولى بالفرع .

والثانى : أنه إنما لم تقلب ألفهما مع المظهر لأنّهما لزمتا الإضافة وجر الأسم بعدهما ، فأشبهتا لدى ، وإلى ، وعلى . وكما أنّ هذه الثلاثة لاتقلب ألفها مع المظهر وتقلب مع المضمر ، كان كلا وكلتا كذلك . ويدل على صحة ذلك أن القلب فيهما يختص بحالة النصب والجر دون الرفع ، لأنّ لديك إنّما تستعمل فى حالة النصب والجر ، دون الرفع ، فلهذا المعنى كان القلب مختصا بهما دون حالة الرفع .

قال ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف[1] : وهذا الوجه أوجه الوجهين ، وبه علل أكثر المتقدمين . قال : والدليل على أنّ الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية لانقلبت فى حالة النصب والجر إذا أضيفتا إلى المظهر ، لأن الأصل هو المظهر والمضمر فرعه ، فلما لم تنقلب دل على أنها ألف مقصورة لا أنها للتثنية . والله أعلم .

هذا وقد قال أبو حيان فى تذكرته : « هذا البيت من اضطرار الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا ، بل هُوَ جاء بمعنى كِلا ، غير أنه أسقط الألف اعتماداً

---

(١) الإنصاف ص ٢٦٤ .

على الفتحة [(١)] التى قبلها ، وعملا على أنها تكنى من الألف الممالة إلى الياء . وما من الكوفيين أحد يقول : كلت واحدة كلتا ، ولا يدعى أنّ لكلا وكلتا واحداً منفرداً فى النطق مستعملاً . فإن ادّعاه عليه مدّع فهو تشنيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم » . انتهى .

ويؤيده ما رأيته [(٢)] فى معانى القرآن للفرّاء عند تفسير قوله تعالى « كِلتا الجَنَّتين آتتْ أُكُلها » ؛ وهذه عبارته : وقد تُفرد العرب إحدى كلتى بالإمالة، وهم يذهبون بإفرادها إلى اثنيتّيها . وأنشدنى بعضهم :

فى كلت رجليها سُلامى واحده كلتاهما قد قُرنت بزائده

يعنى الظليم ، يريد بكلت كلتى [(٣)]

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع عشر :

١٤ (كِلتَ كفّيه تُوالى دائماً بجيُوش من عِقابٍ ونِعَمْ)

على أن (كِلت) مفرد كلتا عند الكوفيين . والكلام عليه كالكلام على البيت الذى قبله . ووالى بين الأمرين موالاة ووِلاء : تابعَ . والجيش : الجندُ ، وقيل : الجند السائر لحرب أو غيرها . والعقاب : النّكال . والنِّعم : جمع نِعمة ، وهو المال هنا : والظاهر أن مراد الشاعر : أنّ إحدى يديه تفيد النعم لأوليائه ، والأخرى توقع النقم بأعدائه ، كما قال آخر :

يداك : يدٌ خيرُها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظه

---

(١) فى النسختين : « الكسرة » ، وصححت فى حاشية ش : « الفتحة » .
(٢) ط : « على ما رأيته » ، والوجه إسقاط « على » كما فى ش .
(٣) ط : « كلتا » ، ووجه كتابتها من ش.

وحينئذ فلا يتأتى قول الكوفيين إن (كِلت) هنا بمعنى إحدى؛ فوجب أن يكون أصله كلتا، حذفت الألف ضرورة، كما تقدم بيانه فى البيت السابق. وفيه أيضاً مانقلناه.

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس عشر :

٦٥ ١٥ (كِلانا إذا مانال شيئاً أفاتَه)

تمامه :

(ومَنْ يحترِثْ حَرْثى وحَرثَكَ يُهزَلِ)

على أنَّ (كلا) و (كلتا) لو كانتا مثنيين حقيقة لم يجزْ عود ضمير المفرد إليهما، كما عاد ضمير نال المفرد إلى (كلا) فى هذا البيت، فلما عاد إليها ضمير المفرد علم أنها مفردة لفظاً مثناة معنًى، فعاد إليها باعتبار اللفظ، وهو الكثير. ويجوز أن يثنى الضمير العائد إليها باعتبار المعنى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات أربعة رواها الرُّواة لتأبط شرًّا، منهم الأصمعى، وأبو حنيفة الدِّينَوَرىّ فى كتاب النبات، وابن قتيبة فى أبيات المعانى[1]. وخالفهم أبو سعيد السكّرى، وزعم أنها لامرئ القيس، ورواها فى معلقته المشهورة بعد قوله :

(كأنّ الثرّيّا علِّقت فى مَصامِها[2] بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ)

والأبيات هذه :

(وقِربةِ أقوامٍ جعلتُ عصامَها على كاهل منّى ذَلول مرحَّلِ

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة ٢٠٩ .

(٢) ط : « مصامه » تحريف .

ووادٍ كجَوْفِ العَير قفرٍ قطعتُه ... به الذئبُ يعوى كالخليع المعيَّلِ
فقلتُ له لما عوى : إنّ شأننا ... قليل الغنى إن كنت لمَّا تَموَّلِ
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ... ومَنْ يحترِث حرثى وحرثك يهْزُلِ)

وهذا الشعر أشبه بكلام اللص والصُّعلوك ، لا بكلام الملوك .

الواو واو رُبَّ . والعصام : الحبل الذى تحمل به القربة ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره . والكاهل : موصل العنق والظهر . والذَّلول : فعول من ذلَّت الدابة ذِلاًّ بالكسر : سهلت وانقادت ، فهى ذلول . والمرحَّل : اسم مفعول من رحَّلته ترحيلا ، إذا أظعنته من مكانه وأرسلته . يصف نفسه بأنه يخدم أصحابه .

قوله : (و وادٍ كجوف العير . . الخ) الواو حرف عطف ، عطفت على مجرور واو رب ، وجوف العير فيه قولان :

أحدهما : أنه مَثلٌ لما لا ينتفع منه بشيء . قال أبو نصر : والعَير عند الأصمعى الحمار ، يُذهَب به إلى أنه ليس فى جوف الحمار شيء يؤكل وينتفع به إذا صيد ، فجوف الحمار عندهم بمنزلة الوادى القفر . وفى كتاب العشرات للتميمى[1] : فى المثل : تركه جوفَ حمار ، أى ليس فيه ما ينتفع به .

الثانى : أن العَير رجل من العمالقة ، وقيل مِن عاد ، كان له بنون ووادٍ خصيب وكان حسنَ الطريقة ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم فكفر بالله وقال : لا أعبدُ ربًّا أحرق بَنىَّ ! وأخذ فى عبادة الأصنام ، ودعا قومه إليها فمن أبى قتله ، فسلط الله على واديه ناراً ، فأهلكه وأخرب واديه . والوادى ، بلغة اليمن : الجوف .

(١) ذكر فى كشف الظنون كتاب العشرات لابن خالويه ، ولم يذكر كتاب التميمى ،

قال حمزة الأصبهانى فى أمثاله : قال أبو نصر : قال الأصمعى : حدثنى ابن الكلبى عن فَروة بن سعيد عن عفيف الكندى : أنّ هذا الذى ذكرته العرب كان رجلاً من بقايا عاد ، يقال له : حِمار بن مُوَيْلِع ، فعدلت العرب عن ذكر الحمار إلى ذكر العَير لأنه فى الشعر أخف وأسهل مخرجاً . اهـ .

وقد ضربت العرب المثل به فى الخراب والخلاء فقالوا : « أخرب من جوف حمار » . و « أخلى من جوف حمار » . قال الشاعر :

٦٦ وبشؤم البغى والغَشم قديماً ما خلا جوفٌ ولم يبق حمار [1]

وقالوا أيضاً : أكفر من حمار . وقال بعضهم : أراد بجوف العير وسط السيف . والعير : وسط السيف .

والخليع ، قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى : هو الذى قد خلعه أهله لجناياته. والمعيَّل : الذى تُرك يذهب ويجىء حيث شاء . وقال الخطيب التبريزى : « الخليع: المقامر ، ويقال : هو الذى خلع عذاره فلا يبالى ما ارتكب. والمعيَّل : الكثير العيال ، وأراد يعوى عواء مثل عواء الخليع [2] » . وقوله : « إن كنتَ لما تموّل » لما نافية ، وتموّل : مضارع محذوف منه التاء ، الماضى تموّل [3] إذا صار ذا مال . ومثله مال الرجل يمول ويَمال مَولا ومُؤولا . يقول : إن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك فإن شأننا قليل الغنى : أى أنا لا أغنى عنك وأنت لا تغنى عنى شيئاً ، أى أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له . ومن رواه «طويل الغِنى» أراد : همّتى تطول فى طلب الغنى . وروى ابن قتيبة :

وقلت له لما عوى إن ثابتاً [4] *قليلُ . . . . الخ

---

(١) معجم البلدان فى رسم (جوف) .

(٢) النقل من التبريزى بتصرف ، والنص فيه : « والكاف منصوبة بيعوى » .

(٣) ط : « ماضى تمول » ، صوابه فى س .

(٤) فى النسختين : « إن شأننا » صوابه فى المعانى الكبير حيث عقب على النص ابن قتيبة بقوله : « وثابت : اسم تأبط شرا » .

وقوله : (كلانا إذا ما نال) إلخ ، نال ينال نيلا : أصابه . وأفاته : فوّته ولم يدّخره . ورواه ابن قتيبة :

* كلانا مُضِيعٌ لا خِزانة عنده *

والمضيع ، مِن أضاع المال بمعنى أهلكه .

وروى الدينوَرىّ :

* كِلانا مقلٌّ لا خِزانةَ عنده *

وقال : يقال للعمل فى الحرث — لزرعٍ كان أو لغرس — الحراثة والفِلاحة والإكارة ، ثم قيل للعمل فى كلّ شىء حرث ، فقيل : فلان يحرث لآخرته . يقول : من يكسب كسبى وكسبك لا يستغنى ، لأنه يعيش من الخلس ولا يقتنى .

وقال الخطيب التبريزى : « أى من طلب منى ومنك شيئاً لم يدرك مراده. وقال قوم : معناه مَن كانت صناعته وطلبته مثل طلبتى وطلبك فى هذا الموضع مات هزالا ، لأنهما كانا بواد لا نبات فيه ولا صيد » .

ترجمة تأبط شرًا

و (تأبط شرًّا) اسمه ثابت ، وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان[1] ابن عَميثل بن عدىّ بن كعب بن حرب بن تَيم بن سعد بن فَهم بن عمرو ابن قيس عيلان . وأمه أميمة من قين : بطن من فهم .

وفى تلقيبه بتأبط شراً أربعة أقوال :

أحدها : وهو المشهور ، أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لا أدرى ، تأبط شرا وخرج .

---

(١) انظر نسبه فى جمهرة ابن حزم ٢٣٢ والأغانى ١٨ : ٢٠٩ والشعر والشعراء ٢٧١ والاشتقاق ١٦٢ — ١٦٣ .

الثانى : أن أمه قالت له فى زمن الكمأة : ألا ترى غلمانَ الحى يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها ! فقال لها : أعطينى جرابك حتى أجتنى لك فيه . فأعطته فملأه لها أفاعى من أكبر ما قدَر عليه ، وأتى به متأبطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فسَعين بين يديها فى بيتها ، فوثبتْ وخرجت منه ؛ فقال لها نساء الحى : ما ذا كان الذى تأبطه ثابتٌ اليوم ؟ قالت : تأبط شراً .

الثالث : أنه رأى كبشاً فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول طول الطريق عليه ، فلما قرب من الحى ثقُل عليه حتى لم يُقلّه ، فرمى به فإذا هو الغول ! فقال له قومه : بم تأبطت يا ثابت ؟ فأخبرهم ، فقالوا : لقد تأبط شراً .

الرابع : أنه أتى بالغول فألقاه بين يديها ، فسئلت أمه عما كان متأبطاً ، فقالت ذلك ؛ فلزمه .

وكان أحدَ لصوص العرب يغزو على رجليه وحده ، وكان إذا جاع نظر إلى الظباء فينتقّى على نظره أسمنَها ، ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه .

وترجمته مذكورة فى الأغانى بحكايات كثيرة يتعجب منها العقل لغرابتها .

وقيس عَيلان تركيب إضافى لأن عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه بعض الناس ، كذا فى القاموس وغيره . وهو بفتح العين المهملة ، وليس عيلان فى لغة العرب غيره وما عداه غيلان بالمعجمة . وقيس : أبو قبيلة من مضر ، واسمه الناس بن مضر بن نزار ، وقيس لقبه . يقال : تقيّس فلان ، إذا تشبّه بهم أو تمسَّك منهم بسبب ، إمّا بحِلْف أو جوار أو وَلاء . قال رؤبة : ٦٧

* وقيسَ عَيلان ومن تقيّسا *

ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقى قال ، عند بيت رؤبة هذا : قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه الناس بالنون ، وأخوه

الياس[1] بالياء وفيه المدد . وكان الناسُ متلافا ، وكان إذا نفد ما عنده أتى أخاه الياس فيناصفه ماله أحيانا ويواسيه أحيانا ، فلما طال ذلك عليه وأمّله كما كان يأتيه قال له الياس : غلبتْ عليك العَيلة فأنت عَيلان ، فسمّى لذلك « عيلان » وجُهل « الناس » . ومن قال قيس بن عيلان فإنّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبه اهـ .

ومثله فى الأنساب للكلبي ، قال : كان عيلان عبداً لمضر فحضن ابنه الناس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر ، وهو من شواهد س[2] :

١٦ (فلا أعنِي بذلك أسفَليكم ولكنّى أريدُ به الذّوِينا) .

على أنّ (الذوين) داخلٌ فى حدّ الجمع المذكور على أىّ وجه كان ، لأن واحده ذو .

وأنشده[3] أيضاً فى آخر باب الإضافة على أن قطع (ذو) وإدخال اللام عليه شاذ ، وذلك لإجرائه مجرى صاحب .

وأنشده أيضاً فى باب جمع المذكر السالم على أنه لو اعتبر اللام أى لام الفعل لقال الذّوَين كالأعلين ، فإن ذو مفتوح العين عند س .

قال أبو على الفارسى فى الإيضاح الشعرى : « كسر العين من الذوِين

---

(١) الأصح أن همزته همزة وصل . وقد يقال « إلياس » بقطع الهمزة . انظر الروض الأنف للسهيلى ١ : ٧ . ومن شواهد الوصل قوله :

إنى لدى الحرب رخى اللبب أمهتى خندف والياس أبى

(٢) كتاب سيبويه ٢ : ٤٣ .

(٣) فى النسختين : « وأنشد » .

وكان حقها أن تفتح ، لأن ذوين جمع ذَوًى ، وقد ثبت بـ « ذواتا أفنان[1] » أن العين مفتوحة » اهـ .

قال فى الصحاح : « ولو سمَّيتَ رجلا ذو لقلت هذا ذَوًى قد أقبل ، فترد ما ذهب منه ، لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين ، لأن التنوين يذهبه فيبقى على حرف واحد » .

وأنشده س أيضاً فى باب تغيير الأسماء المبهمة[2] إذا صارت أعلاماً خاصة فإنه جمع ذو جمعا سالماً وأفرده من الإضافة وأدخل عليه اللام وجعله اسما على حياله .

قال فى الصحاح : « ولو جمعت ذو مال لقلت هؤلاء ذوون ، لأن الإضافة قد زالت . وأنشد بيت الكميت وقال : أراد أذواء اليمن[3] .

وكذلك قال أبو البقاء فى شرح الإيضاح النحوى للفارسى : إنما جاز هذا لأنه أراد ملوك اليمن فقد أخرجه إلى باب المفرد ، ولذلك قالوا : الأذواء فى هؤلاء .

لكن قال أبو بكر الزبيدى فى كتاب لحن العامة : « لا يجوز أن تدخل اللام على (ذو) ولا على (ذات) فى حال إفراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف إلى المضمرات ، وإنما تقع مضافة إلى الظاهر . وقد غلط فى ذلك أهل الكلام وأكثر النحويين من الشعراء والكتاب والفقهاء . فأما قولهم فى ذى رُعين ، وذى أصبَح ، وذى كلاع : الأذواء ، وقوله :

---

(١) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

(٢) ط : « المشبهة » ، صوابه فى س . وانظر سيبويه ٢ : ٤٢ .

(٣) نص الصحاح : « يعنى به الأذواء ، وهم ملوك اليمن من قضاعة المسمون بذى يزن ، وذى جدن ، وذى نواس ، وذى فائش ، وذى أصبح ، وذى الكلاع ، وهم التبابعة » .

* ولكني أريد به الذوينا *

فليس من كلامهم المعروف ، ألا ترى أنك لا تقول هؤلاء أذواء الدار ولا مررت بأذواء المال . وإنما أحدث ذلك بعض أهل النظر ، كأنه ذهب إلى جمعه على الأصل ، لأن أصل ذو (ذَوَى) فجمعه على أذواء ، مثل قفا وأقفاء . وكذلك الذوون ، كأنه جمعه مفردا وأخرجه مُخرج الأذواء فى الانفراد ، وذلك غير مقول ، لأن ذو لا تكون إلا مضافة ، وكما لا يجوز أن تقول هذا (الذو) و (الذوان) فتفرد ، فكذلك لا تقول الأذواء ولا الذوون ، لأن ذو لا تكون إلا مضافة وكذلك جمعها » اهـ .

٦٨

والصحيح عند س ومن تبعه جواز جمع (ذو) فى نحو ذى رعين : مما هو جزء علم على الأذواء والذوين كما فى شعر الكميت ، وهو عربى فصيح . ومراد الزبيدى بتغليط من ذكر : أنهم يقولون الذات وذاته ، فيدخلون اللام عليه ويضيفونه إلى الضمير وهو مؤنث ذو ، وهذا جائز أيضاً وإنْ توقّف فيه أكثر الناس ، فإن الذات قد أجرى مُجرى الأسماء الجامدة ، فإن المراد به حقيقة الشىء ونفسه ، من غير ملاحظة موصوف يجرى عليه .

قال الزركشىّ فى تذكرته : « سئل الزمخشرىّ عن إطلاق الذات على الله عز وجل ، فأجاب بأنها تأنيث ذو بمعنى صاحب ، وهى موضوعة ليوصف بها ما تلبَّس[1] بما يلزمها الإضافة إليه من الأجناس فى نحو قولهم : رجل ذو مال وامرأة ذات جمال ، ثم قطعت عن مقتضاها وأجريت مُجرى الأسماء الجوامد ، فلا تلزم الإضافة ولا الإجراء على موصوف ، وعُنى بها نفس البارى وحقيقته ، وأصلها فى التقدير نفسٌ ذات علم وغيره من الصفات ، ثم استغنى بالصفة عن الموصوف ، ومثله كثير . وحُذف المضاف إليه لإرادة التعميم كما تحذف المفاعيل . فإن قلت : كيف جاز إطلاقه على الله مع ما فيه من التأنيث ،

(١) تلبس بالشىء : تعلق به ، كما فى اللسان (لبس) .

وهم يمنعون إطلاق (العلاّمة) عليه مع أن تاءه للمبالغة لما فيه من الإيهام ؟ قلتُ: ساغ من حيث ساغ النَّفْس والحقيقة ، ووجهه أن امتناع علامة لأنه صفة حُذى بها حذو الفعل فى التفصلة بين المذكر والمؤنث ، بخلاف الأسماء التى لا تجرى على مَجرى الأفعال فى الفرق ، فلما انسلكت الذات فى مسلك الأسماء جرت مجرى النفس والحقيقة . فإن صحَّ ما حكى عن العرب من قولهم :جعل الله مابيننا فى ذاته . وعليه بنى حَبيبٌ[١] قوله :

* ويَضرِبُ فى ذات الإله فيوجِع[٢] *

فالكلمة إذن عربية ، وعلى ذلك استعمال المتكلمين » اهـ .

واعلم أن استشهادهم بشعر حَبيبٍ وبما وقع فى الحديث من قوله : « ثلاث كذبات فى ذات الله » لتصحيح هذه اللفظة ، فيه أن بعض المحققين قال : ليس معناه ما ذكروه ، وإنما معنى (ذات) فيه أمور تستند إلى الله مما أراده وأوجبه على عباده ، من طاعته وعبادته والإيمان به ، ونحو ذلك ، وهو المتبادر منه بشهادة السياق والتأمل الصادق .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة الكميت بن زيد ، هجا بها أهل اليمن تعصبا لمضر . وسيأتى فى الشاهد الرابع والعشرين سبب عصبيته لمضر ونظمه لهذه القصيدة .

يقول : لا أعنى بهجوى إياكم أراذلكم وإنما أعنى عِلْيتكم وملوككم . وروى :

---

(١) فى النسختين : « خبيب » مع ضبطه فى ب بهيئة التصغير ، وإنما هو حبيب ابن أوس الطائى .

(٢) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه ١٩١ وصدره :

* يقول فيسمع ويمضى فيسرع *

والقول مقتبس من كلام عائشة رضى الله عنها إذ تقول فى صفة أمير المؤمنين عمر : « وإذا ضرب فى ذات الإله أوجع » . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢ .

لم أقصد بذلك أسفليكم ولكنى عَنَيتُ به الذَّوينا[1]

يقال : عنيته عَنيا من باب رمى : قصدته . فمفعوله (أسفليكم) وهو جمع مذكر سالم . واعتنيت بأمرى : اهتممت واحتفلت . وعَنيت به أعنى ، من باب رمى أيضاً عناية كذلك . وأما المبنىّ لمفعول نحو عُنيت بأمر فلانٍ عناية وعُنِيًّا فهو بمعنى شُغلتُ به . ولتُعن بحاجتى ، أى لتكن حاجتى شاغلةً لسرِّك . وربما قيل عَنيت بأمره بالبناء للفاعل . كذا فى المصباح . والأسفلون : جمع أسفل ، وهو خلاف الأعلى . يقال : سفَل سُفولا من باب قعد ، وسفُل من قرب لغة : صار أسفل من غيره . وسفَل فى خلقه وعلمه سَفْلا من باب قتل وسَفالا والاسم السُّفل بالضم . ومنه قيل للأراذل سَفِلة بفتح السين وكسر الفاء ، ويجوز التخفيف بنقل الكسرة إلى ما قبلها . وأراد بالذوين الأذواء ، وهم ملوك اليمن المسمَّون بذى يزن ، وذى جدن ، وذى نواس ، وهم التبابعة . ٦٩

وقال ابن الشجرى فى أماليه[2] ، وأذواء اليمن منهم ملوك ومنهم أقيال ، والقيل دون الملك . ثم سرد من سُمى بذى كذا من ملوك اليمن ، وبالغ فى جمعها وشرحها ، فمن أرادها فلينظر ثمة .

من اسمه الكميت

ومن يقال له الكميت من الشعراء كما فى المؤتلف والمختلف للآمدى ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة .

أولهم : الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة[3] . ابن الأشتر ابن جحوان — بتقديم المعجمة — ابن فقعس .

والثانى : الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر .

---

(١) كذا بالخزم .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ – ١٧٤ .

(٣) فى النسختين : « فضلة » صوابه بالنون ، كما فى المؤتلف ١٧٠ .

الثالث : هو صاحب الشاهد ، وهو الكميت بن زيد بن الأخنَس ابن مُجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن دويبة [١] بن عمرو ابن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . وهو كوفى شاعر مقدم عالم بلغات العرب،خبير بأيامها ، ومن شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارعين العالمين بالمثالب [٢] ، يقال :ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ماجمع الكميت ، فمن صحَّح الكميتُ نسبَه صحَّ ، ومن طعنَ فيه وهَن .

وسئل مُعاذُ الهراء عن أشعر الناس فقال : من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعَبيد بن الأبرص ، ومن الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل. فقيل له : يا أبا محمد، مارأيناك ذكرت الكميت ! قال : ذاك أشعرُ الأوَّلين والآخرين .

وقال أبو عِكرمة الضبِّىّ : لولا شعر الكميت لم يكن للغة تُرْجُمان ، ولا للبيان لسان . يقال : إنّ شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت .

وقال أبو عبيدة : لو لم يكن لبنى أسد منقَبة غير الكميت لكفاهم ، حبَّبهم إلى الناس وأبقى لهم ذكراً .

وقال بعضهم : فى الكميت خصال لم تكن فى شاعر . كان خطيب بنى أسد ، وفقيهَ الشيعة ، وحافظ القرآن ، وكان ثَبْت الجَنان ، وكان كاتباً حسن الخطّ ، وكان نسابة ، وكان جَدليّاً .

وهو أول من ناظر فى التشيُّع مجاهراً بذلك ، وله فى أهل البيت القصائد المشهورة ، وهى أجود شعره .

وكان فى صغره ذكيًّا لوذعيًّا . يقال إنه وقف وهو صبى على الفرزدق

---

(١) فى الأغانى ١٥ : ١٠٨ والمؤتلف : « ذؤيبة » .

(٢) فى الأغانى ١٥ : ١٠٩ : « المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بها » .

وهو ينشد ، فأعجبه سماعه ، فلما فرغ قال : ياغلام كيف ترى ما تسمع ؟ قال : حسنٌ ياعمّ . قال : أيسرك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أبغى به بدلا ، ولكن يسرنى أنك أمى ! فحَصِر الفرزدق وقال : ما مرّ بنا مثلها .

وحكى صاعد ، مولى الكميت ، قال : دخلتُ مع الكميت على علىّ ابن الحسين رضى الله عنه فقال : إنى قد مدحتك بما أرجو أن يكون لى وسيلةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أنشده قصيدته التى أولها :

من لقلبٍ متيَّمٍ مستهامِ غيرِ ما صبوةٍ ولا أحلامِ

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجزُ عنه ، ولكن ماعجزنا عنه فإن الله لا يعجِز عن مكافأتك : اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت . ثم قسّط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له : خذ ياأبا المستهلّ . فقال له : لو وصلتنى بدانق(١) لكان شرفًا لى ولكن إنْ أحببت أن تحسن إلىّ فادفع إلىّ بعض ثيابك التى تلى جسدَك أتبرّكْ بها. فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلَّها ، ثم قال : اللهم إنَّ الكميت جادَ فى آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنّ الناس ، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ ؛ فأحيِهِ سعيداً ، وأمِتْه شهيداً ، وأرِهِ الجزاءَ عاجلا ، وأجزل له جزيل المثوبة آجلا ؛ فإنّا قد عجزنا عن مكافأته . قال الكميت : مازلت أعرف بركة دعائه . ٧٠

وحدّث محمد بن سهل قال : دخلت مع الكميت على جعفرٍ الصادق فى أيام التشريق فقال : جعِلْتُ فداءك ، ألا أنشدك ؟ قال : إنها أيامٌ عظام . قال : إنها فيكم . قال : هات . فأنشده قصيدته التى أولها :

ألا هل عَمٍ فى رأيه متأملُ وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ

---

(١) الدانق ، بفتح النون وكسرها : سدس الدرهم ، معرب « دانه » .

وهل أمة مستيقظون لدينهم فيكشف عنه النعسة المتزمِّل(١)
فقد طال هذا النومُ واستخرج الكرى مساويَهم لو أنَّ ذا الميل يُعْدَلُ
وعُطِّلت الأحكام حتّى كأننا على ملة غير التي نتنحّل
كلامُ النبيين الهُداةِ كلامُنا وأفعالَ أهل الجاهلية نفعل
رضينا بدُنيا لا نريد فراقَها على أننا فيها نموت ونُقتَلُ
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جُنَّةٌ مما نخافُ ومَعقِل

فكثر البكاء ، وارتفعت الأصوات ؛ فلما مر على قوله فى الحسين رضى الله عنه :

كأنَّ حُسيناً والبهاليلَ حولَه لأسيافهم ما يختلى المتبقِّل(٢)
وغاب نبىّ الله عنهم ، وفقدُه على الناس رُزْءٌ ما هناك مُجلَّلِ
فلم أر مخذولاً أجلَّ مصيبة وأوجبَ منه نُصرة حين يُخذَل(٣)

فرفع جعفرٌ الصادق رضى الله عنه يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ماقدم وما أخر ، وما أسرّ وما أعلن ، وأعطه حتى يرضَى . ثم أعطاه ألف دينار وكسوة . فقال له الكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردتُها لأتيت من هى فى يديه ، ولكننى أحببتكم للآخرة . فأما الثياب التى أصابت أجسادكم فإنى أقبلها لبركتها ، وأما المال فلا أقبله .

وكانت ولادة الكميت سنة ستين ، وهى أيام مقتل الحسين رضى الله عنه ، وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد .

وكان السبب فى موته أنه مدح يوسف بن عمر ، بعد عزل خالدٍ القسرىّ

(١) ط : « المترتل » ، صوابه فى س .
(٢) ط : « المتبتل » ، صوابه فى س .
(٣) ط : « لأجل مصيبة » ، صوابه فى س .

عن العراق، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرِّضاً بخالد، وكان الجند على رأس يوسف متعصبين لخالد، فوضعوا سيوفهم فى بطنه وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره(١)؟! فلم يزل ينزف الدم منه حتى مات رحمه الله تعالى.

والكميت مشتق من الكُمْتة. يقال للذكر والأنثى، ولا يستعمل إلا مصغَّرا، وهو تصغير أكمت على غير قياس، والاسم الكمتة، وهو من الخيل بين الأسود والأحمر. قال أبو عبيد: ويُفرق بين الكميت والأشقر بالعرف والذنب، فإن كانا أحمرين فهو أشقر، وإن كانا أسودين فهو الكميت. ووجَّه تصغيرَه س بما يستحسن فقال لأنه لم يخلص له لون بعينه فينفرد به مكبرا. والله أعلم. ٧١

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السابع عشر:

١٧ (وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مِرداسَ فى مَجمعِ)

على أنَّ الكوفيين وبعض البصريين جوّزوا للضرورة ترك صرف المنصرف بشرط العلمية. وأنشده أيضاً هنا فى آخر الكلام على منتهى الجموع على أنَّ الكوفيين يمنعون الصَّرف بالعلمية وحدها، لأنها سبب قوىٌّ فى باب منع الصرف. أراد ببعض البصريين أبا الحسن الأخفش وأبا على الفارسى وابن بَرْهان(٢).

واشتراط العلمية لمنع الصرف إنَّما هو مذهب السُّهيلى لا غير، وأما الكوفيون فهم يجيزون ترك الصرف للضرورة مطلقاً، فى الأعلام وغيرها، ومن جملة شواهدهم قول الشاعر:

(١) استامره: استشاره.

(٢) هو أبو القاسم عبد الواحد بن على بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان الأسدى العكبرى. وبرهان، بفتح الباء كما فى البغية ٣١٧ والقاموس (برهن). توفى سنة ٤٥٦.

فأوفضَ منها وهى ترغو حُشاشة   بذى نفسها والسَّيفُ عريانُ أحمرُ

قالوا : ترك صرف عريان وهو منصرف لأنَّ مؤنثه عُريانة لاعرياء، وسيأتى مثله للشارح فى هذا الباب . وقول الفرزدق ـ وقيل هو لابن أحمر ـ :

إذا قال عَاوٍ من تنوخ قصيدة   بها جَربٌ عُدَّت على بزوبرا[1]

قالوا : ترك صرف زوبر وهو منصرف ، ومعناه نسبتْ إلىَّ بكمالها ، من قولهم أخذ الشىء بزوبره ، إذا أخذه كلَّه . وقيل بزوبَرا ، أى كذبا وزوراً ، وإن كان زوبر عند البصريين معرفة .

قال ابن جنى فى المبهج[2] ، وهو تفسير أسامى شعراء الحماسة : سألت أبا على عن ترك صرف زوبر ، فقال : جعلها علماً لما تضمنته القصيدة من المعنى.

وقال الزمخشرى فى المفصل : هو علم للكلّية كسبحان علم للتسبيح .

وكذا ذكره الشَّارح فى باب العلم . نعم أكثر شواهدهم جاءت فى الأعلام، وكأنَّهم راعَوا بحسب الأغلب العلمية فى منع الصرف وحدها للضرورة . كما أهملوها أيضا للضرورة . فالمسألة ثلاثية : الجواز مطلقاً ، وهو مذهب الكوفيين ، والمنع مطلقاً وهو مذهب البصريين ، والجواز مع العلمية وهو مذهب السهيلى . وقد حكى هذه المذاهبَ الثلاثة الشاطبىُّ فى شرح الألفية .

وقال المبرد : الرواية :

* يفوقان شيخىَ فى مجمع *

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وللمبرِّد إقدامٌ فى ردِّ مالم يَرو ، مع أن البيت بذكر مرداسٍ ثابت بنقل العدل عن العدل فى صحيح البخارى ومسلم ؛ وذكر

(١) ط : « غاو » ، وأثبت ما فى سه واللسان (زبر) .
(٢) المبهج ص ١٢ .

(شيخي) لايعرف له سندٌ صحيح ولا سبب يدنيه من التسوية ، فكيف من الترجيح ؟! وقال ابن جنى فى سر الصناعة ، بعد أن عارض الرواية المشهورة برواية المبرد : على أنَّ المبرد قد حكى عنهم « سلامُ عليكم » غير منون ، والقول فيه أنَّ اللفظة كثرت فى كلامهم فحذف تنوينها تخفيفاً ، كما قالوا لم يك ولا تُبَلْ ولا أدر . انتهى .

يريد : إن سلَّمنا رواية الكوفيين فهو من باب حذف التنوين لا من باب منع الصرف . وهذا ظاهر فى المنصوب . وليت شعرى مايقول فى المجرور إذا جر بالفتحة ، كقول الشاعر : ٧٢

قالت أميمةُ ما لثابتَ شاخصا عارى الأشاجع ناحلاً بالمفصلِ

فثابتَ علم جر بالفتحة ، وقول الآخر :

وإلى ابن أمِّ أناسَ تعمد ناقتى عمرٍو لتنجح ناقتى أو تتلفُ

فجر أناس بالفتحة ، وأم أناس بنت ذهل بن شيبان[١] وعمرو هو عمرو بن حُجر الكندى . وقوله :

وقائلة ما بال دَوسرَ بعدنا صحا قلبُه عن آل ليلى وعن هندِ

ونحو هذا من أبيات أخر .

واستدل الكوفيون على جواز ترك الصرف ضرورة بالسماع والقياس: أما السماع ، فكثرة الشواهد وهى تزيد على عشرين بيتاً ذكرها ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف ، وأثبتها (البصريون) بروايات ليس فيها ترك الصرف، فقالوا فى قوله :

---

(١) ط : « ذهل من بنى شيبان » صوابه من سه مع اثر تصحيح . ونسب ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة نسب مشهور .

* وقائلة مابال دوسر بعدنا *

الرواية : * وقائلة ما للقُريعيّ بعدنا *

وقالوا فى قوله :

ومصعبُ حين جدَّ الأمـ ـرُ أكثرُها وأطيبها

الرواية : « وأنتم حين جد الأمر » . وهكذا رووا فى سائر الأبيات .

فقال الكوفيون : الرواية الصحيحة المشهورة ما رويناه ، ولو سلّمنا صحة روايتكم فما جوابكم عما رويناه مع صحته وشهرته . وأما القياس فإنه لما جاز صرف مالا ينصرف اتفاقا وهو خلاف القياس جاز العكس أيضاً ، إذ لافرق بينهما ، وأيضا فإنه إذا جاز حذف الواو المتحركة ضرورة من قوله :

فبيناهُ يشرى رحلَه قال قائلٌ لِمَن جمل رِخوُ المِلاط نجيب

وأصله (فبينا هو) ، فجواز حذف التنوين ضرورة من باب أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنّ حذف الحرف الساكن أسهل من حذف المتحرك .

وأما البصريون فقالوا : لايجوز ترك الصرف ، لأن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو أنّا جوّزنا ذلك أدى إلى ردّه عن الأصل إلى الفرع ، ولالتبس ماينصرف بما لاينصرف . وعلى هذا يُخرَّج حذف الواو من هو فى نحو قوله : « فبيناه يشرى رحله » فإنّه لايؤدّى إلى لَبس . وإنما جاز فى الضرورة صرف مالا ينصرف لأنه من أصل الاسم ، فإذا اضطرّوا ردّوه إلى أصله وإن لم ينطقوا به فى السعة ، كما لم ينطقوا بنحو ضننوا فى السعَةِ[1] بخلاف منع الصرف لأنّه ليس من أصل المنصرف ألا ينصرف .

---

(١) فى مثل قول قعنب بن أم صاحب (اللسان ضنن) :

مهلا أعادل قد جربت من خلق أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

وقد ذهب ابن الأنباريّ ، فى كتاب الإنصاف[1] مذهب الكوفيين ؛ لكثرة النقل الذى خرج عن هذا الشذوذ والقلة فقال : « ولما صحت الرواية عند الأخفش والفارسى وابن برهان ، من البصريين ، صاروا إلى جواز ترك الصرف ضرورة تبعاً للكوفيين ؛ وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين » .

وأجاب عن كلمات البصريين فقال : « أما قولهم : يؤدى ترك الصرف إلى الفرع ؛ قلنا : هذا يبطل بحذف الواو من هو فى قوله « فبيناه يشرى » خصوصاً على أصل البصريين فإن الواو عندهم أصلية ؛ وقولهم : لا التباس بحذفها غير مسلَّم ، فإنك إذا قلت: غزا هو ، بتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، فإذا حذفت الواو حصل اللبس ، وكذلك يحصل اللبس بصرف مالا ينصرف فإنه يوقع لبسا بين المنصرف وغيره ، ومع هذا وقع الإجماع على جوازه . فإن قالوا : الكلام هو الذى يتحصل القانون به دون الشعر ، وصرف مالا ينصرف لايوقع لبساً بين ماينصرف وبين مالا ينصرف لأنه لا يلتبس ذلك فى اختيار الكلام ، قلنا : وهذا هو جوابنا عما ذكرتموه ، فإنه إذا كان الكلام هو الذى يتحصل به القانون فترك صرف مالا ينصرف فى الضرورة لايوجب لبساً بينهما ، إذ لا يلتبس ما ينصرف وما لاينصرف فى اختيار الكلام » .

وأطال الكلام فى الرد على البصريين .

وقد أورد الفارسى فى تذكرته على أصل البصريين سؤالا لم يجب عنه فقال : أفيجوز فى الضرورة أن لا يعرب الفعل المضارع ، لأن الأصل كان فيه

(١) الإنصاف ص ٢٩٦ . وقد تصرف البغدادى فى النص كثيراً .

أن لا يعرب كما كان الأصل فى الاسم أن يصرف[1] فإذا لم تعربه رددته إلى الأصل فى الضرورة كما رددت الاسم إلى الصرف فى الضرورة. واستشهد على ذلك بقوله « فاليوم أشربْ[2] » ونحو ذلك. قيل : أما الأبيات فليست بدليل قاطع، لأنه يجوز أن يكون أجريت فى الوصل مجرى الوقف، وبقى النظر فى هل يجوز أن لا يعرب.

هذا ما قاله ولم يجب عنه. قال الشاطبى : وكأنه إشكال على مذهب البصريين، لكن الجواب يظهر عنه بأدنى نظر. انتهى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات سبعة للعباس بن مرداس الصحابى رضى الله عنه ابن أبى عامر بن حارثة بن عبد بن عبس[3] بن رفاعة بن الحرث بن بُهثة ابن سُليم. أسلم قبل فتح مكة بيسير، وأمّه الخنساء الصحابية الشاعرة كما يأتى بيانه فى ترجمتها. وكان عباسٌ هذا من المؤلفة قلوبهم. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حنين إلى أهلها أعطى المؤلّفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن الحارث بن كَلَدة، والحارث بن هشام، وسُهيل بن عمرو، وحُويطب بن عبد العُزّى، وصفوان بن أمية — وكل هؤلاء من أشراف قريش — والأقرعَ بن حابس بن عقال[4] بن محمد بن سفيان المجاشعى، وعُيينة بن حِصن الفَزارى، ومالك بن عوف النصرى، أعطى كلّ واحد من هؤلاء مائة بعير،

(١) فى النسختين : « أن لا يصرف »، والوجه ما أثبت.

(٢) من قول امرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ :

فاليوم أشربْ غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

(٣) هذا هو الصواب كما فى جمهرة ابن حزم ٢٦٣ بتحقيقنا، والإصابة ٢ : ٤٠٥ ومختلف القبائل ٤٩. وفى بعض نسخ الجمهرة والأغانى ١٣ : ٦٢ : « عبد قيس » تحريف.

(٤) ط : « عنان » ش : « عفان »، صوابه من الإصابة ٢٢٩.

وأعطى دون المائة رجالا من قريش ، وأعطى عباس بن مرداس أباعرَ ، فسَخِطها وقال يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم :

أتجعلُ نهبِي ونهب العُبَيْـ ... ـد بين عُيينة والأقرعِ[1]
وما كان حصنٌ ولا حابس ... يفوقان مِرداسَ في مجمع
وما كنت دون امرئٍ منهما ... ومَن تضع اليوم لا يُرفعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرَإ ... فلم أُعطَ شيئا ولم أُمنع
إلاّ أفائل من حربه[2] ... عديدَ قوائمه الأربع

ـسكرّ ا الأ

أتمها له مائة . وقال ابن أبى الإصبع ، فى تحرير التحبير : قال لعلى « ياعلىّ اقطع لسانه عنى » . فقبض عَلَى يده وخرج به فقال : أقاطع أنت لسانى يا أبا الحسن ؟ فقال إنى لممض فيك ما أُمرت ؟ ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال : خُذ ما أحببت . قال : « وقول على رضى الله عنه أحسن مواربة سمعتها فى كلام العرب » . وفيه روايات أخر حكاها السيوطى فى [شرح] شواهد المغنى[١] . والمرداس : الحصاة التى يُرمى بها فى البئر لينظر هل فيها ماء أم لا . وأخطأ شارح اللبّ حيث قال : إن مرداساً هنا هو رأس الخوارج وكنيته أبو بلال[٢] ، وحكى رواية الأبيات للصحابى بِقِيلَ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر :

١٨ (أرّقنى الليلة برقٌ بالتَّهمْ يالك برقاً من يشُقْه لا يُنَمْ[٣])

قال الشارح : وكذا (تهام) بفتح التاء فى المنسوب إلى التهم بمعنى تهامة . يريد أن الألف فى تهام بالفتح عوض من إحدى ياءى النسب ، كما فى يمان إذ هو منسوب إلى يمن ، وإنما قيد بفتح التاء لأنك إذا كسرتها قلت تِهامىّ بتشديد الياء لأنه منسوب إلى تِهامة بالكسر ، فالألف من لفظها وليست بدلا .

قال المرزوقى فى شرح فصيح ثعلب : رجل تهامٍ أى من أهل تهامة ، والأصل تهمىّ لأن تهما قد وضع موضع تهامة ، لكنهم حذفوا إحدى ياءى النسبة وأبدلوا منها ألفاً ؟ وأنشد هذا البيت عن أبى على الفارسى .

---

(١) لم أجد هذا النص فيه .

(٢) رأس الخوارج إنما هو مرداس بن حدير بن بلال ، أحد بنى ربيعة بن حنظلة . انظر الكامل ٥٨٤ - ٥٩٢ ليبسك .

(٣) فى معجم ما استعجم ٣٢٢ : « لم ينم » .

و (أرَّقنى) : أسهرنى ، من الأرق بالتحريك وهو السهر بالليل ، وفعله من باب فرح ، وتعديته بالتضعيف . و (يالك برقاً) تعجب من البرق واستعظامٌ له ؛ وقد شرح الشارح فى باب الاستغاثة نحو هذا التركيب ؛ وبرقا تمييز ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب . والشوق إلى الشىء : نزاع النفس إليه ، يقال : شاقنى الشىء أى جعلنى مشتاقاً ، وإنما جعله البرق مشتاقاً لأنَّ حبيبته فى تلك الأرض تذكّر بالبرق وميض ثناياها فلم تأخذه سِنة ، كما قال الشاعر :

جاريةٌ فى رمضان الماضى(١) تقطّع الحديث بالإيماض

وقال المتنبى :

أذا الغصنُ أم ذا الدِّعصُ أم أنت فتنةٌ

وذيّا الذى قبّلته البرقُ أم ثغر

واستحسنُ قول ابن نباتة المصرى :

تذكرتُ لمّا أن رأيتُ جبينها هلالَ الدجى، والشىء بالشىء يذكر

وفاعل يشقْه ضمير البرق ، والهاء مفعول وهو ضمير من الشرطية . (ولا يلم) بالبناء لمفعول ، من اللوم وهو العذل جواب من ، ووجود لا النافية لا يمنع الجزم فإن المضارع المنفى بلا إذا وقع جزاء يجوز جزمه كقوله تعالى : « إن تدعُوهُمْ لا يسْمعُوا دُعاءكم » . ويجوز رفعه ، لكن يجب اقترانه حينئذ بالفاء نحو قوله تعالى : « فمنْ يُؤْمنْ بربّه فلا يخافُ بَخْساً » .

وأورد ابن الأعرابى فى نوادره بعد هذين البيتين ثلاثة أبيات أخر ولم يعزُ الشعر لأحد ، وهى :

---

(١) فى الإنصاف ٩٦ :

* جارية فى درعها الفضفاض *

(مازال يسرى مُنجداً حتَّى عتمْ كأن فى ريّقه إذا ابتسمْ)
(بلقاء تنفى الخيل عن طفل مُتمّ)

ومنجد : من أنجد إذا ذهب إلى النَّجد ، والنجد : كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وعتم : دخل فى العَتمة ، والمشهور أعتم بالألف ، والعتمة بالتحريك : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق . والرَّيِّق بالتشديد ، وريِّق كل شىء : أوَّله . والبلقاء : الفرس التى فيها البَلَق ، وهو بياض وسواد . وتنفى : تطرد . والخيل : مفعوله . وعن : متعلق بتنفى . والمُتَمّ بفتح التاء : الولد الذى يولد لتمام مدته . وهذا البيت مثل بيت أوس بن حجر فى وصف البرق وهو :

كأن ريِّقه لما علا شَطِبا أقرابُ أبلَق ينفى الخيلَ رماحِ

قال شارحه ابن السكيت : ريّقه : مسترقّه ليس بمعظمه . والأقراب : جمع القُرْب وهو الكَشح . يقول : ينكشف البرق كما يرمح الأباق فيبدو بياضه. اهـ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر ، وهو من شواهد س(١) :

١٩ (يحدو ثمانىَ مولعاً بلقاحها)

على أن (ثمانى) لم يصرف فى الشعر شذوذاً ، لما توهم الشاعر أنَّ فيه معنى الجمع ولفظه يشبه لفظ الجمع ، وكان القياس أن يقول : ثمانياً .

قال ابن السيد : فى ثمانى لغتان : الصرف لأنه اسم عدد وليس بجمع ، ومنع الصرف لأنه جمع من جهة معناه ، لأنه عدد للجمع ، بخلاف يمان وشآم ،

---

(١) سيبويه ٢ : ١٧ .

لأنه غير جمع وفيه جمع ، فإن س وغيره قالوا : إنه شاذ ، توهم الشاعر فيه معنى الجمع فلم يصرفه . ولم يقل أحد إنّه لغة .

وفي شرح شواهد الكتاب للنحاس : قال سيبويه : « وقد جعل بعض الشعراء ثمانى بمنزلة حذارى : حدثنى أبو الخطاب ، أنه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منوّن . وسمعت أبا الحسن يقول : إنّ هذا الأعرابىّ غلط وتوهم أن ثمانى جمع على الواحد وتوهم أنه من الثمن » اهـ أى توهم أنه الجزء الذى صير السبعة ثمانية فهو ثمنها . وقال الأعلم الشنتمرى : كأنه توهم أن واحده ثمنية كحذرية ثم جمع فقال ثمانى كما يقال حذارى فى جمع حِذرية ، والمعروف صرفها على أنها اسم واحد أى بلفظ المنسوب ، نحو يمان . والحذرية ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وتخفيف المثناة التحتية : قطعة غليظة من الأرض .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(حتى همَمنَ بزيغة الإرتاج ِ)

وقبل هذا البيت :

(وكأنّ أصل رحالها وحبالها علِّقن فوق قُوَيرح شحَّاج ِ)

صاحب الشاهد

وهذان البيتان من قصيدة لابن ميّادة ، كما قال السيرافى . شبه ناقته بسرعتها بحمار وحش قارح ، يحدو ثمانى أتن : أى يسوقها مولعاً بلقاحها حتى تحمل ، وهى لا تمكنه فتهرب منه ؛ لأن الأنثى من الحيوان غير الإنسان ، لا تمكّن الفحل إذا حملت . والرحال : جمع رحل ، وهو كل شىء يعدّ للرحيل من وعاء للمتاع ، ومركب للبعير ، وحلس ورسَن . وضمير رحالها للناقة وعلقن بالبناء للمفعول ، والنون ضمير الرحال والحبال ، واكتسب المضاف

الجمية من المضاف إليه لأنه يصح سقوطه . والقويرح : مصغر قارح ، وهو من ذى الحافر الذى انتهت أسنانه ، وإنما ينتهى أسنانه فى خمس سنين ، والتصغير للتعظيم. والشحَّاج بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة ، قال فى الصحاح :هو الحمار الوحشى،وهو بدل من قويرح أو عطف بيان . ويحدو بمعنى يسوق،وفاعله ضمير الشحاج ، والجملة صفة له . وأراد بالثمانى أتُنه ولهذا حذف التاء منه ، أو لأن المعدود محذوف . والمولع من أُولع بالشىء بالبناء للمفعول ، فهو مُولع به بفتح اللام ، أى أغرى به وعلِق به . واللَّقاح كسحاب : ماء الفحل فى رحم الناقة . وفى المصباح : اللّقاح بفتح اللام وبكسرها : اسم من ألقح الذكر الأنثى، أى أحبلها . وحتى غاية لقوله يحدو . وهمَّ بالشىء من باب قتل ، إذا أراده ولم يفعله . والزَّيغة ، بفتح الزاى المعجمة وسكون المثناة التحتية وبالغين المعجمة ، مصدر زاغ يزيغ ، أى مال . والإرتاج بالكسر : مصدر أرتجت الناقة إذا أغلقت رحمها على ماء الفحل . . يريد أن هذا الحمار عدا خلف أتنه ليلحقها ويركبها حتى تحبل ، فهربت منه ، فكأنه ساقها سوقاً عنيفاً حتّى همت بإسقاط ما أرتجت عليه أرحامَها من الأجنّة وإزلاقه ، وكأن زمام هذه الناقة مرتبط بهذا الحمار الشديد الحرص على اللقاح بأتُنه ، فهى تعدو بعدْوه ، وهذا غاية فى سرعة الناقة . وروى : « بربِقة الإرتاج » والربقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وبالقاف أراد به العَقد ، لأنها إذا أغلقت فم الرحم على ماء الفحل فكأنها عقدته ، ومنه الحديث : « فقد خلع ربقة الإسلام من عُنقه » أى عَقد الإسلام . وأصل الربقة واحد الربق بالكسر ، وهو حبل فيه عدة عُرًى تشدُّ به البَهْمُ ، الواحدة من العرى ربقة . ولا بد من تقدير مضاف على هذه الرواية ، أى حتى همن بحل ربقة الإنتاج ، يعنى أرتجت هذه الأتن وانحلّت من شدة الجرى حتى لم تقدر أن تضبط مافى أرحامها . ٧٧

ولم يقف الأعلم الشنتمرى على البيت الأول . فظن أنه فى وصف راع فقال : وصف إبلاً أولع راعيها بلقاحها حتى لقحت ، ثم حداها أشدَّ الحداء حتى همّت بإسقاط ما فى بطونها من الأجنّة .

ترجمة ابن ميادة

وابن ميادة هو أبو شَراحيل وقيل أبو شُرَحبيل. واسمه الرَّماح ، كشدّاد ابن يزيد . وهو من بنى مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، رهط الحارث بن ظالم، كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة(١). وميادة أمّه ، وهى أم ولد بربرية ، وقيل صَقْلبية كان هو يزعم أنها فارسية . وفى ذلك يقول :

أنا ابن أبى سلمى وجدّىَ ظالم وأمّى حصانٌ حصّنتها الأعاجمُ
أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرمِ مَن نيطت عليه التمائم

وسبب تسميتها أنه لما أقبلوا بها من الشام نظر إليها رجل وهى ناعسة تمايل على بعيرها فقال : إنها لميادة ، فسمّيت به وغلب عليها .

وابن ميادة شاعر مقدَّم فصيح ، لكنه كان متعرضاً للشر طالبا لمهاجاة الناس ومُسابّة الشعراء ، وله مع الحكم الخُضرى(٢) مهاجاة ومناقضات كثيرة وأراجيز طويلة ، وقد أدرك الدولتين . كان فى أيام هشام بن عبد الملك، وبقى إلى زمن المنصور ، ومدح من بنى أمية الوليدَ بن يزيد وعبد الواحد ابن سليمان ، ومن بنى هاشم أبا جعفر المنصور وجعفر بن سليمان . ولما قال من قصيدة :

فَضَلْنا قريشاً غيرَ رهط محمد وغيرَ بنى مروانَ أهل القبائل

---

(١) الشعر والشعراء ٧٤٧ — ٧٤٩ والأغانى ٢ : ٨٥ — ١١٦ واللآلى ٣٠٦ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والعينى : ٢١٩ .

(٢) فى النسختين « الحضرى » مع تصحيحها فى سن « الخضرى » وهذا هو الصواب . نسبة إلى خضر بن محارب ، بضم الخاء . وترجمته فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٠ — ٢٤٥ والأغانى ٢ : ٩٤ .

قال له إبراهيم بن هشام : أأنت فضلت قريشاً ؟! وجرّده وضربه أسواطاً . ولما سمع البيت الوليد بن يزيد قال له : قدّمتَ آل محمد علينا ؟ قال : ما كنت يا أمير المؤمنين أظنه يكون غير ذلك . فلما أفضت الخلافة إلى بنى العباس قدِم على المنصور فمدحه ، فقال له لما دخل عليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره ، فجعل يتعجب ، ولم يعد إلى المنصور بعدها لما رأى قلة رغبته فى مدائح الشعراء ، ونزارة ثوابه لهم . وتوفى فى صدر خلافته فى حدود الست والثلاثين بعد المائة .

وبنو ذبيان تزعم أن ابن ميادة آخر الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم .

روى أبو داود الفَزارى أن ابن ميّادة وقف يوماً فى الموسم ينشد :

لو آنَّ جميعَ الناس كانوا بتَلعة وجئتُ بجدَّى ظالمٍ وابن ظالمِ
لظلَّتْ رقابُ الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

والفرزدق واقف عليه متلثم ، فقال له : يا ابن يزيد ، أنت صاحب هذه الصفة ؟ ! كذبتَ والله ، وكذب سامع ذلك منك فلم يكذّبك . قال : فمن يا أبا فراس ؟ قال : أنا أولى به منك . وقال :

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدى دارمٍ وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فأطرق ابن ميادة ولم يجبه ، ومضى الفرزدق وانتحلها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون :

٢٠ ﴿ بَلَغتُها واجتمعتْ أشُدِّى ﴾

على أن (أشُدّ) جمع شدّة على غير قياس ، أو جمع لا واحد له بدليل تأنيث الفعل له .

وفى الصحاح . « كان س يقول : واحده شِدَّة ، وهو حسن فى المعنى لأنه يقال بلغ الغلام شِدَّته ، ولكن لا يجمع فِعلة على أفعُل ، وأمّا أنعُم فإنما هو جمع نُعم بالضم : ضد البؤس . وقيل هو جمع شَدّ بالفتح نحو كلب وأكلب وقيل جمع شِدّ بالكسر مثل ذئب وأذؤب . وكلا هذين القولين قياس وليسا بمسموعين ، وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه مثل محاسن ومشابه ، وقيل هو ليس بجمع وإنما هو مفرد جاء على صيغة الجمع مثل آنُك ، وهو الأسرُبّ ولا نظير لها » .

وهذا قول أبى زيد[1] . وحكى فى همزته الضمة : لغة فى فتحها ، ومعنى الأشدّ القوة وهو ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين . وقيل : إلى أربعين ، أو إلى خمسين . قال سُحَيم بن وَثيل :

أخو خمسين مُجتمعٌ أشُدّى ونجّذنى مداورة الشؤون

وفى عمدة الحفّاظ للسّمين : هو جمع شِدّة بمعنى القوة والجلادة فى البدن والعقل ، وقد شدّ يَشِد شدّة إذا كان قوياً ، وأصل الشدّة العقد القوىّ ، وشددت الشىء : قوّيت عقده ، وأشُدّ يستعمل فى العقل وفى البدن وفى قوى النفس .

هذا واستدلال الشارح المحقق — تبعاً لابن الحاجب فى شرح المفصل — بتأنيث الفعل لكون أشد جمعاً محلُّ بحث ؛ فإنّ أهل التفسير واللغة أجمعوا على تفسيره بالقوة ، فيحتمل أن يكون تأنيث الفعل له باعتبار معناه لا لكونه جمعاً ، وكان ينبغى أن يستدل بمادّة الفعل وصيغته ، فإن الجمع معناه تاليف

---

(١) يعنى القول بان (أشد) جمع شدة . انظر النوادر له ٥٤ .

المتفرّق ، والاجتماع مطاوعهُ وهو تألف المتفرق ، فلا يتصور معناه إلاّ بين متعدد ، ولا يكون الاجتماع من شيء واحد . على أن الرواية :

بلغتَها مجتمعَ الأشُدّ

بالخطاب لا بالتكلم .

صاحب الشاهد

وهو من أرجوزة لأبى نُخيلة مدح بها هشام بن عبد الملك ، منها :

٧٩

(وقلت للعِيس اعتلى وجُدّى فهى تَخَدّى أحسنَ التخدّى
قدِ ادّرعنَ فى مَسيرٍ سَمْدِ ليلاً كلون الطيلَسان الجَرد
إلى أمير المؤمنين المُجْدِى ربّ معدّ وسوى معدّ
ممن دعا من أصيدٍ وعبد ذى المجد والتشريف بعد المجد
فى وجهه بدرٌ بدا بالسعد أنت الهمام القَرم عند الجِد
بلغتَها مجتمعَ الأشُدّ فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعْد)

والعيس : الإبل البِيض يخالط بياضَها شقرة ، مفرده المذكر أعيس والمؤنث عيساء . واعتلى : ارتفعى . والجِدّ بالكسر : الاجتهاد فى الأمور ، تقول جدّ فى الأمر يجُدّ بالضم . وتَخدّى ، بالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، أصله تتخدى ، أى تسرع ، حذفت منه التاء : من خَدَى البعيرُ يخدِى خدياً : أسرع وزجّ بقوائمه . والسّمد ، بفتح السين المهملة وسكون الميم ، فى الصحاح : وسمدت الإبل فى سيرها : جدّت . وفى القاموس : هو السَّرمد أى الطويل الدائم ، يقال هو لك سمداً أى سرمداً . والادّراع : افتعال لبس الدِرع وهو قميص المرأة . والطيلسان : من لباس العجم ، لونه أسود للمهابة . والجَرد الخَلَق ، يقال ثوب جرد . والمجدى : اسم فاعل من أجدى عليه بمعنى أعطاه عطاء كثيراً ، من الجَداء والجَدوى بفتح الجيم فيهما ، وهو المطر الذى لا يعرف

أقصاه ، وقيل المطر العام . وربُّ كل شيء : مالكه ومستحقه . ومعدٌّ : أبو العرب وهو معدّ بن عدنان . وقوله (ممن دعا) بيان لقوله (سوى معد) . وقوله (من أصيد الخ) بيان لمن دعا ، أى هو سيد من دعا لنفسه من ملك وسُوقة . والأصيد : الملك . وقوله (أنت الهمام) التفات من الغيبة إلى الخطاب . والهُمام : الملك العظيم الهمة والسيِّد الشجاع . والقَرم بالفتح : السيد ، وأصله الفحل المكرّم لا يُركب ولا يُرحل . والجِد بالكسر ضد الهزل ، تقول جدّ يجِدّ بالكسر . وقوله (بَلغتها) بالبناء للفاعل ، وروى « بُلِّغتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، وروى أيضاً « طُوِّقتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، والطوق : حَلْى العنق[١] وكل ما استدار بشيء ، وتطوقه : لبسه . وضمير بلغتها للخلافة المعهودة ذهناً . ومجتمع اسم فاعل حال من ضمير المخاطب ، ولا تضر الإضافة لأنها لفظية . وظهر بهذا أن بيت الشاهد على غير وجهه ، ويحتمل أن يكون من أرجوزة أخرى ، والله أعلم . وانهلّ بمعنى سال إن كان الصَّوْبَ بالباء الموحدة ، وبمعنى ارتفع ، إن كان الصوتَ بالمثناة الفوقية . . يريد إنك لما قمت بأمر الخلافة انفتح أبواب الخير .

وفى الأغانى أن أبا نخيلة قال : قرأتها حتى أتيت إلى آخرها وهممت أن أسأله فيها ، ثم تذكرت أنّ الناس نصحونى على أن لا أسأله شيئاً فإنه يحرم من يسأله ، فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال : الغلام السعدى أشعر من الشيخ أبى النجم العجلى . وخرجت فلما كان بعد أيام أتتنى جائزته . . ولما أفضت الخلافة إلى السفاح نقل هذه الأرجوزة الدالية إليه ، فهى إلى الآن فى ديوانه منصوبة إلى السفاح[٢] .

---

(١) فى النسختين : « على العنق » ، صوابه من اللسان والقاموس .

(٢) القصة على هذا الوجه مقتضبة اقتضابا . وهى على تفصيل واضح فى الأغانى ١ : ١٤٠ .

ترجمة أبي نخيلة

٨٠

وأبو نُخيلة بضم النون وفتح الخاء المعجمة ، اسم الشاعر لا كنيته . كذا في الأغاني . وقال ابن قتيبة : اسمه يعمر ، وكُني أبا نُخيلة لأنّ أمه ولدته إلى جنب نخلة . ويكنى أبا الجنيد وأبا العرماس ، وهو من بني حِمَّان بن كعب[1] ابن سعد ، بكسر المهملة وتشديد الميم . وكان عاقاً لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشأم فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه . وكان الأغلبَ على شعره الرجزُ ، وله قصيدٌ ليس بالكثير . ومن شعره :

وإنَّ بقومٍ سودوك لَحاجةً إلى سيّد لو يظفَرون بسيّد[2]

ولما خرج إلى الشأم اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسنَ إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنَوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء : انقطع إلى بني العبّاس ، ولقَّب نفسه بشاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني أمية . وكان طامعاً ، فحمله طمعُه على أن قال في المنصور أرجوزة يُغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهديّ ، فوصله أبو جعفر بألفي درهم ، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى ، ففعل فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولًى له فأدركه في طريق خراسان ، فذبحه وسلخ وجهه[3] .

* * *

(١) ط فقط : « حمار بن كعب » ، صوابه في ش والشعراء لابن قتيبة ٥٨٣ . وانظر الاشتقاق ١٥٤ والأغاني ١٨ : ١٣٩ — ١٥٢ .

(٢) في الشعراء : « لفاقة » .

(٣) في الأغاني : « وسلخ جلده » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون :

٢١ (جَذْبَ الصَّرارِيِّينَ بالكُرُورِ)

على أن (الصَّرارىّ) جمع (صُرّاء) وهو جمع صارٍ بمعنى الملاح ، وهو السَّفَّان الذى يُجرى السفينة . والصارى بالصاد والراء المهملتين على وزن القاضى معتل اللام بالياء ، وجمعه على صَوارٍ قياسٌ مطّرد لأنه جمع فاعل ، اسماً لا وصفاً ، بخلاف جمعه على صُرّاء ؛ إذ جمع (فاعل) المعتل اللام على (فُعَّال) نادر ، نحو جان وجُنَّاء ، وغازٍ وغُزّاء ، وقارٍ وقُرّاء ، ولما شابَهَ صُرّاء وزن المفرد نحو زُنّار وكُلاَّب جاز جمعه على فعاعيل نحو صَرارىّ ، كما تقول زنانير وكلاليب ، ثم جُمع الصرارىّ جمع تصحيح فقيل الصَّراريّون . هذا تقرير كلام الشارح .

وقال أبو على الفارسىّ فى الإيضاح الشعرى : « الأشبه أن يكون صُرّاء مفرداً جمعه صرارىّ ، ألا ترى أن فُعَّالا جمعاً كشُهّاد ولم نعلمه جاء مكسراً كما جاء تكسير فِعال نحو جمال وجمائل . وعلى هذا يكون الصُّرّاء كالصارى» .

وكلا هذين القولين خلاف المنقول والمسموع .

أما الأول فقد نقل الثقات — كابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق ، والجواليقى ، وابن السِّيد فى شرح شواهد أدب الكاتب ، وصاحب الصحاح والعباب والقاموس — أن الصرارى مفرد مثل الصارى ، وأن جمعه الصَّراريّون ، وأنشدوا له هذا البيت ، وأن جمع الصارى الصُّرّاء كقوله :

* إشراف مَرْدِىّ على صُرّائه *

فيكون (الصَّرارى) من مادة الثلاثى المضعف ، و (الصارى) من مادة الثلاثى المعتل . إلاّ أنّ صاحب القاموس أساء حيث أورد الصرارىّ فى المعتل

أيضاً جمعاً للصارى ، مع أن فاعلا لا يجمع على فعاعيل ، وإنما الذى يجمع عليه (فعّال) بالضم والتشديد كما مر ، أو (فعّال) بالفتح والتشديد نحو : جَبَّار وجبابير .

وزنة فعالىّ غير موجودة فى أوزان المفردات من أبنية سيبويه وغيرها ، فيكون فى الأصل منسوباً إلى (صرارة) وهو اسم نهر ، والذى لم يحج ، والذى لم يتزوج ؛ أو إلى (صَرار) بدون هاء وهو كسحاب وكتاب : اسم وادٍ بالحجاز . ٨١

وأما الثانى فقد قال الفرزدق :

ترى الصَّرارىّ والأمواجَ تضربه لو يستطيع إلى برِّيَّة عَبرا[1]

وقال خليفة بن حَمَل الطُّهَوىّ[2] أيضاً :

ترى الصرارىّ فى غبراء مظلمةٍ تعلوه طوراً ويعلو فوقَها تِيَرا[3]

فقد رجع الضمير إليه فى البيت الأول مفردا ثلاث مرات ، وفى البيت الثانى رجع إليه مفردا مرتين .

وقال القطامى ، فى وصف غواص دُرَّةٍ شبه حبيبته بها ، من قصيدة :

حتى إذا السُّفْن كانت فوق معتلِج ألقى المعاوزَ عنه ثُمت انكتما

(١) ديوان الفرزدق ٢٨٨ برواية : « والأمواج تلطمه » .

(٢) فى اللسان : « خلف بن جبيل » ، تحريف . ولخليفة بن حمل أشعار فى نوادر أبى زيد ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٣) ط : « فوقه » صوابه فى ــ ونوادر أبى زيد ١٤٦ . وتير ، بكسر ففتح : جمع تارة ، كما فى اللسان . وأنشد :

* يقوم تارات ويمشى تيرا *

وصواب رواية البيت : « عوم الصرارى » لأن قبله فى النوادر :

شبهت قلتهم فى الآل إذ عسفوا حزم الشريف تبارى فوقه زمرا

في ذي جُلول يقضي الموتَ صاحبُه إذَا الصَّرارِيُّ من أهواله ارتسما[1]

فلو كان جمعاً كما زعما لقال : ارتسموا . قال شارح ديوانه أبو سعيد السكرى : « والصراريّ الملاح ، والصُّرّاء الملاحون ، والواحد صارّ » .

وأورد الحريريّ في درّة الغواص البيت الثاني وزعم أنه يصف فُلكا .

والمعتلِج : اسم فاعل من اعتلجت الأمواج : التطمت واضطربت . والمعاوز بالفتح : جمع مِعوَز بالكسر ، وهو الثوب الخلَق الذي لايتبذّل ؛ لأنّه لباس المعوزين . والمعاوز مفعول ألقى ، وفاعله ضمير الغواص في بيت قبله. وانكتم معطوف على ألقى ، وضميره كضميره ، وقوله في ذي جُلول متعلق بانكتم ، أي توارى في ماء كثير عظيم . والجُلول : جمع جُلّ ، وهو معظم الشيء ، وقيل الجلول جمع جَلّ بفتح الجيم ، بمعنى الشراع ، يعني ماء فيه سفنٌ لها شُرُع . والارتسام بالسين المهملة : التكبير والتعوّذ والدعاء . يقول : إن الملاح دعا وعوّذ حين شاهد عِظم الأهوال بتلاطم الأمواج .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من أرجوزة للعجاج يصف فيها سفينة . وقبله :

(لَأْياً ينائيها من الجُئور جَذبُ الصَّرارِيِّين بالكرور
إذْ نَفَحتْ في جَلّها المسجور[2] حدواء جاءت من جِبال الطور)

اللأى بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء والشدة ، وهو منصوب على نزع الخافض أي بلأى . وينائيها : يباعدها من النأى ، وروى « يثانيها » بالمثلثة والنون من ثناه ، إذا عطفه : والجئور . مصدر جار ، إذا عدل عن

(١) في ط : « إذ الصرارى » ، صوابه في ش وديوان القطامى ٧٠ واللسان (صرر ، جلل ، رسم) .

(٢) ط : « لفحت » باللام ، واثبت ما في ش . قال الأصمعى : ما كان من الرياح لفح فهو حر ، وما كان نفح فهو برد .

القصد ، وهو مصدر سماعى جاء على فعول بالضم ، لكن همز عينه على مقتضى القاعدة . ولم أر من نبه على هذا المصدر غير ابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق وابن السيد البَطَلْيَوْسى فى شرح شواهد أدب الكاتب ، وكلاهما نبها عليه فى هذا البيت ، وكذلك الجواليقى فى شرح أدب الكاتب أيضاً . والكرور : الحبالُ ، واحدها كر بالفتح ، قال أبو حنيفة فى كتاب النبات : قال أبو خَيْرة[1] : الكر الغليظ من الحبال . وقال الطوسى : هو حبلٌ يكون من جلود وغيرها . وأنشد هذا البيت. وجنبُ فاعل يُنائيها . يقول : إذا عدلت هذه السفينة وجارت عن القصد لم يصرفها الملاحون عن ذلك الأَّ بعد بطء ومشقة . ونَفَحت[2] بالحاء المهملة : هبّت . والَجلّ بفتح الجيم : الشراع ، كما تقدم . والمسجور بالسين المهملة والجيم : الذى شدّ بالحبال . قال فى العباب : اللؤلؤ المسجور : المنظوم المسترسل ، قاله أبو عبيد . وأنشد للمخبَّل السعدى :

٨٢

وإذا ألمّ خيالُها طُرفت عينى فماء شئونها سَجْمُ
كاللؤلؤ المسجور أغفِل فى سِلك النِظام فخانه النظم[3]

والَحدْواء فاعل نَفَحت[4] بالحاء والدال المهملتين ، وهى الريح تحدو السَّحاب ، أى تسوقها ، وهى ريح الشَّمال . والطُّور : جبل ، والريح التى تجىء من قبله هى الشَّمال . وحِيال الطور : ناحيته وإزاؤه ، وهى بكسر الحاء المهملة ، وبالمثناة التحتية ، يقال قعد حياله أى بإزائه . وروى : «من بلاد الطور[5]».

(١) ط : « أبو حبره » صوابه فى ش . وأبو خيرة : أحد رواة الأعراب . ترجم له ابن النديم فى الفهرست ٦٨ . واسمه نهشل بن زيد .

(٢) ط : « لفحت » باللام ، وأثبت ما فى ش . وانظر ما سبق فى الحواشى .

(٣) ط : « أعقل » ، صوابه فى ش والمفضليات ١١٣ .

(٤) ط : « لفحت »

(٥) وروى أيضاً : « من جبال الطور » ، كما فى الاقتضاب ١٧٦ .

والعجاج اسمه عبد الله وكنيته أبو الشعثاء، وتقدم نسبه فى ترجمة ولده رؤبة فى الشاهد الخامس[١] ، وكان يقال له عبد الله الطويل ، ولقب بالعجاج لقوله :

* حتّى يَعِجّ عندها من عجعجا *

وهوأول من رفع الرجز وجعَلَ له أوائل وشبَّهه بالقصيد .

* * *

وأنشد بعده للكميت ، وهو الشاهد الثانى والعشرون :

٢٢ * ﴿ ولم يَسترِيثوك حتّى رميـ ـتَ فوقَ الرِجال خِصالًا عُشارا ﴾ *

على أن (عُشار) المعدول عن عشرة قد جاء فى قول الكميت .

والمسألة مفصَّلة فى الشرح .

قال الحريرى فى درة الغوّاص : « روى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء متَّسقا إلى عُشار ، وأنشد عليه ماعزى إلى أنه مصنوع[٢] منه :

قل لعمرٍو يا ابنَ هند ... لو رأيتَ اليوم شَنّا
لرأتْ عيناك منهم ... كلَّ ما كنتَ تَمَنّى
إذْ أتتنا فيلقٌ شهـ ... ـباء من هَنّا وهَنّا
وأتت دَوسرُ والمَلْـ ... ـحاء سيراً مطمئنا
ومشى القوم إلى القو ... م أُحادَ وأُثنَى[٣]
وثُلاثاً ورُباعا ... وخُماسا فاطّعنّا

---

(١) ص ٨٩ .

(٢) ط : « مصوغ » . وفى درة الغواص ٤٠ « موضوع » ، صوابه فى س .

(٣) ط : « أحادى » ، وصححت بحذف الياء فى ش . وفى ط : « ومنى » .

وسُداساً وسُباعا وثمانا فاجتلدنا
وتُساعا وعشارا فأصبنا وأُصبنا
لا ترى إلاّ كميّا قاتلا منهم ومنّا

ودلائل الوضع فى هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلفٌ الأحمر متَّهماً بالوضع .وشنٌّ : قبيلة . والفيلق: الجيش،وأنثه باعتبار الكتيبة. وهنّا بالفتح اسم إشارة للقريب . ودَوسر : كتيبة للنعمان بن المنذر . والملحاء : كتيبة أيضا لآل المنذر .

وترجمة الكميت قد مضت فى الشاهد السادس عشر (١)

قال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب : « ومعنى يستريثوك يجدونك رائثا ، أى بطيئاً ، من الرّيث وهو البطء . ورميت : زدت ، يقال رمىَ على الخمسين وأرمى ، أى زاد . يقول: لمّا نشأتَ نشء الرجال أسرعتَ فى بلوغ الغاية التى يطلبها طلّاب المعالى ، ولم يقنعك ذلك حتّى زدت عليهم بعشر خصال ، فُقتَ السابقين(٢) وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين » . انتهى .

ووقع فى رواية ابن جنى فى الخصائص (علوت) موضع رميت . وروى أبو جعفر النحاس :

حتى أتيت فوق الرجالِ خِلالاً عُشارا

وروى الحريرى فى الدرة : (نصالا) بدل خصالا ، والأوّل هو الصحيح .

وهذا البيت من قصيدة للكميت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله : ٨٣

(١) انظر ما سبق فى ص ١٤٣ .
(٢) كذا بالقاف بعد الفاء فى النسختين والاقتضاب ٤٦٧ .

(رَجوكَ ولم يبلغ العمر مِنْـ ـكَ[١] عشراً ولا نبتَ فيك اتغارا
لأدنى خَساً أو زَكا مِن سِنيك إلى أربع فبقَوْك[٢] انتظارا)

وبعده بيت الشاهد . يقول : تبينوا فيك السُّؤدد لسنة أو سنتين من من مولدك فرجوا أن تكون سعيداً أميراً مطاعا رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله (ولا نبتَ فيك اتغارا) أى أثغرتَ ولم تنبت أسنانك بعد . فى الصحاح : « وإذا سقطت رواضع الصبى قيل : ثُغر فهو مثغور ، فإذا نبتت قيل : اتغر ، وأصله اثتغر فقلبت الثاء تاء ثم أدغمت ، وإن شئت قلت اثغر بجعل الحرف الأصلى هو الظاهر » . وقوله (لأدنى خساً أو زكا) الخسا بفتح الخاء المعجمة: الفَرد، والزَّكا بفتح الزاى المعجمة : الزوج ، وخسا وزكا ينون ولا ينون ، والمعنى أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقلّ ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للنّاس مادلهمّ على مارَجوه منك وتفرّسوك عند كمال سنك وقوله فبقوك أى انتظروك يقال بقوت الشيء إذا انتظرته ، ومنه يقال للمؤذّنين بُقَاة لأنّهم ينتظرون أوقات الصلاة . وانتظاراً منصوب بقوله بقوكَ لأنه فى معنى انتظروك انتظارا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون ، وهو من أبيات سيبويه[٣] :

٢٣ ﴿ إلاّ عُلالةَ أو بُدا هةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزاره ﴾

على أن المضاف يحذف مع دلالة ما أضيف إليه تابع ذلك المضاف عليه .

---

(١) ط : « العمر سنك » ، وأثبت ما فى ـ .
(٢) ط : « فبقون » ، صوابه من ـ .
(٣) فى كتابه ١ : ٩١ ، ٢٩٥ .

ذكر الشارح المحقق فى باب الإضافة أنّ هذا مذهب المبرد، وأيّده بما ذكره هناك على مذهب سيبويه، وهو أن علالة مضاف إلى المجرور الظاهر، وبداهه فى الأصل مضاف إلى ضميره، والتقدير: إلاّ علالة سابح أو بداهته، ثم حذف الضمير وجعل بداهة بين المتضايفين، إلى آخر ما ذكره. وسيأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى يخاطب بها شيبان بن شهاب، منها:

(وهناك يكذب ظنُّكم أن لا اجتماعَ ولا زياره

ولا براءة للبرِىء ولا عطاء ولا خفاره

إلاّ عُلالة أوبُدا هة سابحٍ نهد الجزاره

إلى أن قال:

ولا نقاتل بالعصىّ ولا نُرامى بالحجاره)

يقول: إذا غَزَونا كم علمتم أنَّ ظنكم بأننا لانغزوكم كذب، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازينَ لكم، ومن كان بريئا منكم لم تنفعه براءته، لأنَّ الحرب إذا عظمت لحق شرها البرىء كما يلحق المسىء، يريد إنّنا ننال منكم من المسىء والبرىء بما تكرهون، ولا نقبل منكم عطاء ولا نعطيكم خفارة تفتدون بهما منا.

والخفارة بالضم والكسر: الذمة، قال فى المصباح: «خَفَر بالعهد من باب ضرب وفى لغة من باب قتل، إذا وفى به. وخفرت الرجل: حميته وأجرته من طالبه، والاسم الخفارة بضم الخاء وكسرها». وقوله (إلاّ علالة) استثناء منقطع من قوله (لا اجتماع[1]) أى لكن نزوركم بالخيل. والعُلالة بضم العين

٨٤

(١) فى النسختين: «لا اجتلى»، تحريف. والأبيات فى ديوان الأعشى ١١٤.

المهملة : بقية جرى الفرس وبقية كل شىء أيضا ، وهو من التعلّل بمعنى التلّهى. والبُداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للاضراب . ووقع فى رواية ابن جنى فى سر الصناعة والخصائص تقديم (بداهة) فأو على هذا لأحدالشيئين . والسابح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدْو ، ويروى بدله (القارح) وهو من الخيل : الذى بلغ أقصى أسنانه ، يقال قرَح ذو الحافر يقرَح بفتحهما قُروحا : انتهت أسنانه ، وذلك عند إكمال خمس سنين. والنَّهد بفتح النون : المرتفع . والُجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان ، وهذا فى الأصل فيما يذبح ، وسميت بذلك لأن الجزّار يأخذها فى مقابلة ذبحها ، كما يقال أخذ العامل عُمالته بالضم ، فبقى هذا الاسم عليها. يريد أنَّ فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعا، فإنَّه يستحب فى عنق الخيل الطول واللين . وقد فرق سليمان بن ربيعة بين العتاق والُهجن بالأعناق ، فدعا بطَست من ماء فوضعت بالأرض ، ثم قدّمت الخيل إليها واحداً واحدا ، فما ثنى سنبكه وهو مقدّم الحافر ثم شرب هَجَّنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا ، وذلك لأن فى أعناق الهجن قِصَرا ، فهى لا تنال المـاء على تلك الحالة حتَّى تثنىَ سنابكها — ويستحبُّ أيضا أن يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلاً فيوصف حينئذ بطول القوائم . قال الشاعر :

شَرَحبٌ سَلهَبٌ كأنَّ رماحاً حَملته وفى السَّراة دموجُ

والشرحب والسلهب ، كلاهما على وزن جعفر ، بمعنى الطويل . والسراة بفتح المهملة : أعلى الظهر . والدموج : دخول بعض الشىء فى بعضه من شدته واكتنازه ، وأمَّا الساقان فيستحب قصرها . وقال الشاعر :

له متن عَير وساقا ظليم(١)

---

(١) كتب الميمنى : « المصراع ذكره القالى ونقله البكرى ولم يثبت عليه شيئا » .

العير : الحمار الوحشي . والظليم : ذكر النّعام ، كذا فى أدب الكاتب لابن قتيبة ، وبه يعلم سقوط قول الشنتمرى : « النهد : الغليظ ، والجزارة : الرأس والقوائم ويستحب غلظهما مع قلة لحمهما » . وأوهى منه قول الجوهرى وتبعه صاحب العباب ونقله العيني : « إذا قالوا فرس نهد أو عبل الجزارة فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ، ولا يدخل الرأس فى هذا ، لأنّ عِظَم الرأس هجنة فى الخيل » . وخَبَط المطرّزى فى شرح المفصل خبط عشواء فقال : « يعنى كنا فى سفر أو حرب انقطع فيها جميع الأفراس عن السّير ، ولم يبق لها جرىٌ إلا علالة أو بداهة فرس سابح » . هذا كلامه ، وكأنه لم يقِف على ما قبله من الأبيات . « وقوله ولا تقاتل بالعصىّ الخ) يصف قومه بأنهم أصحاب حروب يقاتلون على الخيل ، لا أصحاب إبل يرعونها فيقاتل بعضهم بعضا بالعصىّ والحجارة .

ترجمة الأعشى

(والأعشى) كنيته أبو بصير ، واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل . وكان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع : وذلك أنه كان فى جبلٍ فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدّت فم الغار فمات فيه جوعا .

وكان الأعشى من فحول شعراء الجاهلية وممن قدّم على سائرهم ، سلك فى شعره كلّ مسلك ، وقال فى أكثر أعاريض العرب ، وليس ممن تقدم من الفحول أكثرُ شعراً منه . وسُئل ابن أبى حفصة : من أشعر العرب ؟ قال : شيخا وائل : الأعشى فى الجاهليّة والأخطل فى الإسلام . وسئل يونس النحوى : من أشعر الناس ؟ قال : لا أومىء إلى رجل بعينه ، ولكنى أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

٨٥

وهو أول من سأل بشعره . وكانوا يسمّونه صنّاجة العرب لجودة شعره . وكان أبو عمرو بن العلاء يفخّم منه ويعظّم محله ويقول : شاعر مُجيد ، كثير الأعاريض والافتنان . وإذا سئل عنه وعن لبيد قال : لبيد رجل صالح والأعشى رجل شاعر .

وروى المفضل بسنده عن الشعبي : قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أدّبهم برواية شعر الأعشى ، فإنه — قاتله الله — ما كان أعذبَ بحره وأصلب صخره !

قال المفضل : مَنْ زعم أن أحداً أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر .

وكان الأعشى يفد على الملوك لا سيما ملوك فارس ، ولذلك كثرُت الألفاظ الفارسية فى شعره ، قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[1] : « وكان الأعشى جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام فى آخر عمره ، ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى صلح الحُدَيبية ، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذى يريد ، فقال : أردت محمداً . قال : إنه يحرّم عليك الخمر والزنى والقمار . قال : أما الزنى فقد تركني ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قضيتُ منها وطراً ، وأما القمار فلعلّى أصيب منه عوضاً . قال : فهل لك إلى خير من هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه (هدنة) فترجع عامك هذا ، وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظفر بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً . فقال : لا أبا لى ! فأخذه أبو سفيان إلى منزله وجمع عليه أصحابه وقال : يا معشر قريش ، هذا أعشى قيس ، ولئن وصل إلى محمد ليُضَرِّبَنّ[2] عليكم العرب قاطبة . فجمعوا له مائة ناقة حمراء ، فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله . انتهى .

---

(١) الشعراء ٢١٢ .

(٢) التضريب :الإغراء .

وقال شارح ديوانه محمد بن حبيب : وكان الأعشى فيما روى رحل[1] عند ظهور النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى مكة ، وكان قد سمع قراءة الكتب ، فنزل عند عُتبة بن ربيعة ، فسمع به أبو جهل فأتاه فى فتية من قريش، وأهدى له هدية ثم سأله : ما جاء بك ؟ قال : جئت إلى محمد ، إنى كنت سمعت مبعثه فى الكتب لأنظر ماذا يقول ، وماذا يدعو إليه ، فقال أبو جهل : إنه يحرّم الزنى . فقال : لقد كبرت ومالى فى الزنى حاجة . قال : فإنّه يحرّم عليك الخمر. قال : فما أَحَلَّ ! ! فجعلوا يحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه . فقالوا : أنشدنا ما قلتَ فيه . فأنشد :

ألم تغتمض عيناكَ ليلة أرمدَا وعادك ما عاد السليمَ المسهَّدا

وهى قصيدة جيّدة عدّتها أربعة وعشرون بيتاً ، فلما أنشدهم قالوا : هذا رجل لا يمدح أحداً إلا رفعه ، ولا يهجو أحداً إلاّ وضعه . فمن لنا يَصرِفه عن هذا الوجه ؟ فقال أبو جهل للأعشى : أما أنت فلو أنشدته هذه لم يقبلها . فلم يزالوا به ، لشقاوته ، حتّى صدُّوه وخرج من فورته حتّى وصل اليمامة[2] فمكث بها قليلاً ثم مات .

وروى ابن دأب وغيره أنّ الأعشى خرج يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال شعراً ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلتُه فقتلته ، فلما أنشد شعره الذى يقول فيه :

وآليتُ لا أرثى لها من كَلالةٍ ولا من حَفًى حتّى تُلاقى محمدا

متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشم تَراحِي وتلقَىْ من فواضله ندى

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ثابتة فى سه .

(٢) الوجه : وصل إلى اليمامة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كاد ننجو ولمَّا».

وترد هذه القصيدة إن شاء الله مشروحةً فى شواهد مغنى اللبيب ، فإنه استشهد بغالب أبياتها ، ولم يقع منها شىء فى هذه الشواهد[1] .

وللأعشى أخبار أخر تأتى متفرقة فى شرح شواهد من شعره .

والأعشى فى اللغة : الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ، والمرأةعشواء ، وعشِىَ الرجل بالكسر عشاً بالقصر إذا ضعف بصره ، وكان هذا الأعشى عمى فى أواخر عمره . وعدة من هو أعشى من الشعراء سبعة عشر شاعراً ، ذكرهم الآمدى فى المؤتلف والمختلف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون :

٢٤ (حَلائلَ أسودِينَ وأحمرينا)

وأوله :

(فما وَجدتْ بناتُ بنى نِزار)

على أن جمع أسود وأحمر جمع تصحيح شاذ ، كما يجىء فى باب الجمع . وقال فى باب الجمع : فكل صفة لا تلحقها التاء فكأنها من قبيل الأسماء ، فلذا لم يُجمع هذا الجمعَ «أفعَل فَعْلاء وفَعْلان فَعلى» . وأجاز ابن كيسان أحمرون وسكرانون ، واستدل بهذا البيت ، وهو عند غيره شاذ . اهـ .

وبناتُ فاعل وجدتْ ، وحلائل مفعوله ، ونِزار بكسر النون : هو والد مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان . والحلائل : جمع حليل بالحاء المهملة ، وهو

---

(١) يعنى شواهد شرح الرضى على الكافية .

الزوج . والحليلة : الزوجة ، سمِّيا بذلك لأن كلاًّ منهما يحلّ للآخر ولا يحرُم ، أو لأن كلا منهما يحُلُّ من صاحبه محلًّا لا يحلّه غيره . وأسود بن صفة حلائل .

وهذا البيت من قصيدة لحكيم الأعور[1] ابن عَيَّاش الكلبي[2] ، من صاحب الشاهد شعراء الشام ، هجا بها مضر ورمى فيها امرأة الكميت بن زيد بأهل الحبس[3] ، لما فرَّ منه بثياب امرأته .

وسبب حبس الكميت على وجه الاختصار ، أنّ حكيماً الأعور هذا كان وَلِعاً بهجاء مُضَر ، فكانت شعراء مضر تهجوه وتجيبه ، وكان الكميت يقول : هو والله أشعر منكم ! قالوا : فأجِب الرجل ! قال : إنَّ خالد بن عبدالله القسريّ محسنٌ إليّ فلا أقدر أن أردّ عليه . قالوا : فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ! فأنشدوه ذلك ، فحَمِيَ الكميتُ لعشيرته فقال المذهّبة التي أولُها :

ألا حُيِّيتِ عَنَّا يا مَدينا

وأحسن فيها ، وهى زُهاء ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمن إلّا هجاهم . ومنها :

ولا أعني بذلك أسفليكم ولكنّي أريد به الذوينا

وتقدم شرحه ، وهو الشاهد السادس عشر ؛ وعرّض الكميت فيها بأخذ الفُرس والحبشة وغيرهما لنساء اليمن بقوله :

لنا قمرُ السماء وكلُّ نجم تشير إليه أيدى المهتدينا

---

(١) الميمنى : « حكم ، مصغر فيما أرى » .

(٢) ترجم له ياقوت فى معجمه ١٠ : ٢٤٧ وورد ذكره فى الحيوان ٢ : ٦ .

(٣) الحبس ، يعنى السجن موضع الحبس .

وما ضَربت بناتِ بنى نزار هوائجُ من فحول الأعجمينا
وما حملوا الحميرَ على عِتاق مطهّمـــة فيُلفَوا مُنغلينا

٨٧ والهوائج : جمع هائج ، وهو الفحل الذى يشتهى الضراب . وبلغ خالداً القسرىَّ خبر هذه القصيدة فقال: والله لأقتلنه . ثم اشترى ثلاثين جارية فى نهاية الحسن فروّاهن القصائد الهاشميات للكميت ، ودسّهن مع نخّاس إلى هشام ابن عبد الملك فاشتراهنّ ، فأنشدنه يوماً القصائدَ المذكورة فكتب إلى خالد ، وكان يومئذ عامله بالعراق : أنِ ابعث إلىّ برأس الكميت . فأخذه خالد وحبسه ، فوجّه الكميت إلى امرأته ، ولبس ثيابها وتركها فى موضعه وهرب من الحبس ، فلما علم خالدٌ أراد أن ينكّل بالمرأة ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا : ماسبيلك على امرأةٍ لنا خُدِعت ! فخافهم وخلّى سبيلَها ، ثم إنّ الكميت اتصل بَمسلمة بن هشام ، فشفع فيه عند والده فشفّعه .

وقيل : إنّ سبب هجاء الكميت أهل اليمن أنّ حكيما الأعور هذا ، كان يهجو علىَّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وبنى هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بنى أمية ، فانتدبَ له الكميت رحمه الله تعالى ، فهجاه وسبّه وأجابه ، ولجّ الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يُفصح بشعره عن على رضى الله عنه ، لما وقع بينه وبين هشام ، وكأنُ يُظهر أنّ هجاءه إياه للعصبية التى بين عدنان جدّ مضر وبين قحطان أبى اليمن .

وقال المستهلّ بن الكميت يوماً لوالده ، لما افتخر فى قصيدةٍ بَائية موحّدة ببنى أمية هاجياً بها قحطان : كيف فخرت ببنى أمية وأنت تشهد عليها بالكفر ، فهلّا فخرتَ بعلىّ وبنى هاشم الذين تتولّاهم ؟! فقال : يا بنى ، أنتَ تعلم انقطاع الكلبىّ إلى بنى أمية ، وهم أعداء على رضى الله عنه ، فلو ذكرتُ

عليا لترك ذكرى وأقبل على هجائه ، فأكون قد عرّضتُ عليًّا له ولا أجد له ناصراً من بنى أمية ، ففخرت عليه ببنى أمية وقلت : إن نقضها علىّ قتلوه ، وإن أمسكَ عن ذكرهم ثنيته عن الذى هو عليه . فكان كما قال ، أمسك الأعورُ الكلبىُّ عن جوابه فغلب عليه ، وأفحم الكلبى .

وقال الأعور الكلبى يوماً :

ما سرّنى أن أمّى من بنى أسد   وأنَّ ربىَ نجّانى من النارِ
وأنّهم زوجونى من بناتهم   وأنّ لى كلَّ يوم ألفَ دينار

فأجابه الكميت :

يا كلبُ مالَكَ أمٌّ من بنى أسد   معروفةٌ فاحترقْ يا كلبُ بالنارِ

فأجابه الكلبىّ :

لن يبرح اللؤم هذا الحىَّ من أسدٍ   حتى يُفرَّقَ بين السبت والأحدِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون :

٢٥ (قد صرَّتِ البَكرةُ يوماً أجمعا)

على أن الكوفيين جوّزوا تأكيد النكرة المحدودة . وقد أورده الشارح فى باب التوكيد أيضاً ، ويأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

وهذا البيت مجهولٌ لا يعرف قائله ، حتّى قال جماعة من البصريين : إنه مصنوع .

والبكرة بفتح الموحدة وسكون الكاف ، إن كانت البكرة التى يستقى عليها الماء من البئر . فصرَّت بمعنى صوّتت ، من صرّ البابُ يَصِر صريراً

أى صوّت ، فيكون المعنى : ما انقطع استقاء الماء من البئر يوماً كاملاً ؛ وإن كانت الفتيَّةَ من الإبل مؤنث البَكر وهو الفتىُّ منها — قال أبو عبيدة :
٨٨ البَكر من الإبل بمنزلة الفتى من الإنسان . والبَكرة بمنزلة الفتاة ، والقلوص بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الإنسان ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة — فصُرّت بالبناء للمفعول ، يقال صَررتُ الناقة : شددت عليها الصِّرار ، وهو خيطٌ يشدّ فوقَ الخِلف والتَّودِية لئلا يرضَعها ولدها . والفتىُّ بفتح الفاء وكسر المثناة وتشديد الياء ، هو من الدوابّ:خلاف المسنّ ، وهو كالشابّ من الناس ؛ والأنثى فتيّة ؛ والفتى بالقصر : الشابّ ، والأنثى فتاة . والخِلف بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام : هو لذوات الخف كالثدى للإنسان . والتودية ، بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر الدال وتخفيف المثناة التحتية ، هى خشبة تشدّ على خِلف الناقة إذا صُرَّت ، وجمعها تَوادٍ كمساجد .

قال العينى ، بعد أن شرحه على الوجه الأول : صدره :

(إنّا إذا خُطّافنا تقعقعا)

وفيه نظر من وجهين : الأول أن بيت الشاهد بيت من الرجز ، وليس مصراعاً من بيت حتى يكون ما ذكره صدره .

والثانى : أنه غير مرتبط ببيت الشاهد فإنّ بيت الشاهد لا يصح أن يكون خبراً لقوله (إنّا) ولا جواباً (لإذا) ، اللهم إلاّ إن قدر الرابط ، أى صرت البكرة فيه ، وتكون حينئذ الجملة الشرطية خبراً لإنّا . فافهم . والخُطّاف بالضم والتشديد : حديدة معوجّة تكون فى جانبى البَكْرة فيها المحور ، وكل حديدة معطوفة خطاف . والقعقعة : تحريك الشيء اليابس الصُّلب مع صوت ، والتقعقع مطاوعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون ، وهو من شواهد المفصل[١] :

٢٦ (أتانى وعيدُ الُحوص من آل جعفر
فيا عَبد عَمرٍو لو نَهيتَ الأحاوصا !)

على أن الأحوص بالنظر إلى الوصفية جمع على (الحوص) ، وبالنظر إلى نقله إلى الاسمية بالغلبة جمع على الأحاوص .

وهذا البيت أورده الزمخشرى فى المفصـل على أنَّ الأحوص يجمع على هذين الجمعين : أحدهما فُعْل ، ولا يجمع على هذا إلا أفعل صفة ، وشرطه أن يكون مؤنثه على فَعلاء كما هو مبيَّن فى جمع التـكسير ، والثانى أفاعل ، ولا يجمع على هذا إلاَّ أفعل اسماً أو أفعل التفضيل .

والبيت من قصيدة لأعشى قيس ، نفَّر فيها عامرَ بن الطُفيل ، قاتله الله صاحب الشاهد تعالى ، ابن مالك بن جعفر ، على ابن عمه عَلقمة الصحابى ، رضى الله عنه ، ابن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة الـكلابىّ العامرىّ . قال فى الاستيعاب : وكان سيِّداً فى قومه حليما عاقلا ، ولم يكن فيه ذاك الـكرم .

و (الوعيد) : التهديد والتخويف . وأراد بالحوص والأحاوص : أولاد الأحوص بن جعفر ، وهم عوف بن الأحوص ، وعمرو بن الأحوص ، وشُريح ابن الأحوص . والأحوص اسمه ربيعة ، سمِّى أحوص لضيقٍ كان فى عينه . قال فى الصحاح : والحوص أى بمهملتين : ضيق فى مُؤْخر العين ، والرجل أحوص ، ويقال بل هو الضيِّق فى إحدى العينين ، والمرأة حوصاء . وعبدعمرو :

(١) ابن يعيش ٥ : ٦٢ ، ٦٣ . وهو فى ديوان الأعشى ١٠٩ .

قال ابن السيرافى فى شرحه لشواهد إصلاح المنطق : هو عبد بن عمرو ابن الأحوص ، وقال فى الصحاح : عبد عمرو وهو ابن شريح بن الأحوص . وجواب (لو) محذوف أى لو نهيتهم لـكان خيراً لهم ، ويجوز أن تكون للتمنى على سبيل التهكم ، وإنّما وجه الخطاب إليه لأنّه كان رئيسهم حينئذ . وإنما قال الأعشى هذا الـكلام لأنّ علقمة بن عُلاثة كان أوعده بالقتل ، ويدل عليه قوله بعد هذا بأبيات :

(فإن تتعِدْنى أتَّعدْك بمثلها وسوفَ أزيد الباقياتِ القوارصا)

والقوارص : الـكلمات المؤذية ، يريد إنى أزيدك على الإيعاد بقصائد الهجو . ولولا أنها فى صحابيّ لأوردت منها أبياتا .

وكان سبب تهديد علقمة بالقتل للأعشى : هو أنّ علقمة بن علاثة كان نافرَ ابنَ عمه عامر بن الطفيل — وكان علقمةُ كريماً رئيسا ، وكان عامر عاهراً سفيهاً — وساقا إبلا جمّة لينحر لها المنفِّر[١] ، فهاب حكّام العرب أن يحكموا بينهما بشىء ، وأتوا هرِم بن قُطبة بن سنان فقال : أنتما كركبَتي البعير تقعان معا وتنهضان معا[٢] ، قالا : فأيّنا اليُمنَى ؟ قال : كلا كما يمين . وأقاما سَنة لا يجسر أحد أن يحكم بينهما بشىء ، إلى أن جاء الأعشى علقمة مستجيرًا به ، فقال . أجيرك من الأسود والاحمر . قال : ومن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامرا فقال له مثل ذلك ، فقال : ومن الموت ؟ قال : نعم . قال : وكيف ؟ قال إن متّ فى جوارى وَدَيتك . فقال علقمة : لو علمت أن ذلك مرادُه لهان علىّ . ثم إن الأعشى ركب ناقته ووقف فى نادِى القوم وأنشدهم قصيدة نفّر فيها عامرا على علقمة ، منها :

(١) نفره على صاحبه تنفيرا : قضى له عليه بالغلبة .

(٢) فى النسختين : « يقعان معا وينهضان معا » . والركبة مؤنثة .

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمةَ الفاخرِ

ومنها :

ولستَ بالأكثر منهم حصى وإنما العزةُ للكاثر

وهما شاهدان من شواهد هذا الكتاب ، وسيأتى شرحهما إن شاء الله تعالى فى محلِّهما . وبعد أن أنشد القصيدةَ نادى الناسُ : نُفِّرعامرٌ على علقمة ؛ ورووا الشعر وأمضوا حكم الأعشى . ودعواه أنّهما حكّماه باطلة كما يعلمه الناس ، وكان رأى هرِم خلاف ذلك . فلما سمع علقمة بهذا هدَّده بالقتل ، فقال الأعشى هذه القصيدة الصادية .

ومعنى المنافرة ، كما فى الصحاح : المحاكمة فى الحسب ، يقال نافره فنفره ينفُره بالضم لا غير ، أى غلبه . والمنفور : المغلوب . والنافر : الغالب . ونفَّره عليه تنفيرا أى قضى عليه بالغلبة ، وكذلك أنفره . والحسب هو من الحُسبان وهو ما يعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه ، ويقال حسبه : دينه . ويقال ماله . وقال ابن السكيت : الحسب والكرم يكونان فى الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، والمجد لا يكون إلاّ بالآباء .

وترجمة الأعشى مرت فى الشاهد الثالث والعشرين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون :

٢٧ (يأبى الظُّلامةَ منه النَّوفلُ الزُّفَرُ)

وأوله : (أخو رغائبَ يعطيها ويُسألُها)

على أنّ الزفر بمعنى السيد ؛ قال الشارح المحقق فى فُعَل ، بضم الفاء إذا كان علما : « يشترط لمنع صرفه جمع شرطين : ثبوت فاعل وعدم فعل

(١) انظر ما مضى فى ص ١٧٥ .

قبل العلمية . أما عُمر وزفر علمين فكان الواجب صرفهما ، لأنّه لما جاء لهما فاعل قبل العلمية جاء فُعَل أيضا نحو عمر جمع عمرة . والزُّفر : السيِّد . قال الأعشى » . وأنشد الشعر ، ثم قال : « لكنهما لما سمعا غير منصرفين حكمنا بأنهما علمان غير منقولين عن فُعَل الجنسىّ ، بل هما معدولان عن فاعل » انتهى . يفهم منه أنه لم يسمع صرف زفر فى العلمية لكن يجوز صرفه باعتبار كونه معدولا من الزافر[1] ، كما صرح به ابن جنى ، ناقلا عن أبى علىّ ، فى كتابه المبهج[2] وهو شرح أسماء شعراء الحماسة ، وعبارته : « زفر معدول عن زافر ، ولذلك لم يصرف لاجتماع التعريف والعدل فيه ، ويدل على أنَّه معدول أنّك لا تجده فى الأجناس كما تجد نحو صُرَدَ ونُغَر ؛ وأما قوله :

يأبى الظُّلامة منه النوفل الزُّفَرَ

فقال أبو على : إنّك لو سميت بهذا صرفته كما تصرفه إذا سمَّيته صردا وجُرَذا وحُطَما ولبدا » . وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب[3] : « الزفر الناهض بحمله ، وليس زفر هذا الاسم منقولا من هذا الوصف ، ولو كان كذلك لوجب صرفه ، ألا تعلم أن فُعَلاً المعدول عن فاعل لا يجوز دخول اللام عليه ، وذلك نحو زحل وقثم . وقد قال :

يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

فدخول اللام عليه يعرِّفك أنّ زفر الذى ليس مصروفا ليس بهذا لداخليَّة اللام ، ولو سمَّيت رجلا بزفر هذا بعد خلعك اللام عنه لوجب صرفه ، لأنّه حينئذ كصرد ونغر[4] . وهذا واضحٌ ، وهو رأى أبى على وتفسيره » . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « الزفر » . (٢) المبهج لابن جنى ص ٢٠ .

(٣) المبهج لابن جنى ص ٤٩ .

(٤) فى المبهج : « لأنه حينئذ كان يكون كصرد ونغر وجعل » .

والأخ هنا بمعنى المُلابس والملازم للشيء ، فإنّ العرب استعملت الأخ على أربعة أوجه : أحدها هذا كقولهم : أخو الحرب ، والثانى : المجانس والمشابه كقولهم : هذا الثوب أخو هذا ، والثالث : الصديق ، والرابع : أخو النسب وهو قسمان : نسب قرابة وهو المشهور ، ونسب قبيلة وقوم ، كقولهم : يا أخا تميم يا أخا فَزارة ، لمن هو منهم ، وبه فسر قوله تعالى: «يا أختَ هَرُون ». والرغائب : جمع رَغيبة وهى العطايا الكثيرة ، كذا فى الصحاح ، وفى شرح شواهد الغريب المصنَّف لابن السيرافى : والرغائب الأشياء التى يرغب فيها . يريد يعطى مايرغب الرجال فى ادّخاره ويحرصون على التّمسك به لنفاسته . وأخو خبر مبتدإ محذوف ، أى هو أخو رغائب ، وجملة يعطيها ويسألها مفسّرة لوجه الملابسة فى قوله : أخو رغائب . ويُسألها بالبناء للمجهول : من السؤال ، ويروى موضعه و (يَسلُبها) بالبناء للمعلوم من السلب . والظُّلامة بالضم ، ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها ، وهو ماتطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك. والنَّوفل : البحر ، والكثير العطاء ، وقال ثعلب : النوفل العزيز الذى ينفل عنه الضيمَ أى يدفعه . والزُّفر : الكثير الناصرِ والأهلِ والعدةِ . وقال فى الصحاح : هو السيّد ، لأنه يزدفر أى يتحمل بالأموال فى الحَمالات من دين ودية مطيقاً لها ؛ وأنشد هذا البيت ثم قال : وإنما يريده بعينه[1] ، كقولك لئن لقيتَ فلانا ليلقينك منه الأسد . ومحصل كلامهم أن (من) تجريدية ، والتجريد — كما فى الكشف — هو تجريد المعنى المراد عما قام به ، تصويراً له بصورة المستقل مع إثبات ملابسةٍ بينه وبين القائم به بأداة أو سياق .

وهذا البيت من قصيدة عدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً لأعشى باهلة ، رثى صاحب الشاهد

(١) انظر الصحاح (زفر) . وعبارته تخالف ما هنا . وانظر ترجمة الصحاح فى كشف الظنون .

بها المنتشِر بن وهبٍ الباهلي ، قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف[١] : « أعشى باهلة يكنى أبا قُحفان ، جاهلى، واسمه عامر بن الحارث ، أحد بنى عامر بن عوف ابن وائل بن معن ؛ ومعن أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همْدان . وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة المرثية فى أخيه لأمّه : المنتشر » انتهى .

٩١

ترجمة المنتشر

والمنتشر هو كما قال أبو عبيدة : ابن وهب بن سلَمة بن كَرَاثة[٢] بن هلال بن عمرو بن سلامة بن ثَعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وكان المنتشر رئيساً فارساً . وكان رئيس الأبناء[٣] يوم أرمام ، وهو أحد يومى مُضَر فى اليمن ، كان يوماً عظيما قتل فيه مُرّة بن عاهان ، وصَلاءة بن العنبر ، والجوح ، ومعارك .

وقال الأصمعى : المنتشر هو ابن هُبيرة بن وهب بن عوف بن حارث بن ورقة بن مالك .

قال السيد المرتضى فى أماليه المسماة (غرر الفوائد ودرر القلائد)[٤] : « وهذه القصيدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة » قال : « وقد رُويت أنّها للدعجاء أخت المنتشر ، وقيل لليلى أخته » قال : « ومن هنا اشتبه الأمر على عبد الملك بن مروان فظنّ أنها لليلى الأخيلية » .

وينبغى أن نورد هذه القصيدة مشروحة لأمور : منها أنها نادرة قلّما توجد ، ومنها أنهـا جيدة فى بابها ، ومنها أن كثيراً من أبياتها شواهد فى كتب العلماء .

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٤ . والنص هنا أوفى مما هناك .

(٢) من الكرات ، كسحاب ، وهى ضرب من النبات جبلى يستمشون بلبنه . وانظر اللسان (كرث) .

(٣) الأبناء : م أبناء عسكر الفرس الذين أعانوا سيف بن ذى يزن على الحبشة . وفى ط : « الأنباء » صوابه فى سه .

(٤) أمالى المرتضى ٢ : ٢٤ .

ونورد أولا خبر المنتشر ، حتّى يظهر بناء القصيدة عليه . وكان من حديثه على مارواه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى روايته ديوان الأعشى قال : « خرج المنتشر بن وهب الباهلى يريد حجّ ذى الخلَصة ، ومعه غِلمة من قومه ، والأقيصر بن جابر أخو بنى فرّاص — وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له — فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب ، وطريقُه عليهم — وكان من حجّ ذا الخلصة أهدى له هَدياً يتحرّم به ممن لقيه — فلم يكن مع المنتشر هَدىٌ ، فسار حتّى إذا كان بهضب النّباع انكسر له بعضُ غلمته الذين كانوا معه فصعِدوا فى شعب من النّباع ، فقالوا فى غار فيه ؛ وكان الأقيصر يتكهّن ، وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب ، فقال الأقيصر : النّجاء يامنتشر فقد أُتيتَ ! فقال : لا أبرح حتّى أبرُد[1] . فمضى الأقيصر وأقام المنتشر وأتاه غِلمته بسلاحه ، وأراد قتالهم فأمّنوه ؛ وكان قد أسر رجلا من بنى الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء ابن زنباع ، فسأله أن يَفدىَ نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ، ثم أبطأ فقطع منه أخرى ، وقد أمنه القوم ووضع سلاحه ، فقال : أتؤمنون مقطّعاً ؟ والٰهى لاأؤمّنه ! ثم قتله ، وقتل غلمته . انتهى .

وذو الخَلصة ، بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة : الكعبة اليمانية التى كانت باليمن ، أنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبدالله فخرّبها . وقيل هو بيت كان فيه صنمٌ لدوس وخَثعم وبجيلة وغيرهم . كذا فى النّهاية لابن الأثير . وفى الصحاح : هو بيت لخثعم كان يُدعى الكعبة اليمانية ، وكان فيه صنم يدعى الخَلصة فهدم . وفى شرح البخارى لابن حجر : « ذو الخلصة بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة . وحكى ابن دُرَيد فتح

(١) يقال يبرد يبرد بردا : مات .

أوله وإسكان ثانيه . وحكى ابن هشام ضمهما ، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه ، والأول أشهر . والخلصة : نبات له حبٌّ أحمر كخرز العقيق ، وذو الخلصة : اسم البيت الذى كان فيه الصنم ، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذوالخلصة وحكى المبرد أن موضع ذى الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لها العبلات[1] من أرض خثعم ، ووهم من قال إنّه كان فى بلاد فارس » . انتهى .

٩٢٠ ورأيت فى كتاب الأصنام لابن الكلبى : أن ذا الخلصة « كان مروةً بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرةَ سبع ليال من مكة ، وكان سدنتَها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ، وكانت تعظّمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السّراة[2] ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ، وفيها يقول خِداش بن زهير العامرى لعَثعث بن وحشىّ[3] فى عهدٍ كان بينهم فغدر بهم :

وذكّرته بالله بينى وبينه وما بيننا من هذه لو تذكّرا
وبالمروة البيضاء يوم تَبالة ومحبسة النعمان حيث تنصّرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ، ووفدت عليه وفودها ، قدم عليه جرير بن عبد الله مسْلماً : فقال له : يا جرير ألا تكفينى ذا الخلصة ؟ فقال : بلى ! فوجّهه إليه ، فخرج حتى أتى أحمس من بَجيلة فسار بهم إليه . فقاتلته خثعم وباهلة دونه ، فقتل من سدنته من باهلة

---

(١) فى معجم البلدان (العبلاء) : « والعبلاء وقيل العبلات : بلد لخثعم كان بها ذو الخلصة ، بيت وصنم لهم » . وفى ط : « العيلات » ، صوابه بالباء الموحدة كما فى سه .

(٢) ط : « بوادى الصراة » ، وأثبت ما فى سه والأصنام ٣٥ .

(٣) ط : « لعقبة بن وحشى » ، صوابه فى سه مع أثر تصحيح ، ومن الأصنام وياقوت .

يومئذ مائة رجل ، وأكثر القتلَ فى خثعم وقتل مائتين من بنى قُحافة بن عامر ابن خثعم ، فظفر بهم وهزمهم ، وهدم بنيان ذى الخلصة ، وأضرم فيه النار فاحترق . وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تَبالة . وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدُّنيا حتى تصطكّ أَلَيات نساء دَوس على ذى الَخلصة ، يعبدونه كما كانوا يعبدونه[1] » . انتهى .

والقصيدة هذه :

(إنى أتتنى لسانٌ لا أُسَرّ بها   من عَلْو لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق ، فى الظروف ، على أن علو روى بضم الواو وكسرها وفتحها .

واستشهد به صاحب الكشاف على أن اللسان فى قوله تعالى : « وجَعَلْنا لهم لسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا[2] » أطلق على ما يوجد بها من العطية . واللسان هنا بمعنى الرسالة ، وأراد بها نعى المنتشر ، ولهذا أنّث له الفعل ، فإنه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسُن ، وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة . روى ثعلب :

إنى أُتيت بشىء لا أُسَرّ به   من علوَ لا عجب فيه ولا سَخَرُ

وروى أبو زيد فى نوادره :

إنى أتانىَ شىء لا أُسرُّ به   من عَلُ لا عَجَب فيه ولا سخر

قال : ويروى من عُلو وسخر بضمتين . قال فى الصحاح : « وعلو مثلث الواو، أى أتانى خبر من أعلى نجد » .وقال أبو عبيدة: أراد العالية .وقال ثعلب

---

(١) انظر الحديث رقم ٩١٩ من الألف المختارة من صحيح البخارى .
(٢) الآية ٥٠ من سورة مريم .

أى من أعالى البلاد . ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها، ومن علا، ومن أعلى، ومن مَعال . وقوله (لا عجب) الخ، أى لا أعجب منها، وإن كانت عظيمة، لأن مصائب الدنيا كثيرة ؛ (ولا سخر) : بالموت، وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية، وهو بفتحتين وبضمتين : مصدر سخر منهُ كفرح وسخرا بضمتين ومسخرا : استهزأ به .

(فظَلتُ مكتئباً حرّانَ أندُبه وكنت أحذره لو ينفع الحذرُ)

٩٢ وروى : وكنت ذا حذر .

(فجاشتِ النفسُ لمّا جاء جمعُهم وراكبٌ جاء من تَثليثَ معتمِرُ)

فى الصحاح : « جاشت نفسه أى غثت ، ويقال دارت للغثيان . فإن أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت ، بالهمز » . وروى بدل جمعهم أى الذين شهدوا مقتله : (فَلُّهم) بفتح الفاء وتشديد اللام ؛ يقال جاء فلّ القوم أى منهزموهم ، يستوى فيه الواحد والجمع ، وربّما قالوا : فلول وفِلال . وتثليث بالمثلثة : اسم موضع[1] . ومعتمر صفة راكب بمعنى زائر ، ويقال من عمرة الحج .

(يأتى على الناس لا يَلوِى على أحدٍ حتّى التقينا وكانت دوننا مضرُ)

فاعل يأتى ضمير الراكب . ويلوى : مضارع لوى بمعنى توقف وعَرّج ، أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرِّج على أحد حتى أتانى ؛ لأنى كنت صديقه . ودون بمعنى قُدّام .

(إنّ الذى جِئتَ من تثليثَ تندُبه منه السّماحُ ومنه النّهى والغِيرُ)

أى فقلت لهذا الراكب : إن الذى جئت الخ ، يقال ندب الميت من باب

(١) موضع بالحجاز قرب مكة ، كما فى معجم البلدان .

نصر : بكى عليه وعدّد محاسنه . وجملة « منه السماح » الخ خبر إن . والنهى : خلافُ الأمر . والغِير ، بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية : اسم من غيرت الشيء فتغير ، أقامه مقام الأمر .

(ينعَى امرأً لا تغُبّ الحيَّ جَفنته إذا الكواكب أخطا نوءها المطر)

النعي : خبر الموت ، يقال نعاه ينعاه . قال الأصمعي : كانت العرب إذا مات ميت له قدرٌ ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول : نَعاءِ فلاناً . أى انعه وأظهر خبر وفاته ، وهى مبنية على الكسر . ولا يغبّ : هو من قولهم فلانٌ لا يُغِبّنا عطاؤه ، أى لا يأتينا يوما دون يوم ، بل يأتينا كل يوم. والجفنة : القصعة . وأخطاه كتخطاه : تجاوزه . والنوء : سقوط نجم من المنازلْ فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما ، وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة. وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها . يريد أن جفانه لا تنقطع فى القحط والشدة :

(ورَاحت الشَّولُ مغبرًّا مناكبُها شُعثا تغيّر منها النَّيّ والوبرُ)

معطوف على مدخول (إذا) . فى القاموس : « الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها ، والجمع شَول على غير قياس » . وفى النهاية : الشول مصدر شال لبن الناقة أى ارتفع ، وتسمى الناقة الشَّول أى ذات شَول ، لأنه لم يبق فى ضرعها إلاّ شَول من لبن أى بقية ، ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها[1] .وروى (مباءتُها) أى مَراحُها ، بدل مناكبها . و (مغبرّا) يعنى من الرّياح والعَجاج . والنَّيّ بفتح النون : الشحم ،

(١) فى النقل من النهاية بعض التصرف .

ومصدر نوت الناقة تنوى نواية ونيّا إذا سمنت ، يريد أن الجدب وقلة المرعى خشّن لحمها وغيّره .

(وألجأ الـكلبَ مبيَضُّ الصقيع به   وألجأ الحىَّ من تنفاحِهِ الُحجَرُ)

معطوف أيضا على مدخول إذا . وألجأ : اضطَرّ ، ويروى : (أجحر) يقال أجحرته أى ألجأته إلى أن دخل جحره . والصّقيع : الجليد . وتنفاحه : ضربه ، ٩٤ وهو مصدر نفحت الريح ، إذا هبّت باردة ، والضمير للصقيع ، والباء فى به بمعنى على ، والضمير للـكلب . والُحجَر بضم الحاء وفتح الجيم : جمع حجرة بالضم : الغرفة ، وحظيرة الإبل من شجر . يقول : هو فى مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام .

(عليه أوّلُ زادِ القوم قد علموا   ثم المطىُّ إذا ما أرملوا جُزُرُ)

يعنى أنه يرتّب على نفسه زاد أصحابه أوّلا ، وإذا فنى الزاد نحرَ لهم . وأرمل الرجلُ : نفد زاده . والمطىّ : جمع مطية ، وهى الناقة . والجزر بضمتين : جمع جَزور ، وهى الناقة التى تنحر ، وروى بفتحتين : جمع جَزرة ، وهى الناقة والشاة تذبح .

(قد تَـكظِم البُزْلُ منه حين تبصره   حتّى تقطَّعَ فى أعناقها الِجرَرُ)

ويروى :

* وتفزع الشول منه حين يفجؤها *

يقال : كظم البعير بالفتح يكظم بالـكسر كظوما ، إذا أمسك عن الجرّة . وقيل : الـكظم : أن لا تجترّ لشدة الفزع إذا رأت السيف : والبزل : جمع بازل ، وهو الداخل فى السنة التاسعة . والجِرر : جمع جرة بكسر الجيم فيهما ، وهى ما يخرجه البعير للاجترار . يقول : تعوّدت الإبل أنه يَعقِر منها ، فإذا

رأته كظمت على جرّتها فزعا منه . وتَقطع فعل مضارع منصوب بأن[١]

(أخو رغائبَ يعطيها ويُسألها يأبى الظُّلامةَ منه النوفلُ الزُّفر
لم تر أرضاً ولم تسمع بساكنها إلاّ بها من نوادِى وقعه أثر)

نوادى كل شىء بالنون : أوائله وما ندر منه ، واحدُه نادية ، ومنه قولهم : لا ينداك منّى سوء أبدا ، أى لا يندر إليك . والوقع : النزول .

(وليس فيه إذا استنظرته عجلٌ وليس فيه إذا ياسرته عَسَرُ
وإنْ يُصبْك عدوٌّ فى مناوأة يوما فقد كنت تستعلى وتنتصِر)

ويروى : « فقد كان يستعلى وينتصر » . المناوأة : المعاداة ، يقال ناوأت الرجل مناوأة . وقيل هى المحاربة ، ناوأته أى حاربته . قال الشاعر :

إذا أنت ناوأت القرون فلم تنؤ بقرنين عَزّتك القرونُ الكوامل[٢]

(من ليس فى خيره مَنٌّ يكدّره على الصديق ولا فى صفوه كدر
أخو شُرُوب ومكسابٌ إذا عَدِموا وفى المخافة منه الجدُّ والحذر)

الشُّروب : جمع شَرب وهو جمع شارب ، كصحب جمع صاحب . ويروى (أخو حروب) . والمكساب : مبالغة كاسب . والعُدم : الفقر ، وفعله من باب فرح .

(مِردَى حروبٍ ونورٌ يستضاء به كما أضاء سوادَ الظلمة القمر)

المردى بكسر الميم ، قال فى الصحاح « هو حجر يُرمى به » ، ومنه قيل للشجاع : إنه لمردى حروب » . ومعناه أنّه يقذف فى الحروب ويرجَم فيها . وروى :

---

(١) وحذفت إحدى التاءين فى أول الفعل تخفيفا .

(٢) عزتك : غلبتك . وفى ط : « غرتك » صوابه فى ســ .

* كما أضاء سواد الطخية القمر *

الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة : الظلمة . والطَّخياء بالمد : الليلة المظلمة . يريد أنه كاملٌ شجاعةً وعقلا ، فشجاعتُه كونه يرمى فى الحروب ، وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به ، وهما وصفان متضادان غالبا . ٩٥

(مُهفهَف أهضَم الكَشحين منخرقٌ عنه القميصُ لسير الليل محتَقِرُ)

المهفهف : الخميص البطن الدقيق الخصر . والأهضم : المنضمّ الجنبين . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ؛ وهذا مدحٌ عند العرب ، فإنّها تمدح الهزال والضمر وتذمّ السمن . وفى العباب : ورجل منخرق السربال ، إذا طال سفره فشققت ثيابه . ولسير الليل متعلق بما بعده ، وهذا يدلّ على الجلادة وتحمُّل الشدائد .

(طاوى المَصير على العَزّاء مُنجرِدٌ بالقوم ليلةَ لا ماءٌ ولا شجر)

الطوى : الجوع ، وفعله من باب فرح ؛ وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً إذا تعمّد الجوع . والمصير : المِعَى الرقيق ، وجمعه مُصران ، كرغيف ورغفان ، وجمع هذا مصارين ، أراد طاوى البطن . والعزّاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة : الشدّة والجهد . وقال فى الصحاح : هى السنة الشديدة . والمنجرد : المتشمّر . وقوله « ليلة لا ماءٌ ولا شجر » أى يُرعَى .

(لا يُصعِب الأمرَ إلاّ ريث يركبه وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمر)

أصعب الأمر : وجده صعباً . وكلّ : مفعول مقدم ليأتمر ، أى يفعل كل خير ولا يدنو من الفاحشة[١] .

---

(١) انظر المواهب الفتحية ٢ : ٢١ .

(لا يهتِكُ السِتر عن أُنثى يُطالعها ولا يُشَدّ إلى جاراته النظرُ)

(لا يتأرّى لمـا فى القِدر يرقُبه ولا يعَضّ على شُرْسوفه الصَّفرُ)

لا يتأرّى : لا يتحبس ويتلبّث ، يقال تأرى بالمكان ، إذا أقام فيه ، أى لا يلبث لإدراك طعام القدر . وجملة يرقبه حال من المستتر فى يتأرّى ، يمدحه بأنّ همته ليست فى المطعم والمشرب ، و إنما همته فى طلب المعالى ، فليس يرقب نُضج ما فى القدر إذا همّ بأمر له شرف ، بل يتركها ويمضى . والشُرسوف : طرف الضلع . والصَّفر : دُوَيْبّة مثل الحيّة تكون فى البطن تعترى مَن به شدّةُ الجوع ، قال فى النهاية ، فى حديث « لا عَدوى ولا هامةَ ولا صَفَر » : إنّ العرب كانت تزعم أن فى البطن حيّة يقال لها الصَّفَر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، [وأنّها تعدى[1]] ، فأبطل الإسلام ذلك . وقيل أراد به النبىُّ صلى الله عليه وسلم النسىء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية : وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام ، فأبطله . انتهى . ولم يرد الشاعر أن فى جوفه صفراً لا يعضُّ على شراسيفه ، وإنما أراد أنه لا صَفَر فى جوفه فيعضّ[2] . يصفه بشدة الخلق وصحة البنية .

(لا يَغمِز الساقَ من أينٍ ولا وَصبٍ ولا يزال أمامَ القوم يَقتفِر)

لا يغمز الساق : لا يجسُّها[3] يصف جَلَده وتحمله للمشاق . والأين : الإعياء . والوصب : الوجع والاقتفار بتقديم القاف على الفاء : اتّباع الآثار . فى الصحاح : وقفرت أثره أقفره بالضم ، أى قفوته ، واقتفرت مثله . وأنشد هذا

(١) التكملة من النهاية .

(٢) ومثله فى هذا قول ابن احمر .

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

أى ليس بها ضباب تنجحر . وانظر الخزانة ٤ : ٢٧٣ .

(٣) ط : « لا يجبيها » ، صوابه فى ش .

٦٩ البيت . ورواه أبو العباس فى شرح نوادر أبى زيد[1] (يُقتفر) بالبناء للمجهول ، ومعناه أنه يفوت الناس فيتبع ولا يُلحق .

(لا يأمنُ الناسُ مُمساه ومُصبَحَه   فى كل فجّ وإن لم يَغزُ يُنتظرُ)

أى لا يأمنه الناس على كلّ حال سواء كان غازياً أم لا ، فإن كان غازياً يخافون أن يغير عليهم ، وإن لم يكن غازياً فإنهم فى قلق أيضاً ، لأنهم يترقبون غزوه وينتظرونه .

(تَكفيه حُزّة فِلذانٍ ألمَّ بها   من الشِّواء ويُروِى شُربَه الغُمَر)

الحُزّة بضم الحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة : قطعة من اللحم قطعت طولا . والفِلذان : جمع فِلذ . بكسر الفاء فيهما : القطعة من الكبد واللحم . وألّم بها : أصابها ، يعنى أكلها . والغُمر بضم الغين المعجمة وفتح الميم : قدَح صغير لا يروى .

(لا تأمنُ البازلُ الكَوماء عَدوتَه   ولا الأمونُ إذا ما اخرَوّطَ السَّفَر)

البازل : البعير الذى فطر نابُه بدخوله فى السنة التاسعة ، ويقال للناقة بازل أيضاً يستوى فيه الذكر والأنثى . والكوماء بالفتح : الناقة العظيمة السَّنام . والعَدوة : التعدّى ، فإنه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل ، أو شابّة كالأمون ، وهى الناقة الموثّقة الخَلق يؤمن عثارها وضعفها . واخروّط : امتدّ وطال .

(كأنّه بعد صدق القوم أنفسَهم   باليأس تلمع من قدّامه البُشُر)

لمع : أضاء . والبُشر بضمتين : جمع بشير ، يقول : إذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدّامَه بشيرٌ يبشّره

---

(١) نوادر أبى زيد ص ٧٦ ، وهى إحدى روايتين فيه .

بالظفر والنجاح ، فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان . قال السيد المرتضى في أماليه[١] : « قال المبرد لا نعلم بيتا في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت » .

(لا يُعجل القومَ أن تغلى مراجلُهم ويُدلج الليلَ حتّى يفسحَ البصَرُ)

يريد أنّه رابط الجأش عند الفزع ، لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطّباخ . وقوله : حتى يفسح البصر ، أي يجد متسعاً من الصبح . وقيل معناه ليس هو شَرِهاً يتعجّل بما يؤكل . والمراجل : القدور ، جمع مرجل .

(عِشنا به حِقبة حيّا ، ففارقَنا كذلك الرمح ذُو النصلين ينكسر)

وروى : * عشنا بذلك دهراً ثم ودّعنا *

والنصلان هما : السِّنانُ وهى الحديدة العليا من الرمح ، والزُّجّ ، وهى الحديدة السفلى ، ويقال لهما الزُّجّان أيضاً . وهذا مثل ، أى كل شيء يهلك ويذهب .

(فإن جَزِعنا فقد هَدَّت مُصابَتُنا وإنْ صبرنا فإنّا مَعشرٌ صُبُر)

المصابة بضم الميم بمعنى المصيبة ، يقال : جبر الله مصابته ، وهو فاعل والمفعول محذوف أى قُوَانا . والصُّبُر بضمتين : جمع صَبور ، مبالغة صابر .

(أصبتَ فى حَرَم منّا أخا ثِقة هِندَ بنَ أسماء لايَهنِى لك الظفَرَ)

خاطبَ قاتل المنتشر هندَ بن أسماء ، وأراد بالحرم ذا الخَلَصة ، ثم دعا عليه . والتّهنئة : خلاف التعزية .

(لو لم تَخنه نُفيلٌ وهى خائنةٌ لصبّح القومَ وِرْداً ماله صَدَرُ)

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٢٣

صبّحه : سقاه الصبوح ، وهو الشرب بالغداة ، أراد أنه كان يقتلهم .

(وأقبل الخيلَ من تثليثَ مُصغِيةً وضمّ أعيُنَها رَغوان أو حَضَرُ)

أقبل الخيلَ : جعلها مقبلة . ومصغية : مائلة نحوكم . ورَغوان وحَضر : موضعان . أى كانت تأتى خيله عليكم فى هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيهما .

(إذا سلكتَ سبيلاً أنت سالكه فاذهبْ فلا يبعدَنْكَ الله منتشرُ[1])

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون :

٢٨ (شُمسِ بن مالكِ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(إنى لَمُهْدٍ من ثنائى وقاصدٌ به لابن عمّ الصّدق شُمسِ بن مالكِ)

على أنه مصروف مع أنه معدول عن شَمس بالفتح . وعليه اقتصر فى باب العلم . وإنما صرف لكونه لم يلزم الضم فإنّه سمع فيه الفتح أيضاً ، فلما لم يلزم الضم لم يُعتبر عدله ، ولو لزم الضمّ لصُرف أيضاً لأنه يكون حينئذ منقولا من جمع شموس ، لا معدولا من شَمس بالفتح .

وقد تبع الشارحُ المحقق فى رواية الضم والفتح شراحَ الحماسة ، منهم ابن جنّى فى إعرابها فإنه قال : « أما من روى شمس بفتح الشين فأمره واضح كما يسمّى ببدر ونحوه ، ومن رواه شُمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شموس ، سُمّى به ، من قول الأخطل :

---

(١) فى الأصمعيات ٩٢ : « إما سلكت سبيلا كنت سالكها » . وفى جمهرة أشعار العرب ١٣٧ : « فإن سلكت سبيلا كنت سالكها » .

شُمسُ العداوة حتّى يُستقاد لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدَروا[١]

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام، نحو: مَعديكرِب وثَهلَل ومَوهَبٍ، ومَوظب، ومَكوْزة، وغير ذلك مما غيّر فى حال نظائره لأجل العلمية الحادثة فيه؛ وليس فى كلام العرب شمس إلاّ هذا الموضع[٢] اﻫ.

وفيه نظر، فإنّ شُمساً فى هذا البيت مضموم الشين لاغير، وإنّ المضموم غير المفتوح، كما فصّله الحسن العسكرى فى كتاب التصحيف. فإنه قال بعد ما أورد هذا البيت: «شُمس مضموم الشين: بطن من الأزد من مالك بن فَهم. وكل ماجاء فى أنساب اليمن فهو شُمس بالضم، وكل ماجاء فى قريش فهو شَمس بالفتح» انتهى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات عشرة لتأبّط شراً، أثبتها أبو تمام فى أول الحماسة، قال ابن جنى: «ضمير به عندى راجع إلى موصوف محذوف، أى ثناء من ثنائى. وراجع عند الأخفش إلى نفس ثنائى، ومن عنده زائدة، وسيبويه لايرى زيادتها فى الواجب» انتهى. فعلى الأول يكون ما أهدى محذوفاً، وعلى الثانى مذكوراً، واللام فى قوله: (لابن عم) متعلقة بقاصد عند البصريين، يقال قصدته بكذا وقصدت له به، قال فى العباب: كلُّ ما نسب إلى الصلاح والخير أضيف إلى الصدق فقيل رجل صدقٍ، وصديقُ صدقٍ.

وتأبّط شراً تقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس عشر[٣].

---

(١) ديوان الأخطل ١٠٤ واللسان (شمس).

(٢) فى القاموس: «الضلال بن ثهلل ممنوعا — كجعفر وقنفذ وجندب: الذى لا يعرف. وكجعفر: موضع قرب سيف كاظمة». وفيه: «وموظب كمقعد: موضع قرب مكة». وقال الميدانى: «ثهلل أعجمى فى الأصل، فلذا منع من الصرف».

(٣) انظر ما سبق فى ص

ترجمة الحسن العسكرى ٩٨

وأما (مصنف كتاب التصحيف) فهو أبو أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد بن إسماعيل العسكرى ، ولد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ومات يوم الجمعة لسبع خلون من ذى الحجة من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . قال أبو طاهر السِّلَفى : إنّ أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرُّف فى أنواع العلوم ، والتبحر فى فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب صناعة الشعر . كتاب الحكم والأمثال . كتاب التصحيف. كتاب راحة الأرواح . كتاب الزواجر والمواعظ . كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان[1] وغيرها من شيوخ : منهم أبو القاسم البغوىّ ، وابن أبى داود السجستانى ، وأكثرَ عنهم ، وبالغ فى الكتابة ، وبقى حتى علا به السنّ واشتهر فى الآفاق بالرواية والإتقان ، وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء والتدريس بقُطر خُوزِستان[2] ورحَل الأجلّاء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه . نقلته مختصرا من معجم الأدباء[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون :

٢٩ (وهُمُ قُرَيشُ الأكرمون إذا انتَمَوا
طابوا فُروعا فى العُلا وعُروقا)

على أن (الأب) ربَّما جعل مؤوّلا بالقبيلة فمنع الصرف ، كما منع قريش الصرف لتأويله بالقبيلة . والأكرمون صفة قريش .

(١) أصبهان بفتح الهمزة ، وقد تكسر ، وممن كسرها السمعانى وأبو عبيد البكرى. انظر معجم البلدان . وفى القاموس : « وقد تبدل باؤها فاء » .

(٢) ط : «خورستان» ، صوابه بالزاى ، كما فى ش .

(٣) معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ — ٢٦٧ .

ومثله لعدىّ بن زيد بن الرِقاع العاملى[1] يمدح الوليد بن عبدالملك :

غَلب المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وَسادَها

والمساميح : جمع سَمح على خلاف القياس . وقوله إذا انتموا : يقال انتمى إلى أبيه : انتسب ، ونميته إلى أبيه نَميا : نسبته

•

اشتقاق قريش

فى العباب : قال ابن دريد : كثر الكلام فى قريش ، فقال قوم : سُمِّيت قريش بقريش بن مَخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عِيرهم فكانوايقولون: قدِمت عير قريش وخرجت عير قريش ، وقال قوم : سُمِّيت قريشا لأن قُصَيّا قرَّشها أى جمعها ، فلذلك سمى قصىٌّ مجمّعا . قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب :

أبونا قُصىّ كان يُدعَى مجمِّعا به جمع الله القبائلَ من فِهر

وقال الليث : قريش قبيلة ، أبوهم النّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر ، فكلٌّ من كان من ولد النضر فهو قرشىٌّ دونَ ولد كنانة ومن فوقه . وقال صاحب العباب : « وينقض هذين القولين قولُ ابن الكلبىّ ، لأنه المرجوع إليه فى هذا الشأن ، وهو أن قريشا اسمه فِهر بن مالك بن النضر . وفى تسميته قريشا سبعة أقوال : أحدها سمّوا قريشا لتجمُّعهم إلى الحَرَم . ثانيها : أنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها . ثالثها : أنه جاء النضر بن كنانة فى ثوبٍ له ، يعنى اجتمع فى ثوبه فقالوا : قد تقرّش فى ثوبه . رابعها : قالوا : جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جمل قَريش أى شديد . خامسها : قول ابن عباس لما سأله عمرو بن العاص : بم سميت قريش ؟ قال :

---

(١) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع ، وينسب أحيانا فيقال عدى ابن الرقاع نسبة إلى جده الأعلى . انظر الشعر والشعراء ٦٠٠ .

بدابّةٍ في البحر تسمَّى قريشا لاتدع دابة إلا أكلتها ، فدوابُّ البحر كلها تخافها ، قال المُشَمرجُ[١] بن عمرو الحميرىّ :

وقريش هى التى تسكن البحـــــر بها سمِّيت قريش قريشا[٢]

سادسها : قال عبدالملك بن مروان : سمعت أن قُصَيّا كان يقال له القرَشىّ ، لم يسمَّ قرشىٌّ قبله . سابعها : أنهم كانوا يفتشون الحاجّ عن خَلّتهم فيسدُّونها » . ٩٩

ويعلم من هذه الأقوال أن كون قريش أبا إنّما هو على القول الثالث والرابع والسادس .

* * *

وأنشد بعده :

(جَذْبَ الصَّرارِيِّينَ بالكرورِ)

على أنَّ جمع التكسير لايمتنع جمعه جَمعَ سلامة ؛ فإنّ الصَراري جمع صُرّاء وهو جمع تكسير ، وقد جمع على الصراريين جمع سلامة . وتقدم مافيه مشروحا في الشاهد الحادى والعشرين فراجعه[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون : وهو من شواهد س[٤] :

٣٠ (وإذا الرِّجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم
خُضعَ الرقابَ نواكسى الأبصارِ)

---

(١) ط : « المشمرخ » ، صوابه فى ش . وانظر القاموس (شمرج) .
(٢) ورد البيت فى النسختين على هيئة المنثور . وانظر اللسان (قرش ٢٢٦) .
(٣) انظر ما مضى فى ص
(٤) سيبويه ٢ : ٢٠٧ .

على أن جمع التكسير نحو نواكس لايمتنع جمعه جمع سلامة كنَواكِسِين، كما ذكره أبو على فى (الحجة).

أقول: ذكره أبو على فى (إعراب الشعر) أيضاً. واعلم أنّ الكلام على هذه الكلمة من ثلاثة وجوه:

(أحدها): أن نواكس جمع ناكس وهو المطأطىء رأسه؛ وفاعلٌ إذا كان اسما نحو كاهل، أو صفة مؤنث سواء كان ممن يعقل نحو حائض أو ممن لايعقل نحو ناقة حاسر: إذا أعيت، أو صفة مذكر غير عاقل نحو صاهل — يجمع قياسا على فواعل، تقول: كواهلُ وحوائض وحواسر وصواهل. أما إذا كان صفة لمذكر عاقل لايجمع على فواعل، وقد شذت ألفاظ خمسة: وهى ناكس ونواكس، وفارس وفوارس نحو:

* لولا فوارس من نُعم وأسرتهم *

وهالك وهوالك قالوا: «هالك فى الهوالك»، وغائب وغوائب، وشاهد وشواهد، قال عتبة بن الحارث لجَزء بن سعد:

أحامِي عن ديار بنى أبيكم ومثلى فى غوائبكم قليلُ

فقال له جَزء: نعم، وفى شواهدنا! فجمع (عتبة) غائبا على غوائب، وجمع (جَزء) شاهداً على شواهد. وقد وجهت بتوجيهات:

أما الأول فقد حمله سيبويه على اعتبار التأنيث فى الرجال، قال: لأنك تقول هى الرجال كما تقول هى الجمال. فشبّهه بالجمال. ومنه أخذ أبو الوليد فقال فى شرح كامل المبرّد: هذا مخرج على غير الضرورة، وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال، فكأنه جماعات نواكس وواحده جماعة ناكسة، فيكون مقيساً جاريا على بابه كقائلة وقوائل. ووجهه ابن الصائغ على أنّه صفة للأبصار

من جهة المعنى ، لأن الأصل قبل النقل قبل النقل نواكسَ أبصارُهم ، والجمع فى هذا قبل النقل سائغ لأنه غير عاقل ، فلما نقل تركوا الأمر على ما كان عليه لأن المعنى لم ينتقل .

وأما الثانى فقالوا : إنه من الصفات التى استعملت استعمالَ الأسماء فقرب بذلك منها ، ولأنه لا لَبس فيه ، لما ذكر سيبويه من أن الفارس فى كلامهم لا يقع إلا للرجال .

وأما الثالث فوجهه أنّه جرى عندهم مجرى المثل ، ومن شأن الأمثال أن لا تغير عن أصلها .

وأما الرابع والخامس فوجههما يعلم مما وجه به الشَّلوبين هوالك ونواكس ، فإنه يجرى فى جميع ما جاء من هذا ؛ وهو قوله : قد عُرف بقولهم أولا « هالك » أنه إنما يريد المذكر ، وكذلك بقوله « وإذا الرجالُ رأوا يزيد » قال : فصار ذلك مما تقدم ذكره من قولهم فارس فى الفوارس وإن لم يكن مثله فى الجملة ، لأن المعنى الذى يتضمنه نواكس يصلح للمذكر والمؤنث ، والمعنى الذى يتضمنه الفوارس لا يصلح إلا للمذكر . هذا قوله ، وهو جارٍ فى الأخيرين ، لأنه إنما يريد فيمن غاب (من رجالكم) ، ولم يرد أنّ مثله فى (نسائهم) قليل ، فعين أنه يريد المذكر من جهة قصده فصار كالفوارس . ١٠٠

قال الشاطبى فى شرح الألفية : « وطريقة المبرد فى جميع ما جاء شاذا من هذا النوع : أنّ فواعل هو الأصل فى الجميع ، وإنما مَنع منه خوف اللبس ، فإذا اضطروا راجعوا الأصل كما يراجعونه فى سائر الضرورات وكذلك حيث أمنوا الإلباس » اهـ . قال المبرد فى الكامل[1] ، بعد ما أورد بيت الشاهد :

---

(١) الكامل ٢٦٢ برواية : « فإذا الرجال » .

« وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون ، وهو أنّهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث ، لا يقولون ضارب وضوارب ، لأنهم قالوا ضاربة وضوارب . ولم يأت هذا إلا فى حرفين : أحدهما « فارس » لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس . ويقولون فى المثل : « هو هالك فى الهوالك » فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال ، لأنه مثل ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال : « نواكسى الأبصار » ولا يكون مثل هذا أبداً إلا ضرورة » اهـ .

وفيه أنه كان ينبغى أن يقيد النعت بمن يعقل ولكنّه أطلق لشهرته ، وفيه أيضاً أن المسموع خمسة لا ثلاثة كما تقدم[1] .

ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقى زيادة على هذه الخمسة ، وهى : حارس وحوارس ، وحاجب وحواجب من الحجابة ، نقلهما عن ابن الأعرابى ، ثم قال : ومن ذلك ما جاء فى المثل « مع الخواطىء سهمٌ صائب » . وقولهم : « أمَا وحواجّ بيت الله ودواجّه » جمع حاجّ وداجّ ، والداجّ : الأعوان والمُكَارُون . وحكى المفضّل رافد وروافد ، وأنشد :

* إذا قلّ فى الحىّ الجميعِ الروافدُ *

فالجميع إحدى عشرة كلمة .

(الوجه الثانى) أن المشهور فى رواية هذه الكلمة (نواكسَ) بدون جمعها جمعَ سلامة ، وبه استشهد س وصاحب الجمل وقالا : كان القياس أن يجمع ناكس على أنكاس أو نكّس ، وكأنه حمله على تأنيث الجمع . وقد رواها جماعة جمعها بجمع السلامة ؛ قال ابن السيد فى شرح كامل المبرد : وهذا أطرف

---

(١) انظر ليس فى كلام العرب ص ٧٥ .

وأغرب من جمع ناكس على نواكس فإنّه غريب جدّا ، لأن الخليل يرى أن هذا البناء نهاية الجمع . وقال فى شرح أبيات الجمل : ولما كان الجمع الذى ثالثه ألف وبعده حرفان أو ثلاثة لا يتهيأ تكسيره لأنه نهاية التكسير وأريد جمعه لم يكن ذلك إلاّ بأن يجمع جمع سلامة ، لأنه لا يغير الاسم عن لفظه . قال الجارَبَردى فى شرح الشافية ، بعد ما قال ابن الحاجب « وقد يجمع الجمع » : أى جمع تكسير وجمع تصحيح بالألف والتاء . وأفاد بقد أنه لا يطّرد قياسا لكنه كثير فى جمع القلة ، قليل فى جمع الكثرة إلا بالألف والتاء .

(الوجه الثالث) أنّه يتراءى فى ظاهر الأمر تدافعٌ بين هذا الوزن من جمع التكسير وبين جمع التصحيح ، فإن الأول موضوع للكثرة والثانى للقلة .

١٠١ وقد سأل ابن جنى فى إعراب الحماسة عن هذا فقال « فإن قلت : فقد قالوا :

* فهنّ يعلكن حَدائداتها[1] *

وقالوا : * قد جرت الطير أيامِنينا[2] *

وقالوا : صَواحبات يوسف ، ومَواليات العرب ، وقال الفرزق :

* خُضُع الرقابِ نواكسى الأبصار *

فيمن رواه بالياء فنى هذا على قولك اجتماع الضدين وهو دلالة المثال علىّ الكثرة مع جمعه بالواو والنون والألف والتاء ، وكل واحد منهما على ما قدَّمت موضوع للقلة ! وأجاب عنه بقوله « قيل : لا يكون مفيد القلة فى القِلة كأن لا يوجد البتة ، ألا ترى أن نفس نواكس وصواحب يفيد بنفسه مفرد الكثرة ! أفتراه إذا جمع جمع القلة يصيره ذلك أن يكون أقلّ

(١) للأحمر ، فى الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (حدد ١١٦) .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (يمن ٣٥١) والعينى ٢ : ٤٢٥ . ط : « أيامينا » صوابه فى ـ والمراجع المتقدمة .

من أن لا يجمع أصلاً ؟ قد كفاه موضوعه للكثرة من احتياجه إلى تثنية فضلا عن جمع قلة ، أو تجاوز به إلى مثال كثرة ؛ كما أنّ المضمر المجرور وإنْ ضعف عن عطف المظهر عليه بغير إعادة حرف جرّ معه ، فإنّه لا يضعف عن توكيده كررت به نفسه ، وذلك أنه لا يبلغ به الضعف أن يكون أقلّ من لا شيء . وأنت لو قلت مررت بنفسه لكان قولاً جائزا . فاعرفْ هذا النحو » . انتهى كلامه .

وهذه عبارة قلقة يتعسر فهم المراد منها فينبغي شرحها .

فقوله : « فني هذا على قولك اجتماع الضدين الخ » أقول : لا يخفى عليك أن هذا ليس على ظاهره ، بل إنّما هو فى الحقيقة اعتراضٌ بالترديد بين المحذورين ، ذكر أحدهما لظهوره وترك الآخر اعتمادا على فهم من له حظٌّ من قانون المناظرة ؛ وإلاّ فلا يتم التقريبُ أصلا كما لا يخفى . وتقريره أن هذا الجمع جمع القلة يلزم أحد المحذورين : إما اجتماع الضدين على تقدير أن يكون القلة والكثرة موجودتين معا ، أو كون مفيد القلة كأن لا يوجد على تقدير إعدام القلة ولم يتعرض لكون مفيد الكثرة كأن لا يوجد لأنه لا خفاء فى امتناعه ، ضرورة بقاء الكثرة على حالها بعد أن جمع جمع القلة . وقوله: «قيل لا يكون مفيد القلة فى القلة كأنْ لا يوجد البتة الخ » ظاهره جواب باختيار الشق الثانى ، لكن يحصل منه الجواب باختيار الشقّ الأول أيضا . وتقريره : إنّا لا نسلم لزوم كون مفيد القلة كأن لا يوجد على تقدير إعدام القلة ، بل إنما يلزم ذلك أنْ لو كانت القلة منتفية بجميع أنواعها وذلك ممنوع ، لأن وضع لفظ التكسير للكثرة يقتضى انتفاء القلة المباينة لها لا القلة الجامعة معها ، ولا يلزم من انتفاء الأول انتفاء الثانى حتى يكون مفيد القلة كأن لا يوجد . ولا نسلم أيضا لزوم اجتماع الضدين على تقدير وجودهما معا ، بل إنّما يلزم ذلك

أن لو كانت القلة الباقية بعد أن جمع جمع القلة هي القلة المباينة للكثرة المذكورة ، وذلك أيضا ممنوع ، بل مقتضاه اجتماع الكثرة مع القلة المجامعة معها ، ضرورةَ أنّ لفظ القلة يفيد تقليل أفراد مدخولها لا غير ، وهما ليسا بضدّين حتّى يلزم من وجودهما معاً اجتماع الضدين . وقوله « ألا ترى الخ » مع قوله « أفتراه الخ » تنوير لعدم كون مفيد القلة كان لا يوجد . وتقريره : أنك تعرف قطعا أن نفس صواحب وأمثالها يفيد الكثرة بنفسه مفردا ، وتعرف أيضا أن جمعه جمع القلة لا يصيّره إلى أقل من أن لا يجمع ذلك الجمع أي لا يغيره إلى حكم المفرد حتى يكون جمع القلة في المفردات المباينة لتلك ١٠٢ الكثرة . كيف لا ! ولو كان كذلك يلزم انتفاء الكثرة ، مع أن وضعه[1] كاف في ذلك من غير احتياج إلى تثنية أو جمع قلة أو جمع كثرة . فظهر لك أن ذلك الجمع لإفادة أمر آخر زائد عليه ، وهو تعليل تلك الكثرة فقط ، فلما كانت القلة المجامعة مع تلك الكثرة باقيةً على حالها لم يكن مفيد القلة كان لا يوجد البتة . وقوله: « كما أنّ المضمر المجرور الخ » تنظير لعدم تغيير جمع القلة مع الكثرة ، وتقريره : أنّ امتناع اجتماع الضدين نظيرُ ضعف عطف المظهر على المضمر بغير إعادة الجار ، وجمع القلة فيما نحن فيه نظيرُ تأكيد المضمر بغير إعادة الجار ، فكما أن ضعف العطف المذكور لكونه كالعطف على بعضِ حروف الكلمة لا ينافي جوازَ التأكيد بغير إعادة الجار ، لأنه كنفسه بناء على تغاير المادتين ـ كذلك امتناع اجتماع الضدين لا ينافي جواز جمع التكسير جمع القلة لتغاير المادتين ، وكما أن التأكيد لا يجعل المضمر أقلَّ من أن لا يؤكّد بل يفيد أمراً زائداً عليه وهو التأكيد ، كذلك الجمع فيما نحن فيه لا يجعل

---

(١) ط : « وصفه » ، صوابه في س .

لفظ التكسير أقلُّ من أن لا يجمع ، بل يفيد أمرا زائداً عليه ، وهو تقليلُ الكثرة الحاصلة من المجامعة معه .

والحاصل : أن ماهو لازم ليس بمحذور ، وما هو محذورٌ ليس بلازم ؛ هكذا ينبغى أن يُفْهم هذا المقام .

وقوله (خُضُع الرقاب) حال من مفعول رأيتَهم ، والرؤية بصرية فى الموضعين ، ولا تضر الإضافة فإنها لفظية ، وكذلك نوا كسى الأبصار ، لأنّ المعنى خُضُعا رقابُهم نوا كسَ أبصارُهم . وخُضُع بضمتين : جمع خَضوع مبالغة خاضع من الخضوع وهو التّطامن والتواضع ، يقال خضع لغريمِهِ يخضع بفتحهما خضوعاً : ذلّ واستكان ، وهو قريب من الخشوع ، إلاّ أن الخشوع أكثر ما يستعمل فى الصوت والخضوع فى الأعناق ، ولهذا أضافه إلى الرقاب . ويحتمل أن يكون خُضْع بضمة فسكون جمع أخضَع ، وهو الذى فى عنقه تطامن من خلقة ؛ وهذا أبلغ من الأوّل : أى ترى أعناقهم إذا رأوه كأنّها خلقت مُتطامِنة من شدّة تذللهم ؛ و (فُعْل) قياس فى جمع أفعَل وفعلاء صفةً غير تفضيل ، نحو أحمر وحمراء وجمعهما حُمر .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها آل المهلب ، وخص من بينهم صاحب الشاهد ابنه يزيد ، أولها :

(فلأمدحنّ بنى المهلب مِدحةً غرّاء ظاهرةً على الأشعـارِ[1]
مثل النجوم أمامها قمرٌ لهـا يجلو الدجى ويضىء ليلَ السارى
ورِثوا الطعان عن المهلّب والقِرى وخلائقـاً كتدفّق الأنهار
أما البنونَ فإنهم لم يورِثوا كتُراثه لبنيه يوم فخـار)

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٤ — ٣٧٩ .

إلى أن قال :

(أمّا يزيدُ فإنّه تأبَى له   نفسٌ موطّنةٌ على المقدار
ورّادة شُعَبَ المنيَّةِ بالقنا   فتُدِرّ كلّ مُعانِدٍ نعّارِ
وإذا النفوس جشأن طامن جأشها   ثقةٌ به لحمايةِ الأدبارِ
ملكٌ عليه مهابة الملكِ التَقِى   قمرُ التمام به وشمس نهار
١٠٣ وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم   . . . . البيت)

إلى أن قال :

(مازالَ مذ عَقدت يداه إزارَه   وسما فأدرك خمسةَ الأشبار
يُدنى خوافقَ من خوافق تلتقى   فى كلّ مُعتبَطِ الغبار مُثار)

قوله : (تأبَى له نفس) مفعول تأبى محذوف : أى القعود عن الحروب ونحوه ، وقوله : (موطّنة على المقدار) أى تقول نفسه عند اقتحام المهالك : لايصيبنى إلاّ ماقدّر الله ؛ والمقدار بمعنى القدَر . وورّادة : مبالغةُ واردة ، صفة نفس . وشُعَب : مفعول ورّادة ، بمعنى فروع المنية وأنواعها ، مستعار من الشُّعَب التى هى أغصان الشجرة ، جمع شعبة . والقنا : جمع قناة وهى الرمح . وتُدر : فاعله ضمير القنا ، من أدرّت الريح السحاب واستدرّته أى استجلبته[1] . وكل : مفعوله . والمعاند : العِرق الذى يسيل ولا يرقأ ، ويقال له عاند أيضاً ؛ وفعله من باب نصر . والنّعار : بالعين المهملة من نَعَر العِرق ينعَر بالفتح فيهما ، أى فار منه الدم ، فهو عرق نعّار ونعور . وجشأن : يقال جشأت نفسه ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع . والجأش بالهمز : جأش القلب ، وهو رُواعه إذا اضطرب عند الفزع ، يقال فلان رابط الجأش أى يربط نفسه عن الفرار

(١) ط : « استجلبته » بالجيم ، صوابه فى سـه .

لشجاعته . وطأمن : مقلوب طمأن بالهمز فيهما بمعنى سكّن. وثقة فاعله . والتَقَى: فعل ماض . وقمر التمـام فاعله ، يقال قمرُ تمام بفتح التاء وكسرها إذا تم ليلة البدر ، وأما ليل التِّمام فمكسور لاغير ، وهو أطول ليلة فى السنة . وقوله : (مازال مذ عقدت يداه . . إلى آخره) هذا البيت استشهد به النحاة فى عدة مواضع ، منهم ابن هشام أورده فى المغنى شاهداً لإيلاء الجملة الفعلية لمذ ، كما يليها الجملة الاسمية . وأورده أيضاً فى شرح الألفية لقوله (خمسة الأشبار) حيث جرد المضاف من أداة التعريف ، وهو حجة على الكوفيين فى جوازهم[1] الجمع بين تعريف المضاف باللام والإضافة إلى المعرفة ، مستدلين بقول عرب غير فصحاء : « الثلاثة الأبواب » ، والمسموع تجريد الأوّل من أداة التعريف ، كما قال ذو الرُّمة أيضاً :

وهل يَرجع التسليمَ أو يكشفُ العمى ثلاثُ الأثافى والديارُ البلاقعُ

وسما : ارتفع وشبّ ، من السموّ وهو العلوّ ؛ وأدرك بمعنى بلغ ووصل ، وفاعلهما ضمير يزيد . وقوله : خمسة الأشبار ، أراد طول خمسة أشبار بشبر الرجال وهى ثلثا قامة الرجل ، وينسب إليها فيقال: غلام خُماسىّ . قال ابن دريد: غلام خماسىّ قد أيفع . فى الصحاح والعباب : وغلام رباعى وخماسىّ أى طوله أربعة أشبار وخمسة أشبار ، ولا يقال سداسىٌّ ولا سباعىٌّ ، لأنه إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة أشبار صار رجلاً . والغلام إذا بلغ خمسة أشبار عندهم تخيَّلوا فيه الخير والشر ، ولهذا قال بعض العرب : أيّما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمتَه قتلته . هذا ماعندى ، وأما الناس فقد اختلفوا فى تفسيره على أقوال :

(أحدها) قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل : « ومعنى فأدرك خمسة الأشبار : ارتفع وتجاوزَ حدَّ الصبا ، لأن الفلاسفة زعموا أن المولود إذا ولد

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « لإجازتهم » أو « تجويزهم » .

لتمام مدة الحمل ولم تغيِّره آفة في الرحم فإنه يكون في قدِّه ثمانية أشبار من شبر نفسه ، وتكون سُرّته بمنزلة المركز له ، فيكون منها إلى نهاية شقه الأعلى أربعة ١٠٤ أشبار بشبره ، ومنها إلى نهاية شقه الأسفل أربعة أشبار ، ومنها إلى أطراف أصابعه من يده معاً أربعة أشبار ، حتى أنه لو رقد على صلبه وفتح ذراعيه ووُضع ضابط في سرته وأدير لكان شبه الدائرة . قالوا : فما زاد على هذا أو نقص فلآفة عرضت له في الرحم ، فإنك تجد مَن نصفه الأعلى أطول من نصفه الأسفل ومَن نصفه الأسفل أطول من نصفه الأعلى ، ومَن يداه قصيرتان ، ومَن يده الواحدة أقصر من الثانية . فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي غاية الكمال » . اهـ . وقوله أولاً « ارتفع وتجاوز حدَّ الصبا » شرح به المعنى المراد ولا حاجة بعده إلى نقل كلام الفلاسفة ، لأنه خارج عن المقام ، بل مفسد لأنه رتب بعده قوله « فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي إلى غاية الكمال » وهذا غير متصوَّر ، لأن الطفل الذي تجاوز أربعة أشبار بشبر نفسه لايحسن عقد إزاره فضلاً عن الأخذ في الترقي إلى غاية الكمال ، وإنما المعنى تجاوز خمسة أشبار بشبر الرجال ، وهي ثلثا قامة الرجل كما ذكرنا .

(ثانيها) أنه أراد بخمسة الأشبار السيف ، قال ابن هشام اللخمي في شرح شواهد الجمل : هذا هو الصحيح لأنه منتهى طول السيف ، في الأكثر ، كما أن منتهى طول القوس ثلاث أذرع وإصبع . قال الراجز :

أرمي عليها وهي فَرعٌ أجمعُ وهي ثلاثُ أذرعٍ وإصبع[1]

وإنما زاد إصبعاً لاختلاف أذرع الناس في الطول والقصر . وربما زادوا شبراً كما قال آخر :

---

(١) لحميد الأرقط في العيني ٤ : ٥٠٤ والخصائص ٢ : ٣٠٧ وشرح الجواليقي لأدب الكاتب ٣٥٣ .

* وهى ثلاث أذرع وشبر *

وكما أن منتهى طول القناة أحد عشر ذراعًا[١] . قال عُتبة بن مِرداس[٢] :

وأسمرَ خطّيـــا كأن كعوبه نوى القَسْبِ قد أربى ذراعاً على العَشر

وقال البحترى أيضاً :

كالرمح أذرعه عشرٌ وواحدة فليس يُزرى به طول ولا قِصرُ

(ثالثها) أنه أراد عصا الخطبة . وهذا غير مناسب لما قبله ولما بعده .

(ورابعها) أنه أراد الخيزُرانة التى كان الخلفاء يحبِسونها بأيديهم . وهذا أيضاً غير مناسب كالذى قبله . على أن (يزيد) ليس خليفة ولا من نسل الخلفاء وأراد هذا القائل الخلفاء الأمويين .

(خامسها) أنه أراد خلال المجد الخمسة : العقل ، والعفة، والعدل، والشجاعة والوفاء . وكانت عندهم معروفةً بهذا العدد ، كذا نقلوه . ولا يخفى أنه لو كان المراد هذا لبقى[٣] ذكر الأشبار لغواً .

(سادسها) أنه أراد بخمسة الأشبار القَبر لأن البيت من مرثيَة ، وهذا باطل لا أصل له ، فإنه من قصيدة فى مدح يزيد بن المهلب ، وكان حياً .

واسم زال ضمير يزيد ، وخبرها البيت الذى بعده ، وهو (يدنى خوافق الخ) وأراد بالخوافق الرايات وهو جمع خافقة ، يقال خفقت الراية بالفتح تخفق بالكسر والضم خَفقاً وخَفَقاناً ، إذا تحركت واضطربت . ومعتبط الغبار بالعين والطاء المهملتين ، هو الموضع الذى لم يُقاتَل عليه ولم يُثَر فيه غبار قبل ١٠٥

(١) الذراع أنثى وقد تذكر ، كما هنا . وانظر اللسان (ذرع) .

(٢) كذا والمشهور عتيبة بن مرداس . انظر جمهرة ابن حزم ٢١٣ . وقال ابن قتيبة فى الشعراء ٣٢٩ : « هو عتيبة ويقال : عتبة بن مرداس » .

(٣) ط : « لبقيت » ، صوابه فى سه .

ما أثاره هذا الممدوح ، يقال أعبطت الأرضَ ، إذا حفرت منها موضعاً لم يحفر فيها قبل ذلك . والمثار : المهيَّج والمحرَّك . وروى بدله :

(يُدنى كتائب من كتائب تلتقى في ظلّ معترك العَجاج مُثارِ)

والكتائب : جمع كتيبة وهو الجيش . والمعترك : موضع الاعتراك وهو المحاربة ، وأراد بظله الغبار الثائر فى المعركة ، فإنه إذا اشتد لايرى معه ضوء فيصير كالظل الكثيف . ومذ : اسم ، فقيل : إنها ظرف مضاف إلى الجملة ، وقيل : إلى زمن مضاف إلى الجملة ، وقيل : مبتدأ فيجب تقدير زمان للجملة يكون هو الخبر . والإزار : معروف ، وقيل : كنى بعقد الإزار عن شدّه لما يحتوى عليه من كساءى المجد . وهذا يناسب تفسيره خمسة الأشبار بخلال المجد الخمسة . وخمسة الأشبار مفعول أدرك بتقدير مضاف كما تقدم . وقال الأعلم ، على ما نقله اللخمى : « فاعل سما مضمر لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : وسما جسمه أو طوله . وفاعل أدرك مضمر أيضاً عائدٌ على الجسم الذى دل عليه المعنى . ومعنى أدرك : انتهى. والأفعال يُحمل بعضها على بعض إذا اشتركت فى المعنى ، والتقدير : انتهى طوله أو جسمه خمسة أشبار ، ويكون انتصاب خمسة أشبار على أنه مفعول على إسقاط حرف الجرّ ، أى انتهى إلى خمسة أشبار » اه .

أقول : هذا كلُّه تعسفٌ لا ضرورةَ تدعو إليه ، ومثل هذا قول ابن يسعون فى شرح شواهد الإيضاح : « ويجوز نصبه نصب الظروف بقوله سما ، أى عَلا مقدار خمسة الأشبار » اه فإنّه تعسف أيضاً ، لأنه يكون المدرك غير معلومٍ ما هو ، وبقى قوله أدرك غير مفيد شيئاً . ومن فسر الخمسة بالسيف والعصا والخيزرانة ، فهو على حذف مضاف ، أى فأدرك أخذ خمسة الأشبار للقتال به أو للحبس باليد أو للخطبة . وقال ابن يسعون ، بعد جعل الخمسة مفعولا

لأدرك على تقدير معناها السيف أو خلال المجد الخمسة ، ما نصه : « ويجوز نصب خمسة نعتا لإزاره ، أو بدلا منه ، أو عطف بيان » . اهـ فتأمل .

وأما يزيد فهو ابن المهلَّب بن أبى صُفرة ، أحدُ شجعان العرب وكرمائهم . وشهرته فى الشجاعة والكرم غنيّة عن الوصف . كان فى دولة الأمويين والياً على خراسان ، وافتتح جُرجان ودِهِستان وطبرِستان . وبعد الحجاج صار أميرَ العراقَين . وأجمع علماء التاريخ على أنّه لم يكن فى دولة بنى أمية أكرمُ من بنى المهلب كما لم يكن فى دولة بنى العباس أكرمُ من البرامكة . وولد يزيد سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وتوفى مقتولا يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة . وقد ترجمه ابن خلّكان وترجم والدَه بما لا مزيد عليه . وستأتى ترجمة والده فى (رُبَّ) من حروف الجر فى شرح قوله :

* فلقد يكون أخا دَمٍ وذبائح *

ترجمة الفرزدق

١٠٦

والفرزدق هو أبو فِراس ، واسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم البصرى . وهمّام بصيغة المبالغة من الهمة . . وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء ، بعد أن قال : اسمه همام[1] : وكان للفرزدق إخوة ، منهم : هُميم بن غالب وبه سُمّى الفرزدق ، والأخطل وكان أسنّ منه[2] ، وأخت يقال لها جِعثِن كانت امرأة صدق » ، وكان جرير فى مهاجاته للفرزدق يذكرها بسوء . قال اليربوعى : وكذب عليها جرير وكان يقول : أستغفر الله فيما قلت لجعثن . قال : وكانت إحدى الصالحات .

(١) الشعر والشعراء ٤٤٣

(٢) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ١٩ : ٢ : « وكان للفرزدق أخ يقال له هميم ويلقب بالأخطل » .

و (الفرزدق) قال صاحب العباب : قال الليث : الفرزدق : الرغيف الذى يسقط فى التنُّور ، ويقولون أيضاً الفرزدقة . قال : وقال بعضهم : هو فتات الخبز . وقال غيره : الفرزدق القطعة من العجين وأصلها بالفارسية بَراذده . وقال ابن فارس : هذه كلمة منحوتة من كلمتين ، من فرز ومن دقّ لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة ، فهى من الإفراز والدقيق اه فلقب بأحد هذه المعانى. ويشهد للأول ما روى أنه كان أصابه جُدَرى وبقى أثره فى وجهه . ويروى أن رجلا قال له : يا أبا فراس ، كأنّ وجهك أحراحٌ مجموعة ! فقال : تأمّلْ هل ترى فيها حِرَ أمّك ؟ والأحراح : جمع حِر بالكسر وحذف لام الفعل ، هو فرج المرأة — وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبى الأسود الدّيلى ، فإنه كما فى الأغانى[1] قال : « كان طريق أبى الأسود إلى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان فيهم رجل متفحّش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به ، فمر به أبو الأسود يوماً فلما رآه قال لقومه : كأنَّ وجهَ أبى الأسود وجهُ عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم وأعرض عنه أبو الأسود . ثم مرّ بهم ، فقال لهم : كأنَّ غضون قفا أبى الأسود غضون الفِقاح ! فأقبل عليه أبو الأسود فقال : هل تعرف فقحة أبيك فيهن ؟ فأفحمه وضحك القومُ منه ، وقاموا إلى أبى الأسود فاعتذروا إليه ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك » .

ويحتمل أنه لقِّب بالمعنى الثالث ، وبه صرح ابن قتيبة فى أدب الكاتب فقال : « والفرزدق قطع العجين ، واحدها فرزدقة ، ومنه سمى الرجل ، وهو لقبٌ له لأنّه كان جهم الوجه » . ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثانى بأنْ شبه غضون وجهه بفتات الخبز . وقال ابن السيد فى شرح شواهد الجُمَل ، وتبعه فيها ابن هشام اللخمىّ وابن خلف وغيرهما : قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء :

(١) الأغانى ١١ : ١٠٤ .

« إنما سُمّى الفرزدق لغلظه وقصره ، شبّه بالفَتيتة التى تشربها النساء وهو الفرزدقة » اهـ .

أقول : لم أر الفرزدقة بهذا المعنى فى اللغة ، ولا الفتيتة بمعنى ما ذكره . على أنّ ابن قتيبة لم يذكر فى الطبقات شيئاً فى تلقيبه بالفرزدق . ثم رأيت فى الأغانى فى ترجمته[1] أن الفرزدق الرغيف الضخم الذى يجفّفه النساء للفَتوت . ورَوَى أن الجهم بن سُويد بن المنذر الجَرمى قال له : ما وجدَت أمُّك اسمًا لك إلاّ الفرزدق الذى تكسّره النساء فى سَويقها ! — قال : والعرب تسمى خبز الفَتوت الفرزدق — فقال له الفرزدق : أحقُّ الناس بأن لا يتكلم فى هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب .

وروى بسنده عن أبى عمرو بن العلاء قال : أخبرت عن هشام العَنَزى أنه قال : جمعنى والفرزدقَ مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من أنت ؟ قال : أما تعرفنى ! قلت : لا . قال : فأنا أبو فراس ؟ قلت : ومن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أو ما تعرف الفرزدق ؟ ! قلت : أعرف الفرزدق أنّه شيء تتخذه النساء عندنا بالمدينة تتسمّن به ، وهو الفتوت . فضحك وقال : الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم » . ١٠٧

وقال السيد المرتضى فى أماليه : « والفرزدق لقب ، وإنما لقّب به لجهامة وجهه وغلظه ، لأنّ الفرزدقة هى القطعة الضخمة من العجين ، وقيل إنها الخبزة الغليظة التى يتخذ منها النساء الفَتوت » .

وفى الأغانى بسنده إلى محمد بن وُهيب الشاعر قال : « جلستُ بالبصرة إلى جنب عطّار فإذا أعرابيةٌ سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خَلوقا ،

(١) الأغانى ١٩ : ٢ .

فقلت له: تجدُها اشترته لابنتها، وما ابنتها إلاّ خنفساء. فالتفتتْ إلىَّ متضاحكة وقالت: لا والله! إلاّ مَهاة جَيداء[1]، إن قامت فقناة، وإن قعدت فحصاة، وإنْ مشت فقطاة؛ أسفلها كثيب، وأعلاها قضيب؛ لا كفتَياتكم اللواتى تسمّنونهنّ بالفتوت. ثم انصرفت وهى تقول:

إنّ الفتوت للفتاة مَضرَطه يَكرُبها فى البطن حتى تثلِطه[2]

فلا أعلمنى ذكرتُها إلاّ أضحكنى ذِكرها».

وبالجملة هو وجرير والأخطل النصرانى فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين. واختلف العلماء بالشعر فيه وفى جرير فى المفاضلة. وكان يونس يفضّل الفرزدق ويقول: لولا الفرزدق لذهب شعر العرب. وقال ابن شُبرُمة: الفرزدق أشعر الناس. وقال أبو عمرو بن العلاء: لم أرَ بدوياً أقام فى الحضر إلاّ فَسد لسانه، غير رؤبة والفرزدق.

وفى العمدة لابن رشيق: «كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية وأشعر شعراء وقته. فقال: أشعر الجاهلية امرؤ القيس، وأضربَهم مثلاً طرفة. وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم، وجرير أهجاهم، والأخطل أوصفهم».

وقد طبّق المفضِلَ الأصبهانىُّ فى قوله حين سئل عنهما[3]: من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشَدة أَسره فليقدِّم الفرزدق[4]، ومن كان يميل

(١) فى الأغانى ١٧ : ١٤٥ : «خبنداة».

(٢) فى الأغانى : «يكربها بالليل».

(٣) الواقع أن أبا الفرج الأصبهانى لم يسأل عنهما، وإنما هو يروى اراء غيره. الأغانى ١٩ : ٤٨.

(٤) فى الأغانى : «فيقدم الفرزدق»، وكذا فى الموضع التالى: «فيقدم جريرا».

إلى أشعار المطبوعين والكلام ِالسمح الجزل فليقدِّم جريراً . قال أبو عبيدة : وكان الفرزدق يشبَّه من شعراء الجاهلية بزهير .

وكان صعصعة جدُّ الفرزدق ، كما قال ابن قتيبة فى الطبقات : عظيم القدر فى الجاهلية ؛ وكان اشترى ثلاثين موءودة ثم أسلم وصار صحابياً . وأم صعصعة قُفَيرة — بتقديم القاف على الفاء وبالتصغير — بنتُ مسكين الدارِمىّ ، وكانت أمها أمةً وهبها كسرى لزُرارة ، فوهبها زرارة لهند بنت يثربىّ ، فوثب أخو زوجها ، وهو مِسكين بن حارثة بن زيدبن عبدالله بن دارم، على الأمة فأحبلها فولدت له قُفيرة ، فكان جرير يعيِّر الفرزدقَ بها . وكان لصعصعة قيون — والقين الحداد — منهم جُبير ، ووَقْبان ، ودَيسم ، فلذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً .وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير فقال :

وجدنا جُبيراً أبا غالب بعيدَ القَرابة من مَعبدِ

يعنى معبد بن زُرارة . وكان يعيبهم بالخزيرة ، وذلك أن ركباً من مجاشع مرُّوا بشهاب التغلبى فسألهم أن ينزلوا ، فحمل إليهم خَزيرة ، فجعلوا يأكلون وهى تسيل على لحاهم وهم على رواحلهم . و (الخزيرة) بفتح الخاء وكسر الزاى ١٠٨ المعجمتين وبالراء المهملة : قطعُ لحمٍ صغارٌ توضع فى القدر بماءٍ كثير ، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحم فهى عصيدة . ويقال خزير أيضاً بدون تاء تأنيث .

وأما غالب أبو الفرزدق فإنه كان يكنى أبا الأخطل . واستُجير بقبره بكاظمة ، فاحتملها عنه الفرزدق[1] .

وفى نهج البلاغة : وقال على رضى الله عنه لغالب بن صعصعة أبى الفرزدق ،

(١) الميمنى : « أى احتمل الحمالة » . والحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

فى كلامٍ دار بينهما : ما فعلتْ إبلك الكثيرة ؟ قال : ذَعذعتها الحقوقُ يا أمير المؤمنين . فقال رضى الله عنه : ذاك أحمدُ سبيلها ! قوله ذعذعتها بذالين معجمتين وعينين مهملتين بمعنى فرقتها . يقال ذعذعته فتذعذع ؛ وذعذعةُ السرّ : إذاعته .

قال شارح نهج البلاغة ابن أبى الحديد : « دخل غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عِقال المجاشعى على أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، أيام خلافته — وغالبٌ شيخ كبير ، ومعه ابنه همامٌ الفرزدق وهو غلام يومئذ — فقال له على رضى الله عنه : مَن الشيخ ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة . قال :ذو الإبل الكثيرة ؟ قال : نعم . قال : ما فعلت إبلك ؟ قال : ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحمالات والنوائب ، قال : ذاك أحمد سبيلها ، مَن هذا الغلام مَعَك ؟ قال : هذا ابنى . قال : ما اسمه ؟ قال : همّام ، وقد روّيته الشعرَ يا أمير المؤمنين وكلامَ العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مُجيداً . فقال : أقرئه القرآن فهو خير له . فكان الفرزدق بعدُ يروى هذا الحديث ويقول : مازالت كلمته فى نفسى . حتّى قيّدَ نفسه بقيدٍ وآلى ألاّ يفكّه حتى يحفظ القرآن . فما فكه حتى حفظه » اه .

وقد رَوَى عنه ، عليه السلام ، أحاديثَ وعن غيره من الصحابة . وعاش حتى قارب المائة ، ومات بعلّة الدُّبيلة[1] ، رحمه الله تعالى .

قال النويرى فى تاريخه : مات الفرزدق فى سنة عشر ومائة ، وله إحدى وتسعون سنة ، ومات فيها جرير أيضاً .

وقال السيد المرتضى ، قدّس الله سرّه ، فى أماليه[2] . « الفرزدق مع

(١) الدبيلة ، كجهينة : داء يجتمع فى الجوف ، أو خراج يظهر فيه فيقتل صاحبه .
(٢) الأمالى ١:٦٢ .

تقدّمه فى الشعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العُليا[١] ، والغاية القصوى ، شريف الآباء كريم البيت ، له ولآبائه مآثر لا تُدفع ، ومفاخر لا تُجحد .. وكان مائلاً إلى بنى هاشم ، ونَزَع فى آخر عمره عمّا كان عليه من القذف والفسق ، وراجعَ طريقةَ الدين . على أنه لم يكن فى خلال فسقه منسلخاً من الدين جملةً ، ولا مهملاً لأمره أصلاً . . روى أنه تعلّق بأستار الكعبة ، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف ، وقال[٢] :

أَلم تَرَنى عاهدتُ ربّى وإننى ... لَبينَ رِتاجٍ قائمٌ ومَقام[٣]

على حَلفةٍ لاأشتمُ الدهرَ مسلماً ... ولا خارجاً من فىَّ زورُ كلام

أطعتك يا إبليسُ تسعين حِجّةً ... فلما انقضى عمرى وتمّ تمامى

فزِعت إلى ربى وأيقنتُ أننى ... مُلاقٍ لأيام الحتوف حِمامى

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والثلاثون :

٣١ (وشَقَّ له مِن اسمه ليُجِلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ)

على أنّه يمكن لمح الوصف مع العلمية ، أى يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذى كان قبلها وبملاحظته يوضع علما ، فإن (محمدا) وضع علما لنبينا صلى الله عليه وسلم بملاحظة معناه ، فإن معناه فى اللغة ، كما قال صاحب

(١) ط : « العلياء » بالهمزة ، وإنما العلياء بفتح العين مهموزة أو غير مهموزة بمعنى المكان العالى ، أو الفعلة العالية . وأما العليا بضم العين كما أثبت من سه فهى مؤنث الأعلى .

(٢) من قصيدة له يخاطب فيها إبليس ويهجوه ، ويعلن توبته عن هجو الناس . انظر ديوانه ٧٦٩ — ٧٧١ .

(٣) ويروى : « قائماً ومقام » . انظر سيبويه ١ : ١٧٣ والكامل ٦٩ وابن يعيش ٢ : ٦/٥٩ : ٥٠ .

العباب وغيره : الذى كثرت خصاله المحمودة ؛ كما قال الأعشى فى مدح النعمان بن المنذر :

إليك أبيتَ اللعنَ كان كَلالها ... إلى الماجد الفرع الجواد المحمّد

وبعد أن صار علما يجوز أن يلحظ معناه اللغوىّ كما لحظه حسّان فى هذا البيت .

أبيات الشاهد

وهو أول أبيات ثمانية مدح بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم . والصواب فى روايته (شَقّ له من اسمه) بدون واو ، فإنها للعطف ولم يتقدم شىء يعطف عليه ؛ لكن يبقى الشعر مخروما — والخرم جائز عندهم ، وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة ، عبارة عن حذف أول الوتد المجموع فى أول البيت ، وذلك نحو فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن — كما أن ضمير (له) راجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومفعوله محذوف أى شق له اسمًا من اسمه ، واسم الله تعالى المشقوق منه : محمود ، بمعنى أن الحمد لا يكون إلاّ له ، ولا يقع إلاّ عليه ، فأراد تبارك وتعالى أنْ يشرك نبيه فى اسم مَن هذا الوصف تعظيم له ، صلى الله عليه وسلم ، فسماه محمدا ، كما سيأتى بيانه . وقوله (من اسمه) بهمزة الوصل ، وسمعت بعضهم يقرؤه بهمزة القطع ، وهو لحن . وقوله ليجلّه روى بدله (كى يجله) .

(نبىّ أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان فى الأرض تُعبَدُ)[1]

فأمسى سراجاً مستنيراً وهاديا ... يلوح كما لاح الصَّقيل المهنّد

وأنذرنا ناراً وبشّرَ جنّــة ... وعلمنا الإسلامَ فاللهَ نحمد

وأنت إلهَ العرش ربّى وخالقى ... بذلك ما عُمِّرتُ فى الناس أشهد

تعاليتَ ربَّ الناس عن قولِ من دعا ... سواك إلَها ، أنت أعلى وأمجد

(١) ديوان حسان ص ٧٨ .

لك الخلق والنعماء والأمر كلّه فإياكَ نستهدى وإياك نعبدُ
لأنّ ثواب الله كلّ موحّد جِنانٌ من الفردوس فيها يُخلّد)

كذا فى ديوانه من رواية أبى سعيد السكرى . ورأيت (فى المواهب اللدنية) قال مؤلفه[1] : ثم إن فى اسمه « محمد » خصائص ، منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسّان بن ثابت :

(أغرُّ عليه للنبوة خاتَمٌ من الله من نور يلوح ويُشهَد
وضمّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذّنُ أشهد
وشقّ له. اسمه ليُجِلّه فذو العرش محمود وهذا محمد)

وعلى هذه الرواية فالواو للعطف ، وفاعل شق ضمير الإله ، والضمير فى له راجع للنبي . ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق علىّ بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وشق له من اسمه ليجله * ... البيت

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفى ألفِ عام ، كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبى نُعيم فى مناجاة موسى . وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال : إن الله أنزل على آدم عِصِيّا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أىْ بنىّ ، أنت خليفتى من بعدى ، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلما ذكرتَ الله فاذكر إلى جنبه اسمَ محمد ، فإنى رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الرُوح والطين ، ثم إنى طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه ، وإنّ

١١٠

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى المصرى المتوفى سنة ٩٢٣ .

ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصراً ولا غُرفة إلّا اسمُ محمد مكتوبا عليها ؛ ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين ، وعلى قَصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طُوبَى ، وعلى ورق سِدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحُجُب ، وبين أعين الملائكة ، فأكثرْ ذكره فإن الملائكة تذكره فى كلّ ساعاتها .

ولمّا سماه جده عبدالمطلب بمحمد قيل له : كيف سميته باسمٍ ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ فقال : لأنى أرجو أن يحمده أهل الأرض كلُّهم ؛ وذلك لرؤيا كان رآها عبدالمطلب كما ذكر حديثها علىٌّ القَيروانى العابر (فى كتاب البستان) قال: كان عبدالمطلب قد رأى فى المنام كأنّ سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرفٌ فى السماء وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنّها شجرةٌ على كلّ ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلَّقون بها ؛ فقصها فعُبِّرت له بمولودٍ يكون من صلبه ، يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب، ويحمده أهلُ السماء والأرض، فلذلك سماه محمدا ، مع ماحدّثته به أمه آمنة حين قيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة ، فإذا وضعتِه فسمّيه محمدا .

قال السهيلى : محمد منقول من صفة فى معنى محمود ، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار ، لأن المحمّد الذى حمد مرة بعد مرة ، كما أن المكرَّم من أكرم مرة بعد مرة ، وكذلك الممدّح ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله سبحانه سماه به قبل أن يسمى به . علمٌ من أعلام نبوته عليه السلام ، إذْ كان اسمه صادقا عليه ، فهو صلى الله عليه وسلم محمود فى الدنيا بما هَدى إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة . فقد تكرَّر معنى الحمد .

ومحمود أيضاً من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، قال صاحب المواهب : اعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود ، لأنه تعالى حمد نفسه وحمده عباده؛

وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود . وكذا وقع اسمه فى زبور داود .

وقال الشامى فى سيرته : « ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المحمود ، وهو المستحق لأن يحمد لكثرة خصاله الحميدة . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فأصبحَ محمودا إلى الله راجعا ... يبكّيه حقّ المرسَلات ويَحمدُ

وهو من أسمائه تعالى . قال حسان أيضا :

وشق له من اسمه ليجله . . . . البيت اه .

وعليه فهو اسم مشترك بين الله وبين نبيه ، ولم أر من صرح به غير الشامى .

وأما أحمد فهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذى سمّى به على لسان عيسى وموسى . قال السهيلى : هو منقول من الصفة التى معناها التفضيل ، فمعنى أحمد: أحمد الحامدين لربه ، وكذلك هو فى المعنى لأنه يفتح عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد بها ربّه ، ولذلك يعقد له لواء الحمد .

١١١

وقال السخاوى فى سفر السعادة : أحمد هو مأخوذ من الحمد كما أخذ من الحمرة أحمر ومن الصفرة أصفر ، وأحمد أبلغ من محمد ، كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمّر ومصفّر ، لأنه فى أحمر وأصفر ألزم ، وليس أحمد بمنقول من الفعل المضارع ، ولا هو أفعل فتقول كأكرم ، ومن هذا « الله أكبر » .

ترجمة حسان

و (حسان) هو أبو الوليد بن ثابت بن المنذر الأنصارى من بنى النجار : وأمه الفُريعة بنت خنس[1] من بنى الخزرج . والفريعة بالفاء والعين المهملة مصغر فَرَعة بالتحريك وهى القملة الكبيرة .

(١) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ٤ : ٢ : « ابنة خالد بن قيس بن لوذان بن عبد ود ابن ثعلبة بن الخزرج » .

قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء[1] : «وهو جاهلى إسلامى متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً لأنه كان يرمى بالجبن لعلّة أصابته . وكانت له ناصية يُسدِلها بين عينيه . وكان يَضرب بلسانه رَوثة أنفه[2] من طوله ، ويقول : والله لو وضعته على شَعرٍ لحَلَقه ، أو على صخرٍ لفَلَقَه . وعاش فى الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة ، فهو من المخضرمين ، ومات فى زمن معاوية وكف بصره فى آخر عمره » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون :

٣٢ (فتًى فارسىٌّ فى سراويلَ رامحُ)

وصدره : * أتى دُونَها ذَبُّ الرِّياد كأنه *

على أن (سراويل) غير منصرف عند الأكثرين كما هنا :

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أُبَىّ بن مُقبِل[3] يصف الثَّوْر الوحشىّ . وضمير دونها لأنثاه ، ودُونَ بمعنى قدام . وروى : (يمشّى بها ذبُّ الرياد) وروى أيضاً (يرودُ بها) . والذبّ بفتح الذال المعجمة وتشديد الموحدة ، قال فى الصحاح : هو الثور الوحشى ، ويقال له ذَبُّ الرِياد لأنّه يرود : أى يذهب ويجىء ولا يثبت فى موضع . قال النابغة الذبيانى يصف ناقته :

كأنّما الرَّحلُ منها فوقَ ذى جُدَد ذَبُّ الرياد إلى الأشباح نَظّارِ

---

(١) الشعراء ٢٦٤ .

(٢) روثة الأنف : طرفه من مقدمه .

(٣) فى ديوانه ٤١ والجمهرة ١ : ٢٧ والمقاييس ٢ : ٣٤٩ وأمالى القالى ٢ : ١٦٤ واللسان (ذبب ، رود ، سرل) .

وزاد فى العباب فقال : ورجل ذبُّ الرياد : إذا كان زَوّاراً للنساء . قال عبدٌ من عبيد بَجيلة :

قد كنت فتّاحَ أبواب مغلّقة ذبّ الرياد إذا ماخُولسَ النظرُ

وقال القالىُّ فى أماليه[1] : « يقال : فلان ذَبّ إذا كان لايستقر فى موضع ، ومنه قيل للثور الوحشى : ذبّ الرّياد » . وأنشد بيت الشاهد .

وقد خالف أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى[2] فزعم أن ذبّ الرياد اسم للوَعِل . ونسب البيت إلى الراعى فقال : وقد أحسنَ الراعى فى وصف الوعل ؛ ثم قال « وذَبّ الرياد » علم على الوعل . والصواب ماقدمناه فيهما . شبّه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشىّ من الشعر بالسراويل ، وهو من لباس الفرس ، ولهذا شبّهه بفتى فارسىّ ، وشبه قرنه بالرمح ولهذا قال « رامح » أى ذو رمح ؛ فقوله « فتى » خبر كأن ، و « فارسى » صفة فتى ؛ و « فى سراويل » حال من ضمير فارسى ، إذ هو بمعنى منسوب إلى الفُرس ، أو صفة لفارسى ، ورامح صفة ثانية لفتىً . و (السراويل) يذكر ويؤنث كما فى العباب ، وجرّ بالفتحة لأنه غير منصرف ، قال الشارح المحقق : « واختلف فى تعليله فعندَ س وتبعه أبو على أنّه اسم أعجمى مفرد أعرب كما أعرب الآجُرّ ، ولـكنه أشبه من كلامهم مالا ينصرف قطعاً نحو قناديل ، فحمل على ماشابهه فمنع الصرف » . ١١٢

أقول : الذى رأيته فى تذكرة أبى على مخالَفةُ س فإنّه بعد أن نقل كلام س قال : « سراويل وإن كان واحداً فهو على مثال الجمع الذى لايكون واحد على مثاله ، فأنت مالم تسمّ به فهو منصرف كآجُرّ ، الذى ليس

(١) القالى ٢ : ١٦٤ .

فى الواحد ولا غيره على مثاله ، فإذا سمّيت به صار مثل شراحيل اهـ . وكأن أبا علىّ فهِمَ من قول س : أنه أعجمى كما أعرب الآجرّ ، أنه يريد يصرف كما يصرف الآجر ، وليس كذلك ، بل مراده أنه معْرب لا مبنىّ كما أن الآجر معْرب ، بدليل قول س بعده : إلاّ أنّ سراويل أشبَهَ من كلامهم مالا ينصرف فى نكرة ولا معرفة .

ترجمة أبى هلال العسكرى

وأبو هلال العسكرى هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مِهرانَ اللغوىّ العسكرى . وكان تلميذ أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى ، وافق اسمُه اسمَ شيخه واسمُ أبيه اسمَ أبيه ، وهو عسكرىٌّ أيضاً ، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكرى . وقد ترجمنا (أبا أحمد العسكرى) فى الشاهد الثامن والعشرين[1] .

قال أبو طاهر السِلَفى « سألت الرئيس أبا المظفّر الأبِيوَرْدىّ بهَمَذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفّة معاً ، قال : كان يبرز[2] احترازاً من الطمع والدناءة والتبذّل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر ، وله كتاب فى اللغة سماه التلخيص،وهو كتاب مفيد ، وكتاب صناعتى النظم والنثر، وهو أيضاً كتاب مفيد جداً » . قال ياقوت فى معجم الأدباء :« وذكر غيرُه[3] أن أبا هلال كان ابن أخت أبى أحمد وله من الكتب بعد ما ذكره السِلَفى : كتاب جمهرة الأمثال . كتاب معانى الأدب . كتاب أعلام المعانى ، فى معانى الشعر . كتاب شرح الحماسة . كتاب الأوائل . كتاب الفرق بين المعانى . كتاب نوادر

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٠٢ .

(٢) قال الميمنى : « فى معجم الأدباء يبزز ، وفى بغية الوعاة : يتبزز . والغالب على الظن أن معناه يبيع الثياب ، وهى البز » .

(٣) أى غير أبى طاهر السلفى .

الواحد والجمع . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب التبصِرة ، وهو كتاب مفيد . كتاب الدرهم والدينار . كتاب العُمدة . كتاب فضل الغِنى على العُسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصّة . كتابَ المحاسن فى تفسير القرآن ، خمس مجلدات . وكتاب ديوان شعره » .

قال ياقوت : « وأما وفاته فلم يبلغنى فيها شىء ، غير أنى وجدت فى آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة » .

هذا ما ذكره ياقوت . وله عندى كتاب الفروق فى اللغة . وكتاب ديوان المعانى[1] ؛ وهما دالاّن على غزارة علمه . ومن شعره :

إذا كان مالى مالَ من يلقُطُ العجم ... وحالىَ فيكم حالَ مَنْ حاكَ أو حَجَمْ
فأين انتفاعى بالأصالة والحِجا ... وما ربحت كفّى على العلم والحكم !
ومن ذا الذى فى الناس يبصر حالتى ... ولا يلعن القرطاس والحبرَ والقلم

وله أيضاً :

جُلوسىَ فى سوقٍ أبيع وأشترى ... دليلٌ على أنَّ الأنام قُرودُ
ولا خير فى قوم يَذِلّ كرامُهم ... ويعظم فيهم نَذلُهم ويسود
ويهجوهمُ عنّى رثاثة كُسوتى ... هجاءً قبيحاً ما عليه مزيد !

١١٣ ترجمة ابن مقبل

وأما (تميم) صاحب الشاهد فهو ابن أُبىّ بن مُقبل ، وأُبىّ بالتصغير وتشديد الياء ، ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العَجلان بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وكان يبكى أهل الجاهلية . وبلغ مائة وعشرين سنة . وكان يهاجى النَّجاشىّ الشاعر ؛

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٢ .

فهجاه النجاشيّ فاستعدى عليه عمرَ رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هجانى . فقال عمر : يا نجاشيّ ما قلت ؟ قال: يا أمير المؤمنين ، قلت ما لا أرى فيه عليه بأساً . وأنشده :

إذا الله جازى أهلَ لُؤم بذلّة[1] ... فجازى بنى العَجلان رهط ابن مقبلِ

فقال عمر : إن كان مظلوماً استُجيب له ، وإن لم يكن مظلوماً لم يُستجب له .

قالوا : وقد قال أيضاً :

قُبَيِّلة لا يغدِرون بذمّة ... ولا يظلمون الناس حبَّة خَردلِ[2]

فقال عمر : ليت آلَ الخطاب كذلك ! قالوا : فإنّه قال :

ولا يَردونَ الماء إلاّ عشيَّة ... إذا صدَر الوُرّادُ عن كلّ منهلِ

فقال عمر : ذلك أقلُّ للزحام[3] ! قالوا : فإنّه قال :

تَعافُ الكلابُ الضاريات لحومَهم ... وتأكلُ من كعبِ بن عَوفٍ ونهشلِ

فقال عمر : يكفى ضَياعا من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا : فإنه قال :

وما سُمّىَ العَجلانَ إلاّ لقولهم[4] ... خُذ القَعب واحلُب أيُّها العبدُ واعجل

(١) هذا ما فى سه مع أثر إصلاح . وفى ط : « بذمة » . وفى العمدة ١ : ٢٧ وزهر الآداب ٢٠ : « ورقة » وفى البيان ٤ : ٣٧ : « ودقة » .

(٢) قبيلة : مصغر قبيلة ، مبالغة فى هجائهم . وفى ط : « قبيلته » صوابه فى سه والبيان والعمدة وزهر الآداب .

(٣) فى العمدة : « ذلك أقل للسكاك ، يعنى الزحام » .

(٤) فى النسختين : « لقوله » ، صوابه من العمدة .

فقال عمر : كلُّنا عبد ، وخير القوم خادمهم ! قال تميم : فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك إخوان اللَّعينِ وأُسوة الـ ـهجينِ ورهطُ الواهن المتذلّلِ

فقال عمر : أمّا هذا فلا أعذرك عليه ! فحبسه ، وقيل جَلَده .

قال صاحب زهر الآداب[1] : كان بنو العَجلان يفخرون بهذا الاسم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدُّهم إنَّما سمى العَجلان لتعجيله القِرى للضيفان : وذلك أن حيّاً من طيّء نزلوا به فبعثَ إليهم بقِرامُ عبداً له ، وقال له اعجلْ عليهم . ففعل العبد فأعتقه لعَجلته ؛ فقال القوم : ما ينبغى أن يسمّى إلاَّ العَجلان . فسمّى بذلك فكان شرفاً لهم ؛ حتّى قال النجاشى هذا الشعر فصار الرجل إذا سئل عن نسبه قال : كَعبيّ . ويرغب عن العجلان » .

قال : وزعمت الرواة أنّ بنى العجلان استعْدوا على النجاشى . وذكر هذه الحكاية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون :

٣٣ (عَلَيه من اللُّؤم سِروالةٌ فليس يرِقّ لمستعطِفِ)

على أنّ السراويل عند المبرّد عربىٌّ ، وهو جمع سروالة ، والسروالة : قطعة خرقة .

أقول : هذا البيت قيل مصنوع ، وقيل قائله مجهول ، والذى أثبته قال : إنّ سِروالة واحدة السراويل ، وكيف تكون سروالة بمعنى قطعة خرقة ،

(١) زهر الآداب ٢٠

مع الحكم بأنها واحدة السراويل ، هذا لا يكون ! وقال السيرافى : سروالة لغة فى السراويل ، إذ ليس مراد الشاعر عليه من اللؤم قطعةٌ من جزء السراويل .

١١٤ وسروالة ، فى البيت : مبتدأ مؤخر وعليه خبر مقدم . وقوله : من اللؤم ، كان فى الأصل صفة لسروالة ، فلما قدم عليه صار حالاً منه ، هذا هو المقرر . وقال العينى[1] : ومن اللؤم صفة لسروالة فيكون محلُّها الرفع . وهذا خطأ . واللؤم بالهمز : شحّ النفس ودناءة الآباء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون :

٣٤ (جاء الشتاء وقيصى أخلاقْ شَراذمُ يَعجبُ منه التَّوّاقْ)

على أن (شراذم) لفظة جمع بالاتفاق[2] .

أقول : نسب أبو حنيفة الدينَوَرىّ فى كتاب النبات هذا البيتَ إلى بعض الأعراب ، وقال : الأخلاق والأرمام والأرماث لا تكون إلاّ فى اُلخلقان ، وقال : إنّما نعت الواحد بالجمع لكثرته فيه : كما قالوا بُرمةٌ أعشار إذا انكسرت ، أريدَ أن كسرها كثير .

وفى العباب : وقد خَلُق الثوب بالضم خُلوقة ، أى بلى ؛ وثوبٌ أخلاق : إذا كانت الخلوقة فيه كلّه ، كما قالوا برمة أعشار وأرضٌ سباسب .

وفى الزاهر لابن الأنبارى : وقال الفراء : من العرب من يقول قميص أخلاق وجبّة أخلاق ، فيصف الواحد بالجمع ، لأن الخلوقة فى الثوب تتّسع فيسمى كلُّ موضع منها خَلَقا ثم يجمع على هذا المعنى ، ومن قال جُبّة خَلَق قالوا

---

(١) العينى ٤ : ٣٥٤ . وانظر ابن يعيش ١ : ٦٤ وهمع الهوامع ١ : ٢٥ .

(٢) انظر اللسان (شرذم).

فى التثنية : جُبَّتان خَلَقان ، وفى الجمع : جباب أخلاق .

والشراذِم بالشين والذال المعجمتين : جمع شِرذمة بكسر الأول والثالث[1] ، قال فى الصحاح : « الشِّرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشىء ، وثوب شَراذمُ أى قطع » . والتوّاق بفتح التاء المثناة الفوقية وتشديد الواو : اسم ابن الشاعر ، قاله الفراء وغيره . وأصله مبالغة تائق ، من تاقت نفسه إلى الشىء بمعنى اشتاقت ، قال الشاعر :

* المرء توّاقٌ إلى مالم ينل[2] *

وقال صاحب العباب : وروى النواق بالنون ، وقال فى (نوق) : والنواق من الرجال الذى يَرُود الأمور ويصلحها . وعلى هذا فيجوز أن يراد به أيضا الرفَّاء ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون ، وهو من شواهد س[3] :

٣٥ (ولو كان عبدُالله مولًى هجوتُه ولكنَّ عبدَالله مَولى مَواليا)

على أن بعض العرب يجرُّ نحو (جَوارٍ) بالفتحة فيقول : مررت بجوارىَ كما قال الفرزدق « مولى مَوالىَ » بإضافة موالىَ إلى مولى والألف للإطلاق ، وجمهور العرب يقول : مررت بجوارٍ ، ومولى موالٍ ، بحذف الياء والتنوين ، فى الجر والرفع ، وأما فى النصب عندهم فلا تحذف الياء بل تظهر الفتحة

---

(١) فى النسختين : « والثانى » تحريف .

(٢) فى البيان ٣ : ١٩٤ : « والمرء » . وقبله :

* من عاش دهرا فسيأتيه الأجل *

وبعده : * الموت يتلوه ويلهيه الأمل *

(٣) سيبويه ٢ : ٥٨ ، ٥٩ .

عليها ، نحو رأيت جواريَ . والمراد بجوار : ما كان جمعا على هذا الوزن معتل اللام .

وهذا خلاف ماقاله س ، قال الأعلم فى شرح أبياته : « الشاهد فى إجرائه مواليَ على الأصل ضرورة[1] ، وكان الوجه مَوالٍ كجوار ونحوه من الجمع المنقوص ، فاضطر إلى الإتمام والإجراء على الأصل كراهة للزحاف » اﻫ .

وكذا قال صاحب الصحاح قال : « وإنما قال مواليا لأنه ردَّه إلى أصله للضرورة ، وإنما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتلّ الذى لاينصرف » .

١١٥ وصاحب اللباب وغيره جعله قولاً للنحويين لا لغةً لبعض العرب ، وقال : ونحو جوارٍ حكمه حكم قاضٍ رفعاً وجراً على الأعرف ، وحكم ضوارب نصبا ، وقيل نصباً وجرا . وبهذا سقط اعتراض ابن أبى إسحاق على الفرزدق فى قوله :

ولو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

والمولى : الحليف ، هو الذى يقال له مولى الموالاة ، والحليف : المعاهد ، يقال منه تحالفا ، إذا تعاهدا وتعاقدا على أن يكون أمرهما واحداً فى النُّصرة والحماية ، وبينهما حِلف وحِلْفة بالكسر فيهما أى عهد . والرجل إذا كان ذليلًا يوالى قبيلة وينضم إليهم ليعتزّ بهم ، وإذا والى مَولى كان أذلّ ذليل ، وكذلك القبيلة توالِى . وأراد بالموالى الحضرميّين ، وكانوا مواليَ بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، يقول : لو كان عبدالله ذليلًا لهجوته ، ولكنه أذلُّ من الذليل لأنه حليفُ الحضرميين ، وهم حلفاء بنى عبد شمس . وهذا مبالغة فى الهجو .

والحضرميّ : منسوب إلى حَضْرَمَوت ، وحضرموت : بلد وقبيلة .

والصواب فى رواية البيت :

---

(١) بقية النقل إنما هو من استنباط البغدادى . وانظر الشنتمرى .

* لو كان عبد الله مولى هجوته *

بحذف الواو وجعلِ البيت مخروما ؛ فإنّه بيتٌ واحد ولم يتقدّمه شيء حتى تكون الواو عاطفة.

ابن أبي إسحاق

وعبد الله هذا هو عبدالله بن أبي إسحاق الزياديّ الحضرمي. قال الواحدي في كتاب الإغراب، في علم الإعراب : «كان عبدالله من تلامذة عنبسة بن مَعْدان[1] ، وهو[2] من تلامذة أبي الأسود الدؤلي واضع النحو . وليس في أصحاب عنبسة مثل عبدالله ، واسمه ميمون الأقرن ، وهو الذي كان يردُّ على الفرزدق قولَه :

وعضّ زمان يا ابنَ مرْوان لم يدع من المال إلاَّ مُسحَتاً أو مُجلَّفُ

فهجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبدالله مولى هجوته . . . . البيت

وكان يقال: عبدالله أعلم أهل البصرة وأعقلهم. وفرّعَ النحو وقاسه . وكان أبو عمرو بن العلاء قد أخذ عنه النحو . ومن أصحاب عبدالله الذين أخذوا عنه النحو عيسى بن عمر الثَّقَفي ، ويونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الأخفش» اهـ.

وقال أبو بكر محمد بن عبدالملك بن السرّاج المعروف بالتاريخي ، في تاريخ النحاة : وتوفي عبدالله هذا سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وصلّى عليه بلال بن أبي بردة .

---

(١) ط : « سعدان » صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر لترجمة عنبسة إنباه الرواة ٢ : ٣٨١ وما به من مراجع .

(٢) أي عنبسة . وفي نزهة الألباء : « وعن أبي عبيدة أنه قال : اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهري . واختلف الناس إلى عنبسة فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن » .

واعلم أنهم قد ذكروا فى سبب هجو الفرزدق لعبدالله أن عبدالله لحّنه فى قوله « إلاّ مسحتا أو مجلفُ » فإنه عطف المرفوع على المنصوب كما نقله الواحدى وغيره . وسيأتى إن شاء الله شرح هذا البيت مستوفًى فى باب العطف ، فلما بلغ الفرزدقَ تلحين عبدالله إياه هجاه بهذا البيت ، فلما بلغ هجوُ الفرزدق لعبد الله[1] قال : قولوا للفرزدق لحنت فى هذا البيت أيضا ، حيث حرّكت موالىَ فى الخفض .

هكذا روَوا هذه الحكاية ؛ والذى رأيته فى تاريخ النحاة للتاريخى ، المذكور آنفا ، قال حدثنى ابن الفهم عن محمد بن سلّام قال : أخبرنا يونس أن ابن أبى إسحاق قال للفرزدق ، فى مديحه يزيد بن عبد الملك بن مروان :

مستقبلين شَمالَ الشام تَضربُنا على زواحفَ تُزْجَى مُخُّها رِيرِ

فقال له ابن أبى إسحاق : أسأت ! موضعها رفع ، وإن رفعتَ أقويت ! وألحّ الناسُ على الفرزدق فى ذلك فقلبها فقال : ١١٦

* على زواحف نزجيها محاسيرِ *

ثم ترك الرواةُ هذا ورجعوا إلى القول الأوّل . قال يونس : وهذا جيِّد . فلمَّا أكثر ابن أبى إسحاق على الفرزدق هجاه فقال :

لو كان عبد الله مولى هجوته . . . البيت

وقد حكى مثل حكاية التاريخى أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، قال: « وقد حكى أبو أحمد عبدالعزيز ابن يحيى الجلودى فى إسنادٍ ذكره ، فى أخبار الفرزدق : أن عبد الله بن أبى إسحاق النحوى قال :إنّ الفرزدق لحن فى قوله :

(١) كذا فى النسختين .

* على زواحف تزجى مخُّها ريرِ *

وأنَّ ذلك بلغ الفرزدق فقال : أما وجد هذا المنتفخُ الْخصيين لبيتى مخرجاً فى العربية ؟ أما إنّى لو أشاء لقلت :

* على زواحفَ نُزجيها محاسيرِ *

ولـكنّنى والله لاأقوله ! ثم قال :

فلو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

فبلغ ذلك عبدَالله فقال : عُذره شرٌ من ذنبه ، والخفض فى ريرٍ جيّد وتقديره على زواحفَ ريرٍ مخُّها تزجى » اه كلامه .

وهذا البيت مركب من بيتين وهما :

مُستقبِلينَ شَمال الشّأم تَضربنا ... بحاصبٍ كنديف القطن منثورِ
على عمائمنا يُلقَى وأرحلُنا ... على زواحفَ نزجيهـا محاسيرِ

والشمال هى الريح المعروفة وهى مفعولةٌ . وجملة تضربنا : حال منها . والحاصب بمهملتين : الريح التى تثير الحصباء . والزواحف : جمع زاحفة بالزاى المعجمة والحاء المهملة ، وهى الإبل التى أعيت فجرّت فراسنها ، يقال زحف البعير إذا أعيا فجرّ فِرسِنَه أى خفّه . ونزجيها : نسوقها ، والإزجاء : السوق. ومحاسير : جمع محسور ، من حسرت البعير حسراً إذا أتعبته فهو حسير أيضاً ، ويقال أحسرته بالألف أيضاً ، ويكون لازماً أيضاً ، يقال حسَر البعير يحسُر حسوراً ، إذا أعيا . والرّير ، على ما فى الرواية الأخرى ، هو بإهمال الراءين ؛ قال الفراء : مخٌ رير بفتح الراء وكسرها ، ورار أيضاً : أى فاسد ذائب من الهزال .

ومن الأمثال : « أسمح من مخة الرير » قال الزمخشري في أمثاله : الرير والزار : المخّ الذي قد ذاب في العظم حتّى كأنه ماء ، وسَماحُهُ : ذوبه وجريانه .

وترجمة الفرزدق ذكرت في الشاهد الثلاثين[1] .

تتمـــة

قد تكلم ابن جنّي ، في شرح تصريف أبي عثمان المازني المسمى بالتصريف الملوكي[2] ، بتفصيل جيد في الكلام على تنوين (جوارٍ) أحببت أن أذكره هنا قال :

« فأما جَوار وغَواش ونحوهما ، فللسائل أن يقول : لم صرف هذا الوزن ، وبعد ألفه حرفان[3] ؟ وقد قال أبو إسحاق الزجاج في هذا ما أذكره لك : وهو أنه ذهب إلى أن التنوين إنّما دخل في هذا الوزن لأنه عوض من ذهاب حركة الياء ، فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقى ساكنان فحذفت الياء فقيل هؤلاء جوارٍ كما قيل هذا قاض ومررت بقاض ؛ يريد أن أصله هؤلاء جواريُ ، ثم أسكنت الياء استثقالاً للضمة عليها فبقيتْ جواريْ ، ثم عوض من الحركة التنوين فالتقى ساكنان فوجب حذف الياء ، ألا ترى أنّ الحركة لما ثبتت في موضع النصب في قولك رأيت جواريَ لم يؤت بالتنوين ؟ لأنّه إنما كان يجيء عوضاً من الحركة ، فإذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن يعوض منها شيء . وأنكر أبو علي هذا القول على أبي إسحاق وقال : ليس

---

(١) انظر ما سبق في ص٢١٧.

(٢) المنصف ٢ : ٧٠ — ٧٥ مع بعض التصرف من البغدادي .

(٣) بعده في المنصف : « الراء والياء والشين والياء » .

التنوين عوضاً من حركة الياء ، وقال : لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعوّض التنوين من حركة الياء فى يرمى ، ألا ترى أن أصله يرمىُ بوزن يضرب ؟ فكما لم نرهم عوّضوا من حركة هذه الياء ، كذلك لا يجوز أن يكون التنوين فى جوارٍ عوضاً من ذهاب حركة الياء . فإن انتصر منتصرٌ لأبى إسحاق فقال : إلزام أبى على إياه لا يلزمه ، لأن له أن يقول إن « جوارٍ » ونحوه اسم والتنوين بابه الأسماء ، و « يرمى » فعل والتنوين لا مدخل له فيه ، فلذلك لم يلزم أن يعوّض من حركته . قيل له : ومثال « مَفاعل » أيضاً لا يدخله التنوين[1] ! فإن قال : مفاعل اسم والاسم مما يصحُّ فيه التنوين . قيل له : لو كان الأمر كذلك لوجب أن يعوّض من حركة الألف فى « حبلى » ونحوها تنويناً . فإن قال : لو عوض لدخل التنوين مالا ينصرف على وجه من الوجوه ! قيل : وكذلك مثال مفاعل لا ينصرف معرفة ولا نكرة . فإن قال : مفاعل قد ينصرف فى بعض المواضع فى ضرورة الشعر ، وحبلى وبابها لم يصرف قطُّ لضرورة . قيل : إنما لم يصرفوا حبلى للضرورة ، لأنّ التنوين كان يُذهب الألف من اللفظ فيُحصّل على ساكن هو التنوين ، وقد كانت الألف قبله ساكنة فلا يزدادون أكثر مما كان قبل الصرف ، فتركوا الصرف فى نحو حُبلى لذلك . ألا ترى أنهم يصرفون نحو « حمراء » فيقولون مررت بحمراءٍ للضرورة ؟ لأنهم قد ازدادوا حرفاً يقوم به وزنُ البيت ، وهمزة حمراء كألف سكرى وحبلى . والقول فى هذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه : من أن الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين ، فلما حذفت الياء صار فى التقدير جَوار بوزن جَناح ، فلما نقص عن وزن فواعل دخله التنوين كما يدخل جناحاً ؛ فدلَّ على أن التنوين إنّما دخله لما نقص عن وزنِ ضوارب ، ولذا إذا تم الوزن فى النصب وظهرت الياء امتنع التنوين أن يدخل ،

(١) بعده فى المنصف : « لجرى مجرى الفعل » .

لأنه قد تمّ فى وزن ضوارب ، فالتنوين على هذا معاقِبٌ للياء لا للحركة ، إذ لو كان معاقباً للحركة لوجب أن يدخل فى « يرمى » لأنّ الحركة قد حذفت من الياء فى موضع الرفع .

وشىء آخر يدلُّ عندى على أن التنوين ليس بدلاً من الحركة ، وذلك أن الياء فى جوار قد عاقبت الحركة فى الرفع والجر ، فى الغالب ، وإذا كان كذلك فقد صارت الياء لمعاقبتها الحركةَ تجرى مجراها . فكما لا يجوز أن يعوّض من الحركة وهى ثابتة ، كذلك لا يجوز أن يعوض منها وفى الكلمة ما هو معاقبٌ لها وجارٍ مجراها . وقد دلّت فى هذا الكتاب على أن الحركة قد تعاقب الحرف وتقوم مقامه فى كثير من كلام العرب .

فإن قال قائل : فلم ذهب الخليل وسيبويه إلى أن الياء قد حذفت حذفاً حتّى أنه لما نقص وزن الكلمة عن بناء فواعل دخلها التنوين ؟ قيل : لأنّ الياء قد حذفت فى مواضعَ لا تبلغ أن تكون فى الثقل ، مثل هذا كقوله تعالى : « الكبيرُ المتعال[1] » ، و « يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ[2] » ، و « يوْمَ التّنادِ[3] » وقال الشاعر :

* وأخو الغَوانِ متى يَشَبِ يصرِ منه[4] *

وقال آخر : * دوامى الأيدِ يخبطنَ السَّريحا[5] *

(١) الآية ٩ من سورة الرعد . (٢) الآية ٦ من سورة القمر .

(٣) الآية ٣٢ من سورة غافر .

(٤) للأعشى . وعجزه فى ديوانه ٩٨ :

* ويكن أعداء بعيد وداد *

وانظر سيبويه ١ : ١٠ .

(٥) لمضرس بن ربعى الفقعسى . انظر سيبويه ١ : ٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٢ . وصدره :

* فطرت بمنصلى فى يعملات *

فاكتفى فى جميع هذا بالكسرة من الياء، وهو كثيرٌ جداً ، فلما كان الاكتفاء بالكسرة جائزاً مستحسناً فى هذه الأسماء الآحاد ، والآحاد أخفُّ من الجموع ، كان باب « جوارٍ » جديراً بأن يلزم الحذف لثقله . ألا ترى أنه جمعٌ وهو مع ذلك الجمعُ الأكبرُ الذى تنتهى إليه الجموع ! فلما اجتمع فيه ذلك وكانوا قد حذفوا الياء مما هو أخفُّ منه ألزموه الحذف البتة حتّى لم يجز غيره . وقد حذفت الياء من الفعل أيضاً فى موضع الرفع حذفاً كالمطَّرد كقوله تعالى : « ما كُنّا نَبْغِ[1] » ، « والليلِ إذا يَسْرِ[2] » وهو كثير . فهذا يدلُّك على اطّراد حذف الياء . ١٨

فإن قال قائل : الفعل أثقل من الاسم ، فكيف ألزم بابُ جوارٍ الحذفَ ولم يلزموه الفعل ؟ قيل له : لم يلزم فى الفعل ، لأن الياء قد تُحذف للجزم حذفاً مطرداً ، فلو ألزموها الحذفَ فى موضع الرفع أيضاً لالتبس الرفع بالجزم ؛ وأجازوا الحذف فى بعض المواضع استخفافاً .

فإن قيل : هلاّ فصلت بين الرفع والجر أيضاً فى جَوارٍ كما فصلت بين الرفع والجزم ! قيل له : الضمة والكسرة وإن اختلفتا فى الصورة فقد اتفقتا فى أنّ كل واحدةٍ منهما حركة ، وأنهما كلتيهما مستثقلتان فى الياء ، فكذلك لم يفصلوا بينهما فى باب جَوار ، واعتمدوا على ما يصحب الكلام من أوله إلى آخره[3] ، وليس كذلك فى الرفع والجزم ، لأنهما لم يتّفقا فى حال كما اتفقت الضمة والكسر . فافهم » .

* * *

(١) الآية ٢٤ من سورة الكهف .
(٢) الآية ٤ من سورة الفجر .
(٣) فى المنصف : « او آخره » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون ، وهو من شواهد س[1] :

٣٦ (سماه الإلهِ فوقَ سبع سمائيا)

وصدره : (له ما رأت عينُ البَصير وفوقَه)

أنشده لِما تقدّم فى البيت قبله .

قال أبو جعفر النّحاس فى شرح شواهد س ، نقلا عن الأخفش ، ومثله ابن جنى فى شرح تصريف المازنى واللفظ له قال : « قد خرج هذا الشاعر عما عليه الاستعمال من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جمع (سماء) على فعائل فشبّهها بشَمال وشمائل ، والجمع المعروف فيها إنما هو (سُمِىّ) على فُعول ، ونظيره عَناق وعُنوق . ألا ترى أن سماء مؤنثة كما أن عَناقاً كذلك ؟

والثانى : أنه أقر الهمزةَ العارضة فى الجمع مع أن اللام معتلة ، وهذا غير معروف ، ألا ترى أن ما تعرض الهمزةُ فى جمعِه ولامُه واو أو ياء أو همزة فالهمزة العارضة فيه مغيَّرة مبدَلة نحو خطيئة وخطايا ، ومطيّة ومطايا ، ولم يقولوا: خَطائى ولا مَطائى ! .

والثالث : أنه أجرى الياء فى (سمائى) مُجرى الباء فى ضوارب ، ففتحها فى موضع الجر ، والمعروف عندهم أن تقول : هؤلاء جَوارٍ ومررت بجوَار ، فتحذف الياء وتدخل التنوين . وللنحويين فى ذلك احتجاجٌ لما يذهبون إليه من أنّ أصل مطايا مطائى ، ألا ترى أن الشاعر لما اضطر جاء به على أصله فقال (سمائيا) كما أنّه لما اضطُرّ إلى إظهار أصل (ضنّ) . قال :

(١) سيبويه ٢ : ٥٩ . وانظر الخصائص ١ : ٢١١ ، ٣٣٣ و ٢ : ٣٤٨ واللسان (سما ١٢٢) .

* أنى أجود لأقوام وإن ضَنِنوا[١] *

وكما قال الآخر :

* صددتِ فأطولْتَ الصدود[٢] *

يريد (أطلْت) . فهذه الأشياء الشاذة فيها حجج فى أن يقولوا : إن أصل هذا كذا .

وكذلك ماحكى عنهم من أنَّهم يقولون : غفر الله له خطائئه — بوزن خطاععه[٣] — فيه دلالة على أن أصل رزايا رزائىُ بوزن رزاعع[٤] . ألا ترى أن رزيئة كخطيئة ! فلا بدّ لهم فى جميع مايدعونه من قياسٍ يرجعون إليه ، أو مسموع يحملون ما غيِّر عليه » . انتهى .

وهذا كلُّه من الأصول لابن السيرافى ، إلاَّ أنَّ ابن جنّى بسط ما أجمله ابن السراج . .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبى الصلت ، مطلعها :

(ألا كلُّ شىء هالكٌ غيرَ ربّنا ... ولله ميراثُ الذى كان فانيا

ولىٌّ : له من دون كل ولاية ... إذا شاء لم يُمسُوا جميعاً مواليا

١١٩

وإن يك شىء خالداً ومعمَّرا ... تأمَّل تجدْ مِن فوقه اللهَ باقيا

له ما رأت عينُ البصير وفوقَه ... سماء الإلهِ فوق سبع سمائيا)

(١) لقعنب بن أم صاحب . انظر نوادر أبى زيد ٤٤ وسيبويه ١ : ١١ . وصدره :

* مهلا أعاذل قد جربت من خلقى *

(٢) للمرار الفقعسى ، أو عمر بن أبى ربيعة . الخزانة ٤ : ٣٢٥ بولاق . وهو بتمامه :

صددت فأطولت الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح ، وهو المألوف فى التنظير . وفى ط : « خطاعقه » تحريف .

(٤) كذا فى ش . وفى ط : «رزافع» .

وهذه قصيدةٌ عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الأنبياء كنوح ، ويوسف ، وموسى ، وداود ، وسليمان عليهم السلام[1] .

ويعجبنى منها قوله :

(ألا لن يفوتَ المرء رحمـةُ ربه ... ولو كان تحتَ الأرضِ سَبعينَ واديا
يُعالَى وتدركه من الله رحمةٌ ... ويضحى ثَناه فى البرية زاكيا)

وقوله فى آخرها :

(وأنتَ الذى من فضلِ سَيبٍ ونعمةٍ ... بعثتَ إلى موسى رسولاً مُنادِيا
فقـال : أعنّى يابنَ أمى فإننى ... كثيرٌ به يارب صِل لى جناحيا
وقلتَ لهارُونَ : اذهبا فتظاهرَا ... على المرء فرعونَ الذى كان طاغيا
وقولا له : آأنت سويتَ هذه ... بلا وتِدٍ حتّى اطمأنّتْ كما هيا
وقولا له : آأنت رفّعتَ هذه ... بلا عَمَدٍ أرفِقْ إذًا بكَ بانيا
وقولا له : آأنت سوّيت وَسْطها ... منيراً إذا ما جنّـهُ الليلُ ساريا
وقولا له : مَن أخرجَ الشمسَ بُكرةً ... فأصبح ما مسّت من الأرضِ ضاحيا
وقولا له : مَنْ أنبتَ الحَبَّ فى الثرى ... فأصبح منـهُ البقلُ يهتزّ رابيا
فأصبحَ منـه حبُّهُ فى رءوسهِ ... ففى ذاك آياتٌ لمن كانَ واعيا)

وقوله : « ولىٌّ له من دون كل ولاية الخ » هو خبر مبتدإ محذوف ، أى ربنا ولىٌّ ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل ، من وليه إذا قامَ به ، وكل من ولى أمر أحدٍ فهو وليّه ؛ والضمير فى له راجع لقوله « الذى كان فانيا » . والولاية ، قال أبو عمرو : هى بالكسر فى العمل ، وبالفتح فى الدِّين . وقوله : « إذا شاء الخ » يقول : إذا شاء أماتهم وفرقهم . والموالى : الورثة ، جمع مولى ، قال تعالى

(١) عليهم السلام ، ساقطة من ط .

« ولكلٍّ جعلنا مَوالىَ » ، أى ورثة . وقوله « له ما رأت عينُ البصير الخ » له: خبر مقدم وضميره لربنا ، وما موصولة مبتدأ مؤخر ، وتقديم الخبر للحصر ، أى الذى رأته الأعينُ مِلْكٌ لربنا ليس لأحدٍ شىء منه[1]، وضمير فوقه عائد لما الموصولةِ . وسماء الإله أراد به العرش ، مبتدأ وخبره الظرف قبله . وقوله « فوق سبع سمائيا » حال من الضمير المستتر فى (فوقه) . ومَن رفع سماء الإله بالظرف قبله كان « فوق سبع سمائيا » حالاً من سماء الإله . كذا فى إيضاح الشعر لأبى علىّ .

قال ابن جنى فى الخصائص[2] : « وكان أبو على ينشدنا : فوق ستّ سمائيا » .

وكذا رأيته أنا قد أثبته فى الإيضاح ، وكذلك رأيته أنا أيضاً فى ديوان (أميّة) ، فيكون المراد بسماء الإله : السماء السابعة .

أمية بن أبى الصلت
١٢٠

(وأميّة) هو أمية بن أبى الصَّلت ، واسمه : عبدالله بن أبى ربيعة بن عوف الثّقفىّ . قال الأصمعىّ : ذهب أمية فى شعره بعامّةِ ذكر الآخرة ، وعنترة بعامّة ذكر الحرب . وقد صدّقه النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض شعره . وفى صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال: « رَدِفت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هل معك من شعر أُميّة بن أبى الصلت شىء ؟ قلت : نعم . قال : هيهِ! فأنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ ، ثم أنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ ، حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : « كاد ليَسلم » ، وفى رواية : « ليَسْلم فى شعره » . وفى رواية : « آمن شعره وكفر قلبه » .

وفى الإصابة عن ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه أنشدِ قول أمية :

(١) ش : « منها ».
(٢) الخصائص ١ : ٢١١ .

رَجلٌ وثَور تحت رِجل يمينــهِ والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرصِد[1]

فقال : صدق ، وهذه صفة حَمَلة العرش .

وفى شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال : إنّ حملة العرش ثمانية : رجل، وثور ، ونَسر ، وأسد ، هذه أربعة وأربعة أخرى ؛ فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أُيِّدوا بأربعةٍ أخرى فذلك قوله تعالى : « ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانِيَةٌ » . كذلك بلغنى ، والله أعلم ويقال : إن الذى فى صورة رُجلٍ هو الذى يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ، وأما الذى فى صورة نَسر فهو الذى يشفع للطَّير فى أرزاقهم . وبلغنى أيضاً أن لكلِّ ملَكٍ منهم أربعةَ وجوهٍ : وجه رجل ، ووجه ثور ، ووجه أسد ، ووجه نسر . اه

وفى الأغانى[2] بسنده لما أُنشد النبى صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الحمــدُ لله مُمسانا ومُصبَحنا بالخــيرِ صبّحنا ربّى ومسّانا

ربُّ الحنيفةِ لم تَنفد خزائنها[3] مملــوءةً طَبَقَ الآفاقِ أشطانا

ألاَ نبىٌّ لنــا منّا فيخبرنا ما بُعْدُ غايتنا من رأس مجرانا[4]

بينــا يُربّبنا آباؤُنا هَلـكوا وبينما نقتنى الأولادَ أبلانا[5]

وقد علِمنا لوَ انَّ العلمَ ينفعنــا أنْ سوفَ تلحق أُخرانا بأولانا

---

(١) فى الاصابة ١ : ١٣٣ :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث يرصد

،وبعده : « فقال: صدق هكذا صفة حملة العرش» .

(٢) الأغانى ٣ : ١٨٣ .

(٣) س : « لم تفتت خوائها » ، وأثبت ما فى ط والأغانى .

(٤) الأغانى : « مجانا » .

(٥) الأغانى : « أفنانا » .

وقد عجبتُ وما بالموتِ من عجبٍ ما بال أحيائِنا يبكون موتانا !

إلى أن قال :

يا ربِّ لاتجعلَنّي كافراً أبداً واجعل سَرِيرَةَ قلبي الدَّهْرَ إيمانا

واخلِطْ به[1] بِنْيتِي واخلِطْ به بَشَرِي واللحمَ والدَّمَ ماعُمِّرتُ إنسانا

إنى أعوذُ بمَنْ حجَّ الحجيجُ لهُ والرّافعونَ لدين اللهِ أركانا

مسلِّينَ إليـــه عند حجِّهم لم يبتغوا بثوابِ اللهِ أثمـانا

فقال صلى الله عليه وسلم : « آمن شعرُه وكفر قلبه » .

وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[2] : وكان أمية يُخبر أن نبياً يخرُج ، قد أظلّ زمانه ، وكان يؤمّل أن يكون ذلك النبيَّ ؛ فلما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم كفر به حسداً . ولمـا أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » . وأتى بألفاظ كثيرة[3] لاتعرفها العرب ، وكان يأخذها من الـكتب . منها قوله :

بآيةِ قامَ ينطقُ كلُّ شيء وخان أمانةَ الديك الغرابُ

وزعم أن الدِّيك كان نديماً للغراب ، فرهنه على الخمر وغدَر به وتركه عند الخمّار ، فجعله الخمّار حارساً . ١٢١

ومنها قوله :

* قمرٌ وساهورٌ يُسَلُّ ويُغمَدُ *

وزعم أهلُ الـكتاب أنّ (الساهور) غلاف القمر يدخل فيه إذا انـكسف .

(١) ش : « نبتى » .
(٢) الشعراء ٣٢٩ .
(٣) ش : « بالألفاظ كثيرة » .

وقوله فى الشمس :

ليستْ بطالعة لهم فى رسلها إلاّ معذّبةً وإلّا تُجلدُ

وكان يسمِّى السماوات صاقورة وحاقورة . وعلماؤنا لايرون شعره حجة على الكتاب .

ولما حضرته الوفاة قال :

كلُّ عيش وإن تطاولَ يوماً صائرٌ مرةً إلى أن يزولا

ليتنى كنتُ قبلَ ماقد بدا لى فى رءوس الجبال أرعىْ الوعولا

قال شارح ديوانه فى شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو : قال أبو بكر الهذلى : قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما : أرأيت مابلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لأمية بن أبى الصلت : « آمن شعره وكفر قلبه »؟ فقال : هو حقٌّ ، وما أنكرتم من ذلك ؟ قال : قلنا : أنكرنا قوله :

والشمسُ تصبحُ كلَّ آخر ليلةٍ حمراء يُصبح لونها يتورَّدُ

ليست بطالعةٍ لهم فى رسلها . . . . (البيت)

فما شأن الشمس تُجلد ؟ قال : والذى نفسى بيده ما طلعت الشمسُ قَطْ حتّى ينخسها سبعون ألف ملك يقال لها : اطلُعى ! فتقول : لا أطلُع على قوم يعبدوننى من دون الله . فيأتيها مَلَكان حتى تستقلّ لضياء العباد ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن الطلوع ، فتطلع على قرنيه فيُحرقه الله تحتها . وما غربت قطّ إلاّ خرّت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن سجودها فتغرب على قرنيه فيُحرقه الله تحتها . فذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « تطلع بين قرنَىْ شيطان ، وتغرب بين قرنى شيطان[1] » .

---

(١) الخبر برواية أخرى فى الأغانى ٣ : ١٨٤ .

وفى الأغانى[١] عن الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى قال : كان أمية فى الجاهلية نظر الكتب وقرأها ، ولبس المسوح تعبّدا ، وكان ذكر إبراهيم[٢] وإسماعيل والحنيفية ، وحرّم الخمر ، وتجنّب الأوثان ، وصام ، والتمس الدين طمعاً فى النبوّة ؛ لأنّه كان قد قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث فى الحجاز من العرب وكان يرجو أن يكون هو ، فلمّا بُعث النبى صلى الله عليه وسلم حسده . وكان يحرّض قريشاً بعد وقعة بدر ويرثى من قتل فيها ، فمنّ ذلك قصيدته الحائية التى نهى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن روايتها[٣] التى يقول فيها :

ماذا ببَدْرٍ والعَقَنْـ ... ـقَلِ من مَرازِبةٍ جَحاجحْ

لأن رءوس من قتل بها عتبة وشيبة : ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وهما ابنا خالِهِ ، لأنّ أمّه رقية بنت عبد شمس .

وفى الإصابة : ذكر صاحب المرآة[٤] فى ترجمته عن ابن هشام قال : كان أمية آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقدِم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدراً قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ؟ فقال : أريد أن أتبع محمداً . فقيل له : هل تدرى ما فى هذا القَليب ؟ قال : لا . قال : فيه شيبة وربيعه[٥] وفلان وفلان . فجدع أنف ناقته وشقّ ثوبه وبكى ، وذهب إلى الطائف فمات بها . ذكر ذلك فى حوادث السنة الثامنة . والمعروف أنه مات

(١) الأغانى ٣ : ١٨٠ .

(٢) ط والأغانى : « وكان ممن ذكر إبراهيم » .

(٣) لكن رويت فى السيرة ٥٣١ والعقد ٣ : ٣٠٠

(٤) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى .

(٥) فى الاصابة ١ : ١٣٣ : « فيه شيبة وعتبة ابنا خالك » .

١٢٢ فى التاسعة . ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً ، وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر ، وقيل إنّه الذى نزل فيه قوله تعالى : « الذى آتيناه آياتِنا فانْسَلَخَ منها »[1] . وقيل : إنه مات سنة تسع من الهجرة فى الطائف كافرا قبل أن يُسلم الثقفيون .

ورأيت فى ديوانه قصيدة مدح بها النبىّ صلى الله عليه وسلم أولها :

لكَ الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا ... دِ أنتَ المليكُ وأنت الحكم

إلى أن قال :

ودِنْ دينَ رَبِّكَ حتّى التُّقى ... واجتنبنَّ الهوى والضَّجَمْ

محمدُ أرسَلَه بالهدى ... فعاشَ غنيًّا ولم يهتضم

عطاءٌ منَ اللهِ أعطيَه[2] ... وخصَّ به اللهُ أهلَ الحرم

وقد علموا أنَّه خيرُهم ... وفى بيتهم ذى الندى والكرم

يَعيبون ما قالَ لمّا دعا ... وقد فرّج الله إحدى البهم

به وهو يدعو بصدق الحديـ ... ـثِ إلى الله من قبل زَيغ القَدَم

أطيعوا الرسولَ عبادَ الإله ... تنجون من شرِّ يومٍ ألَمّ

تنجون من ظلمات العذاب ... ومن حرِّ نار على من ظلم

دعانا النبيُّ به خاتم ... فمن لم يُجِبهُ أسرَّ الندم

نبيٌّ هُدًى صادقٌ طيّبٌ ... رحيمٌ رءوفٌ بوصل الرَّحِم

به خَتَمَ اللهُ مَن قبله ... ومن بعده من نبى ختم

يموتُ كما ماتَ مَن قد مضى ... يُردُّ إلى الله بارى النَّسَم

مع الأنبيا فى جِنانِ الخلودِ ... همُ أهلها غير حِل القسم

(١) الآية ١٧٥ من سورة الأعراف.

(٢) ط : « اعطيته » .

وقدّس فينا بحبّ الصلاة جميعاً وعلَّم خطّ القلم
كتاباً من الله نقرا به فمن يعتديه[١] فقدْ مَاأثمْ

مازائدة ، وأثم فعل ماض.

« تتمـــة »

من اسمه أمية

تتبعت من اسمه أمية فوجدتهم خمسة : أحدهم هذا ، والثانى : أمية بن كعب المحاربى ، والثالث : أمية بن خلف الخزاعى . والرابع : أمية بن أبى عائذ الهذلى . والخامس: أمية بن الأسكر الكنانى . ولم يذكر واحداً منهم الآمدى فى كتابه (المؤتلف والمختلف) مع أن هذا من شرط كتابه .

ونترجم إن شاء الله من هؤلاء من يأتى له شعر فى هذه الشواهد ، بعون الله تعالى وحسن توفيقه .

* * *

وأنشد بعده : (يَفوقانِ مِرْداسَ فى مَجمعٍ)

تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد السابع عشر[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون :

١٢٣

٣٧ (كم دُونَ ميةَ من خرْق ومن عَلمٍ
كأنَّه لامعٌ عُريانَ مسلوبُ)

(١) سـ : « فمن يقتد به » .
(٢) انظر ماسبق فى ص ١٤٧.

على أن عريان جاء فى ضرورة الشعر ممنوعَ الصرف ، تشبيهاً بباب سكران .
قد تقدم فى الشاهد السابع عشر [١] أنّ الكوفيين يجيزون ترك الصرف للضرورة [٢] فى الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم :

* والسيف عريان أحمر [٣] *

وتقدم . و (كم) هنا للتكثير . و (دون) بمعنى قدام . و (ميّة) اسم محبوبة ذى الرمة ولقبها الخرقاء كما تقدم بيانه فى الشاهد الثامن . وفى أكثر نسخ هذا الشرح (بيشة) بدل مية ، وهو موضع باليمن وهو مأسدة . وفى كتاب النبات للدينورى : بِيشة : واد عظيم من أودية نجد . وهو تحريف من الكتّاب . و (الخرق) بفتح المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقاف ،هو الأرض الواسعة التى تتخرّق فيها الرياح . و (العلم) : الجبل ، والمنار الذى يهتدى به فى الطرق . وجملة كأنه صفة للعلم والرابط ضمير كأنه . شبّهه برجل عريان سلب ثوبه فهو يشير إلى القوم . و (اللامع) من لمع الرجل بيده إذا أشار ، والموصوف محذوف أى رجل لامع . وهذا البيت من أبيات عشرة لذى الرمة . وقبل هذا البيت :

(هيهات خرقاء إلاّ أن يقرّبها ذو العرش والشعشعاناتُ المراجيبُ)

يستبعد الوصول إليها لبعد ما بينهما ، إلا أن يقرّبها الله إليه والجمالُ . والشعشعانة : الناقة الخفيفة الطويلة . والمراجيب : جمع مرجاب ، وهى الناقة الطويلة الضخمة .

ثم بعد أن وصف الناقة فى أبيات ثلاثة قال :

---

(١) ص ١٤٧ .
(٢) كلمة « ترك » ساقطة من ش .
(٣) انظر ص ١٤٨ فى الشاهد ١٧ والإنصاف ٤٩٧ .

كم دون مية من خرق ومن علم ... (البيت)

وبعده :

(ومن مُلَمِّعة غبراء مظلمة ترابُها بالشِّعاف الغُبر معصوبُ)

هذا معطوف على قوله من خرق ومن علم . والملمِّعة : اسم فاعل ، وهى الفلاة التى يلمع فيها السَّراب ؛ ويقال لها اللَّماعة أيضاً . قال ابن أحمر :

كم دونَ ليلى من تَنوفية[1] لمَّاعة يُنذَر فيها النذُر

والسراب يقال له يلمع ، ويشبَّه به الكذوب . والشِّعاف : رءوس الجبال . والمعصوب : الملفوف عليه كالعصابة . وبعده وهو آخر الأبيات :

(كأن حِرباءها فى كلِّ هاجرة ذو شَيبة من رجال الهند مصلوب)

الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحرّ . والحِرباء : دويبة تستقبل الشمس على أغصان الشجر وتدور معها كيف دارت ، ويتلوّن ألوانا بحرّ الشمس يخضرّ كأنه شيخ هندىٌّ مصلوب على عود .

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون ، وهو من شواهد س[3] :

٣٨ (أنا ابنُ جَلا وطَلاَّعُ الثَّنايا متَى أضعِ العِمامةَ تَعرفونى)

على أن (جلا) غير منصرف عند عيسى بن عمر ، لأنَّه منقول من الفعل ، ولم يشترط غَلَبة الوزن بالفعل . وأجاب عنه الشارح المحقّق تبعا لغيره بوجهين :

(١) ش : « تنوفة » ، صوابه فى ط واللسان (لمع ، تنف).

(٢) ص ١٠٦

(٣) كتاب سيبويه ٢ : ٧ . وانظر ايضا العينى ٤ : ٣٥٦ وابن يعيش ١ : ٦١ ، ٣ : ٥٩ ، ٦٢ وهمع الهوامع ١ : ٣ والأصمعيات ص ١٦ .

الأول وهو جواب س : أن العَلَم إنّما هو الفعل مع ضميره المستتر ، فهو جملة محكية وليس العلَم هو الفعل بدون ضميره . ويردُ عليه أنّ جلا ليس اسماً لأبي الشاعر ولا لقباً له كما يعلم من ترجمته الآتية ، وإنما ابنُ جلا في اللغة المنكشف الأمر ، كما قاله المبرد في الكامل[1] .

١٢٤

وقال القالي في أماليه[2] : يقال هو ابن جلا ، أي المنكشف المشهور الأمر ، وأنشد الأصمعيّ :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . . الخ

قال : وابن أجلَى مثله . وأنشد للعجاج :

لاقوا به الحجَّاج والإصحارا به ابن أجلَى وافق الإسفارا[3]

قال : ولم أسمع بابن أجلى إلاّ في بيت العجَّاج . وقوله لاقوا به ، أي بذلك المكان . وقوله : والإصحارا ، أي وجدوا به ابن أجلى ، كما تقول لقيت به الأسد أي كأني لقيت بلقائي . وقوله وافق الإسفارا ، أي واضحاً مثل الصبح . وقال ابن الأثير في المرصّع : ابن جلا ، وابن أجلى ، هو الرجل المعروف المشهور والأمر الواضح المكشوف . وزعم بعضهم أنَّ ابن جلا اسم رجل كان فاتكاً صاحب غارات مشهوراً بذلك . وأنشد هذا البيت .

وقوله بعد هذا : « وهو في الأصل فعل ماض سمِّي به ، وإنما لم يصرف لأنه أراد به الحكاية » فاسدٌ ؛ لأنه ركب من القولين قولا . وقال الباَوِىُّ في كتاب (ألف باء) : ابن جلا وابن أجلى هما بمعنى التجلّي والأمر المنكشف ، وهو أول النهار . وقال صاحب القاموس : وابن جلا الواضح الأمر كابن أجلى .

(١) الكامل ١٢٨ ، ٢١٥ .
(٢) أمالي القالي ١ : ٢٤٦ .
(٣) ديوان العجاج ٢٣ .

وقال ابن الأنبارى والقالى فى المقصور والممدود لهما : وقولهم أنا ابن جلا : أنا ابن البارز الأمر ، أنا ابن من لا ينكر .

فهذا كلُّه يدل على عدم اختصاصه بأحدٍ ، بل يجوز لكلِّ أحدٍ أن يقول للتمدُّح : أنا ابنُ جلا ، كما قال اللعين المِنقرى يهجو رؤبة بن العجاج :

إنّى أنا ابنُ جلا إن كنتَ تعرفنى يا رؤبَ والحيةُ الصمّاء والجبلُ

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعدنى وفى الأراجيز خلتُ اللؤمُ والفشلُ

وهذا البيت ينشده النحويون :

* وفى الأراجيز خلتُ اللؤمُ والخوَرُ *

والصواب ما ذكرناه . فإنّ القصيدة لامية ، إلاّ أن يكونَ من قصيدة أخرى رائية . وقال الآخر[1] :

* أنا القُلاخ بن جَناب بن جلا *

قال العسكرى فى التصحيف : جناب جدُّ القلاخ . انتسب إليه . وابن جلا ليس بجدٍّ ، إنما أراد أنا ابن الأمر المكشوف ، مثل قول سُحَيم :

* أنا ابن جَلا وطلاعُ الثنايا * . . . انتهى

الثانى وهو جواب الزمخشرى فى المفصَّل : أن جلا ليس بعلم ، وإنما هو فعل ماض مع ضميره صفة لموصوف محذوف . وبهذا الوجه أورده الشارح فى باب النعت وفى باب أفعال المدح والذم أيضاً ، وضَعَّفه فى الأبواب الثلاثة بأن الجملة إذا كانت صفة لمحذوف فشرط موصوفها أن يكون بعضاً من متقدّم مجرور بمن أو فى كما بين .

(١) هو القلاخ . وانظر التصحيف للعسكرى ٣٨٨ .

ويبقى وجه ثالث ذكره ابن الحاجب فى أماليه وهو أن يكون جلا اسماً لا فعلا ، وأن يكون بتقدير ذى ، أى أنا ابنُ ذى جلا ، والجلا هو انحسار الشعر عن مقدَّم الرأس .

أقول : فى القاموس وغيره : الجلا بالقصر : انحسار مقدَّم الرأس من الشعر أو نصف الرأس ، أو هو دون الصلع ، جَلِىَ كرضِىَ جلاً . انتهى. وفى المقصور والممدود لابن الانبارى والقالى : الجلا انحسار الشعر من مقدم الرأس من جانبى الجبهة ، مقصور يكتب بالألف لأنه يقال : رجل أجلى وامرأة جلواء . وعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ذى ، فإنه يقال فلان ابن كذا بمعنى أنه ملازم له كما يقال أخو حروب . والصَّلَع ونحوه أحد مخايل الشجاعة وأماراتها ، وقيل من دلائل الكرم ، لأنّ العرب تقول : الذى ولد أصلع يكون كريماً بحسب الغالب . والمراد من وضع العمامة إزالتها عن الرأس ، إما لأن الذى يعرفه إنما رآه مكشوفَ الرأس فى الحروب لكثرة مباشرته إياها فإذا رأى العمامة جهله ، وإمّا لأن الذى يعرفه إنما رآه لابسا آلات الحرب وعلى رأسه البيضة لكثرة حروبه فينحّى عمامته ويلبس البيضة .

وهذا محصل كلام ابن الحاجب فى أماليه ، وعبارتُه : قوله متى أضع العمامة تعرفونى الخ إما أن يريد كثرة مباشرته الحروب فلا يراه الأكثر إلاّ بغير عمامة فقال : متى أضع العمامة يعرفنى الذى ما رآنى إلاّ غير متعمم ، أو يريد أنّنى بكثرة مباشرتى الحروب ولباسى بيضة الحرب فتى أضع العمامة وألبس آلة الحرب يعرفونى . يعنى إذا حاربت عُرفت بأقدامى وشجاعتى . انتهى .

والوجه هو الأوّل ، وقد لحظه ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فأخذه وضمنه ببعض تغييرٍ فى الرشيد عُمَر الفوى وكان به داء الثّعلب ، وهو من نوادر ما قيل فى أقرع ، وقال :

عجبت لمعشر غلطوا وغضُّوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة يعرفوه

وقال أبو العباس أحمد اللخمى المالكى وتوفى فى سنة ٦٠٣ ثلاث وستمائة :

يُسَرُّ بالعيد أقوامٌ لهم سَعة من الثراء وأمّا المقترون فلا
هل سرَّنى وثيابى فيه قومُ سَبا أو راقنى وعلى رأسى به ابن جلا

يعنى بقوم سبا قوله تعالى : « مزّقناهم كل ممزق » ، وابن جلا ما له عمامة .

وقال ثعلب فى أماليه[1] فى الكلام على هذا البيت : والعمامة تلبس فى الحروب وتوضع فى السلم . وهذا خلافُ الواقع وضد معنى البيت .

وقال الكرمانى شارح شواهد الموشّح (شرح الكافية الحاجبية للخبيصى) : قوله متى أضع العمامة يحتمل معنيين بحسب اختلاف التقديرين :

الأول أن يقدر « على » ، فيكون التقدير متى أضع العمامة على رأسى تعرفونى أنى أهلٌ للسيادة والإمارة .

والثانى أن يقدر « عن » ، أى متى أضع العمامة عن رأسى تعرفوا شجاعتى بواسطة صَلع رأسى ، لأنّه أحد مخايل الشجاعة .

هذا كلامه . ولم يتعرض لمعنى وضع العمامة العينى ولا السيوطى ولا صاحب المعاهد فى شروح شواهدهم[2] . وطلاع مبالغة طالع يقال : طلعت الجبل طلوعا أى علوته ، يتعدّى بنفسه . وطلعت فيه : رقِيته .

قال ثعلب فى أماليه : من رفع طلاع الثنايا [جعله مدحا لابن ، ومن خفضه

(١) مجالس ثعلب ٢١٢ . ولفظه : « تلبس فى الحرب » .
(٢) شرح شواهد المغنى ١٥٧ ، ٢٥٤ ومعاهد التنصيص ١ : ١٤ .

جعله مدحاً لجلا . يعنى أنه روى فيه الخفض والرفع ، والجيد عندى الرفع .
والثنايا[1]] : جمع ثنية .

قال المبرد فى الكامل : هى الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل ، وإنّما أراد أنه جلدٌ يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها . قال دُريد بن الصِّمَّة يعنى عبدالله أخاه :

كميشُ الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السَّوءات طلَّاع أنجدِ

١٢٦ والنجد : ما ارتفع من الأرض .

وقال ابن قتيبة فى أبيات المعانى[2] : قوله طلاع الثَّنايا أى يطلع على الثنايا، وهى ما علا من الأرض وغلظ . ومثله قولهم : طلَّاع أنجُد .

وقال العينى : والثنايا : جمع ثنية ، وهى السنّ المشهورة . وهذا غير لائق به .

وهذا البيت مطلع قصيدة لسُحيم بن وَثيل الرِّياحى ، وليس هو للعرجى كما توهمه التفتازانى فى المطوّل . وبعده :

(وإنّ مكاننا من حِمْيَرىّ مكانُ الليث من وسط العرين
وإنّى لن يعود إلىّ قِرنى غداة الغِبّ إلا فى قرين
بذى لِبَدٍ يصُدُّ الرَكْبُ عنه ولا تُؤتى قرينته لحين[3]
عذرت البُزْلَ إذْ هى خاطرتنى فما بالى وبالُ ابنَىْ لَبُون
وماذا يَبتغى الشعراء منّى وقد جاوزتُ حد الأربعين

---

(١) ما بين المعقفين من ـه وسقط من ط .
(٢) المعانى الكبير ٥٣٠ .
(٣) فى الأصمعيات ١٩ وكذا فى ـه مع أثر إصلاح : « فريسته » .

أخو خمسينَ مجتمعٌ أشُدِّى ... ونَجَّذَنى مُداورة الشئون
فإنّ عُلالتى وجِراء حولى ... لذو شِقٍّ على الضَّرَع الظُّنون
كريم الخال من سَلَفَىْ رِياح ... كنصل السيف وضّاح الجبين
متى أحلل إلى قطن وزيد ... وسلمى تكثرِ الأصوات دونى[1]
وهَمّام متى أحلل إليه ... محلَّ الليث فى عِيص أمين
ألفّ الجانبين به أسودٌ ... منطقّة بأصلاب الجفون
وإن قَناتنا مشظٌ شَظَاها ... شديدٌ مَدُّها عُنُقَ القرين)

سبب الأبيات

روى صاحب المعاهد وغيره ، أنّ السبب فى هذه الأبيات : أنّ رجلا أتى الأبيرد الرياحى وابنَ عمه الأخوص[2] ، وهما من ردُف الملوك من بنى رياح ، يطلب منهما هِناءً لإبله ، أى قطرانا . فقالا له : إذا أنت أبلغت سحيم بنَ وثيل الرياحىّ هذا الشعرَ أعطيناك . فقال : قُولا . فقالا : اذهب وقل له :

فإنّ بُداهتى وجِراء حولى ... لذو شِقّ على الحطِم الحرونِ

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه[3] وانحدر فى الوادى يُقبِل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب وقل لهما . وأنشد هذه الأبيات . قال : فأتياه واعتذرا له ، فقال : إنّ أحدكما ليرى أنّه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا ، وحَسَبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة البعير الأربّ ؟! انتهى .

وفى العمدة لابن رشيق : أنّ الأخوص والأبيرد ابنى المنذر ، وهما شاعران مُنْلِقان . وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخى الأخوص . انتهى .

---

(١) هذا البيت والبيتان بعده لم يرويا فى الأصمعيات .
(٢) ط : « الأحوص » بالحاء المهملة ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « حصاة » ، صوابه فى ش .

والرُّدُف بضمتين : جمع رِدف بكسر فسكون[1] . والرِّدف هو الذى يجلس على يمين الملك ، فإذا شرب الملك شرب الرِّدف قبل الناس ، وإذا غزا الملك قعد الردف فى موضعه وكان خليفته على الناس حتّى ينصرف ، وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة .

والبُداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، والجِراء بكسر الجيم : مصدر جاراه مجاراة وجراء ، أى جرى معه . والحول : العام . والشِّق بالكسر : المشقة . والحَطِم بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين : الفرس المرِم . قال فى الصحاح : الحطِم المتكسّر فى نفسه ، ويقال للفرس إذا تهدّم لطول عمره : حطم . ويقال : حطِمت الدابة بالكسر إذا أسنت ، وحطَمته السن بالفتح حطما . والحَرون : الفرس الذى لايقاد ، وإذا اشتدّ به الجرى وقف . ١٢٧

وهذا البيت تعريضٌ لسحيم بأنه لايبلغ غايتهما لكبره وعجزه . والأزبُّ بالزاى المعجمة ، والزَّبب هو طول الشعر ، ويقال بعير أزبّ ، ولا يكاد يكون الأزبّ إلاّ نفوراً[2] لأنّه ينبت على حاجبيه شعرات ، فإذا ضربته الريح نفر .

وقول سحيم (وإن مكاننا من حميرىّ) يأتى فى نسبه أنّ حميرياً أحد أجداده . و (اللّيث) : الأسد . و (العَرين) بفتح المهملة : الأجمة ، والغابة وفيها يكون مأوى الأسد . يريد أنه فى بحبوحة النسب إلى حميرىّ لا فى أطرافه . و (القِرْن) بكسر القاف : الكفء فى الشجاعة ، وقيل عامٌّ . و (الغِبّ) بالكسر : ورود الإبل الماء فى اليوم الثانى ، وغداة الغب : اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه . و (القرين) : المقارن والمصاحب . وفى بمعنى مع . وقوله

---

(١) كذا . ومثله جمعهم الردف أيضا على ردافى . والقياس أن يكون جمع رديف .

(٢) ومنه قولهم فى المثل : « كل أزب نفور » . انظر اللسان (زبب) وأمثال الميدانى ٢ : ٧١ . وقائله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أزب جبانا

(بذى لبد) ، بدل من قوله فى قرين . وفاعل يصدّ ضمير ذى لبد . وضمير عنه وقرينته[١] للقرن . وذو اللبدَ هو الأسد ، بكسر اللام وفتح الباء : جمع لِبدة كقِرَب جمع قِربة ، واللبدة هى الشعر المتلبّد بين كتفى الأسد . والقرينة : النفس ، يقول : إنّ قِرنى لايقدر أن يقابلنى من خوفه إلاّ مع رفيق ، كالأسد يقدر أن يدفع ركباً عنه ، حتّى تسلم نفسه منّى لحينٍ من الأحيان .

وقوله : (عَذَرت البزل) هو جمع بازل ، وهو البعير المسن . (وخاطرتنى): راهنتنى ، من الخَطَر بالتحريك وهو الشىء الذى يُتراهن عليه ، وقد أخطر المالَ : جعله خَطراً بين المتراهنين . وخاطره على كذا : راهنه . وابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة . يقول : إذا راهننى الشيوخ على شىء عذرتهم لأنهم أقرانى ، وأما الشُّبان فلا مناسبةَ بينى وبينهم . وأراد بابنَىْ لبون الأبيرد وابن عمه ، فإنّهما طلبا مجاراته فى الشعر .

وقوله : (وماذا يبتغى الشعراء منى الخ) ، رواه الجوهرى « وماذا يدّرى الشعراء » . قال : ادّراه : افتعله ، بمعنى ختله ، من درى الصيد إذا خَتَله . واستشهد النحاة بهذا البيت على كسر نون الجمع .

وقوله (أخو خمسين) أى أنا أخو خمسين سنة . واجتماع الأشُدّ عبارةٌ عن كمال القوى فى البدن والعقل . وقال صاحب العباب : والرجل المجتمِع : الذى بلغ أشدّه واستوت لحيته ، ولا يقال ذلك للنساء ، وأنشد هذا البيت لسحيم . وفيه نظر . وقوله : ونجذّنى بالذال المعجمة ، أى هذّبنى . قال فى الصحاح : « ورجل منجّذ أى مجرّب أحكمته الأمور » . وهو من الناجذ وهو آخر الأضراس ، ويسمّى ضرس الحِلم بكسر الحاء ، لأنه ينبت بعد البلوغ

(١) ط : « فريسته » ، صوابه فى ش .

وكمال العقل. والمداورة : مفاعلة من دار يدور ، بمعنى المعالجة والمزاولة والشئون : الأمور ، والأحوال ، جمع شأن .

وقوله : (فإنّ عُلالتي الخ) العلالة بضم العين المهملة : بقية جرى الفرس . والضَّرَع ، بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة : الضعيف . وفى القاموس وضرُع ككرم : ضعف ، فهو ضَرَع محركة ، من قوم ضَرَع محركة أيضاً ، ومهر ضَرَع محركة : لم يقو على العدْو . والظَّنُون بالمعجمة كصبور : الرجل الضعيف والقليل الحيلة . وهذا تعريضٌ بأنَّ فيهما ضعفاً لا يقدران على مجاراته وإن كان شيخاً .

وقوله : (كريم الخال) أى أنا كريم الخال . ورِياح بكسر الراء المهملة وبالمثناة التحتية ، هو ابن يربوع وأبو قبيلة سُحيم . وأحلُل : أنزل . وقَطَن وزيد هما خالاه . وسَلمى خالته . وكثرة أصواتهم للترحيب والتهنئة . وهمَّام هو عمه . والعِيص بكسر العين وبالصاد المهملتين : الشجر الكثير الملتفّ . وبيَّن بهذين البيتين سلفَيْه من رياح . والألفُّ : الموضع الملتفّ الكثير الأهل . والمنطَّقة : المحزَّمة بالمِنْطقة ، وهى الحزام . يقال : انتطق الرجل وتنطَّق : شدّ وسطه بالمِنْطَقة كمكنسة ، وهى ما يُنتطق به . والجفون : جمع جَفْن بالفتح ، وهو قراب السيف. وأراد بالجفون السيوف ، وبالأصلاب سيورها.

وقوله : (وإنّ قناتنا مَشِظ الخ) مشظ بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإعجام الظاء : هو الذى يدخل فى اليد من الشوك إذا مُسّ . يقال مشظ من باب فرح : مسّ الشوكَ أو الجذع فدخل فى يده منه شىء ، والشَّظَى بفتح الشين والظاء المعجمتين ، بمعنى الشظيَّة وهى الفِلقة والقطعة من الشىء . والشَّديد من الشدّة . ومدُّها فاعل شديد . و (عُنقَ القرين) منصوب بمدّها . والقرين : القرن المقاوم . والبيت على طريق التشبيه . يقول : من تعرَّض لنا بسوء ناله

مكروه يتأذّى به ، كالذى يمسُّ جلده قناة مَشِظة فيدخل فى جلده من شظاها وهى مع ذلك صُلبة ، من قَرِن بها مدّت عنقه إليها ولم تنثن إليه . كذا فى شرح أبيات الإصلاح لابن السيرافى .

ترجمة سحيم

و (سُحَيم) : مصغر أسحم ، تصغير ترخيم من السُّحْمة بالضم ، وهى السواد . ابن (وَثيل) بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة ، وهو فى اللغة كما فى القاموس : الليف ، والرشاء الضعيف ، والحبل من القِنّب ، والضعيف . وفى الإصابة لابن حجر — وتبعه السيوطى فى شواهد المغنى — أنه بالتصغير ، وهو غير منقول . (ابن أُعَيفر) : مصغر أعفر بالعين المهملة والفاء ، وهو الرمل الأحمر والأبيض وليس بالشديد البياض . وأعيفر (ابنُ أبى عمرو بن إهاب بكسر الهمزة ابن حِمْيَرى) بلفظ النسبة إلى حِمْيَر ، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو حِمْيَر بن سبأ بن يَشْجب بن يَعْرُب بن قحطان . قال ابن الكلبى فى جمهرة الأنساب : حميرى بن رياح يقال فيه حَمَّرىّ أيضاً أى بفتح الحاء وتشديد الميم .

وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية أنّ الياء فى حميرىّ زائدة[1] ، أو للنسبة بتقدير من نسب حميرى . وهذا من عدم اطّلاعه على نسب الشاعر . وتقدم فى شرح أول بيت من الشواهد[2] أن حميريًا أحد آباء ذى الخِرَق الطُّهَوى أيضاً . وحميرىّ بن رياح ، وتقدم ضبطه .

ورياح ابنُ يربوع . ويربوع اثنان : أحدهما يربوع أبو حىّ من تميم ، وهو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . والثانى أبو بطن من مُرَّة ،

(١) أى كما فى قولهم : «أحمرى» و «أصفرى» و « دوارى » ، للأحمر والأصفر ، يريدون الياء للمبالغة . انظر شرح الشافية للرضى فى أول باب المنسوب .

(٢) ص ٤٢ .

وهو يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غَطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وسُحيم بن وثيل يتّصل نسبه بيربوع بن حنظلة ، كما قال ابن الكلبي فى الجمهرة . فمن بنى حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة سُحيمُ بن وثيل بن عمرو بن جُوين بن أهَيب بن حميرىّ الشاعر ، القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . . . (البيت)

وهو الذى نافر غالباً أبا الفرزدق فى الإسلام . انتهى

وليس فى آباء سحيم من اسمه جلا . وسحيم شاعر معروف فى الجاهلية والإسلام ، عدّه الُجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام[1] وقال : سحيم ابن وثيل شاعر خنذيذ شريف ، مشهور الذكر فى الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع فى قومه . ١٢٩

وقال ابن دريد : عاش سُحيمٌ فى الجاهلية أربعين سنة وفى الإسلام ستين سنة ، فهو من الشعراء المخضرمين ، وله أخبار مع زياد ابن أبيه ، وهو الذى افتخر مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق فى نحر الإبل ، فبلغ علياً رضى الله فأفتى بحرمة ما نحره سحيم .

وسيأتى إن شاء الله تعالى هذه القصّة مشروحة فى باب الاشتغال فى قول جرير:

تعُدُّون عَقرَ النِّيب أفضلَ مجدِكم ... بنى ضَوْطَرَى لولا الـكَمِىَّ المقنَّعا

من اسمه سحيم

وله سَمِيّان من الشعراء : أحدهما سُحيم بن الأعرف ، وهو من بنى الهجيم ، وكان فى الدولة الأموية ، ولم يذكر ابن قتيبة فى طبقات الشعراء غير هذا[2]

(١) الحق أنه جعله فى الطبقة الثالثة . ابن سلام ٤٨٥ ، ٤٨٩ .

(٢) الحق أن ابن قتيبة ذكر أيضا سحيم بن وثيل الرياحى فى ٦٢٦ كما ذكر أيضا عبد بنى الحسحاس فى ٣٦٩ . ولعل هذا الخلاف راجع إلى نقص فى النسخ .

وأورد طرفا من شعره . والثانى سُحيم عبد بنى الحسحاس ، وكان عبدا حبشيًّا ، وهو صاحب القصيدة التى أولها :

عُميرةَ ودّعْ إنْ تجهّزتَ غاديا   كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

وهو من شواهد مغنى اللبيب ، وسنذكر إن شاء الله ترجمته بتوفيق الله تعالى فى الشاهد الرابع[1] والتسعين .

ولم يذكر الآمدى فى كتابه المؤتلف والمختلف واحداً من هؤلاء الثلاثة ، مع أنه من شرط كتابه .

وقد حصل اللَّبس للعينى فى باب المعرب والمبنى من اتفاق أسماء هؤلاء ، فزعم أنَّ الأول هو الثالث فقال : سحيم بن وثيل الرياحىّ كان عبدا حبشيا ، وكان عبد بنى الحسحاس . هذا فيما قاله الجوهرى . انتهى . مع أن الجوهرى لم يذكر لفظ سحيم فى صحاحه .

وأغربُ من هذا كله أنه أورد أبياتاً قبل بيت « أنا ابن جلا » ، وأكثرها من قصيدة المثقِّب العبدى التى أولها :

أفاطمَ قبـــلَ بينِكِ متّعينى   ومنعُك ما سألتُ كأنْ تبينى

وفيها بيتٌ لعلى بن بدّال ، من بنى سليم وهو :

فلو أنّا على حجرٍ ذُبحنـا   جَرى الدَّمَيان بالخبر اليقينِ

وهذا ثالث أبيات ثلاثة يأتى شرحها إن شاء الله فى باب المثنى ، وفيها ثلاثة أبيات لسُحيم بن وثيل من الأبيات التى شرحناها ، وهى قوله : أنا ابن جلا البيت . والثانى : وماذا يبتغى الشعراء منّى . . البيت ، والثالث : أخو خمسين مجتمع أشُدّى . . البيت . فما أورده مجموع من شعر شعراء ثلاثة . وقال فى باب

(١) فى النسختين : « الثانى والتسعين » ، والتصحيح للأستاذ الميمنى .

مالا ينصرف عند شرح بيت « أنا ابن جلا » : قائله سحيم بن وَثيل الرياحى ، وقيل المثقّب العبدى ، وقيل أبو زبيد ، وقيل إنّه من قصيدة سُحيم التى أولها :

* أفاطم قبــل بينك مَتِّعينى *

« تتمـة »

المخضرَم بالخاءِ والضاد المعجمتين على صيغة اسم المفعول ، ونقل السيوطى فى شرح تقريب النووى عن بعض أهل اللغة كسر الراء أيضا . قال صاحب القاموس : هو المـاضى نصفُ عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، وقيل : مَن أدركهما . وهذان القولان يعمّان الشاعر وغيره . وقيل : الشاعر[1] الذى أدركهما ، وهذا هو المشهور . وعليه اقتصر صاحبُ الصحاح . ثم توسّعُ حتّى أُطلق على من أدرك دولتين ، كرؤبة بن العجّاج وحمّاد عجرد ، فإنّهما أدركا دولة بنى أمية ودولة بنى العباس .

١٣٠ وقال السيوطى فى شرح التقريب : المخضرم فى اصطلاح أهل الحديث هو الذى أدرك الجاهلية وزمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وفى اصطلاح أهل اللغة هو الذى عاش نصفَ عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، سواء أدرك الصُّحبة أم لا ، فبين الاصطلاحين عمومٌ وخصوص من وجه ، فحكيم ابن حزام مخضرم باصطلاح اللغة لا الحديث ، وبشر بن عمرو مخضرم باصطلاح الحديث لا اللغة . انتهى .

وفى تعريفه اصطلاح اللغة نظر وتأمل .

ثم قال : والمراد بإدراك الجاهليَّة ماقبل البعثة ، كما قال النووىّ فى شرح مسلم . قال العراقى : وفيه نظر ، والظاهر إدراك قومه أو غيرهم على الـكفر

(١) من « وغيره » إلى هنا ساقط من ط .

قبل فتح مكة ، فإنّ العرب بعده بادروا إلى الإسلام وزال أمر الجاهلية ، وخطب صلى الله عليه وسلم فى الفتح بإبطال أمرها . وقد ذكر مسلم فى المخضرمين بشير ابن عمرو ، وإنّما ولد بعد الهجرة .

قال ابن رشيق فى العمدة[1] : قال أبو الحسن الأخفش : ماء خِضْرِم كزبرج ، إذا تناهى فى الكثرة والسّعة ، فمنه سمّى الرجل الذى شهد الجاهلية والإسلام : مخضرماً ، كأنه استوفى الأمرين . قال : ويقال أذن مخضرمة ، إذا كانت مقطوعةً ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام . وحكى ابن قتيبة عن عبدالرحمن عن عمه[2] قال : أسلم قوم فى الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمّى كلُّ من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرما . وزعم أنه لايكون مخضرما حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم[3] . وهذا عندى خطأ ، لأنّ النابغة الجَعْدى ولَبيدا قد وقع عليهما هذا الاسم . وحكى على بن الحسن كراع : يقال شاعر مُحضرم بحاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمة ، وهى الخلط ، لأنه خلط الجاهلية والإسلام[4] .

وحكى ابن خلكان مع الحاء المهملة كسر الراء أيضا .

واعلم أنّ الشعراء أربع طبقات : الأولى جاهلىٌّ قديم ، الثانية المخضرم ، الثالثة إسلامى ، الرابعة مُحْدَث . وهم أربعة أقسام : شاعر خِنْذِيذ بالخاء والنون والذالين المعجمات على وزن إبريق ، وهو الذى يجمع إلى جيِّد شعره روايةَ الجيد من شعر غيره . وشاعر مُفْلِق وهو الذى لارواية له إلاّ أنه مجوِّد

(١) العمدة ١ : ٧٢ .

(٢) عمه هو الأصمعى .

(٣) بعده فى العمدة : « وقد أدركه كبيرا ولم يسلم » .

(٤) فى العمدة : « بالإسلام » .

كالخنذيذ فى شعره ، والمفلق معناه الذى يأتى فى شعره بالفِلْق بالكسر وهو العجب ، وقيل هو اسم الداهية . وشاعر فقط وهو الذى فوق الردىء بدرجة . وشُعرور وهو لاشىء . وقيل : بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعرور .

وسمى الشاعر شاعراً لأنّه يشعر لما لايشعر له غيره ، فإذا لم يكن عندالشاعر توليدُ معنى واختراعه ، واستطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف به غيره من المعانى ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ ، وصَرفُ معنى إلى وجه من وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لاحقيقة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون :

٣٩ (نُبّئتُ أخوالى بنى يزيدُ ظلماً علينا لهمُ فَديدُ)[١]

على أن (يزيد) علم محكىّ لكونه سمّى بالفعل مع ضميره المستتر ، من قولك : المال يزيدُ ، ولو كان من قولك يزيد المال لوجب منعه من الصرف ، وكان هنا مجرورا بالفتحة . و (نُبئت) : مجهول نَبأ بالتشديد ، من النبأ وهو الخبر . وقال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأٌ حتّى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقه أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر ، وخبرِ الله ، وخبر الرسول . ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا أخبرته به ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا ، كقولك علّمته كذا .

---

(١) العينى ١ : ٣٨٨ / ٤ : ٣٧٠ وابن يعيش ١ : ٢٨ ومجالس ثعلب ٢١٢ واللسان (فدد) .

قال السمين : أنبأ ونبّأ ، وأخبر وخبّر ، متى تضمنت معنى أعلم تعدّت لثلاثة مفاعيل ، وهو نهاية التعدى . وأمّا أعلمته بكذا فلتضمنه معنى الإحاطة. قيل ونبأته أبلغ من أنبأته ، ولذلك قال تعالى : « مَن أنبأكَ هذا قالَ نبّأنىَ العليمُ الخبير[1] » ، ولم يقل أنبأنى لأنّه من قِبل الله تعالى .

والمفعول الأول هنا ضمير المتكلم فى نُبئت ، والثانى أخوالى ، والثالث جملة لهم فديد . وأصل المفعولين الأخيرين المبتدأ والخبر . والفديد : الصَّوت ، وهو مصدر ، فدّ يفِدّ بالكسر ، أى أن أصواتهم تعلو علينا ولا يوقّروننا فى الخطاب . ورجل فَدّاد بالتشديد : شديد الصوت . وفى الحديث : « إنّ الجفاء والقسوة فى الفدّادين » ، وهم الذين تعلوأصواتهم فى حروثهم ومواشيهم. و (بنى يزيد) هم تجارٌ كانوا بمكة حرسها الله تعالى — وإليهم تنسب « البرود اليزيدية » كما يأتى آنفا — نعت لأخوالى ، أو بيان له ، أو بدل منه .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : لايحسن أن يكون بدلاً ، لأنّ البدل هو المقصود بالذكر ، ولو جعلته بدلا لاحتاج إلى موصوف مقدّر ، وهم الأخوال أو ما يقوم مقامهم . ولا حاجة إلى هذا التقدير مع الاستغناء عنه ، فيتعين أن يكون صفة . وقد يجوز البدل على قبحه . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّه على تقدير كونه بدلاً لايحتاج إلى موصوف مقدر ، فإنه مذكور ، وهو أخوالى . وليس معنى الإبدال أن يكون المبدل منه لغواً ساقطاً عن الاعتبار ، كيف وقد يعود الضمير عليه فى نحو قُطع زيد إصبعهُ ، فلو كان فى حكم الساقط بالكلية لجهل مرجع الضمير ، ولم يقل أحدٌ إنّه راجع إلى زيد مقدر مع وجوده ، وإنّما المقصود بالذكر فى بدل الكل المبدل منه والبدل جميعا ، كما حققه الشارح المحقق . ويزيده أنّهم جعلوا الجنَّ بدلا

(١) الآية ٣ من سورة التحريم .

من شركاء فى قوله تعالى : « وَجَعَلُوا لله شُرَكاء الجنَّ » . فلولا اعتبارهما ما كان معنًى لقولنا وجعلوا لله الجن .

وقد تبع ابنُ الحاجب الزمخشريَّ فى هذا ، فإنَّه منع فى كشّافه أن يكون «أن اعبدوا الله» بدلاً من ضمير به من قوله تعالى : « ماقلتُ لهم إلاّ ما أمرتنى به أن اعبُدوا الله » ظنًّا منه أن المبدل منه فى قوة الساقط ، فتبقى الصلة بلا عائد . ووهّمه صاحب المغنى بأن العائد موجودٌ حسًّا فلا مانع . وقد نقض ابن الحاجب ما عدَّه قبيحا هنا بقوله فى أماليه : والأحسن أن يكون «بنى يزيد» بدلاً من أخوالى ، لأنَّ البدل إنما يكون بالأسماء الموضوعة للذوات ، بخلاف ابن فإنَّه موضوع لذات باعتبار معنى هو المقصود وهو البنوّة .

قال الشارح المحقق : الأغلب فى البدل أن يكون جامدا ، بحيث لو حذف الأول لاستقلَّ الثانى ولم يحتج إلى متبوع قبله فى المعنى . انتهى .

ولا يجوز أن يكون (بنى يزيد) المفعولَ الثالث ، لأنه لم يُرد الإخبار عن أخواله بأنهم بنو يزيد ، ولأن قوله (لهم فديد) يبقى غير مرتبط بما قبله . وقوله (ظلماً) عندى أنه تميز محوَّل عن المفعول ، أى نُبّئت ظلم أخوالى . وقال ابن الحاجب فى الإيضاح ، واختاره ابن هشام فى شواهده : وقد أجيز أن يكون ظالما مفعولا ثالثا ، يعنى ظالمين ، أو ذوى ظلم ، ويكون ما بعده كالتفسير له . ولا يخفى مافى هذا . وقال فى أماليه : لايجوز أن يكون حالا ، أى بالتأويل المذكور ، من أخوالى ، لأن المبتدأ لايتقيَّد ، ولا من ضمير (لهم) لأنها لاتتقدم على عاملها المعنوى . وفيه أنه حال من المفعول لا من المبتدأ ، لأنه انفسخ حكمه . وقوله « لأن المبتدأ لايتقيد » فيه مساحة ، لأنَّ الحال إنّما هى قيد فى عاملها لا فى صاحبها ، ولما كان العامل فى المبتدإ الابتداء ، وهو ليس معنى فعليا ليصح تقييده ، امتنع مجىء الحال منه لذلك . ومن جوّزه

كسيبويه لم يلتزم اتّحاد العامل فيهما ، فجوّز أن يكون العامل فى المبتدإ الابتداء وفى الحال منه الانتساب . واعتُرض بأن الانتساب عاملٌ ضعيف لا يتحقّق إلا بتقدُّم الطرفين عليه . وأجيب بأن قوّة طلب المبتدإ لخبره جعلته فى حكم المتقدم . ولا يجوز أيضا أن يكون مفعولًا لأجله كما اختاره العينى ، سواء كان علة لنُبّئت لأنه لم ينبّأ لأجل ظلمهم ، أو للاستقرار لأنه تقدّم على عامله المعنوى ، أو للفديد لأنه يلزم تقدم معمول المصدر عليه . وقيل تمييزٌ من (لهم فديد) أى يصيحون ظلما لا عدلا . وفيه أن التمييز لا يتقدم على عامله . وقيل هو مفعول مطلق عامله من لفظه محذوفًا . وقال العينى : ويجوز أن يكون حالاً بتقدير جملة ، أى فى حال كونهم يظلمون علينا ظلما ، فحذفت الجملة التى وقعت حالا وأقيم المصدر مُقامها . ولا يخفى أن هذه الوجوه كلّها ظاهرٌ فيها التعسف . وقوله (علينا) إمّا متعلق بظلما[1] أو بقوله (لهم[2]) ، ولا حاجة حينئذ إلى تضمين الفديد معنى الجور ، خلافا للعينى لأنّه يتعدى بعلى . وقوله لهم خبر مقدم لقوله فديد ، وهو بإشباع ضمة الميم ، وإسكانُها خطأ ، لأنه يؤدى إلى جعل كلّ مصراع من بحر ، وذلك لا يجوز كما بيَّنه الدمامينى فى الحاشية الهنديّة .

واعلم أن الرواية (يزيد) بالمثناة التحتية ، ورواه ابن يعيش بالمثناة الفوقية . قال ابن الحاجب فى الإيضاح : ومن رواه بالفوقية فقد تنطّع وتبجّح بأنه قد علم أن فى العرب « تزيد » بالتاء الفوقية ، وإليه تنسب البرود التزيدية . وهو مردود من وجهين : أحدهما أن الرواية هنا بالتحتية . والثانى أنّ تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد لا جملة . قال :

(١) كلمة « بظلما » موضعها بياض فى ش . وإثباتها من ط .
(٢) ط : « لهم فديد »

يَعْثُرن فى حدِّ الظُّباتِ كأنما كُسيت برودَ بنى تَزيدَ الأذرعُ (١)

فاستعماله كالجملة خطأ . انتهى .

وفيما قاله أمران : الأول قوله وإليه تنسب البرود التزيدية وإيراده البيت ، أعنى « كسيت برود بنى تزيد الأذرع » مأخوذ من الصحاح ، فإنه قال فيه : وتزيد أى بالمثناة الفوقية وهو تزيد بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وإليه تنسب البرود التزيدية . قال علقمة :

رَدَّ القيانُ جِمالَ الحىِّ فاحتملوا فكلُّها بالتَّزيديات معكوم

وهى برود فيها خطوط حُمر يشبَّه بها طرائق الدم ، قال أبو ذؤيب :

يعثرن فى حدِّ الظبات كأنما كسيت برود بنى تزيد الأذرعُ (١)

انتهى . وفيه أمور :

من اسمه تزيد

الأول أنه قصر فى تعديد من اسمه تزيد ، وهم على ما ذكره العسكرى فى التصحيف ثلاثة : أحدهم تزيد قضاعة ، وهو ما ذكره . والثانى تزيد الأنصار وهو تزيد بن جُشَم بن الخزْرَج بن حارثة ، منهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعاذ بن جبل رضى الله عنه . والثالث تزيد تنوخ ، كانت الترك أغارت عليهم فأفنتْهم ، فقال عمرو بن مالك التزيدى :

وليلتنا بآمِدَ لم ننمها كليلتنا بميَّـافارِقينا

الثانى قوله تزيد بن حُلوان بالضم ، وتبعه صاحب العباب والقاموس وغيرهما ، صوابه تزيد بن حَيْدان ، نبه عليه العسكرى فى التصحيف فيما تلحن فيه الخاصة (٢) .

---

(١) المفضليات ٤٢٦ والهذليين ١ : ١٠ .

(٢) التصحيف ١٠٥ . وفى الاشتقاق ٥٣٧ أن تزيد بن عمران ابن الحاف .

الثالث قوله وإليه تنسب البرود التزيدية ، صوابه المرادج التزيدية ، كما قال العسكرى . قال : والبرود اليزيدية إنما هو بالمثناة التحتية منسوبة إلى بنى يزيد بالتحتية ، وبنو يزيد تجار كانوا بمكة حرسها الله ، وهى برود حمر .

وأما قول أبى ذؤيب « كسيت برودَ بنى يزيد الأذرع » فليس إلا يزيد بالياء تحتها نقطتان ، ومن قال فى هذا البيت بنى تزيد بالتاء فقد أخطأ . وقد ادّعى الجهمى النسابةُ على الأصمعى أنه صحّف تزيد بالتاء منقوطة فوقها ، ولا أدرى أصدق الجهمىُّ أم كذب ، لأن الأصمعى ينكر فى تفسير أشعار هذيل من يقول تزيد بتاء منقوطة فوقها[1] . انتهى كلام العسكرى .

ورأيت فى شرح أشعار هُذَيل للسكرى فى نسخة بخط أبى بكر القناوى[2] ، وقد قرأها ابن فارس على ابن العميد وعليها خطُّهما ، قال فى تفسير هذا البيت : العامة تقول بنى تزيد ، أى بنقطتين من فوق ، ولم أسمعها هكذا . ورأيت فى شرحها أيضاً للإمام المرزوقى فى هذا البيت : روى الأصمعى بنى يزيد أى بالتحتية وقال : هم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عمرو بنى تزيد أى بالفوقية ، وقال: هو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. واحتج ببيت علقمة :

* فكلها بالتزيديات معكوم *

والظبة : حدُّ السهم والسيف . ومعنى البيت أنّ الحمر تعثرُ والسِّهام فيها ، وأذرعها مما سالت من الدماء عليها كأنها كسيت بروداً حمراً ، شبّه طرائق الدم بطرائق البُرود . انتهى .

---

(١) ط : « فيها » صوابه فى س . والنص منقول عن التصحيف بتصرف .

(٢) كذا ورد هنا ، وفى ٢ : ٤٦٠ — ٤٦٣ : « القارى » ، وهو الصواب ، وهو أحمد بن محمد بن عاصم القارىء . انظر مقدمة شرح أشعار الهذليين للسكرى ص ١٤ .

وفى العباب للصاغانى : قال ابن حبيب : تزيد بالمثناة فوق هو تزيد بن حلوان ، إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح . وقال غير ابن حبيب : يزيد بالمثناة من تحت ، وهم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عبيدة : برود أبى يزيد ، وقال : كان يبيع العَصْب بمكة ، وهو ضرب من البرود . وصاحب القاموس قد أخلَّ باختصاره ، حيث لم يقيد بالفوقية أو بالتحتية فإنه قال : تزيد بن حلوان أبو قبيلة ، ومنه البرود التزيدية ، وبها خطوط حمر . فلا يعلم هو بالتاء أم بالياء .

رأيت فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى فى الكلام على جزيرة العرب ، عند ما ذكر تفرُّق كلة العرب ووقوع الحروب بينهم وتشتتهم ، أنَّ تزيد تنوخ هى تزيد قضاعة . قال : وخرجت فرقة من بنى حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ورئيسهم عمرو بن مالك التزيدى ، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة ، فنسج نساؤهم الصوف وعَمِلوا منه الزَّرابىّ ، فهى التى يقال لها « العبقرية » ، وعملوا البرود وهى التى يقال لها « التزيدية » ، وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك بن زهير :

١٣٤ ألاَ لله ليل لم ننمه ... على ذات الحصاب مجنّبينا
وليلتنا بآمِدَ لم ننمها ... كليلتنا بميّافارِقينا

وأقبل الحارث بن قُراد البهرانى[1] ومضت بهراء حتّى لحقت بالترك فهزموهم واستنقذوا ما بأيديهم من بنى تزيد . انتهى .

الأمر الثانى فى كلام ابن الحاجب أن قوله تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد

---

(١) نسبة إلى قبيلة بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ط : « البهرانى » صوابه فى ـــ ، كما يقال فى المنسوب إلى صنعاء صنعانى .

لا جملة الخ . أقول : لا مانع من استعماله مفرداً وجملة ، باعتبار نقله مع الضمير وبدونه ، كما استعمل يزيد بالوجهين مع الاعتبارين فى قوله :

* ليبْكِ يزيد ضارِعٌ لخصومة *

فإنّهم قالوا روى ليبك بالبناء للفاعل ويزيد مفعوله وهو منصوب بالفتحة وضارع فاعله ،وروى بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل،وأى فرق بينهما ؟! تأمل.

« تتمة »

هذا البيت فى غالب كتب النحو ، ولم أظفر بقائله ، ولم يعزُه أحد لقائله غير العينى ، فإنه قال : هو لرؤبة بن العجاج . وقد تصفّحت ديوانه فلم أجده فيه . والله أعلم .

* * *

باب الفاعل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون :

٤٠ (جزى ربُّه عنى عدىَّ بن حاتم
جزاء الكلابِ العاوِيات وقد فَعَلْ[1])

على أن الأخفش وابن جنى قد أجازا اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدُّم الفاعل ، لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كاقتضائه للفاعل .

أقول : وممن ذهب مذهبهما أبو عبد الله الطُّوال من الكوفيين ، وابن مالك فى التسهيل وشرحه ، وأطال فى الردّ عليه الشاطبىّ فى شرح الألفية ونَصَر الإمام عبد القاهر الجرجانى مذهبَ الأخفش فى المسائل المشكلة .

(١) العينى ٢ : ٤٨٧ وابن يعيش ١:٧٦ وهمع الهوامع ١ : ٦٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٠٢ والخصائص ١ : ٢٩٤ .

قال الفَنارىّ فى حاشية المطول : وذهب بعضهم إلى عدم إخلال الإضمار قبل الذكر بالفصاحة ، مستنداً بأن عبد القاهر قدوةٌ فى فنّ البلاغة ، وهو المرجع فيها ، وكلامه حجةٌ مطلقاً . وقد بين ابنُ جنى مذهبه فى الخصائص فقال : وأجمعوا على أن ليس بجائز ضرَبَ غلامُه زيداً لتقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى ، وقالوا فى قول النابغة :

جزى ربُّه عنى عدىَّ بن حاتم

إن الهاء عائدة على عدىّ خلافاً على الجماعة . فإنْ قيل : الفاعل رتبته التقدم ، والمفعول رتبته التأخر ، فقد وقع كلٌّ منهما الموقعَ الذى هو أولى به ، فليس لك أن تعتقد فى الفاعل إذا وقع مؤخراً أنَّ موضعه التقديم . فإذا وقع مقدماً فقدْ أخذ مأخذه ، وإذا كان كذلك فقد وقع المضمر قبل مظهره لفظاً ومعنًى ، وهذا مالا يجوّزه القياس . قيل : الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله فإن هنا طريقاً آخر يسوِّغك غيرَه ، وذلك أن المفعول قد شاع واطَّرد كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذاك أبا علىّ إلى أن قال إنّ تقديم المفعول على الفاعل قسمٌ قائم برأسه كما أن تقديم الفاعل قسم أيضاً قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً[1] ، فلما كثر وشاع تقديم المفعول صار كأن الموضع له ، حتى إنّه إذا أخر فموضعه التقديم ، فعلى ذلك كأنه قال : جزى عدىَّ بن حاتم ربه ، ثم قدم الفاعل على أنه قد قدره مقدماً عليه مفعوله ، فجاز لذلك . ولا تستنكر هذا الذى صوَّرته لك ، فإنه مما تقبله هذه اللغة ، ألا ترى أن سيبويه أجاز فى جر الوجه من قولك هذا الحسن الوجه أن يكون من موضعين : أحدهما بإضافة الحسن إليه ، والآخر

---

(١) ساق ابن جنى بعد هذا شواهد من القرآن ومن أشعار العرب . والنص منقول من الخصائص بتصرف فى جميع نواحيه .

تشبيهه له بالضارب الرجل ، مع أنا نعلم أن الجر فى الرجل إنما جاءه من تشبيههم ١٣٥ إياه بالحسن الوجه ، لكن لما اطرد الجرّ فى الضارب الرجل صار كأنه أصل فى بابه ، حتّى دعا ذاك سيبويه إلى أن عاد فشبّه الحسنَ الوجه به ، وهذا يدلّك على تمكن الفروع عندهم ، حتى أن الأصول التى أعطت فروعها حكما قد حارت[1] فاستعارت من فروعها ذلك الحكم ، فكذلك تصيير تقديم المفعول لما استمرّ وكثر كأنه هو الأصل وتأخير الفاعل كأنه أيضاً هو الأصل. ويؤكد أن الهاء فى ربه لعدى بن حاتم من جهة المعنى ، عادةُ العرب فى الدعاء ، لا تكاد تقول جزى ربُّ زيد عمراً وإنما يقال جزاك ربك خيراً أو شرّاً ، وذلك أوفق لأنه إذا كان مجازيه ربه كان أقدر على جزائه وإيلامه ، ولذلك جرى العرف بذلك فاعرفه . انتهى .

وملخص كلامه أن المفعول فى هذه الصورة متقدم فى الرتبة ، لكن تأخر لضرورة الشعر ، فالضمير المتصل بالفاعل عائد على متقدم حكما . وهذا غير قول الشارح المحقق « لشدّة اقتضاء الفعل للمفعول به » . على أن حفيد السعد قال فى حاشية المطول : فيه أنّ ذلك لا يدفع الاضمار قبل الذكر . نعم لو كان اقتضاء المفعول أشدّ تم الكلام . انتهى .

وتبع التفتازانى فى المطول الشارح فيما ذكرناه وأورد بيت الشاهد وقوله :

لما عصى أصحابُه مصعبا أدّى إليه الكيل صاعاً بصاع[2]

ثم قال : وردّ بأن الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل أى ربّ الجزاء وأصحاب العصيان ، كقوله تعالى : « اعدلوا هو أقربُ للتقوى » أى العدل . وأما قوله :

(١) وكذا فى الخصائص، أى رجعت . حار يحور : رجع .

(٢) هو الشاهد ٤١ من شواهد الخزانة .

جَزى بنوه أبا الغِيلان عن كِبرٍ وحُسن فعلٍ كما يجزى سِنِمَّارُ

وقوله :

ألا ليتَ شِعْرى هل يَلومَنَّ قومُه زهيراً على ما جرَّ من كلِّ جانبِ

فشاذ لا يقاس عليه . انتهى .

قال الفنارى : ويمكن أن يقال الضمير فى ربه راجع إلى المتكلّم على طريقة الالتفات عند السكاكى ، على قول امرىء القيس :

* تطاولَ ليلك بالإثمد *

انتهى . ولا يخفى بطلانه لسماجته ، فإن الالتفات إنّما وقع من المتكلم إلى خطاب النفس لا إلى الغيبة . فتأملْ .

والجزاء : المكافأة . و (عن) هنا للبدل كقوله تعالى : « وَٱتَّقوا يَوْماً لا تُجزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً » . وقوله (جزاء الكلاب) مصدر تشبيهى، أى جزاء كجزاء الكلاب العاويات ،وهو الضرب والإهانة . قيل : هذا ليس بشىء ، وإنما المراد الكلاب التى تتداعى للسفاد . يقال عاوت الكلبة الكلاب فهى معاوية ، أى دعتهم للسفاد . ولا يكاد يستعمل العُواء للكلاب إلاّ عند السفاد ، والمستعمل فى غير ذلك النُّباح ، وإنما العواء للسباع . وقيل إنّه يعنى بالعاويات المسعورة ، ومن شأنها إذا أُريد برؤها أن يؤخذ سَفُّود فيُدخل فى أدبارها . والسُّعر بضمة وبضمتين ، والسّعار بضمّ أوّله : الجنون . والسَّعِرُ ككتف : المجنون . وروى : «الكلاب العاديات» ، جمع العادى من العَدْو .

١٣٦ دعا عليه بأحد هذه المعانى ثم حقَّقها عليه فقال : « وقد فعل » أى استجاب الله ما دعوتُ عليه وحقَّقه . ومثله للمتنبى :

وهذا دعاء لو سكتُّ كفيتُه لأنى سألت الله فيك وقد فعلْ

وجلاة وقد فعل حال من ربه .

وهذا البيت لأبى الأسود الدّيلى يهجو به عدىّ بن حاتم الطائى . وزعم صاحب الشاهد ابن جنى وغيرُه أنه للنابغة الذبيانى . وهو وإن عاصر عديّاً لكن الذى روى له إنما هو :

جَزى الله عبساً عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعلْ

وليس فيه مانحن فيه ، وسيأتى الكلام عليه . وقال العينى : قيل إن قائله لم يُعلم ، حتى قال ابن كيسان : أحسبه مولداً مصنوعاً . قال : والضمير لغير عدى ، فكأنّه وصف رجلاً أحسنَ إليه ثم قال : جزاه ربه خيراً وجَزَى عنى عدىّ بنْ حاتم شراً ، فحينئذ لاشذوذَ فى البيت . ولا يخفى ركاكته .

ترجمة أبى الأسود

أما أبو الأسود الدّيلى فاسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جَندل بن يعمر ابن حُليس[1] بن نُفاثة بن عدىّ بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار . وهم إخوة قريش ، لأن قريشاً تختلف فى الموضع الذى افترقت فيه مع بنى أبيها . والنسابون يقولون : إنّ من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً .

وهو واضع علم النحو بتعليم علىٍّ رضى الله عنه ، وكان من وجوه شيعته واستعمله على البصرة بعد ابن عباس . وقبل هذا كان استعمله عمرُ بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما . وتوفى فيما ذكره المدائنى فى الطاعون الجارف فى سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة ، وقيل مات قبل ذلك .

قال الجاحظ[2] : أبو الأسود الدّيلى معدودٌ فى طبقاتٍ من الناس ، وهو

(١) ـــه : « حلبس » ، وعند ابن خلكان فى ترجمته : « حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة . وهكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربى فى كتاب الإيناس ، وهو مما يحرف كثيرا . فقد وجدت فيه اختلافا . وهذا هو الأصح »

(٢) فى غير الحيوان والبيان والتبين .

فيها كلّها مقدمٌ ومأثور عنه الفضلُ فى جميعها ، كان معدوداً فى التابعين والفقهاء والمحدّثين ، والشعراء ، والأشراف والفرسان والأمراء ، والدهاة ، والنحويين، والحاضرين الجواب ، والشِّيعة ، والبخلاء ، والصُّلع الأشراف ، والبخلاء الأشراف . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان أبو الأسود كاتباً لابن عباسٍ على البصرة ، وهو الذى يقول :

وإذا طلبتَ من الخلائق حاجةً ... فادعُ الإله وأحسنِ الأعمالا

فليعطينَّك ما أراد بقدرة ... وهو اللطيفُ إذا أراد فعالا

إنّ العباد وشأنَهم وأمورَهم ... بيد الإله يقلّب الأحوالا

فدعِ العباد ولا تكن بطِلابهمْ ... لهِجاً تَضَعْضَعُ للعبادِ سؤالا

وفى الأغانى بسنده إلى ابن عياش[1] قال : خطب أبو الأسود امرأةً من عبدالقيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرّ أمرَها إلى صديقٍ له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدّث به ابنَ عم له كان يخطبها ، وكان لها مالٌ عند أهلها ، فمشى ابن عمها الخاطبُ لها إلى أهلها الذين مالُها فى أيديهم فأخبرهم خبر أبى الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذى فى أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارُّوها حتى تزوجت ابنَ عمها ، فقال أبو الأسود فى ذلك :

لعمرى لقد أفشيتُ يوماً فخاننى ... إلى بعض من لم يخش سرّاً ممنعا

فمزّقه مِزق العمى وهو غافلٌ ... ونادى بما أخفيت منه فأسمعا[2]

١٣٧

فقلتُ ولم أفحُش لعاً لك عاثراً ... وقد يعثُر الساعى إذا كان مسرعا[3]

ولستُ بجازيكَ الملامةَ إننى ... أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا

---

(١) ط : « ابن عباس » ، صوابه فى سـ والأغانى ١١ : ١٠٤ .

(٢) العمى : مقصور العماء ، وهو السحاب .

(٣) الأغانى : « لعلك عاثر » ، وهو تحريف ناجم عن سوء السمع . انظر تحقيق النصوص من تأليفى ص ٦٢ .

ولكن تعلمْ أنه عهدُ بيننـا ... فبِنْ غيرَ مذموم ولكن مودَّعا
حديثٌ أضعناه كلانا ، فلن أرى ... وأنت نجيًا آخرَ الدهر أجمعا
وكنتَ إذا ضيعتَ سِرَّك لم تجدْ ... سواك له إلاَّ أشتَّ وأضيعا

وقال فيه أيضا :

أمنتُ امرأً في السرِّ لم يكُ حازما ... ولكنّه فى النصح غير مريبِ
أذاعَ به فى الناس حتّى كأنّه ... بعلياء نارٌ أوقدت بثقوب
وكنتَ متى لم تَرعَ سِرّك تنتشرْ ... قوارعُه من مُخطيءٍ ومصيب
فما كلُّ ذى لُبٍّ بمؤتيكَ نصحَه ... وما كلُّ مؤتٍ نصحَه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد ... فحقٌّ له من طاعة بنصيب

وفى الأغانى أيضا بسنده عن عَوانة[1] ، قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأةٍ بالبَصرة فيتحدّث إليها ، وكانت [بَرزةً[2]] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسودَ هل لك أن أتزوّجك ، فإنّى صَناعُ الكفِّ حسنةُ التدبير ، قانعةٌ بالمَيْسور ، قال : نعم . فجمعت أهلَها وتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ماقدّره ، وأسرعت فى ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته[3] ، وأفشت سرّه ؛ فغدا على مَن كان حضر تزويجَه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا، فقال لهم :

أريتَ امرأً كنتُ لم أبلُه ... فقال اتخذنى صديقاً خليلا[4]
فخالتُه ثم أكرمتُـه ... فلم أستفد من لدُنه فتيلا[5]
وألفيتُـه حـين جرّبتُه ... كذوبَ الحديث سَروقا بخيلا

(١) الأغانى ١١ : ١٠٧ .
(٢) التكملة من الأغانى . والبرزة ، بالفتح : التى تبرز للرجال وتحادثهم .
(٣) وكذا فى الأغانى . وفى سه : « جبايته » .
(٤) الأغانى : « أتانى فقال اتخذنى » .
(٥) سه فقط : « من لديه » .

فذكّرته ، ثم عاتبتُـــه   عتاباً رفيقا وقولا جميـــلا
فألفيتـــه غـير مستعتِب   ولا ذاكرَ اللهَ إلاّ قليـــلا
ألستُ حقيقا بتوديعـــه   وإتباع ذلك صُرما طويلا

فقالوا له : بلى والله يا أبا الأسود ! فقال : تلك صاحِبتـكم ، وقد طلقتُها [لـكم[1]] ، وأنا لا أحب أن أستر ما أنـكرتُه من أمرها . فانصرفتْ معهم .

وفيه أيضا بسنده إلى ابن عيّاش[2] قال : كان المنذر بن الجارود العَبدىّ صديقا لأبى الأسود ، يعجبه مجالستُه وحديثه ، وكان كلٌّ منهما يغشى صاحبَه ، وكانت لأبى الأسود مُقَطَّعة من برود يكثر لُبسها فقال له المنذر : لقد أدمنتَ لُبس هـذه المقطَّعة ! فقال أبو الأسود : ربّ مملول لا يستطاعُ فراقه ! فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى له ثيابا ، فقال أبو الأسود يمدحه[3] :

كساك ولم تَستكسِه فحمِدته   أخٌ لك يعطيك الجزيل ويَاصِرُ
وإن أحقّ الناس ، إن كنت حامدا   بحمدك مَن أعطاك والعرضُ وافر

١٣٨ وروى الحريرى فى درة الغواص[4] ، عن عُبيـد الله بن عبـد الله ابن طاهر قال :

اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم ، وابن الأعرابى ، فتجاريا الحديث[5] إلى أن حكى أبو نصر : أنّ أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثيابٌ

(١) التكملة من الأغانى .
(٢) ط : « ابن عباس » صوابه فى س والأغانى ١١ : ١١٧ .
(٣) انظر الخبر والخلاف فيه فى سمط اللآلىء ١٦٦ : ١٦٧ .
(٤) درة الغواص ٧١ .
(٥) فى الدرة : « فتجاذبا »

رثّة ، فكساه ثيابا جُدُدا من غير أن عرّض له بسؤال ، فخرج وهو يقول . . . وأنشد البيتين ثم قال : وأنشد أبو نصر : « وياصر » يريد به : ويعطف ؛ فقال له ابن الأعرابى : بل هو « وناصر » بالنون ؛ فقال له أبو نصر : دعنى ياهنا وياصرى ، وعليك بناصرك ! » .

وفى الأغانى أيضاً بسنده إلى أبى عبيدة قال : « كان أبو حرب بن أبى الأسود قد لزِم منزل أبيه بالبصرة ، ولا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرِها ؛ فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إنْ كان لى رزق فسيأتينى ! فقال له أبوه :

وما طلبُ المعيشة بالتمنّى ولكن ألقِ دَلوك فى الدلاء
تجىء بملئها يوماً ، ويوماً تجىء بحمأة وقليلِ ماء[1]

وفيه أيضاً بسنده إلى عبد الملك بن عمير[2] قال : كان ابن عباس ، رضى الله عنهما ، يكرِم أبا الأسود لمّا كان عاملا بالبصرة لعلى ، رضى الله عنه ، ويقضى حوائجه ، فلما ولى ابنُ عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجَه ، لِما كان يعلمه من هواه فى على ، رضى الله عنه ، فقال فيه ابو الأسود :

ذكرتُ ابنَ عباسٍ بباب ابن عامر وما مرّ من عيشى ذكرتُ وما فضلْ
أميرين كانا صاحبىّ كلاهما فكلاً جزاه الله عنّىَ بما فعل
فإن كان شرًّا كان شرًّا جزاؤه وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل

وفيه أيضاً بسنده إلى العُتبىّ قال : كان لأبى الأسود جارٌ فى ظهر داره ، له بابٌ إلى قَبيلة أخرى ، وكان بين داره ودار أبى الأسود بابٌ مفتوح يخرج

(١) كذا فى ط وأصل سه ، وغيرها الشنقيطى إلى « تجئك » فى الموضعين ، مساوقة لما فى الأغانى ١١ : ١١٧ .

(٢) الأغانى ١١ : ١١١ .

منه كلٌ واحد إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابنَ عمّ أبى الأسود دنيّاً (١) ، وكان شرساً سيِّئ الخلق، فأراد سدّ ذلك الباب، فقال له قومه : لا تفعل فتضرّ بأبى الأسود وهو شيخٌ ، وليس عليك فى هذا الباب ضررٌ ولا مُؤنة ! فأبى إلاّ سدَّه ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرّ به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى يسلكها منه بعُدَ عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

بُليتُ بصاحب إنْ أدنُ شبرا يزِدْنى فى مباعدةٍ ذراعا
وإن أمدُد له فى الوصل ذَرعى يزِدْنى فوق قِيس الذَّرع باعا
أبت نفسى له إلاّ اتباعًا وتأبى نفسه إلاّ امتناعا
كِلانا جاهدٌ : أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضاً :

أعصَيتَ أمرَ ذَوِى النُّهىٰ وأطعتَ أمر ذوى الجهالَه
أخطأتَ حين صرمتَنى والمرء يعجز لا محالَه
والعبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه المقالَه

وقد أطلنا فى إيرادِ شعره، لكنّا أطبنا (٢) : فإن حِكَمه شفاء الصدور، ودرر قلائد النحور .

١٣٩
عدى بن حاتم

وأما عدىٌّ بن حاتم فنسبته : عدى بن حاتم الطائى بن عبد الله بن سعد ابن حشرج بن امرئ القيس بن عدىّ بن [أخزمَ بن أبى أخزم ، واسمه هَزومة (٣) بن] ربيعة بن جَرول بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوث بن طيِّئ ، بن أدد

(١) ط والأغانى : « دنية » .
(٢) ط : « أطنبنا » ، صوابه فى س .
(٣) التكملة من ط ، وليست فى س .

ابن زيد بن كهلان ؛ إلا أنهم يختلفون فى بعض الأسماء إلى طيِّء . وكنية عدىّ : أبو طريف . قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمَّرين : « عاش عدى مائة وثمانين سنة » . اهـ

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى شعبان من سنة سبع . وقال الواقدى: من سنة عشر . وخبره فى قدومه خبرٌ عجيب وحديث صحيح . ثم قدم على أبى بكر رضى الله عنه بصدقات قومه فى حين الرِّدّة ، ومنع قومَه وطائفةً معهم من الردّة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه ؛ وكان سريّا شريفا فى قومه ، خطيباً حاضر الجواب ، فاضلا كريما . روى عنه أنه قال : مادخل وقتُ صلاة قطّ إلا وأنا أشتاق إليها . وروى عنه أنه قال : مادخلت على النبى صلى الله عليه وسلم قطّ إلاّ وسَّع لى أو تحرَّك ، ودخلت عليه يوماً فى بيته وقد امتلأ من أصحابه ، فوسّع لى حتى جلست إلى جنبه .

وفى حديث الشعبى ، أنّ عدىّ بن حاتم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إذْ قدم عليه : « ما أظنك تعرفنى ؟ فقال : وكيف لاأعرفك ، وأول صدقة بيّضتْ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةُ طيِّء . أعرفُك آمنتَ إذ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبروا ووَفَيت إذْ غدروا » .

ثم نزل عدىٌّ الكوفة وسكنها ؛ وشهد مع على رضى الله عنه الجمل ، وفقئت عينه يومئذ ، ثم شهد مع علىّ رضى الله عنه صِفّين والنَّهروَان ، ومات بالكوفة وهو ابن مائة وعشرين فى سنة سبع وستين . كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر .

وأما شعر النابغة الذبيانى فهو[1] :

جَزى الله عَبساً عبسَ آل بغيض ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعَلْ

---

(١) العينى ٢ : ٤٨٧ والفاخر ٢٣٠ والعمدة ١ : ٩٤ والنقائض ٩٩ .

بما انتهكوا من ربِّ عدنانَ جهرةً — وعوفٌ يناجيهم وذلكمُ جلل
فأصبحتمُ والله يفعلُ ذا كمُ — يُعزّ كم مولى مواليكم شَكَل
وروى : — يبوك النساء المرضعات بنو شكل
إذا شاء منهم ناشيء دَربخت له — لطيفةُ طيِّ الكشح رابية الكفل

قال المفضل بن سلمة ، فى الفاخر : روى هذا الشعر للنابغة الذبيانى ، وقيل إنه لعبدالله بن هُمارق بضم الهاء وآخره قاف ، وهو أحد بنى عبدالله ابن غطفان . وليس فى هذا الشعر شاهدٌ لما نحن فيه .والسبب فيه :أن بنى عبس لحقت ببنى ضَبّة بعد يوم الفَروق ، ثم وقع بينهما دمٌ ففارقتهم عبس فمرّت تريد الشام ، وبلغ بنى عامر ارتفاعُهم فخافوا انقطاعهم من قيس بن زهير رئيس بنى عبس ، فخرجت وفود بنى عامر إليهم فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس بن زهير : حالِفوا قوماً فى صُيّابة بنى عامر ليس لهم عدد فيبغوا عليكم بعددهم ، وإن احتجتم أن يقوموا بنُصرتكم قامت بنو عامر . فحالَفوا معاوية بن شَكَل بن كعب بن عامر بن صعصعة ، فمكثوا فيهم إلى أن قال الشاعر هذه الأبيات يعيِّر بنى عبس ، فلما بلغت قيساً قال : ماله قاتله الله أفسد علينا حِلفنا ! فخرجوا عنهم .

ويبوك : مضارع باك المرأة بمعنى جامعها ، بالباء الموحدة وآخره كاف . ودَربخت بالدال والراء المهملتين وبالباء الموحدة والخاء المعجمة ، يقال دربخت الحمامة لذكرها : طاوعته للسِّفاد . والصُّيّابة بضم الصاد المهملة وتشديد المثناة التحتية : الخالص ، والصميم ، والأصل ، والخيار من كلِّ شيء ، والسيِّد . وصُيّابة القوم : لُبابهم .

* * *

---

(١) المفضليات ٣٢٣ وشرحها ٦٣٠ والموفقيات ٧٧ — ٧٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون :

٤١ (لَمّــا عَصَى أصحابُهُ مُصعَباً أدّى اليه الـكَيلَ صاعاً بصاعْ)

لِما تقدم فى البيت الذى قبله .

قال حفيد السعد فى حاشية المطول : أفرد ضمير (إليـه) مع أنه راجع إلى الأصحاب ، قصداً إلى كلّ واحد منهم .

وقال الفنارى : قيـل الضمير فى (أدّى) راجع إلى شخص مذكور فيما سبق ، وفى (إليه) راجع إلى مصعب . وقيل : الضمير فى أدّى راجع إلى مصعب وفى إليه راجع إلى أصحابه ، قصداً إلى كل واحد منهم ، أو تقول لمشابهة لفظ (أفعال) للمفرد، ولهذا يجىء فى كثير من المواضع وصفُ المفرد به ، نحو : ثوبٌ أسمال ونطفة أمشاج ، ونظيره قوله تعالى : « وَإِنَّ لَـكُمْ فى الأنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فى بُطونه » ، فإن الضمير فى بطونه راجع للأنعام . اهـ .

وهذا الـكلام برمّته من (شرح اللبّ) فى باب المفعول المطلق .

وقوله (أدّى إليه الـكيل) الخ ، قال الميدانى فى مجمع الأمثال : « جزاه كيل الصاع بالصاع » أى كافأ إحسانه بمثله وإساءته بمثلها .

وقوله (صاعاً) قال الحفيد : هو فى موضع الحال مثل بايعته يداً بيدٍ ، وهو فى الأصل جملة ، أى صاع منه بصاع ، كذا كتب قدّس سرّه بخطّه فى الحاشية . اهـ .

وقال الفناريّ : وقوله صاعاً بصاع حال من ضمير أدّى ، والأصل مقابلا صاعاً بصاع ، ثم طُرِح مقابلاً وأقيم صاعاً مقامه ، ثم الحال ليست هى صاعاً وحده ، بل هو مع قوله بصاع ، لأن معنى المنوب عنه يحصل بالمجموع ، كذا ذكره صاحب الإقليد فى « كلّمته فاه إلى فىّ » . اهـ .

ومرجع الضميرين على ما تقدم ناشئ عن عدم الاطلاع عليه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للسفّاح بن بُكير بن مَعدان اليربوعى ، رثى بها يحيى ابن شدّاد بن ثعلبة بن بشر ، أحد بنى ثعلبة بن يربوع[1] . وقال أبو عبيدة : هى لرجل من بنى قُريع ، رثى بها يحيى بن ميسرة صاحب مُصعَب بن الزبير ، وكان وفَى له حتّى قتل معه .

وهذه أبيات من مطلعها :

أبيات الشاهد

(صلّى على يحيى وأشياعه ربٌّ رحيمٌ وشفيعٌ مُطاعْ
لما عصَى أصحابُه مُصعباً أدّى إليه الكيلَ صاعاً بصاع
يا سيّداً ما أنت من سيّدٍ موطّأ البيت رحيبِ الذّراع)

نقلته من المفضّليات وشرحها لابن الأنبارى . فالضمير فى (أدّى) راجع إلى يحيى ، وضمير (إليه) راجعٌ إلى مصعب . ورُوى البيت أيضاً كذا :

(لما جلا الُخلّان عن مصعبٍ أدّى إليه القرض صاعاً بصاع)

فلا شاهد فى البيت على هذه الرواية[2] ، وهى رواية المفضل الضبى فى المفضليات .

وجلا بالجيم بمعنى تفرّق ، من الَجلاء بالفتح والمد ، وهو الخروج من الوطن ؛ يقال : قد جَلَوا عن أوطانهم وجلوتهم أنا — لازمٌ ومتعدٍ — ويقال أيضاً أجْلَوا عن البلد وأجليتهم أنا ، كلاهما بالألف . والُخلّان : جمع خليل .

---

(١) الميمنى : « فى مقطعات مراث عن ابن الأعرابى ١١٦ : أبو السفاح التغلبى ، أحد ولد بنى عميرة بن طارق بن حصبة ، يرثى يحيى بن مبشر اليربوعى » . وفى الموفقيات للزبير بن بكار أيضا أنه أبو السفاح ، وهو بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى .

(٢) الميمنى : «ورواية الموفقيات : لما جفا المصعب خلانه . فلا شاهد أيضا » .

وقوله « يا سيداً ما أنت من سيد » إلخ ، يأتى إن شاء الله تعالى فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون :

٤٢ (ألا ليتَ شِعرى هل يلومَنَّ قومُه
زُهيراً على ما جرَّ مِن كلِّ جانبِ)

لِما تقدّم فى البيت الذى قبله .

قال الفنارى : إنما لم يجز ها هنا رجوعُ الضمير إلى المصدر المدلول عليه وهو اللوم ، أو إلى الشاعر على سنن الالتفات ، لأن مقصود الشاعر قومُ زهير ، فإنَّ الذوق السليم يَفهم من هذا البيت تحريضَ أقربائه على لومه ولومَهم على ترك لومه ، ولعل قوم زهير غير قوم الشاعر . والله أعلم . اﻫ .

وقوله (على ما جرَّ) فى القاموس : الجريرة : الذنب والجناية ، جرّ على نفسه وغيره جريرة يجر بالضم والفتح جرّا . وقال حفيد السعد : قوله على ما جر أى على العار الذى جرّه ومدّه من كلّ جانب وناحية ، بسبب الظلم والعداوة . لكنه قُدِّس سرُّه قد كتب فى الحاشية : يقال جرَّ عليهم جريرة ، أى جنى جناية . وقال الفنارى : وقد يروى بالحاء المهملة والزاى المعجمة ، من الحزّ وهو القطع . اﻫ وهذا لا وجهَ له هنا ، والرواية إنما هى الأولى كما يأتى ، وبعده :

(يكفّى زهير عُصبةُ العَرْج منهمُ ومَن بِيع فى الرَّكْبَين لَحمٍ وغالبِ)

والبيتان من شعر أبى جُنْدَب بن مُرَّة القِرْدىّ . قال السكّرى فى شرح أشعار هذيل : زهير من بنى لِحْيان . وجرّ : جنى ، أى جر على نفسه جرائر .

من كل جانب . وروى (قومَه زهيرٌ) اهـ يعني بنصب قومه ورفع زهير ، وعليه لا شاهد فيه . وقوله (بكفّى زهير الخ) عصبة مبتدأ والظرف قبله خبره . (ومَن بيع) معطوف على المبتدأ . والعُصبة : الجماعة . والعَرج ، بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها جيم : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، بها قتل قوم زهير وسُبي نساؤهم وذراريهم . وضمير (منهم) لقوم زهير ، والظرف حال من عصبة بتقدير مضاف له وللمعطوف ، أى قُتل العصبة فى العرج وسُبي من بيع فى الرّكبين ، حال كونهم من قوم زهير ، بسبب جناية كفّى زهير . ولحم وغالب بدل من الركبين . ولحم : حىّ من اليمن . وغالب : قبيلة من قريش . ويقدر (منهم) أيضاً بعد قوله : ومن بيع .

سبب الشعر

وسبب هذا الشعر ما رواه السكرى قال : مرِض أبو جندب ، وكان له جارٌ من خزاعة اسمه خاطم[1] ، فقتله زهيرٌ اللّحيانى وقتلوا امرأته ، فلما برأ أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتّى قدم مكة ، فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف ، فعرف الناس أنه يريد شرًّا ، فقال :

إنى امرؤ أبكى على جاريّهْ أبكى على الكعبىّ والكعبيّهْ
ولو هلكتُ بكيا عليّهْ كانا مكانَ الثوب من حَقويّهْ

يقال عذت بحقويك . يريد : كانا فى موضع المعاذ ، أى كانا منى بمكانِ مَن أجَرْت . فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته ، خرج فى الخُلَعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بنى لِحْيان ، فخرجوا معه حتى صبّح بهم بنى لحيان فى العَرج ، فقتل فيهم وسبى من نسائهم وذراريهم ، وباعهم فاشترتهم هاتان القبيلتان ، فقال أبو جندب فى ذلك :

(١) كذا فى النسختين . وفى شرح أشعار الهذليين ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٨١٠ « حاطم » بالحاء المهملة . واسمه حاطم بن هاجر .

* ألا ليتَ شعرى هل يلومنّ قومُه * . . . (البيتين)

والقِرْدى نسبة إلى قرد بكسر القاف ، على لفظ الحيوان المعروف ، وهو بطن من هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . ولحيان بكسر اللام وسكون المهملة بعدها مثناة تحتية : بطن من هذيل أيضاً . وأبو جندب شاعر جاهلى .

« تتمة »

تبيت الذى فى المطول وهو قوله : جزى بنوه الخ

رواه الأصبهانى فى الأغانى فى ترجمة عدى بن زيد كذا :

جَزى بنوه أبو الغيلان مِن كبر وحُسن فعل كما يجزى سنمّار [1]

وذكر فيه جزاء سنمار ؛ قال : « وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة ، وهو الذى ساح على وجهه فلم يُعرف له خبر ؛ والشّقيقة — أمّه — بنت أبى ربيعة بن ذُهل بن شيبان . وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة اللخمى . فذكر ابن الكلبى أنه كان سببُ بنائه الخورنق : أن يَزدجِرد بن سابور كان لايبقى له ولد ، فسأل عن منزل مرىء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدُلّ على ظهر الحيرة ؛ فدفع ابنَه بِهرام جُور ابن يزدِجرد ، إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنى الخورنق مسكناً له ولابنه ، وينزله إيّاه معه ، وأمره بإخراجه إلى بَوادى العرب ؛ وكان الذى بنى الخورنقَ رجلاً يقال له سنّمار ، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفّونى أجرتى

(١) الذى فى الأغانى ٢ : ٣٦ فى ترجمة عدى :

جزى بنوه أبا غيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

وتصنعون بي ما أستحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ! فقالوا : وإنك لتبني ما هو أفضلُ منه ولم تبنه ؟ ! ثم أمر به فطُرح من رأس الجوسق.

وفي بعض الروايات أنه قال : إني لأعرف في هذا القصر موضعَ عيب إذا هدم تَداعَى القصر . فقال : أما والله لاتدلّ عليه أحداً أبداً ! ثم رمى به من أعلى القصر[1] فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة ، منها قول أبي الطمحان القيني :

جَزاء سنّمار جَزَوها ، وربِّها وباللات والعزّى ، جزاءالمكفَّر[2]

ومنها قول سَليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الغِيلان من كبر وحُسن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبدالعزّى بن امرئ القيس الكلبي ، وكان أهدى إلى الحارث ابن مارية الغساني أفراساً ووفد إليه فأعجب به واختصه ، وكان للملك ابنٌ مسترضَع في بني عبد وُدّ — من كلب — فنهشته حيّة فظن الملك أنهم اغتالوه؛ فقال لعبدالعزّى : جئني بهؤلاء القوم ! فقال : هم قومٌ أحرار ليس لي عليهم فضل في نسب ولا فعل ؟ فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ! فقال له : رجونا من جنابك[3] أمراً حال دونه عقابُك ، ودعا ابنيه شراحيل وعبدالحارث فكتب معهما إلى قومه :

جزاني جزاه اللهُ شرَّ جزائه جزاء سنمارٍ وما كان ذا ذنب

---

(١) جاء في القاموس (سنمار) : أو غلام لأحيحة بني أطمة ، فلما فرغ منه قال : لقد أحكمته . قال : إني لأعرف حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره . فسأله عن الحجر فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخر ميتا » .

(٢) المكفر ، كمعظم : المحسن المجحود إحسانه .

(٣) الأغاني : « من حبائك » .

سوى رصّة البنيان عِشرين حجّة يعلّ عليه بالقراميد والسكب[1]

وهى أبيات . قال : فقتله النعمان» .اهـ .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والأربعون :

٤٣ (كأن لم يَمتْ حىّ سواكَ ولم تَقُم
على أحـــدٍ إلاّ عليكَ النوائحُ)

على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى فى الشعر أضمروا له عاملا من جنس الأول ، أى قامت النوائح . والمسألة مفصّلة فى الشرح .

وهذا البيت من أبيات مذكورة فى الحماسة لأشجعَ السُّلمى[2] وهى :

(مضى ابنُ سعيد حين لم يبقَ مشرقٌ ولا مغربٌ إلاّ له فيه مادح

وما كنت أدرى مافواضلُ كفّه على الناس حتى غيّبته الصفائح

فأصبح فى لحدٍ من الأرض ميتاً وكانت به حيّا تضيق الصحاصح

سأبكيك مافاضت دموعى فإن تَغِضْ فحسبُكَ منّى ماتُجِنّ الجوانح

وما أنا من رزءٍ وإن جلّ جازع ولا لسرورٍ بعـد موتك فارح[3]

لئن حسنت فيك المراثى وذكرُها لقد حُسنت من قبل فيك المدائح)

كأن لم يمت حى سواك . . البيت .

والصفائح : أحجار عراض يسقف بها القبر . والصحاصح : جمع صحصح ، وهى الأرض المستوية الواسعة . وتغيض : تنقص ، يقال غاض الماء وغضتُه .

(١) كذا . ويروى : «يعلى» . وانظر الحيوان ١ : ٢٣ والأغانى ٢ : ١٤٥ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوق ٨٥٦ — ٨٦٠ . وانظر أمالى القالى ٢ : ١١٨ وزهر الآداب ٧٩٤ والعقد ٣ : ٢٨٧ .

(٣) ويروى : « ولا بسرور » .

وقوله (كأنْ لم يمت) كأن مخفّفة واسمها ضمير شأن . يقول : أفرطَ الحزن عليك حتى كأنّ الموت لم يُعهَد قبل موتك ، وكأن النياحة لم تقم على مَن سواك .

أشجع السلمى

وأشجع هو ابنُ عمرو السُّلَمىّ ، ويكنى أبا الوليد ، من ولد الشّريد بن مطرود السُّلمى ؛ تزوّج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلبت ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت بها . ورَبِىَ أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبته ، ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعُدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس عيلان شاعر ، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، ثم خرج أشجع إلى الرَّقّة والرشيدُ بها ، فنزل على بنى سُليم ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة ، فوصله الرشيد فأثرى وحُسنت حاله . ولما ولّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خراسان ، جلس لتهنئة الناس،وأنشده الشعراء ، ودخل فى آخرهم أشجع ، فقال : لتأذنْ فى إنشاد شعر قضيتُ به حقّ سودُدك وكالك ، وخفّفت به ثقل أياديك عندى . فقال : هات يا أبا الوليد ، فأنشده[1] :

أتصبر يا قلب أم تجزعُ ... فإنّ الديار غـداً بَلقعُ
غـداً يتفرّق أهل الهوى ... ويكثر باكٍ ومسترجِـع

إلى أن بلغ قوله :

ودوّيّة بين أقطـارها ... مقاطع أرضينَ لا تقطع
تجاوزتُها فوق عَـيرانة ... من الريح فى سيرها أسرع
إلى جعفر نزَعت رغبةً ... وأىُّ فتى نحوه تنزِع

(١) الميمنى : « هذه العينية طويلة بديعة،سردها الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الأشجع ٣ : ٦١ » . وانظر معاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والأوراق للصولى (قسم أخبار الشعراء)

فما دونه لامرئٍ مطمع ولا لامرئٍ غيره مقنع
ولا يرفعُ الناسُ ما حطّه ولا يَضعون الذى يرفع
يريد الملوكُ مدَى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعِهم فى الغِنىٰ ولكنّ معروفَه أوسع ١٤٤
يلوذ الملوكُ بآرائه إذا نالها الحدَث الأفظع
بديهتُه مثلُ تدبيره متى رُمْتَه فهو مستجمعُ
وكم قائل ، إذْ رأى ثروتى وما فى فضول الغنى أصنع
غداً فى ظلالِ ندىٰ جعفر يجرّ ثياب الغنى أشجعُ
فقل لخراسان تحيا فقد أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الصُّولىّ فى الورقات : قال لى يوما عبدالله بن المعتز : مِن أين أخذ أشجع قوله :

وليس بأوسعهم فى الغنى . . . . (البيت)

فقلت : من قول موسى شَهَوات لعبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولم يك أوسعَ الفِتيان مالاً ولكن كان أرحبَهم ذراعا

فقال : أصبت ، هكذا هو ! اه

ورأيت فى الحماسة فى باب الأضياف ، وقال أبو زياد الأعرابى الكلابى :

له نارٌ تشبّ على يَفاعٍ إذا النيرانُ أُلبِسَتِ القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا . . . . (البيت)

وإنما لقِّب (موسى) بشهوات ، لأنّ عبدالله بن جعفر كان يشتهى عليه موسى شهوات

الشهواتِ فيشتريها له موسى ويتربّح عليه . وهو مولًى لبنى سهم ؛ وأصله من أذرَبيجان . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة .

وقال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى[1] : موسى شهوات هو موسى ابن يَسار مولى قريش ، ويقال مولى بنى سهم ، ويقال مولى بنى تَيم ؛ كان يجلب إلى المدينة القَنْد[2] والسكّر من أذرَبيجان ، فقالت امرأة : ما يزال موسى يجلب إلينا الشهوات ، فغلب عليه . وقال ابن شبّة : كان موسى سئولا مُلحفا ، فإذا رأى مع أحد شيئا يعجبه : من ثوب أو متاع أو دابّة ، تباكى، فإذا قيل له : مالك ! قال : أشتهى هذا ، فسمّىَ موسى شهوات . وقال ابن الكلبى : سمى بذلك لقوله فى يزيد بن معاوية :

لستَ منّا وليس خالك منا يا مُضيعَ الصلاة بالشهوات

يقال (موسى شهوات) على الصفة ، وعلى الإضافة وهو أصحّ ، ويكنى أبا محمد ، وهو أخو إسماعيل بن يسار . اهـ .

وبيت موسى شهوات نسبه السّعد فى المطول ، وصاحب المعاهد فى شواهد التلخيص ، إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى كما فى الحماسة . قال الصولى : بعد أن تصرّف جعفر بالأمر والنهى والتولية والعزل ، بدا للرشيد عزلُه ، فعزله عن خراسان ، فاغتمّ لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فقال :

أمسَت خُراسان تُعزّى بما أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيدُ المعتلى أمره ولّى على مَشرِقها الأبلجا
ثم أراه رأيُه أنه أمسى إليه منهم أحوجا

---

(١) سمط اللآلى ٨٠٧ .

(٢) القند ، بالفتح : عسل قصب السكر إذا جد ، معرب .

كم فرّق الدهرُ بأسبابه من محصَن أهلاً وكم زوّجا
وكم به الرحمنُ من كربة في مدّة تقصُر قد فرّجا

فقال له جعفر: قمت والله بالعذر لأمير المؤمنين، وأصبت الحق، وخفّفت ١٤٥
عليّ العزل! فأمر له بألفِ دينار أخرى.

ولمّا دخل أشجع على الرشيد بالرّقّة كان قد فرغ من قصره الأبيض، فأنشده:

قصرٌ عليه تحيّة وسلام فيه لأعلام الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التي نسجَ الربيعُ وزَخرفَ الأوهامُ

إلى أن قال:

وعلى عدوّك يا ابنَ عمّ محمد رصدانِ: ضوء الصبح والإظلامُ
فإذا تنبّه رُعتَه، وإذا غفا سلّت عليه سيوفَكَ الأحلام

قال الصُّولى في الورقات، بسنده إلى أشجع: إن الرشيد قال لى: من أين أخذت قولك (وعلى عدوك.. البيتين)؟ فقلت: لا أكذب والله! من قول النابغة:

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

فقال صه! هو عندى من كلام الأخطل لعبد الملك بن مروان — وقد قال له: أنا مجيرك من الجحّاف — فقال: من يجيرنى منه إذا نمت؟!

وترجمة أشجعَ مطولة فى الورقات للصولى، وفى الأغانى للأصبهانى.
وأشجع ليس ممن يستشهد بكلامه، فكان ينبغى تأخيره عن البيت الذى بعده.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والأربعون:

٤٤ (لا أشتهي يا قومِ إلاّ كارها بابَ الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ)

على أنّ (بابَ الأمير) منصوب بلا أشتهي مقدّرا. والمسألة مفصلة في الشرح أيضاً.

قال أمين الدين الطّبرسي، في شرح الحماسة: هنا (كارها) حال؛ يقول: لا أعلّق شهوتي بورود باب الأمير ومدافعةِ الحاجب إلاّ على كَره؛ يصف ميله إلى البدوِ وأهله وإلفه إياهم.

وقال السيد في حاشيته على المطول: قصَر فيه الشاعر نفسَه في زمان اشتهائه بابَ الأمير على صفة الكراهة له؛ فهو من قصر الموصوف على الصفة. ويمكن أن يقال: قصر فيه اشتهاءه باب الأمير عليه موصوفا بالكراهية له لا يتعداه إليه موصوفا بصفة الإرادة له، فهو من قصر الصفة على الموصوف. ولك أن تقول قصَر اشتهاءه البابَ على أنه مجتمِع مع كراهيته له دون إرادته إياه؛ فيكون أيضاً من قصر الموصوف على الصفة. ثم اشتهاء الشيء إن لم يكن مستلزما لإرادته لم ينافِ كراهته، فجاز أن يكون الشيء مشتهًى مكروها كاللّذّات المحرّمة عند الزهّاد، كما جاز أن يكون الشيء مراداً منفورا عنه، كشرب الأدوية المرّة عند المرضى. فإن قيل: الاشتهاء يستلزم الإرادة، فالجمع بينه وبين الكراهية باختلاف الجهة، فيشتهي الدخول على الأمير لما فيه من التقرّب، ويكرهه لما فيه من المذلّة ودفاع الحاجب، فبالحقيقة المشتهى هو التقرب، والمكروه تلك المذلة. اهـ.

وبهذا يُعرف سقوطُ قول بعض شراح الحماسة هنا، فإنه قال: ليس قوله (كارها) حالا من أشتهي، لأنه لا يكون كارها للشيء مشتهيا له في حالٍ،

١٤٦ من أجل أنّ الشهوة منافية للكراهة ، ولكنّه حالٌ من فعل مقدّر ، والمعنى : لا أشتهى باب الأمير ولا آتيه إلا كارها ، أو ولكن آتيه كارها .اهـ.

صاحب الشاهد وهذا البيت أول أبياتٍ ثلاثة مذكورة فى الحماسة ، لموسى بن جابر الحنفى[1] ، والبيتان بعده :

(ومن الرجال أسِنّة مذروبة ومزنّدون شهودُهم كالغائب
منهم أسودُ لا ترام وبعضُهم مما قمَشْتَ وضمَّ حبلُ الحاطب)

يشبّه الرجل ، فى مَضائه وصرامته ، وفى دقّته إذا هُزل ، بالسيف والسنان. ومذروبة : محدّدة ، وكذلك مذرَّبة ، وكلُّ شىء حدّدته فقد ذرّبته . يقول : من الرجال رجالٌ كالأسنة المطرورة مَضاء ونفاذا فى الأمور . والمزنَّد وكذلك الزَّند : الضيق ، وقولهم : فلان زَنْد متين ، أى زَنْد شديد الضِّيق متين شديد بَخيل . أى إن نالهم خطبٌ ضاقوا عنه ولم يتّجهوا فيه لرشد . وكان من حقه أن يقول : « ومنهم مزندون » ، لكنه اكتفى بالأوّل كقوله تعالى : « منها قائمٌ وحَصِيدٌ » . قال المرزوقى : سمعت أبا على الفارسى يقول : كل صفتين تتنافيان فلا يصح اجتماعهما لموصوف واحد ، فلا بدّ من إضمار (من) معهما إذا فُصّل جملة بهما ، متى لم يجىء ظاهرا ؛ فإن أمكن اجتماع صفتين لموصوفٍ واحد استغنى عن إضمار (من) كقولك : صاحباك منهما ظريف وكريم . وقوله « شهودهم » إلى آخره يروى بدله « حضورهم » ، يريد أنه لاغَناء عندهم فحضورهم كغيبتهم ، كقول الشاعر :

شهدتَ جسياتِ العُلى وهو غائب ولو كان أيضاً شاهدا كان غائبا

قال الطبرسىّ : يجوز أن يريد بالشهود جمعَ شاهد وهو الحاضر ، وأراد

---

(١) الحماسة ٣٦٣ بشرح المرزوقى .

بالغائب الكثرة فتكون جنسا ، وإن كان الشهود مصدرا فالغائب يجوز أن يكون جنساً كالأول ، أى شهودهم كغيبة الغائب بحذف المضاف ، ويجوز أن يكون مصدرا كالباطل . وقوله « منهم ليوث » الخ . يقول : من الرجال رجال كالأسود فى العزة والمنعة ، لا يُطلَب اهتضامُهم ولا يُطمَع فيهم ، ومنهم متفاوتون كقُماش البيت — وهو رديء متاعِه جُمع من ههنا وههنا . وقوله : « وضَمَّ حبل الحاطب » هو كقول الآخر :

* وكلهمْ يجمعُهمْ بيتُ الأَدَمْ[1] *

قال الأصمعى : بيت الأَدَم يجمع الجيِّد والرديء ، ففيه من كل جلد رقعة؛ وكذلك الحاطب يجمع فى حبله الرطبَ واليابس ، والجزل والشَّخت ، وربما احتطب ليلاً فضم فى حبله أفعى وهو لايدرى . ونحوه قول العامة فى الشيء المتفاوت والقوم المختلطين : « هم خِرق البُرنُس » . استأنف بهذا البيت تلك القسمة على وجه آخر ، فهو من باب البيان : وهو أن يحمل الشاعر معنًى ويفسِّره بما يليه .

وصاحب هذه الأبيات موسى بن جابر الحنفى ، أحد شعراء بنى حنيفة المكثِرين ، يقال له ابن الفُريعَة وهى أُمُّه ، كما أنّ حسان بن ثابت رضى الله عنه يقال له ابن الفُريعة ، وتقدَّم فى ترجمته[2] . ويقال كان نصرانيًا ، وهو القائل :

وَجدنا أبانا كانَ حلَّ ببلدة ... سِوًى بين قيسِ قيسِ عيلانَ والفِزرِ

برابيته أمّا العدوّ فخولَنا ... مُطيفٌ بنا فى مثل دائرة المهر

فلما نأتْ عنّا العشيرة كُلُّها ... أقمنا وخالفنا السيوفَ على الدهر

---

(١) صدره كما فى ثمار القلوب ١٩٣ وكنايات الجرجانى ١١٧ والعقد ٣ : ٩٩ :

* الناس أخياف وشتى فى الشيم *

(٢) ص ٢٢٧ من هذا الجزء .

كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى .

وسِوًى صفة بلدة بمعنى متوسطة . والفِزْر : لقبٌ لسعد بن زيد مناة . والمعنى : وجدنا أبانا حلّ ببلدة متوسطة لديار قيس بن عيلان وسعد بن زيد مناة . يريد : حلّ بين مضر ونأى عن ربيعة ، لأن قيسا والفزر من مضر .

وقوله « فلما نأت » الخ ، يقول : لما خذلتنا عشيرتُنا وهم ربيعة ؛ اكتفينا بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ والصّبر ، واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر ، وهذا مثلٌ ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعَددهم وعُدّتهم ، وبلائهم وصبرهم ، واستغنائهم عن القاعدين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٤٥ (لِيُبْكَ يَزيدُ ضارعٌ لخصومة وَمختبِطٌ مِمّا تطيح الطوائحُ)

على أن الفعل المسند إلى (ضارعٌ) حذف جوازاً ، أى (يبكيه) ضارع ؛ وهذا على رواية لِيُبك بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل . وأما على روايته بالبناء للفاعل ففاعله ضارع ويزيد مفعوله ولا حذف ولا شاهد . وهذه الرواية هى الثابتة عند العسكرى ، وعَدّ الرواية الأولى غلطاً ، فإنه قال فى كتاب التصحيف . فيما غلط فيه النحويون[2] : ومما قلبوه وخالفهم الرواة ، قول الشاعر « لِيَبْكِ يزيد ضارع » .. البيت . وقد رواه خالدٌ والأصمعى وغيرهما بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد .

ومثله فى كتاب فعلت وأفعلت لأبى حاتم السجستانى ، قال : أنشد

(١) سيبويه ١ : ١٤٥ ، ١٨٣ . وانظر العينى ٢ : ٤٥٤ وابن يعيش ١ : ٨٠ والهمع ١ : ١٦٠ والخصائص ٢ : ٣٥٣، ٤٢٤ والشعراء ٤٧ والتصحيف للعسكرى ٢٠٨ .

(٢) سبق ابن قتيبة فى الشعراء العسكرى فى هذا النقد ، كما نبه الميمنى .

الأصمعيّ « ليَبكِ يزيدَ ضارعٌ » أى بالبناء للفاعل ، ولم يعرف لِيُبكَ يزيد أى بالبناء للمفعول ، وقال : هذا من عمل النحويين .

وزعم بعضُهم أنه لاحذف فى البيت على الرواية الأولى أيضاً ، لجواز أن يكون يزيد منادى وضارع نائب الفاعل ، قال ابن هشام فى شرح الشواهد : والتوجيه الأول أولى لأنه قد روى ليبكِ يزيد بفتح ياء يبك وكسر كافه ونصب يزيد ، فلما ظهر ضارعٌ فاعلا فى هذه الرواية استحقّ أن يقدر فاعلاً فى الأخرى ليستويا . وتوهّم الدمامينى فى الحاشية الهندية ، وتبعه الفنارى فى حاشية المطول ، أن القائل بنداء يزيد يزعم أنه منادى فى الروايتين ، واستشكله بأنه لم يثبت رفع يزيد فى رواية البناء للفاعل . وليس كما توهم ، فإن الذى خرجه على النداء إنما هو على رواية لِيُبكَ بالبناء للمفعول كما نقل ابنُ هشام ، والرواية الأولى أبلغ بتكرار الإسناد إجمالا ثم تفصيلًا ، كما بيّنه السعد فى المطوّل

وقال ابن خلف : لما قال ليبك يزيد عمّ المأمورين بالتفجع على هذا الميت والبكاء عليه من كثرة الفَناء ، ثم خص هذين الصنفين من جملة الباكين عليه لشدة احتياجهما إليه ، ثم قال نقلًا عن بعضهم : إن الإبهام على المخاطب فى مثل هذا النحو الذى يقصد به العموم ، تعظيمٌ للمقصود ومدح عميم .

و (يزيد) على رواية البناء للفاعل غير منصرف للعلَمية ووزن الفعل لأنه منقول من الفعل دون ضميره المستتر ، وعلى الرواية الأخرى يحتمل أن يكون كالأول وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون منقولا من الفعل مع فاعله المستتر ويكون حينئذ جملة محكية .

واعلم أن هذا البيت لوقوعه فى المتن شرحه الشارح المحقق ، ونحن نذكر

ما يتعلق به . فقوله الضارع : الذليل ، من قولهم ضرَع ضَراعة ، فعله من الباب الثالث ، وورد فى لغة أيضاً من باب تعب ، ويقال أيضاً ضرُع ضَرعاً ١٤٨ كشرُف شرفاً بمعنى ضعُف ، فهو ضَرع أيضاً تسميةً بالمصدر ، كذا فى المصباح . وقوله : (لخصومة) متعلق بضارع وإن لم يعتمد على شىء الخ . أقول : ظاهره أنه لم يعتمد على شىء مما ذكر من شروط عمل اسم الفاعل النصب ، وفيه أنّه معتمد على موصوف مقدر . قال ابن مالك فى الخلاصة :

وقد يكون نعتَ محذوف عُرف   فيستحقُّ العملَ الذى وُصف

ويحتمل أن يكون معناه أنه متعلق بضارع وإن فرض أنه لم يعتمد على شىء ، لأنه يكفيه رائحة الفعل ، وكيف لايتعلق به مع اعتماده على موصوف مقدر ، لـكنه بعيد عن السياق .

قال الفنارىّ فى حاشية المطول : « فإن قلت : بل قد اعتمد على الموصوف المقدّر ، أى شخص ضارع ، فعلى تقدير اشتراط الاعتماد فى تعلق الجارّ به لا محذورَ أيضاً ! قلت : إن كفى فى عمله الاعتماد على موصوف مقدر لايتصور الإلغاء ، لعدم الاعتماد حينئذ ، لتصريح الشارح — يعنى السعد — فى شرح الـكشاف ، بأنّ ذكر الموصوف مع اسم الفاعل ملتزَم لفظاً أو تقديراً تعيينا للذات التى قام بها المعنى . وهو مخالف لتصريحهم ، اللهم إلا أن يقال : الاعتماد على موصوف مقدّر إنما يكفى لعمله إذا قوى المقتضى لتقديره ، كما فى يا طالعاً جبلًا ، ويارا كبًا فرساً ، لانضمام اقتضاء حرف النداء إلى اقتضاء نفس اسم الفاعل ؛ لـكن تَأتِّى اعتبار مثل هذا المقتضى فى كل موضع محلُّ نظر » اهـ.
وهذا كلام جيد .

وقوله « لأجل الخصومة » أشار إلى أن اللام فى الخصومة لام التعليل ؛ ويحتمل أن يكون بمعنى عند أيضاً . وقوله « فإن يزيد كان ملجأ للأذلاء

والضعفاء » الأولى ملجأ للأذلاء والفقراء ، فإن المختبط : بمعنى السائل كما فسره الشارح به . وقوله « وتعليقه بيبك ليس بقوىّ فى المعنى[1] » قال الفنارى : لأن مطلق الخصومة ليس سبباً للبكاء ، بل هى بوصف المغلوبية . وقوله « والمختبط الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة » وقع فى بعض النسخ : « الذى يأتى بالليل للمعروف » . والظاهر أن قيد الليل تحريف من النساخ ، وكون الاختباط الإتيانَ للمعروف من غير وسيلة هو قول أبى عبيدة ، فإنه قال : المختبط : الرجل يسألك من غير معرفة كانت بينكما ، ولا يدٍ سلَفت منه إليك ، وعليه فيكون الاختباط متعدياً لمفعول واحد كما مثّل الشارح المحقق بقوله « يقال اختبطنى فلان» . وقال ابن خلف : الاختباط بمعنى السؤال والطلب ، فهو بمنزلةِ الاقتضاء ، تقول اختبطنى معروفى فخَبطته أى أنعمت عليه ، ومثله اقتضيته مالاً أى[2] سألته إياه . وحكى بعضهم اختبط فلان فلاناً ورقاً ، إذا أصاب منه خيراً . فعلى تفسير أبى عبيدة فى البيت حذف مفعولٌ واحد ، أى ومختبط ورقاً أو رزقاً أو نحو ذلك . ويجوز أن يكون هذا المفعول ضمير يزيد أى ومختبط إياه . وعلى التفسير الثانى فيه حذف مفعولين أى ومختبط الناسَ أموالهم . ومثله إذا سألت فاسأل الله ، أى إذا سألت أحداً معروفه فاسأل الله معروفه .

وروى : (ومستمنح) بدلَ ومختبط ، أى من استمنحه أى طلب مِنحته وهى العطيّة والرِّفد ، والأصل فى المنحة هى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبُها رجلاً يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن ، ثم كثر استعماله حتى أطلق على كلّ عطاء . ومنحته من باب نفع وضرب ، إذا أعطيته . ١٤٩

(١) انظر شرح الرضى ١ : ٦٨ .
(٢) فى النسختين « أن »

وصف الشاعر يزيدَ بالنصر والكرم للذليل وطالبِ المعروف[1] ، فيقصده الضارع للخصومة ، ويلتجىء إليه المختبط إذا أصابته شدة السنين .

وقوله « وأصله من خبطت الشجرة الخ » الخبْط بسكون الباء : إسقاط الورق من الشجر بالعصا لعلْف الإبل . والخبَط بفتحتين هو الورق الساقط . والمِخبط بكسر الميم هى العصا التى يخبط بها ، والفعل من باب ضرب . وقال ابن مالك : الأصل فيه أن السارى والسائر لابد من أن يختبط الأرضَ ، ثم اختصر الكلام فقيل للآتى طالباً للجدوى : مختبط . وخبطت الرجل إذا أنعمت عليه من غير معرفة ، وخبطته إذا سألته أيضاً ، فهو ضد .

وقوله « وهو إما على حذف الزوائد الخ » أشار إلى أن الطوائح جمع على غير قياس ، لأنّ فعله رباعىّ ، يقال أطاحته الطوائح وطوّحته ، فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمَطاوح ، فإن تكسير مُفعِل مفاعل بحذف إحدى العينين وإبقاء الميم ، وتخريج الجمع على حذف الزوائد هو لأبى على الفارسى ، وتخريجه على النسب هو لأبى عمرو الشَّيبانى ، فإنّ تقديره عنده مما تطيحه الحادثات ذوات الطوائح .

ونقل ابن خلف عن الأصمعى أن العرب تقول : طاح الشىء فى نفسه وطاحه غيره ، بمعنى طوّحه وأبعده ، فعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتعدى قياسا ، ولا شذوذَ .

ولم أر هذا النقل فى الكتب المدوّنة فى اللغة ولا فى غيرها .

وقوله « يقال طاح يطوح الخ » طاح بمعنى هلك ، وكلُّ شىء ذهب وفنى

(١) هذا هو الوجه . وفى النسختين : « وطلب المعروف » .

فقد طاح : وقوله « وطاح يطيح وهو واوى الخ » فيكون أصلهما طوح يطوح بكسر الواو فيهما[1] فاْعِلاً .

وجعله صاحب العباب مما عينُه جاء معتلا بالواو تارة وبالياء أخرى ولم يعتبر أن الواو صارت ياء بالأعلال . وسبقه ابن جنى فى إعراب الحماسة فإنه قال : ومن قال طاح يطيح فكان عنده كباع يبيع ، فقياسه أن يقول المَطايح ، فيصحح الياء لأنها عين مُفعِل .

وقوله « مما تطيح متعلق بمختبط الخ » هذا هو الظاهر المتبادر إليه ، وقال ابن خلف : وقوله مما تطيح ، موضعه رفع على النعت لمختبط ، أوله ولضارع جميعا ، أى كائن أو كائنان ، فتكون (ما) للجنس . ويؤيد هذا التأويل رواية من روى (ممن تُطيح) أى من الذى تطيحه الطوائح فحذف العائد ، وروى أبو على (قد طوّحته الطوائح) وهذا يؤيد كون هذه الجملة نعتا لمختبط لرجوع الضمير إليه مفردا . وقوله « أى يسأل من أجل » أشار إلى أن (مِن) تعليلية . وقال ابن الحاجب في إيضاحه وأماليه : ومن للابتداء أو بمعنى السببية . فالأوّل على أن ابتداء الاختباط من الإطاحة أو سبب الاختباط الإطاحة . فإن قلت : ما الفرق بينهما ؟ قلت : فيه خلاف ، قال أبو حيان : كأن التعليل والسببَ عندهم شىء واحد ، قال السيوطى : هذا هو الحقّ . وفى شرح جمع الجوامع للمحلّى ما يصرّح به ، لأنه قال المعبّر عنه هنا بالسبب هو المعبرُ عنه فى القياس بالعلة ! وخالفهم ابن السبكى في الأشباه والنظائر فقال : إن الفرق بينهما ثابتٌ لغة ونحواً وشرعا : قال اللغويون :

(١) وكذا فى اللسان : « قال سيبويه فى طاح يطيح : إنه فعل يفعل ، لأن فعل يفعل لا يكون فى بنات الواو ، كراهية الالتباس ببنات الياء ، كما أن فعل يفعل لا يكون فى بنات الياء ، كراهية الالتباس ببنات الواو أيضا » .

السبب كلُّ شيء يتوصل به إلى غيره ومن ثَمّ سمّوا الحبل سببا ، وذكروا أنّ العلة : المرض وكلمات يدور معناها على أنّ العلة أمر يكون عنه أمر آخر . وذكر النحاة أن اللام للتعليل ولم يقولوا للسببية . وقال أكثرهم : الباء للسببية ولم يقولوا للتعليل ، وذكر ابن مالك السببية والتعليل . وهذا تصريح بأنّهما غَيرانِ . وقال أهل الشرع : السبب : ما يحصل الشيء عنده لا به ، والعلة : ما يحصل به . وأنشد ابن السّمعانى على ذلك :

ألم تر أنّ الشيء للشيء علةٌ تكون به، كالنار تُقدَح بالزَّندِ!

والمعلول يتأثر عن علّته بلا واسطةٍ بينهما ولا شرطٍ يتوقف الحكم على وجوده ، والسبب إنما يُفضى إلى الحكم بواسطة أو وسائط[1] ولذلك يتراخى الحكم عنه حتى توجد الشرائط وتنتفىَ الموانع . وأمّا العلّة فلا يتراخى الحكم عنها ، إذ لاشرط لها ، بل متى وجدت أوجبت معلولها بالاتفاق . . إلى آخر ما فصله .

وقوله : « إذهابُ الوقائع ماله » ، أشار إلى أنّ مفعول تطيح محذوف وهو ماله . وقوله : « أى يبك لأجل إهلاك المنايا يزيد » ، أشار إلى أن مفعول تطيح على هذا التقدير هو يزيد ، وأراد بالمنايا أسباب الموت ، إطلاقا لاسم المسبّب على السبب ، وإلاّ فالشخص الواحد لاتهلكه إلاّ منية واحدة . وقوله : « ويجوز أن تكون ما بمعنى التى » ، زاد بعضهم : ويجوز أن تكون نكرة موصوفة .

وهذا البيت من أبيات لنهشَل بن حَرّىّ — على مافى شرح أبيات صاحب الشاهد الكتاب لابن خلف — فى مرثية يزيد ، وهى :

---

(١) ط : « وسايط » .

أبيات الشاهد (لعمرى لئن أمسى يزيدُ بن نَهشل حَشا جَدَث تسفى عليه الروائحُ

لقد كان ممّن يبسط الكفَّ بالندى إذا ضنَّ بالخير الأكفُّ الشحائحُ

فبعدَك أبدى ذو الضغينة ضِغنة وسدّ لى الطَّرفَ العيونُ الكواشح

ذكرتُ الذى مات الندى عند موته بعاقبِهِ إذ صالحُ العيش طالحُ[1]

إذا أرَقٌ أفنى من الليل ما مضَى تعلَّى به ثِنْىٌ من الليل راجحُ

ليبك يزيد ضارع .. . . البيت

سقى جدثاً أمسى بدَومة ثاويا من الدَّلو والجوزاء غادٍ ورائحُ

الحشا: ما فى البطن. والجدث بالجيم والثاء المثلثة: القبر. وتسفى: مضارع سفت الريح التراب: ذرته، ويقال أسفته أيضاً فالمفعول محذوف. والروائح: أى الأيّام الروائح، من راح اليوم يروح روحا من باب قال، وفى لغة من باب خاف، إذا اشتدت ريحه فهو رائح[2]. وأما كونه جمعَ ريح لم أقف على من نبّه عليه، مع أن ريحاً لم تجمع على هذا الوزن. وضنَّ، يقال ضن بالشىء يضَنّ من باب تعب، ضَنّا وضِنّة بالكسر وضَنانة بالفتح: بخِل فهو ضنين، ومن باب ضرب لغة. والشحائح: جمع شَحيح، من الشُّحّ وهو البخل، وفعله من باب قتل، وفى لغة من بابى ضرب وتعب. أراد: أنه إن فقد بالعدَم فهو حىّ بذكره بالكرم. وما أحسن قول أبى نصر الميكالى:

بانى العلىٰ والمجد والإحسان والفضلِ والمعروفِ أكرمُ بانى

الجودُ رأىُ مسدَّد وموفَّق والبذلُ فعل مؤيَّد ومُعان

(١) بعاقبه، كذا جاء فى سه، وهو ما يقتضيه تفسير البغدادى فيما بعد. لكن صواب الرواية: «بعاقبة» كما فى ط. والعاقبة: الآخرة. ونحوه فى الأصمعيات ١٠٦ لدريد بن الصمة:

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد

(٢) ط: «راح».

١٥١ والبرُّ أكرمَ ما وعتـه حقيبة والشكر أفضل ما حوته يدانِ
وإذا الكريم مضى وولّى عمرُه كفلَ الثناء له بعُمرٍ ثانِ[1]

ولأجل هذا البيت الأخير أنشدت هذه الأبيات .

وعاه يعيه : حفظه وجمعه . والحقيبة : أصله العجُز ، ثم سمّي ما يحمل من القُماش على الفرس خلف حقيبته مجازاً ، لأنه محمول على العجز .

وقوله (فبعدك أبدى الخ) فيه التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . والضغينة والضغن بالكسر : اسم من ضَغِن صدرُه ضغناً من باب تعب بمعنى حقـد . وسد : أغلق . والطرف : مصدر طرف البصر طرفاً من باب ضرب : تحرّك ونظر ، وهو مفعول مقدَّم . والعيون : فاعل مؤخر . والكوَاشح : جمع كاشحة مؤنث الكاشح ، وهو مضمر العداوة ، وكشَح له بالعداوة : عاداه ككاشحه ، وإنما نسبه إلى العيون ، لأن العداوة أول ما تظهر من العين ، أي صرت بعدك ذليلاً لا أقدر أن أرفع بصرى إلى أحد . وفى نسخة (وسدّد لى) من التشديد وهو التقويم ، أى صَوّبَت نحوى عيونُ الأعداء نظرَها ، وهذه أحسن . وقوله (ذكرت الندى) الخ ، ضمير موته راجع للندى ، وهو العائد ، والباء متعلقة بمات . والعاقب : الذى يخلُف من كان قبله فى الخير ، وضمير « عاقبِهِ[2] » راجع للندى ، يقول : مات الندى مع من يخلفه عند موت يزيد . ويصح أن يعود الضمير ليزيد . وإذ : متعلقة بذكرت . والصالح من الصلاح ، والطالح من الطلاح وهو ضدُّ الصلاح . والأرق : السّهر . وتمطّى : امتدّ وطال .

(١) العينى : « وتقدم أبو الطيب المتنبى أبا نصر الميكالى بقوله :
كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور
وتقدمهما آخرون » .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ص ٣١٠ .

وضمير (به) راجع إلى ما مضى . والثِّنْى بكسر المثلثة وسكون النون ، يقال ثِنْىٌ من الليــل أى ساعة ، وقيل وقت . وراجح أى زائد ثقيل ، من رجح الميزان رجوحاً : مال . و (إذا) عاملها تمطَّى . يشكو بهذا البيت طول الليل . وقوله (أمسى بدَومة ثاويا) دومة بفتح الدال والميم : اسم موضع بين الشام والموصل ، وهو من منازل جَذيمة الأبرش ، كان وقع فيه الطاعون ، ذكره الأخطل فى شعره ، كذا فى المعجم لأبى عبيد البــكرى . و (غاد) : فاعل سق ، واحده غادية وهى السحابة تنشأ غُدوة . والرائح : مطر العشى وهو آخر النهار . وقوله (من الدَّلو) كان فى الأصل صفة لما بعده ، فلما قدم صار حالا ، وإنما خصَّ السحاب بكونه من الدلو والجوزاء لكثرة مائه ، فإن الدلو وسط فصل الشتاء ، فإن الشمس تحُلّ فيه بالجدى والدلوِ والحوتِ ، والجوزاه آخر فصل الربيع ، والشمس تحل فيه بالحمل والثور والجوزاء .

نهشل بن حرى

و (نهشل بن حَرِّىٍّ) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب إلى الحَرّ أو إلى الحَرّة ، وهو ابن ضَمرة بن جابر بن قطَن بن نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة [ابن مالك[1]] بن زيد مناة بن تميم . وكان اسم ضَمرة جدّ نهشل شِقَّة بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف . ودخل على النعمان فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا شِقَّة بن ضَمْرة . قال النعمان : « تسمع بالمُعَيْدىّ لا أن تراه ! » فقال : أبيت اللعن ، إنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه ، إن نطقَ نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجَنان ! قال : أنت ضَمْرة بن ضَمْرة ؛ يريد أنك كأبيك . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة[2] .

وكان نهشل شاعراً حسنَ الشعر ، وهو القائل :

---

(١) التكملة من تصحيحات أحمد تيمور ، ومن زيادات الشنقيطى فى هامش نسخته

(٢) الشعراء ٦١٩ .

ويومٍ كأنَّ المصطَلِينَ بحرّه وإن لم تكن نارٌ وقوفٌ على جمر

صبرْنا له حتى يبوخَ[1] وإنما تُفرّج أيام الكريهة بالصبر ١٥٢

قال العسكرى فى التصحيف[2] : وابنه حَرِّىّ بن نهشل بن حَرِّىّ شاعر أيضا ، وله يقول الفرزدق :

أحَرِّىّ قد فاتتك أختُ مجاشع فُصيلة فانكِح بعدها أو تأيَّم

ونهشل بن حرّىّ من المخضرَمين ، نقل ابن حجر فى الإصابة عن المرزُبانى : أنه شريف مشهور مخضرم ، بقى إلى أيام معاوية ، وكان مع على فى حروبه ، وقُتل أخوه مالك بصفّين وهو يومئذ رئيس بنى حنظلة ، وكانت رايتهم معه ؛ ورثاه نهشل بمراثٍ كثيرة . . قال : وأبوه شاعر شريف مشهور مذكور ، وجده ضَمرة سيدٌ ضخم الشرف ، وكان من خير بيوت بنى دارم .

(تتمة)

نسب النحاس هذه الأبياتَ فى شرح أبيات الكتاب ، وتبعه ابن هشام ، للبيد الصحابى ؛ وحكى الزمخشرى أنها لمزرِّد أخى الشماخ ، وقال ابن السيرافى : هى للحارث بن ضرار النهشلى يرثى يزيد بن نهشل ؛ وقال اللَّبْلى : إنها لضرار النهشلى ، وذكر البعلىّ أنها للحارث بن نُهَيك النهشلى ، وقيل هى للمهلهل .

صاحب الشاهد

والصواب : أنَّها لنهشل بن حرّىّ كما فى شرح أبيات الكتاب لابن خلف ، وكذا فى شرح أبيات الإيضاح . والله أعلم .

* * *

(١) ط : « تبوخ » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : «السكرى» صوابه ،فى ش مع أثر تصحيح . وانظر التصحيف ٣٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] .

٤٦ (لا تجزعى إن مُنفِسٌ أهلكتُه)

وتمامه : (وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعى)

على أن الكوفيين أضمروا فعلا رافعا (لمنفس) ، أى إن هلك منفس أو أهلك منفس . وأورده فى باب الاشتغال أيضاً كذا . وأما البصريون فقد رووه :

* لا تجزعى إن مُنفِسا أهلكته *

وكذا أورده سيبويهِ بنصب منفِس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره إنْ أهلكتُ منفسا أهلكتُهُ ، فأهلكته المذكور مفسِّر للمحذوف .

وهذه الجملة من باب الاشتغال لا تدخل فى الجملة التفسيرية التى لا محل لها من الإعراب وإن حصلَ بها تفسير . قال أبو على فى البغداديات : الفعل المحذوف والفعل المذكور فى نحو قوله : لا تجزعى إن منفسا أهلكته ، مجزومان فى التقدير ، وإن انجزام الثانى ليس على البدلية إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير (إن) أى إن أهلكت منفسا إن أهلكته ؛ وساغ إضمار إن وإن لم يجزْ إضمار لام الأمر إلاّ ضرورة ، لاتساعهم فيها ، بدليل إيلائهم إياها الاسمَ ، ولأن تقدمها مقوّ للدلالة عليها .

وقوله (وإذا هلكت) الواو عطفت هذه الجملة الشرطية على الشرطية التى قبلها ، ولم أر فى جميع الطرق من روى بالفاء بدل الواو إلاّ العينى ،

(1) سيبويه ١ : ٦٧ . وانظر أيضاً العينى ٢ : ٥٣٥ وابن الشجرى ١ : ٣٣٢/٢ : ٣٤٦ وشواهد المغنى للسيوطى ١٦١، ٢٨١ وابن يعيش ١ : ٢٢/٢ : ٨٣ .

فإنه قال : الفاء عاطفة . والمعنى لا يقتضى الفاء فإنها تدل على الترتيب والتعقيب والسببية ، والثلاثة منتفية سواء كان الترتيب معنويا كما فى قام زيد فعمرو ؛ أو ذِكريا وهو عطفُ مفصّلٍ على مجمل نحو : « ونادى نوحٌ ربَّه فقالَ رَبِّ » .

وقوله (فعند ذلك فاجزعى) أورده الشارح فى الفاء العاطفة ، على أن إحدى الفاءين زائدة ، ولم يعيّن أيتهما زائدة . قال أبو على فى المسائل القصرية : الفاء الأولى زائدة والثانية فاء الجزاء ؛ ثم قال : اجعل الزائدة أيَّهما شئت . وعين القاضى فى تفسيره الفاء الأولى ، فإنه أورد البيت نظيراً لقوله تعالى : « فبذلك فليفرَحُوا » ، فقال : الفاء فى « فبذلك » زائدة ، مثلها الفاء[1] الداخلةُ على (عند) فى البيت ، وتقديم عند للتخفيف كتقديم ذلك . وسيبويه لا يثبت زيادة الفاء ، وحكم بزيادتها هنا للضرورة . ومَن تبعه وجَّه ما أوهم الزيادة ، فوجَّهها صاحب اللباب بأنها إنّما كررت هنا لبعد العهد بالفاء الأولى كما كرر العامل فى قوله :

١٥٣

لقد علم الحىُّ اليمانون أننى إذا قلتُ أمّا بعد أنى خطيبها

أعيد « أنى » لبعد العهد بأننى ، وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقاً ، وحكى « زيد فوجد » . وقيّده بعضهم بكون الخبر أمراً أو نهياً نحو :

* وقائلة خولان فانكح فتاتهمْ *

وقوله : * أنتَ فانظر لأى ذاك تصيرُ *

وأوّله المانعون بأن التقدير : هذا زيد فوجد ، وهذه خولان ، وبأن الأصل انظر فانظرْ ، ثم حذف انظر فبرز ضميره . والجزَع : قيل هو الحزن ، وقيل أخصُّ منه فإنه حزنٌ يمنع الإنسانَ ويصرفه عما هو بصدَده ويقطعه عنه .

---

(١) كلمة « الفاء » من سه فقط .

وأصله القطع ، يقال جزعت الحبلَ : قطعته لنصفه . ويقال أيضاً : جزعنا الواديَ ، أى قطعناه عرضاً ؛ وقيل هو قطعه مطلقاً . فالجزع بالفتح المصدر ، والجزع بالكسر منقطع الوادى ، وقيل هو الفزع . ومنه قوله تعالى : « أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا » . والفزع أخصُّ من الخوف ، وهو انقباضٌ يعترى الإنسان ونفارٌ من كل شيء مخيف ؛ وهو من جنس الجزع . (والمُنْفِس) قال فى القاموس : وشيء نفيس ومنفوس ومُنفس بالضم يُتنافَس فيه ويرغب ، ونفُس ككرم نفاسة ونفاساً بالكسر ونفَساً بالتحريك ، والنفيس : المال الكثير ، ونفِس به كفرح : ضنَّ ، وعليه بخير : حسد ، وعليه الشيء نفاسة : لم يره له أهلا . انتهى . وفى عمدة الحفاظ : وأصل المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل فى غير إدخال ضرر على غيره ، وشيء نفيس منفوس به أى مضنون[1] . و (الإهلاك) لشيء : إيقاع الهلاك به . والهلاك على أربعة أوجه : أحدها وهو المراد هنا افتقاد الشيء عنك وهو موجود عند غيرك ، ومنه : « هَلَكَ عنِّى سلطانيهْ » . والثانى : هلاك الشيء باستحالةٍ وفساد ، كقوله تعالى : « ويُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ » . والثالث : الموت نحو : « إن امرؤٌ هلك » . والرابع : الشيء من العالم وعدمه رأساً ، وذلك هو المسمى فناء كقوله تعالى : « كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهَه » . وقد يطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر ونحوها ، لأنها أسبابه يقول : لا تجزعى من إنفاق النفائس ما دمتُ حياً ، فإنى أحصِّل أمثالها وأُخلفها عليك ، ولكن اجزعى إذا متّ فإنك لا تجدين خلفاً منى .

صاحب الشاهد وهذا البيت آخر قصيدة للنمرِ بن تَولب ، يصف نفسه فيها بالكرم

---

(١) ط : « مفضول » صوابه فى سه .

ويعاتب زوجتَه على لومها فيه ، وكان أضافَه قوم فى الجاهلية فعقر لهم أربع قلائص واشترى لهم زقَّ خمر ، فلامته على ذلك ، فقال هذه القصيدة وهى :

أبيات الشاهد

(قالت لتعذُلنى من الليل اسمعِ سفهٌ تبيُّتُكِ الملامةَ فاهجعى)

قوله (اسمع) مقول قولها ، وقوله (سفه الخ) هو خبر مقدم وتبينك مبتدأ مؤخّر . والملامة مفعول تبيتك وهو مضاف لفاعله . وروى سفهاً بالنصب فيكون كان مقدرة . وعلى الوجهين الجملة مقولة لقولٍ محذوف ، أى فقلت لها .

١٥٤ يقول : لامت من الليل عجلةً عن الصبح ، وكان ذلك منها سفهاً ، ومثله قول الشاعر[1] :

هبَّتْ تلومُ وبئستساعةاللاحى هلا انتظرتِ بهذا اللوم إصباحى

والسَّفه : خفة العقل ، والأصل فيه خفّة النسج فى الثوب . يقال ثوب سفيه أى خفيف النسج . والسَّفه أيضاً : خفّة البدن ، ومنه زمام سفيه : أى كثير الاضطراب . واستعمل فى خفّة النفس كنقصان العقل فى الأمور الدنيوية والأخروية . قال تعالى : « فإنْ كانَ الذى عليه الحقُّ سفيهاً » ، أى ضعيف العقل باعتبار خفّته ، ولذلك قوبل بارزانة فقيل : رزين العقل . والتبيُّت : أراد به التبييت لأنه مصدر بيّتَ الأمر ، أى دبره ليلا . والهجوع : النوم بالليل .

(لا تجزعى لغدٍ وأمرُ غدٍ له أتَعجِّلينَ الشرَّ ما لم تَعنى)

يقول : إننا الآن بخير فلمَ تَعجِّلين الشر ما لم تَعنى من الخير . وقوله وأمر غدٍ له ، أى أنّ أمر غد أو رزق غد موكول إلى غد ، فلا ينبغى له التحزُّن منذ اليوم . وقوله أتعجّلين استفهامٌ توبيخى ، وتعجّلين بفتح التاء ، وأصله بتاءين . وأراد بالشر الفقر أو الجزع ، وما مصدرية ظرفية .

(١) هو عبيد بن الأبرص . ديوانه ٧٥ ومختارات ابن الشجرى ١٠٠ .

(قامت تُبكّي أنْ سَبأتُ لفتية زِقًّا وخابيةً بعَود مُقطَع)

تُبكى بضم التاء وكسر الكاف المشددة، يقال بكّاه عليه تبكية أى هيجه للبكاء فمفعوله محذوف. وروى تبا كى أى تتبا كى. وسبأ الخمر مهموز الآخر كجعل سَبْئاً وسباء واستبأها أيضاً، بمعنى اشتراها للشُّرب لا للتجارة. والزِّق بالكسر: جلد يجزز ولا ينتف صوفه، يكون للشراب وغيره، والزُّق بالضم: الخمر نفسها. والخابية: الجرة العظيمة، ويقال الُحبّ والزير. وأصلها الهمز لكن تركوه. والعَود بفتح المهملة: المسنّ من الإبل. والمقطع بزنة اسم المفعول: البعير الذى أقطع عن الضراب، والبعير قام من الهزال. يخبر أنّها لامته فيما لا خطر له.

(وقريت فى مِقْرَى قَلائصَ أربعا وقريتَ بعد قِرى، قلائصَ أربعِ)

قريت الضيف قرى بالكسر والقصر، وقَراء بالفتح والمد، أى أضفته. والمَقرى بالفتح: موضع القرى، وبالكسر وكذلك المِقراة القَصعة التى يقرى فيها. وقلائص مفعول قريت، وهى جمع قَلوص وهى الناقة الشابة، ولهذا حذف التاء من العدد. وقوله بعد قرى قلائص أربع، كل لفظٍ مضافٌ لما بعده إلى الآخر. يقول: قريت فى موضع قلائصَ أربعاً ولم يمنعنى ذلك أن قريت بعدهن.

(أتبكّياً من كلِّ شىء هينٍ سفهٌ بكاء العين ما لم تَدمع)

يقول: سفهٌ بكاؤك من كلّ شىء لايحزنك ولا تدمع عينك منه، فلو كنتِ حزينة كان أعذرَ لك عندى.

(فإذا أتانى إخوتى فدعيهمُ يتعلّلوا فى العيش أو يَلهوا معى)

تعلّل بالأمر: تشاغل به. والعيش: الحياة المختصّة بالحيوان، وهوأخص

من الحياة ، لأن الحياة تقال فى الحيوان وفى المَلَك وفى البارى تعالى . واللهو : الشغل عن مهمّات الأمور بما تميل إليه النفس ، والواو فى يلهوا ضمير الجماعة ، ولام الفعل محذوفة مثل الرجال يعفون . ١٥٥

(لاتطرديهم عَن فراشى إنه   لا بدَّ يوما أن سيَخلو مَضجعى)

الفراش : البيت ، كذا قال محمد بن حبيب فى شرحه . وهى هنا لفظة قبيحة . وأنْ مخففة من الثقيلة .

(هلَّا سألتِ بعــــادياء وبينه   والخلِّ والخمرِ التى لم تُمنَع)

قال شارح الديوان محمد بن حبيب : بعادياء يريد عن عادياء . يقول : لم يبق عادياء ، وكذلك أنا أقلُّ بقاء . وهو عادياء أبو السموءل الأزدى الغسانى . وقال آخرون : يريد عاداً . وكل شىء قديم عند العرب عادىّ . وقوله (والخلّ والخمر التى لم تمنع) يعنى الخير والشر ، كما يقال مافلان بخلٍّ ولا بخمر ، أى ليس عنده خير ولا شر . واذهب فما أنت بخل ولا خمر . قال أبو عبيد فى الأمثال : أراد أنّه كان لا يبخل بشىء مما كان عنده .

(وفتاتِهم عَنزٍ عشيةَ أبصرتْ   من بُعد مَرأى فى الفضاءِ ومسمعِ

قالت أرى رجلاً يقلِّب نعــــلَه   أُصلا وجوٌّ آمنٌ لم يَفزع)

قوله (وفتاتهم) مجرور ، وعنز عطف بيان عليه ، وهو بفتح العين المهملة وسكون النون وآخره زاى معجمة اسم زرقاءِ اليمامة ، وكانت من جديس بنت ملكهم ، وكانت تغذّى بالمخ . وفى القاموس : وعنز امرأة من طَسْم سُبيت فحملوها فى هودج ، وألطفوها بالقول والفعل ، فقالت : « هذا شرُّ يومىَّ » حين صرت أكرم للسِّباء . ونصب شرّ على معنى ركبت فى شر يوميها [1] .

(١) فى القاموس (عنز) .

ثم قال : وزرقاء اليمامة امرأة من جَديس كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام[1] .
انتهى . فتأمل . قال الشاعر :

شَرُّ يومَيها وأغواه لهـا ركِبت عنزٌ بحِدْجٍ جملا

وكانت رأت رجلا من طلائع تُبَّع قدامَ الجيش يقلِّب نَعلا من مسيرة ثلاثة أيام ولم يفزع لهم أحد ولم يعلم بمجيئهم . و (الأُصل) : أصيل،وهو مابعد صلاة العصر إلى الغروب . وقوله (وجو) يريد أهل جوّ ، وجو : اسم بلد ، وهى اليمامة التى تضاف إليها زرقاء اليمامة . وقوله : (وفتاتهم) قال ابن حبيب : نسب عنزاً إلى بيت عادياء وليست منهم ، وإنما كان شيئاً فى أول الدهر فنسبه إلى بعضهم ، كما قال زهير : « كأحمر عاد » وإنّما كان فى ثمرد ، وكما قال آخر:

* مثل النصارى قتلوا المسيحا *

(فـكأنَّ صالحَ أهل جوّ غُدوة صُبِحوا بذيفان السِّمام المُنْقَعِ)

يريد الجميع ، لأنه إذا هلك الوجوه والصالحون منهم فالذين دونهم أحرى أن يَهلكوا . وقد صُبحوا بالبناء للمفعول من الصَّبوح ، وهو شرب الغداة ، تقول : صبحتُه صَبحا من باب ضربته . والذّيفان بفتح الدال وكسرها وبالمثناة التحتية وتهمز فيهما : السم القاتل ، والسمام بالكسر : جمع سم . والمُنقَع : كل ماينقع بالماء ونحوه .

(كانوا كأنعَمِ من رأيتِ فأصبحوا يلوون زادَ الراكب المتمتّع)

أى كانوا بنعمة وخِصب ثم أصبحوا يعسر عليهم أن يزوّدوا راكبا ، لأنهم لايقدرون على ذلك . والمتعة : الزاد يقول : ماله متعة ولا بَتاتٌ . يقول

(١) فى القاموس (زرق) .

المسافر متّعني وبتّتني(١) وزوّدني ، كل ذلك بمعنى واحد .

(كانت مقدّمةَ الخميس وخَلفها رَقصُ الركاب إلى الصباح بِتُبَّعِ)

الرقص بفتحتين : الخبب ، وهو نوع من السّير ، وأرقص الرجل بعيره : أى حمله على الخبب . ويروى : « ركض الركاب » . والركاب : الإبل ، واحدُه راحلة . وضمير كانت راجع إلى نظرة عنز(٢) المرأةِ المذكورة المفهومة من السياق . وخلف تلك النظرة إبل تُبّع تسير إلى الصباح حتّى لحقهم . وتُبّع : أبو حسان بن تبّع ، الذى غزا جَديس فقتلهم واستباحَ اليمامة .

(لاتجزعى إنْ منفِسٌ أهلكتُه . . . . . . البيت)

وهذا آخر القصيدة .

ترجمة النمر بن تولب

والنمر بن تولب صحابى يعدُّ من المخضرمين ، ونسبه مذكور فى الاستيعاب وغيره . وهو عُكْلىٌّ منسوب إلى عُكل بضم المهملة وسكون الكاف ، وهى أَمَة كان تزوّجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ، فولدت له ثلاثة بنين ، ثم مات فحضنتهم عُكلٌ فنسبوا إليها .

والنمر شاعر جواد ، واسع العطاء كثير القرى ، وهّاب لماله ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيِّس(٤) لجودة شعره وكثرة أمثاله . ويشبِّه شعره بشعر حاتم الطائى . وقال أبو عبيدة : كان النمر شاعر الرّباب فى الجاهلية ، ولم يمدح أحداً ولا هجا . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم مسلماً وهو كبير .

---

(١) كتب محب الدين الخطيب : « ويقال إلى اليوم فى طرابلس الغرب : بتت العروس ، أى جهزها » .

(٢) ط : « عين » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « الكبش » ، صوابه فى ش والشعراء ٢٦٨ والأغانى ١٩ : ١٥٩

(٤) المعمرين ٦٣ .

قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين : عاش النمر بن تولب مائتى سنة ، وخرف وأُلقىَ على لسانه : انحروا للضيف ، أعطوا السائل،اصبَحوا الراكب[1] . أى اسقوه الصَّبوح .

قال ابن قتيبة فى ترجمته من كتاب الشعراء : وألقى بعض البطّالين على لسانه : نيكوا الراكب ، فكان يقولها . ومن شعره :

لاتغضبنّ على امرئٍ فى ماله وعلى كرائم صُلب مالك فاغضب
وإذا تُصبك خَصاصةٌ فارجُ الغنى وإلى الذى يعطى الرّغائبَ فارغبِ

باب التنازع

أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والأربعون :

٤٧ (فكنت كالساعى إلى مَثْعَبٍ مُوائلا من سَبَل الراعدِ[2])

على أنّ الكسائى وقع فى أشنع مما فرّ منه من حذف الفاعل مضمراً ، لئلا يلزم الإضمار قبل الذكر فى نحو : ضربانى وضربت الزيدين ، مع أنّ الإضمار قبل الذكر قد ورد ، وحذف الفاعل فى غير المسائل المحصورة لم يرد .

و (الساعى) من سعى الرجل فى مشيه وسَعَى إلى الصلاة : ذهب إليها على أى وجه كان . وأصل السعى التصرف فى كلّ عمل ، ومنه قوله تعالى : « وأنْ ليسَ للإنسان إلاّ ما سعى » . و (المثعب) بفتح الميم وسكون المثلثة وفتح العين المهملة قال فى الصحاح : هو واحد مثاعب الحياض . وانثعب الماء : جرى فى المثعب ، وثعبت الماء فى الحوض بالتخفيف : فجّرته . والثّعب

(١) ط : « أصبحوا » بالهمز ، تحريف .

(٢) هو من شواهد شرح الشافية أيضاً . انظر شرحها للبغدادى ص ١١١

بالتحريك : مسيل الماء فى الوادى . و (الموائل) اسم فاعل من واءلَ منه على وزن فاعَلَ أى طلب النجاة وهرب . والموئل : الملجأ ، وقد وأل يئل وألا وَوُءولا على فعول ، أى لجأ . و (السَّبَل) بالسين المهملة والباء الموحدة المفتوحتين ، هو المطر . و (الراعد) : سحاب ذو رعد ، ويقال رعدت السماء رعداً من باب قتل ، ورعوداً : لاح منها الرعد . كذا فى المصباح . يقول : أنا فى التجائى إليه كالهارب من السحاب ، ملتجئاً إلى الميزاب . ومثله قول الشاعر :

١٥٧

المستجيرُ بعمرو عند كُربته   كالمستجير من الرَّمضاء بالنارِ

صاحب الشاهد

والبيت لسعيد بن حسان[1] . وقبله :

(فررتُ من معنٍ وإفلاسه   إلى اليزيدىّ أبى واقدِ)

ومعن هو معن بن زائدة، الأمير الجواد ، المضروب مثلا فى الجود والكرم. وإنّما قال (وإفلاسه) لأنْ الإفلاس لازمٌ للكرام فى أكثر الأيام و (اليزيدى) هو أحد أولاد يزيد بن عبد الملك .

وقد أورد العتبى هذين البيتين فى تاريخ يمين الدولة محمود بن سُبُكْتُكين تمثيلاً ، ونسبهما إلى سَعيد بن حسان ، ونقلتهما منه ، لأنى لم أرهما إلاّ فيه ، ونقلت شرح بيته الأول من شرح التاريخ المذكور لأبى عبد الله محمود بن عمر النيسابورى الشهير بالنجاتى .

* * *

(١) فى هامش أصل الطبعة الاولى : « سعيد بن حسان لم يدرك معن بن زائدة . وقد نفى الشارح فيما سيأتى إدراك الفرزدق لمعن وسعيد ، وسعيد قبل الفرزدق » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون :

٤٨ (لا تَخلنا على غَرَاتك إنّا طالما قد وَشى بنا الأعداء[1])

على أن بعضهم جوّز فى السعة حذف أحد مفعولى باب علمت للقرينة ، مستدلاّ بهذا البيت ، أى لا تَخَلْنا أذلاّء ، الأولى هالكين أو جازعين . والقرينة البيت الذى بعده ، وهو :

(فبقِينا على الشَّناءة تَنمِ ينا جُدودٌ وعِزَّةٌ قَعساء)

أى فبقينا على بغض الأعداء لنا ، ولم يضرنا بغضهم . والشناءة بالفتح والمد : البغض . وتنمينا : ترفعنا ، يقال نماه كذا أى رفعه . والقعساء : الثابتة . والجدود : جمع جَدّ بالفتح ، وهو الحظّ والبخت . وخال يخال بمعنى ظن وحسب . وعلى بمعنى مع . والغَراة بالفتح والقصر اسم بمعنى الاغراء . ويقال أغريته به إغراء فأغرى به بالبناء للمفعول . وقد روى « على غرائك » أيضاً بالمد ، وهو مضاف لفاعله ، والمفعول محذوف أى الملك . وقال أبو زيد فى نوادره[2] : يقال أغريت فلاناً بصاحبه إغراء ، وآسدت بينهما إساداً ، إذا حملت كلّ واحد منهما على صاحبه حتى غَرِىَ به أى لزق به غَرًى شديداً ، مقصور . غُريت أنا بفلان فأنا أغرى به غَرًى ، إذا أولعت به من غير تحميل . وأنشد هذا البيت وإنّا بالكسر ، لأنّه استئناف بيانى . وطالما أى كثيراً مّا ، وهو فعل مكفوف عن الفاعل لاتصاله بما الكافّة ، وروى أيضاً : « قبلُ ما قد وشى » بضم اللام أى قَبلك ، وما زائدة . ووشى به عند السلطان وشياً : سعى به . وقبل هذا البيت :

---

(١) ط : « غرائك » ، وهى رواية الأنبارى فى السبع الطوال ٤٥٤ . وأثبت ما فى ـــ وهو ما يقتضيه تفسير البغدادى .

(٢) نوادر أبى زيد ١٩٨ .

(أيّها الناطقُ المرقِّشُ عنّا عند عمرو وهل لذاكَ بقاء)

والمرقِّش : المزين ، أراد الذى يزين القول بالباطل . يقول يا أيُّها الناطق عند الملك الذى يبلّغه عَنَّا ما يُريبه فى محبّتنا إياه ، ودخولِنا تحت طاعته ، هل لهذا التبليغ بقاء ! وهو استفهام إنكارى ؛ لأنّ الملك يبحث عنه فيعلم ذلك من الأكاذيب .

١٥٨ عمرو بن هند

وعمرو هو عمرو بن المنذر الأكبر بن ماء السماء ، ويقال له أيضاً عمرو بن هند ، ويلقب بالمحرّق لأنه حرّق بنى تميم فى النار ، وقيل بل حرّق نخل اليمامة . وهو من ملوك الحيرة .

الحارث ابن حلزة

وهذه الأبيات من المعلقة المشهورة لابن حِلِّزة ، وهو الحارث بن حلّزة من بنى يشكر بن بكر بن وائل ، وهو بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشددة وهو فى اللغة كما قال الصاغانى : اسم دُوَيْبَّة ، واسم البومة ، والذكرُ بدون هاء ويقال امرأة حلِّزة للقصيرة والبخيلة . والحلِّز : السَّيِّئُ الخلق ، انتهى . وقال قطرب : حُكى لنا أنّ الحلِّزة ضربٌ من النبات ، ولم نسمع فيه غير ذلك . قال أبو عبيدة : أجود الشعراء قصيدةً واحدةً جيدةً طويلةً ثلاثةُ نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلِّزة ، وطرَفة بن العبد . وزعم الأصمعىُّ أنّ الحارث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة . وكان من حديثه أنّ عمرو بن هند لما ملك الحيرة وكان جبّاراً ، جمع بكراً وتغلب فأصلح بينهم ، وأخذ من الحيَّين رُهُناً من كل حىّ مائة غلام ، ليكفَّ بعضهم عن بعض ، وكان أولئك الرُّهن يسيرون ويغزون مع الملك ، فأصابتهم سَموم فى بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون ، فقالت تغلب لبكر بن وائل : أعطونا ديات أبنائنا فإنّ ذلك لازمٌ لكم . فأبت بكر ، فاجتمعت

تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، فقال عمرو بن كلثوم لتغلب : بمن ترون بكراً تَعصِب أمرها اليوم ؟ قالوا : بمن عسى ، إلاّ برجل من بنى ثعلبة ؟ قال عمرو : أرى الأمر والله سينجلى عن أحمرَ أصلع أصمّ من بنى يشكر . فجاءت بكر بالنعمان بن هرِم ، أحد بنى ثعلبة بن غنم بن يشكر ، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم ، فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصمّ جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وقد يفخرون عليك . فقال النعمان : وعلَى من أظلَّت السماء يفخرون . قال عمرو بن كلثوم : والله إنى لولطمتك لطمةً ما أخذوا بها . قال : والله أن لو فعلتَ ما أفلتّ بها قِيسَ أيرأبيك ! فغضب عمرو بن هند ، وكان يؤثر بنى تغلب على بكر ، وجرى بينهما كلام ، فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همَّ بالنعمان ، فقام الحارث بن حلزة وارتجلَ هذه القصيدة ، وتوكَّأ على قوسه فزعموا أنه انتظم (بها) كفَّه[1] وهو لايشعر من الغضب .

وقال ابن السِّيد فى شرح أدب الكاتب[2] . كان متكئاً على عنزَة فارتزّت فى جسده وهو لا يشعر . والعنزة بفتح العين المهملة والنون : رمح صغير فيه زج ، أى حديدة . وكان عمرو بن هند شرِّيراً لاينظر إلى أحد به سوء ، وكان ابن حلزة إنما ينشده من وراء حجاب لبرصٍ كان به ، فلما أنشده هذه القصيدة أدناه حتّى جلس إليه .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : وكان ينشده من وراء سبعة ستور فأمر برفع الستور عنه استحساناً لها .

* * *

(١) ط : « أنه اقتظم كفه » ، صوابه فى ش .

(٢) الاقتضاب ص ٣٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٤٩ (ولو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفانى ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ
ولكنّما أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدرِك المجدَ المؤثَّل أمثالى)

على أنه ليس من التنازع . وقد بينه الشارح المحقق ، وأصلهُ من إيضاح ابن الحاجب .

وقد تكلم عليه ابنُ هشام أيضاً فى مغنى اللبيب ، فى (لو) وفى الأشياء التى تحتاج إلى رابط من الباب الرابع ، بتحقيقٍ لا مزيد عليه .

١٥٩ بقى أن ابن خلف نقل فى شرح أبيات الكتاب عن أبى عبد الله الحسن ابن موسى الدينوَرىّ أنه قال : والذى يقْوى فى نفسى وما سبقنى إليه أحد أنّ قوله ولم أطلب ، معناه ولم أسعَ ، وهو غير متعدّ فلذلك لم يحفِل به ولا أعملَ الأوّل . ولا أدرى كيف خفى على الأفاضل من أصحابنا ذلك حتى جعلوا البيت شاهداً لجواز إعمال الأوّل . انتهى .

وهذا ليس بشىء ؛ فإن الطلب معناه الفحص عن وجود الشىء ، عيناً كان ذلك الشىء أو معنًى . والسعى : السّير السريع دون العدْو ، ويستعمل للجِدّ فى الأمر ، وهنا غير معنى الطلب وقد يكون لازماً له ، واستعماله فى اللازم لا قرينةَ له ، مع أنّ الأول متعدّ والثانى لازم ، ولم أطلب[٢] مسند إلى ضمير المتكلم فكيف يرفع . و (ما) فى أنّ ما مصدرية لا موصولة ، لاحتياجها إلى العائد المقدر ، أى أسعى له .

---

(١) سيبويه ١ : ٤١ . وانظر العينى ٣ : ٣٥ وابن يعيش ١ : ٧٨ ، ٨٩ والهمع ٢ : ١١٠ والسيوطى ٢١٩ ، ٢٩٧ والإنصاف ٨٤ وديوان امرئ القيس ٣٩ .
(٢) فى النسختين : « ولم أسع » ، تحريف .

قال ابن خلف : المجد : الشرف ، وأصله الكثرة فكأنّ معناه كثرة الأفعال الجميلة التى توجب لصاحبها الشرف، وهو الارتفاع . انتهى .

ومثله فى عمدة الحفاظ قال : وأصل المجد من مَجَدت الإبل : حصلت فى مرعىً كثير واسع ، وقد أمجدها الراعى : جعلها فى ذلك . وتقول العرب : « فى كلّ شجرٍ نارٌ ، واستَمجدِ المرخ والعَفار » ، ويروى بصيغة الماضى ، والمرخ فاعله ، بمعنى استكثر النار ، وفى القاموس « المجد نيل الشرف والكرم ، أولا يكون إلا بالآباء وكرم الآباء خاصة » . والمؤثّل ، قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات: هو المجموع ، ومنه قول امرئ القيس . وقال ابن السكيت : المؤثّل : المستمرّ المثبت ، يقال قد تأثّل فلانٌ بأرض كذا وكذا ، أى ثبتَ فيها . وقال أبو عبيدة : مجد مؤثّل : قديم له أصل ، والتأثّل: اتخاذ أصل مال . والأثْلة بسكون المثلثة : الأصل . قال الأعشى:

* ألستَ منتهياً عن نحت أثْلتنا[1] *

وهذان البيتان من قصيدة لامرئ القيس مطلعها :

قصيدة الشاهد

(ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطّللُ البالى)

وقد شرحنا فى الشاهد الثالث من أولها إلى قوله :

نظرْتُ إليها والنجومُ كأنّها مصابيح رهبان تشبُّ لقفّالِ

عشرين بيتاً[2] وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خُفاف بن غُضَين البُرجى ، كما رأيته فى مختار أشعار القبائل لأبى تمام ، وفى المؤتلف والمختلف للآمدى :

(١) عجزه : * ولست ضائرها ما أطت الإبل *

(٢) انظر ما مضى فى ص ٦٠ — ٦٩ .

ولو أنّ ما أسعى لنفسيَ وحدها   لزادٍ يسير أو ثياب على جلدى
لأنتُ على نفسى وبَلّغَ حاجتى   من المال مالٌ دون بعض الذى عندى
ولكنّما أسعى لمجد مؤثل   وكان أبى نال المكارم عن جدّى

و (خُفاف) بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء الأولى . و (غُضَين) بضم الغين وفتح الضاد المعجمتين . وأنت بضم الهمزة، فهى ماض، من الأون وهو الدّعة والرفق والمشى الهين . وبعد هذين البيتين وهو آخر القصيدة :

(وما المرء مادامت حُشاشةُ نفسه   بمدركِ أطرافِ الخطوبِ ولا آلى)

أى ولا بمقصّر ، من ألا يألو بمعنى قصّر . وقبلهما بيتان ، وحكايتهما بين سيف الدولة والمتنبى مشهورة[1] ، وهما :

(كأنىَ لم أركب جواداً للذّة   ولم أتبطّن كاعباً ذاتَ خلخالِ   ١٦٠
ولم أسبأ الزقّ الروىّ ولم أقلْ   لخيليَ كُرّى كرّةً بعد إجفال)

أخذهما عبدُ يغوثَ الجاهلىُّ وأودعهما فى قصيدة قالها بعد أن أسر فى يوم الكُلاب الثانى ، ولم يرد عليه ما ورد على امرئ القيس ، وهما :

كأنىَ لم أركب جواداً ولم أقل   لخيليَ كرّى نفّسى عن رجاليا[2]
ولم أسبأ الزقّ الروىّ ولم أقل   لأيسارِ صِدقٍ عظّموا ضوء ناريا

امرؤ القيس

والأيسار : جمع ياسر ، وهو الجازر ، والذى يلى قسمة جزور الميسر .

ونسب (امرئ القيس) على ما فى المؤتلِف والمختلِف[3] : امرؤ القيس

(١) انظر المواهب الفتحية ١ : ١٠٧ . وهى فى شرح الواحدى لديوان الطيب ، ونقلها عنه العكبرى فى شرح قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم

(٢) انظر المفضليات ١٥٨ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص ٩ .

ابن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية ابن ثور بن مُرتِع بن معاوية بن ثور الأكبر — وهو كندة — بن عُفَير ابن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد ، الشاعر المقدم .

ونسبه لابن الأنبارى فى شرح المعلقات : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كِندة ابن ثور بن مُرتِع بن عُفير بن الحارث بن مرّة بن عدىّ بن أُدَد بن عمرو ابن هَمَيْسَع بن عَريب بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام .

و (مُرْتِع) بسكون الراء وكسر التاء[1] ، ذكره ابن ماكولا هو وابن الكلبى[2] وقال : سمّى بذلك لأنه كان يقال له أَرْتِعْنا فيقول : أرتعتكم أرض كذا . والتشديد ذكره أيضاً لغة ، انتهى . وقال الصّاغانى فى التكملة : إنّ مُرتعاً اسمه عمرو ، وذكر بقية نسبه ، وهو أُدَد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان .

قال ابن خلف : ويكنى امرؤ القيس أبا زيد ، وأبا وهب ، وأبا الحارث . وذكر بعض النحويين أن اسمه حُنْدُج ؛ وامرؤ القيس لقَب له لقّب به لجماله ، وذلك لأن الناس « قِيسوا » إليه فى زمانه فكان أفضلَهم . والحُندُج بضم الحاء المهملة والدال وسكون النون وآخره جيم ، وهو فى اللغة : الرَّملة الطيبة ،

(١) ضبط عند ابن الأنبارى بضم الميم وفتح الراء وتشديد التاء المكسورة لأنه قال : « وإنما سمى مرتعا لأنه كان من أتاه من قومه رتعه ، أى جعل له مرتعا لماشيته » . السبع الطوال ٤ .

(٢) ط : « ابن ماكولا وابن الكلبي » ، وكذا فى المؤتلف للآمدى ٩ .

وقيل: كثيب من الرّمل أصغر من النقا . ويقال لامرئ القيس (ذو القروح) أيضاً لقوله:

* وبدّلت قرحاً دامياً بعد صحّة(١) *

ويقال له (الملك الضِّلّيل) . وحُجر في الموضعين بضم الحاء المهملة وسكون الجيم ، والمُرار بضم الميم وتخفيف الراءين المهملتين : شجرٌ من أفضل العُشب وأضخمِه ، إذا أكلته الإبل قَلَصت مشافرُها فبدَت أسنانُها ، ولذلك قيل لجدّ امرئ القيس آكل المُرار ، لكثرةٍ كان به .

وهذه أحواله على وجه الإجمال . قال ابن قتيبة في ترجمته : « ولما ملك حُجر على بني أسد كان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سَرَواتهم فقتلهم بالعِصيّ — فسموا عَبيد العصا — وأسَرَ منهم طائفة فيهم عَبيد بن الأبرص ، فقام بين يدَي الملك وأنشده أبياتاً يرقّقه بها ، منها :

أنت المليكُ عليهمُ وهمُ العبيدُ إلى القيامهْ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامة تكهّن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسديّ فقال : يا عبادي ؛ قالوا: لبّيك ربَّنا ؛ فسجَع لهم على قتل حجر وحرَّضهم عليه ؛ فركبت بنو أسد كلَّ صعب وذلول ، فما أشرقَ لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائماً فذبحوه ، وشدُّوا على هجائنه فاستاقوها . وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً ، فطلبها زماناً فلم يصل إليها ، وكان يطلب منها مَوعداً ؛ حتى كان منها يوم الغَدير بدارة جُلجُل ما كان ، فقال :

١٦١

(١) عجزه في ديوانه ١٠٧ :

* فيالك من نعمى تحولن أبؤسا *

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فلما بلغ ذلك حُجْراً دعا مولًى له يقال له ربيعة فقال له : اقتل امرَأَ القيس وائتني بعينيه ، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه ، فندم حجر على ذلك ، فقال : أَبيتَ اللعنَ ، إني لم أقتله . قال : فائتني به : فانطلق ، فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبل ، وهو قوله :

فلا تُسلِمَنّي يا ربيعُ لهـذه ... وكنتُ أرانى قبلَها بك واثقا

فردَّه إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ، ثم إنه قال :

* ألا عِمْ صباحاً أيها الطللُ البالى *

فبلغ ذلك أباه فطرده . كذا قال ابن قتيبة .

وفيه أن امرأ القيس قال هذه القصيدة فى طريق الشام عند مسيره إلى قيصر بعد قتل أبيه ، ولعله شعرٌ آخر .

ثم قال ابن قتيبة : فبلغه مقتلُ أبيه وهو بدَمُّون ، فقال :

تطاولَ الليلُ علينا دمُّونْ ... دمّونُ إنّا معشر يمانُونَ

وإننا لأهلنا محبّون(١)

ثم قال « ضيّعني صغيراً ، وحمّلني دمَه كبيراً ، لا صحو اليومَ ولا سُكر غداً ، اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ » . ثم آلى : لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه . فلما كان الليل لاحَ له برق فقال :

أرقتُ لبرقٍ بليلٍ أهلّ ... يضيء سَناه بأعلى جبلْ(٢)

بقتل بنى أسدٍ ربَّهم ... ألا كلّ شيء سواه جَلَلْ

(١) ط : « لأهلها » ، صوابه فى سه والشعراء ٥٤ .

(٢) فى الشعراء : « الجبل » .

ثم استجاش بكر بن وائل فسار إليهم وقد لجئوا إلى كنانة فأوقع بهم ، ونجت بنو كاهل من بنى أسد ، فقال :

يالهفَ نفسى إذ خَطِئن كاهلا القاتلينَ الملكَ الُحلاحلا
تاللهِ لايذهبُ شيخى باطلا

وقد ذكر امرؤ القيس فى شعره أنه ظفر بهم ، فيأبَى عليه ذلك الشعراء . قال عَبيد :

يا ذا المخوِّفُنا بقتْـ ـلِ أبيه إذلالاً وحَينا
أزعمتَ أنّك قد قتلْـ ـتَ سَراتنا كذباً ومَينا

ولم يزل يسير فى العرب يطلب النصر حتى خرج إلى قيصر . . ونظرت إليه ابنةُ قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه ، وفطن الطَّماح بن قيس الأسدى لها — وكان حُجر قتل أباه — فوشَى به إلى الملك . فخرج امرؤ القيس متسرِّعاً ، فبعث قيصر فى طلبه رسولا ، فأدركه دون أنقِرة بيوم ، ومعه حلة مسمومة ، فلبسها فى يوم صائف فتناثر لحمه وتفطّر جسده . وكان يحمله جابر بن حُنَىّ التغلبى . فذلك قوله :

فإمّا ترينى فى رِحالة جابر على حَرَجٍ كالقَرّ تخفق أكفانى
فيارُبَّ مكروبٍ كررتُ وراءه وعانٍ فككتُ الغُلّ منه ففدّانى ١٦٢
إذا المرء لم يخزُنْ عليه لسانهُ فليس على شىء سواه بخزّان

وقال حين حضرته الوفاة :

وطعنةٍ مُسْحَنفِرَهْ وجفنةٍ مُثْعنجِرَهْ
تبقى غداً بأنقِرَهْ

قال ابن الـكلبي : هذا آخر شيء تـكلّم به ثم مات . وجابر بن حُنَىّ بضم المهملة وفتح النون والياء المشدّدة . والرِّحالة بالـكسر : قيل السرج ، وقيل السَّرج من جلودٍ لاخشب فيه يتخذ للركض الشديد . والحَرَج : الضيِّق . والقَرُّ بفتح القاف : مركَبٌ للرجال كالهَودج . والمُسْحنفِر : الواسع . والمُثْعَنجِر : السائل المنسكب .

ثم قال ابن قتيبة : قال أبو عبد الله الجُمَحى (١) : كان امرؤ القيس ممن يتعهّر فى شعره ، وذلك قوله :

* فمثلكِ حبلى قد طَرَقتُ ومُرضِعٍ (٢) *

وقال :

* سَمَوتُ إليها بعد ما نام أهلُها (٣) *

وقد سَبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء : من استيقافه صَحبَه فى الديار ، ودقّةِ التشبيه (٤) ، وقرب المأخذ . ويستجاد من تشبيهه قوله :

كأنّ عيونَ الوَحش حولَ خبائنا ... وأرحُلِنا الجَزْعُ الذى لم يُثقَّبِ

ومما عيب عليه قوله :

إذا ما الثريّا فى السماء تعرّضت ... تعرُّضَ أثناءِ الوشاح المفصَّلِ

قالوا : الثريّا لا تعرُّضَ لها ؛ وإنما أُراهُ أراد الجوزاء فذكر الثريّا

---

(١) ابن سلام ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) تمامه : * فألهيتها عن ذى تمائم محول *

(٣) عجزه : * سمو حباب الماء حالا على حال *

(٤) ط : « ورقة النسيب » .

على الغلط ، كما قال الآخر[١] : « كأحمر عاد » وإنما هو كأحمر ثمود » وهو عاقر الناقة .

وأقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلُّوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، إذْ أقبل راكب على بعير ، وأنشد بعضُ القوم :

ولمّا رأتْ أنّ الشريعةَ همُّها وأن البياضَ من فَرائصها دامى
تيمّمَتِ العَينَ التى عند ضارجٍ يفىء عليها الظلُّ عِرمضُها طامى

فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس ؛ فقال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم — وأشار إليه — فمشوا على الركب فإذا ماء غَدَقٌ ، وإذا عليه العِرمض والظلّ يفىء عليه ، فشربوا وحملوا ، ولولا ذلك لهلكوا » . انتهى كلام ابن قتيبة .

(تتمة)

من اسمه امرؤ القيس

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف عشرة من الشعراء ممن اسمهم امرؤ القيس واحدٌ منهم صحابى ، وهو امرؤ القيس بن عابِس الكندى[٢] . وزاد صاحب القاموس على ما قال الآمدى اثنين وهما صحابيان : أحدهما امرؤ القيس بن الأصبَغ الكلبى ، وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطَّمّاح

* * *

(١) هو زهير فى معلقته . والبيت بتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقد نقل التبريزى فى شرح المعلقات عن المبرد أن هذا ليس بغلط ، لأن ثمود يقال لها عاد الأخيرة ، ويقال لقوم هود : عاد الأولى .

(٢) فى النسختين : «عانس» ، صوابه فى المؤتلف ٩ والإصابة ١ : ٦٤ والقاموس (قيس) والشعراء ٣١٠ ، ٥٦٣

مفعول ما لم يسم فاعله

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون :

١٦٣ ٥٠ (نُبِّئْتُ عمراً غيرَ شاكرِ نِعمتى)

على أن (أعلَمَ) وأخواتها ، مما يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل ، إذا بنيت للمفعول لا ينوب عن الفاعل إلاّ المفعول الأوّل كما فى هذا البيت ، فإنّ ضمير المتكلم كان فى الأصل مفعولاً أوّلا ، والتقدير نبأنى فلان ، فلما بنى فعله للمفعول ناب عن الفاعل . وقد بيّنه الشارح المحقّق . و (عمراً) هو المفعول الثانى ، و (غير) المفعول الثالث ، وأصلهما المبتدأ والخبر .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(والكُفرُ مَخبثةٌ لنفس المنعِمِ)

وهذا البيت من معلقة عنترة بن شدّاد العَبسىّ . والكفر هنا : الجحد ، يقال: كفر النعمة وبالنعمة ، إذا جحدها . ومخبثَة بفتح الميم،من الخُبث، يقال : خبُث الشىء خبثا من باب قرب : خلاف طاب ، والاسم الخباثة ، ومَفعَلة صيغةُ سببِ الفعل والحاملِ عليه والداعى إليه ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « الولَد مَجبنة مَبخلة » أى سببٌ يجعلُ والدَه جبانا : لم يشهد الحروب ليربّيه ، ويجعله بخيلا : يجمع المال ويتركه لولده من بعده . ومثله كثير فى العربيّة . ولم يتكلم علماء التصريف على هذه الصيغة ، قال الخطيب التبريزى فى شرح المعلّقة « يقال طعامٌ مَطيَبةٌ للنفس ومَخبثة لها ، وشراب مَبولة » انتهى . يقول : من أنعمتْ عليه نعمةٌ فلم ينشرُها ولم يشكرها فإن ذلك سببٌ لتغيّر نفس المنعِم من الإنعام على كلّ أحد . وليس المعنى : يتغير نفس المنم على ذلك الجاحد ، كما قال شراح المعلقة ، فإنه تقصير .

وهذا المصراع من باب إرسال المثل . ولما كان هذا البيت تامّا فى نفسه لم نضف إليه شيئا من هذه القصيدة .

وترجمة عنترة قد تقدمت مع أبيات من هذه المعلقة فى الشاهد الثانى عشر[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون[2] :

٥١ (ولَوْ وَلَدتْ قُفَيرةُ جَرْوَ كَلْبٍ   لَسُبَّ بذلك الجرْوِ الـكِلابا)

على أن الـكوفيين وبعض المتأخرين أجازوا نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح .

قال ابن جنّى فى الخصائص : « هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يُعتَدّ به أصلا ، بل لا يُثبَت إلاّ محتَرَاً شاذًّا » .

و « بعض المتأخرين » هو على بن سليمان الأخفش تلميذ المبرّد .

و (قُفَيرة) بتقديم القاف على الفاء وبالراء المهملة مصغّرا . اسم أم الفرزدق. وروى (فُـكَيهة) أيضا على وزنه ، وهو تحريف . و (الجرو) مثلث الجيم : ولد السباع ، ومنها الـكلب .

ذمّ الشاعر قُفيرة بأنها لو ولدت جرواً لسُبَّتْ جميعُ الـكلاب بسبب

(١) ص ١١٨ .

(١) انظر ابن يعيش ٧ : ٧٥ والخصائص ١ : ٣٩٧ والهمع ١ : ١٦٢ وابن الشجرى ٢ : ٢١٥ . ولم يرد البيت فى ديوانه ولا فى النقائض .

ذلك الجروِ ، لسوء خَلقه وخلْقه . وقال القالى[١] فى شرح اللباب[٢] « وقيل : الكلاب ليست مفعولَهُ ، بل مفعول ولدت . وجرو نصب على النداء ، أو على الذم . وقيل الكلاب نصب على الذمّ ، وجُمع لأن قُفيرة وجَروا وكلبا ثلاثة » . انتهى .

وهذا التخريج نقله ابن الحاجب فى أماليه عن أبى جعفر النحاس فى كتابه الكافى فى النحو عن أبى إسحاق الزّجاج وقال : « معنى قوله لَسُبَّ : لحصل السبّ بسبب ذلك الجرو » . وهذا مستقيم .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق ، مطلعها :

١٦٤ (أقلِّى اللومَ عاذلَ والعِتابا وقولى إن أصبتُ لقد أصابا)

وتقدم شرحه مع ترجمة جرير فى الشاهد الرابع[٣] .

وقَبل البيت الشاهد :

(وهل أمٌّ تكون أشدَّ رَعياً وصَرًّا من قُفَيرة واحتِلابا)

وقد نقض هذه القصيدةَ عليه الفرزدقُ بقصيدةٍ ، وكلتاهما مسطورة فى النقائض .

* * *

(١) فى النسختين : « التالى » ، وإنما هذا بالقاف ، وهو محمد بن سعيد السيرافى . ذكره السيوطى فى البغية ٤٦ وقال : « المعروف بالقالى ، بالقاف ، صاحب شرح اللباب ولم أقف له على ترجمة » . ومن هذا الشرح نسخة كتبت سنة ٧٧٥ بجيدرآباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند ، كما ذكر الميمنى .

(٢) اللباب فى النحو لتاج الدين محمد بن أحمد بن السيف ، المعروف بالفاضل الاسفراييني ، كما فى كشف الظنون .

(٣) ص ٦٩ — ٧٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون ، وهو من شواهد س[1] :

٥٢ (أمرتُكَ الخيرَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(أمرتُكَ الخيرَ فافعَلْ ماأُمرتَ به فقدْ تركتُكَ ذامالٍ وذا نَشَبِ)

على أن الجُزولىّ منع نيابة المنصوب بسقوط الجار ، مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار ، وأصله أمرتك بالخير ؛ لأنّ أمر يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد ، وهو الكاف هنا ، وبحرف الجر إلى آخَرَ ، فالخبر منصوب بنزع الباء بدليل (ماأُمرتَ به) . قال الأعلَم : « وسوّغ الحذف والنصب : أن الخير اسم فعل يَحْسُنُ أنْ وما عملت فيه فى موضعه ، و (أنْ) يحذف معها حرف الجر كثيرا ، تقول أمرتك أن تفعل ، تريد : بأن تفعل ، فإذا وقع موقعَ أن اسمُ فعلٍ شبّه بها فحسن الحذف . فإن قلت أمرتك بزيد لم يجُز أن تقول أمرتك زيدا » . انتهى .

ونقل ابن هشام اللخمى هذا الكلام فى شرح أبيات الجمل ، إلاّ أنه قال : « الخير مصدر » . وهذا ليس بجيّد . قال المرزوقى فى شرح الفصيح ، عند قول الشاعر :

ومن يَلْقَ خيرا يَحمَدِ الناسُ أمْرَه ومن يَغوِ لا يَعدَمْ على الغَىِّ لائما

« يجوز أن يكون جعل (الخير) كناية عن كل مايُحمد من إصابة الحق وتعاطى العدل واتّباع الرشد ، ويكون (ومن يغوِ) على الضدّ منه ، ويجوز أن يكون الخير كناية عن الغنى خاصة ، والغىّ كناية عن الفقر . وقد علم أن

(١) سيبويه ١ : ١٧ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢/٣٦٥ : ٢٤٠ وابن يعيش ٢ : ٤٤ / ٨ : ٥٠ والهمع ٢ : ٧٢ والسيوطى ٢٤٧ .

الغنى محمود والفقر مذموم ، والعرب تسمى كلّ مرتضى عندهم خيراً وحقّاً ، وصوابا وحسنا ، وكلّ مذموم عندهم شرًّا وخطأً ، وسيئة وجهلا وغيًّا» .انتهى.

وقد أورد القاضى هذا البيت عند قوله تعالى : « فافعلوا ما تُؤْمَرُون » على أنه بتقدير تؤمرون به كما فى البيت . ولا يخفى ركاكة قول شارح شواهده الموصلى : « إن الأمر لا يستعمل إلاّ بالباء ، وقد شاع حذفه فى هذا الفعل ، وكثر استعماله أمرته كذا ، حتى لحقت بالأفعال المتعدية إلى مفعولين » . هذا كلامه .

روى أبو علىّ الهَجَرىُّ فى نوادره[1] : (أمرتك الرشد) بدل الخير ، وهو الصَّلاح وإصابة الصواب ، وفعله من بابى تعب وقتل . و (أُمرتَ) بالبناء للمفعول ، وضمير (به) لما الموصولة أو الموصوفة . والفاء الأولى جواب شرط مقدّر ، أى إن تمتثل فافعل . وقال اللخمى : جوابٌ لما فى الجملة من من معنى الأمر ، والفاء الثانية جواب الأمر . وقال أيضاً « ذا : حالٌ من الكاف فى تركتك ، والعاملُ فيه ترك ، وهو بمعنى صاحِب ، وهو عند ابن دَرستويهِ مفعول ثان لتركت لأنها تتعدى إلى مفعولين والثانى هو الأول . وهذا وهم لأن تركت فى معنى خلّيت ، وخليت لا يجئ معها إلا الحال ، فكذلك لا يجىء مع تركت إلاّ الحال » . انتهى.

١٦٥ والصواب أن ترك يتضمن معنى جعل فيتعدى تَعديته ، وهذا مستفيض لا يخفى على مثله .

وقال ابن خلف : « وتركتك : إن كان بمعنى صيّرتك كان ذا مال مفعولا

(١) لم يذكر البغدادى هذه النوادر فى مراجعه ، ولم يذكرها إلا فى هذا الباب وباب المفعول فيه . ومن نوادر الهجرى نسخة فى دار الكتب باسم « التعليقات والنوادر » برقم ٢٤٢ لغة . واسم الهجرى هارون بن زكريا .

ثانياً ، كما تقول : تركت زيداً فقيهَ البلد : إذا كنت أنت الذى فقّهته وعلّمته ، ومنه قوله سبحانه : « تَرَكناها آية »[1] أى جعلناها وصيّرناها . وإن كانت بمعنى خلّفتك كان ذا مال حالا ، كما تقول : تركت زيداً وهو فقيه البلد » . انتهى .

و (قد) للتحقيق ، وقال اللخمىّ : يجوز أن تكون للتوقّع أيضاً . و(المال) قال اللخمىّ : فى شرح فصيح ثعلب : هو عند العرب الإبل والبقر والغنم ، ولا يقال للذهب والفضة مال ، وإنما يقال لهما : ناضّ ، وأقلّه ماتجب فيه الزكاة ، وما نقص عن ذلك فليس بمال . وحكى أبو عُمَر صاحب الياقوتة : المال : الصامت والناطق ، فالصامت : الدنانير والدراهم والجواهر ، والناطق : البعير والبقرة والشاة ، قال : ومنه قولهم : مالَه صامتٌ ولا ناطق . ومنهم من أوقع المال على جميع مايملكه الإنسان . وهو الصحيح . انتهى . ويشهد للقول الأخير قوله تعالى : « وَلا تُؤْتُوا السُّفهاء أموالَكم » وهذا لايخصّ شيئاً دون شىء .

و (النشب) بالشين المعجمة ، قيل : بمعنى جميع مايملك بمعنى المال ، وقيل : المال الأصيل الثابت بمعنى العَقار كالدُّور والضِّياع ، مأخوذ من نشب الشىء : إذا ثبت فى موضع لزومه . فعلى الأوّل يكون من عطف المترادفين للتوكيد ، وعلى الثانى يكون من عطف الخاصّ على العام . وإن فسِّر المال بغير القول الأخير كان من عطف المتقابلين . وقال الأعلم : « قد قيل : إنّ النشب هنا جميع المال ، فيكون عطفه على الأول مبالغة وتوكيداً ، وسوّغ ذلك اختلاف اللفظين » . وهذا كلامه فتأمله ! وهذه رواية سيبويه وخدَمة كتابه[2] ، ورواه الهجرى فى نوادره : (ذا نسب) بالسين المهملة . قال اللخمى وأبو الوليد

(١) من الآية ١٥ فى سورة القمر .

(٢) ط : « خدمة كلامه » .

الوَقَّشيّ فيما كتبه على كامل المبرد : هذا هو الصحيح ، لأنه لامعنى لإعادة ذكر المال ، وإنما يقول : تركتك غنياً حسيباً . يخاطب ابنه . وقد نسب السيوطي في شرح أبيات المغني هذا الكلام لابن السِّيد البَطَلْيَوْسيّ فيما كتبه على الكامل . وهذا لا أصل له ، فإنه لم يكتب عليه هنا شيئاً ، وإنما كتب ما يقارب هذا في أبيات الجمل .

صاحب الشاهد وقد ورد هذا البيت في شعرين : أحدهما في شعر أعشى طَرُود ، والثاني في شعرٍ اختلف في قائله . أما الأول فقد نقله الآمدي في المؤتلف والمختلف وأبو محمد الأعرابي في فُرحة الأديب ، وهو :

(يادارَ أسماء بين السَّفح فالرُّحَبِ أقوَتْ وعفّى عليها ذاهبُ الحُقُبِ[1]

فما تبيّنُ منها غيرَ منتضد وراسياتٍ ثلاثٍ حولَ منتصب

وعرَصة الدار تستنُّ الرياحُ بها تحنّ فيها حنينَ الوُلَّهِ السُّلُب

دارٌ لأسماء ، إذْ قلبي بها كلِفٌ وإذ أقرِّب منها غيرَ مقترِب

إنّ الحبيبَ الذي أمسيتُ أهجرُهُ من غير مَقليَةٍ مني ولا غضب

أصدّ عنه ارتقاباً أنْ أُلمّ به ومَنْ يخفْ قالةَ الواشينَ يرتقب

إني حَويت على الأقوام مَكرُمةً قِدماً ، وحذّرني ما يتقون أبي

وقال لي ، قول ذي علمٍ وتجربة بسالفاتِ أمورِ الدهر والحِقَب :

١٦٦ أمرتك الرشد فافعل ما أمرت به . . (البيت) . انتهى

وقال اللخميّ : من قال إنّ البيت لأعشى طَرُود قال بعده :

(لا تبخلنّ بمال عَنْ مذاهبه في غير زَلّة إسراف ولا تَغَب

فإن وُرّاثه لن يحمدوكَ به إذا أجَنّوك بين اللِّبْنِ والخشب

(١) الحقب ، بضمتين وبكسر ففتح .

وقد أورد الهجرىّ أيضاً فى نوادرهِ هذين البيتين بعد البيت الشاهد ، وأما الثانى فهو هذا :

« فقال لى ، قولَ ذى رأىٍ ومقدرة ... مجرّبٍ عاقلٍ نَزْهٍ عن الرِّيَبِ :

قد نلتَ مجداً ، فحاذرْ أن تدنّسه : ... أبٌ كريمٌ وجَدٌّ غيرُ مؤتشب

أمرتكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمرتَ به ... فقد تركتك ذا مال وذا نَشَب

واتْرُكْ خلائقَ قوم لا خَلاقَ لهمُ ... واعمدْ لأخلاقِ أهلِ الفضلِ والأدب

وإنْ دُعيتَ لغدرٍ أو أُمرتَ به ... فاهرُبْ بنفسكَ عنه آبِدَ الهرب »(١)

وهذا الشعر قد نسب إلى عمرو بن معد يكرب ، وللعبّاس بن مرداس ، ولزُرعة بن السائب ، ولخُفَاف بن نَدبة .

قال اللخمى : من نسب البيتَ لأحد الثلاثة الأوَل قال قبلَه :

فقالَ لى قولَ ذى رأى ومقدرة . . (البيت)

ونَسبَ قولَه : فاترك خلائق قوم لا خَلَاقَ لهم

وقوله : قد نلتَ مَجداً فحاذرْ أن تدنّسه

البيتين ، إلى أعشى طَرود لا غير ، وقال : هما بعد البيت الشاهد . وقد نسبَ البيت ، فى كتاب سيبويه ، لعمرو بن معد يكرب . والله أعلم .

أعشى طرود

وأعشى (طَرود) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : « لم يُذكر اسمه ولا عُرف نسبُه إلى القبيل . وبنو طَرود ، من(٢) فَهْم بن عمرو بن قيس ابن عَيْلان ، وهم حلفاء بنى سُلَيم ثم فى بنى خُفاف . انتهى .

ونقل الصاغانى فى العباب هذا الكلام ولم يزد عليه .

---

(١) كذا فى ط . وفى ش مع أثر إصلاح : « أبة الهرب » .

(٢) ط : « منهم » صوابه فى المؤتلف ١٧ وفى ش مع أثر إصلاح .

وقال أبو الوليد الوقشىّ نقلاً عن نوادر الهجرىّ ، واللخمى نقلا عن أبى مروان عبد الملك بن ميراج : إن أعشى طَرود اسمه إياس بن موسى ، بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية ؛ ولم يزيدا على هذا .

قال المرزُبانىّ : حضَر هوذة بن الحارث ، المعروف بابن حملة[1] ، فى أيام عمر ، العطاء فدعا قبله إياس بن موسى هذا ، فقال هوذة[2] :

لقد دار هذا الأمرُ فى غير أهله فأبصِرْ ، أمينَ الله ، كيف تذودُ

أيُدْعىْ جُشَيمٌ والشُّويدُ أمامَنا ويُدعىْ إياس قبلنا وطَرود[3] !

فإن كان هذا فى الكتابِ فهُمْ إذنْ ملوكٌ سوى حرب ونحن عَبيد[4]

انتهى . وفُهم من هذا أن أعشى طَرود إسلامىّ ، لكن لم يعلم ما هو : صحابىّ أم تابعىّ[5] ؟ والله أعلم .

وقوله : يادار أسماء بين السفح الخ ، قال ياقوت فى معجم البلدان « السَّفح بلفظِ سفح الجبل ، وهو أسفله حيث يسفح فيه الماء . وهو موضع كانت به وقعة بين بكر بن وائل وتميم » . ولم يذكر أبو عبيد[6] هذه الكلمة فى المعجم . والرُّحب بضم الراء وفتح الحاء المهملتين : موضع ، ولم يذكرها أبو عُبيدٍ ولا ياقوت . وأقوتْ : خلت من الأنيس ، كأنه ذهب قوتها . وعفّى عليها ، بالتشديد كعفَاها : أى طمسها ومحا علاماتها . والحقب بضمتين : الدهر ، وبكسر ففتح : جمع حِقبة ، وهى السَنة ؛ أى طمسها الدهرُ الذاهب ، والسنون الماضية . وتبيّن : ظهر . والمنتضد : الحجارة المصفوفة بعضها فوق بعض .

١٦٧

(١) كذا فى النسختين ، وفى الإصابة ٩٠١٢ نقلا عن المرزبانى : « بابن الحامة » .
(٢) فى الإصابة : « أيدعى خثيم والشريد » .
(٣) فى الإصابة : « ملوك بنو حر » .
(٤) الميمنى : « ذكره الطبرى وابن شاهين فى الصحابة » .
(٥) أبو عبيد البكرى . وفى ط : « أبو عبيدة » صوابه فى سه مع أثر تصحيح .

وأراد بقوله : راسيات ثلاث : حجارةَ القدرِ الثلاثة ؛ وهو معطوف على منتضد ، وكذلك عَرصة . واستنّت الرياحُ : هبّت عليها من هنا ومن هنا . والوُلّه : جمع الواله : المرأة التي فقدت ولدها . والسُّلُب بضمتين : اللابسة الثياب السود . وتحنّ : من الحنين بمعنى الأنين . وقوله : وإذ أقرّب منها . . الخ . أى أمنّى نفسى منها ما لا يكون . والمقليَة بتخفيف الياء : مصدر بمعنى القلى ، وهو البغض والكراهية . والارتقاب : الانتظار . وأن أُلَمّ : أى لأن أُنزل وأُحلّ به . والتَّغَب : بمثناة فوقية فغين معجمة ، قال اللخمىّ : هو جمع تَغْبة وهى السقطة ، وما يعاب به ابنُه . والتغب أيضاً : الهلاك ، وقال فى الصحاح : « تغب بالكسر تَغَباً : هلك » . ونَزْه بفتح النون وسكون الزاى : البعيد ؛ سكّن الزاىَ ، وهى مكسورة للضرورة . والمؤتشب : المختلط يقال : أشْبت القومَ ، إذا خلطتَ بعضهم ببعض .

المبتدأ والخبر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون[١] :

٥٣ (غَيرُ مأسوفٍ علىٰ زَمَنٍ يَنْقَضِى بالهَمِّ والحَزَنِ)

أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان ، مُجرى (ما) قائم الزيدان ، لكونه بمعناه .

وتخريج البيت على هذا أحد أقوال ثلاثة هو أحسنها ؛ وإليه ذهب ملك النحاة الحسن بن أبى نزار[٢] ، وابن الشجرىّ أيضا فى أماليه .

---

(١) انظر العينى ١ : ٥١٣ والهمع ١ : ٩٤ وابن الشجرى ١ : ٣٢ .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو أبو نزار الحسن بن أبى الحسن صافى بن عبد الله بن نزار ، صاحب المسائل العشر المتعبات إلى الحشر . ولد سنة ٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . معجم الأدباء ٨ : ١٢٢ وإنباه الرواة ١ : ٣٠٥ والبغية ٢٢٠ .

و (مأسوف) اسم مفعول من الأسف وهو أشد الحزن ، وباب فعله فرح .
و (على زمن) متعلق به على أنه نائب الفاعل . وجملة ينقضى صفة لزمن .
و (بالهمّ) حال من ضميره ، أى مَشوبا بالهمّ .

فلما كانت (غير) للمخالَفة فى الوصف وجرت لذلك مُجرى حرف النفى ، وأضيفت إلى اسم المفعول المسند إلى الجار والمجرور — والمتضايفان بمنزلة الاسم الواحد — سدّ ذلك مسدّ الجملة ؛ كأنه قيل : ما يؤسف على زمن هذه صفته .

قال أبو حيان فى تذكرته : ولم أر لهذا البيت نظيرا فى الإعراب إلاّ بيتاً فى قصيدة المتنبى يمدح بها بدر بن عمّار الطَّبَرستانىّ يقول فيها :

ليس بالمنكَرِ أن برّزت سَبقا غيرُ مدفوع عن السَّبق العِرابُ

فالعراب مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ لأنه يصير التقدير : العراب غير مدفوع عن السبق ؛ والعراب جمعٌ فلا أقلّ من أن يقول غير مدفوعة ، لأن خبر المبتدإ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره .

والقول (الثانى) لابن جنى ، وتبعه ابن الحاجب ، وهو : أن (غير) خبر مقدّم ، والأصل : زمن ينقضى بالهمّ والحزن غير مأسوف عليه ، ثم قدمت عليه وما بعدها ، ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور ، فأتى بالاسم الظاهر مكانه وحذف الموصوف ، بدون شرطه المعروف ، ضرورة .

و (الثالث) وهو لابن الخشاب : أن غير خبر لأنا محذوفا ، ومأسوف : مصدر كالمعسور والميسور أريد به اسم الفاعل ؛ والتقدير : أنا غير آسف على زمن هذه صفته .

١٦٨

صاحب الشاهد

وهذا البيت لأبى نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده

الشارح مثالا للمسألة ، ولهذا لم يقل كقوله . وبعده بيت ثان وهو :

(إنّما يرجو الحياةَ فتًى عاشَ فى أمنٍ من المِحَن)

أبو نواس

و (أبو نواس) هو أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأوّل بن الصباح الحكَمى ، بفتح الحاء والكاف ، نسبة إلى الحكم بن سَعدِ العشيرة ، وهى قبيلة كبيرة منها الجرّاح بن عبد الله الحكمى أمير خراسان ، وكان جدّ أبى نواس من مواليه . وإنّما قيل له : أبو نواس ، لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقه .

والذؤابة بهمزة بعد الذال المضمومة : الضفيرة من الشعر إذا كانت غير ملوّية ، فإن كانت ملوّية فهى عَقيصة ؛ والذؤابة أيضاً : طرف العمامة . وناسَ ينوس ، إذا تدلّى وتحرك . والعاتق : مابين المنكِب والعنق ، وهو موضع الرداء .

وقيل : إن خلفا الأحمر كان له وَلاء فى اليمن ، وكان أميلَ الناس إلى أبى نواس فقال له يوما : أنت من اليمن فتكنَّ باسم ملكٍ من ملوكهم الأذواء ! فاختار ذا نواس فكناه أبا نُواس ، بحذف صدره ، وغلبت عليه .

ومولده بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل ست وثلاثين ومائة . ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، وقيل سنة ست وقيل سنة ثمان .

ونشأ بالبصرة ثم خرج إلى الكوفة . وقيل بل ولد بالأهواز ، وقيل بكُورة من كُوَر خُوزِستان سنة إحدى وأربعين ومائة . ونقل منها وعمره سنتان إلى البصرة . وأمّه أهوازية اسمها جُلَّبان . وكان [أبوه] من أهل دمشق من جند مَرْوان الحِمار ، انتقل إلى الأهواز للرِّباط فتزوّجها .

وقدم أبو نواس بغداد مع والبة بن الحُباب الشاعر ، وبه تخرّج . وعرض القرآن على يعقوب الحضرمىّ . وأخذ اللغة عن أبى زيد الأنصارىّ وأبى عبيدة ، ومدح الخلفاء والوزراء . وكان فى الشعر من الطبقة الأولى من المولّدين .

قال أبو عبيدة : أبو نواس للمُحدثين مثل امرئ القيس للمتقدّمين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في الكل ؛ وما زال العلماء والأشراف يروُون شعره ويتفكّهون به ، ويفضلّونه على أشعار القدماء .

وقال أبو عمرو الشيباني : لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقذار — يعني الخمور — لاحتججنا به ؛ لأنه كان محكَم القول لا يخطئ .

وديوان شعره مختلِف لاختلاف جامعيه ، فإنه اعتنى بجمعه جماعة : منهم أبو بكر الصُّولي ، وهو صغير . ومنهم عليّ بن حمزة الأصبهاني ، وهو كبير جداً . وكلاهما عندي ، ولله الحمد على نعمه . ومنهم إبراهيم بن أحمد الطبري المعروف بتوزون[1] ولم أره إلى الآن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون[2] :

٥٤ (عَلَى مثلِها مِنْ أَرْبعٍ ومَلاعِبٍ تُذالُ مَصُونَاتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ)

على أنه لما أنشد المصراع الأول عارضه شخص فقال : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فانخزل منه وترك الإنشاد ، لأن تقديم الخبر في مثله يوهم الدعاء باللعنة . وسمى ابن أبي الإصبع هذا النوعَ في تحرير التحبير التوليدَ

١٦٩ وقال : التوليد على ضربين : من الألفاظ ، ومن المعاني : فالذي من الألفاظ هو أن يزوّج المتكلم كلمةً من لفظِه إلى كلمة من غيره فيتولّد بينهما كلام

(١) ط : «بتورون» بالراء المهملة ، صوابه في سوابن خلكان وبغية الوعاة وكشف الظنون . قالوا إنه أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وبرع فيه ، وإنه كان صحيح النقل جيد الخط والضبط ، ولم يصنف شيئاً غير جمعه شعر أبي نواس . وكان يسكن بغداد ، وتوفي سنة ٣٥٥ . وجعله البغدادي في التاريخ ٦ : ١٧ « تيزون » .

(٢) ديوان أبي تمام ص ٤٠ وتحرير التحبير ٤٩٥ .

يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية ، وذلك فى الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ، ومثاله ما حكى أن مُصعَب بن الزبير وَسَم خيله بلفظة « عُدّة » فلما قتل وصارت إلى العراق رآها الحَجَّاج فوسم بَعد لفظة عُدَّة لفظة « الفِرار[1] » فتولّد بين اللفظتين غيرُ ما أراده مصعب . ومن توليد الألفاظ توليدُ المعنى من تزويج الجمل المفيدة ، ومن لطيف التوليد قول بعض العجم :

كأنّ عِذارَه فى الخدّ لامٌ ومَبسِمَه الشهىّ الطعمِ صادُ
وطُرّةَ شَعرِه ليلٌ بهيمٌ فلا عجَبٌ إذا سُرِق الرقادُ

فإنّ هذا الشاعر ولّد من تشبيه العِذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة «لص»،وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر « سرقة النوم » ، فجعل فى هذا البيت توليدا وإدماجا . وهذا من أغرب ما سمعتُ .

ومثاله ما حكى أن أبا تمّام أنشد أبا دُلَف :

* على مثلها من أربع وملاعب *

فقال بعض من أراد نُكتةً[2] : « لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، فولّد من الكلامين كلاماً ينافى غرض أبى تمام من وجهين : أحدهما خروج الكلام عن التشبيب إلى الهجاء بسبب ما انضمّ إليه من الدعاء . والثانى خروج الكلام عن أن يكون بيتاً من شعر إلى أن صار قطعة من نثر . ومن هذا الضرب قول الشاعر :

---

(١) سه : « الفرار » بالغين المعجمة وتشديد الراء ، تحريف صوابه فى ط وتحرير التحبير .

(٢) كتب إزاءها فى سه : « نكايته » وفى ط ، سه : « نكته » ، وأثبت ما فى تحرير التحبير .

ألومُ زِياداً فى ركاكةِ عقله   وفى قوله « أىُّ الرجالِ المهذّبُ »[١]

وهل يُحسنُ التهذيبُ منكَ خلائقاً   أرقّ من الماء الزُّلال وأطيبُ !

تَكلّمَ والنعمان شمسُ سمائه   وكلُّ مَليك عند نُعمان كوكبُ

« ولو أبصرتْ عيناه شخصكَ مَرّةً   لأبصرَ منه شمسَه وهى غيهبُ »

فإن هذا الشاعر زوّج مدح ممدوحه بتهذيب الأخلاق إلى قول النابغة : « أىّ الرجال المهذب » ، فتولّد بين الكلامين ما ينافى غرض النابغة ، حيث أخرج الشاعر كلامه مُخرج المنكِر على النابغة ذلك الاستفهام ؛ وأوضح مناقضته للنابغة ببيته الثانى وهو قوله : « وهل يحسن التهذيب . . البيت » .

وزوّج قوله فى عجز البيت الثالث : « وكلّ مليك عند نُعمان كوكب » إلى قول النابغة : « بأنك شمسٌ والملوكُ كواكبُ » بدليل قول الشاعر عن النابغة[٢] : « تكلّم والنعمان شمس سمائه .. البيت » فتولّد بين الكلامين قوله :

« ولو أبصرت عيناه شخصك مَرّة   لأبصر منه شمسَه وهى غيهبُ »

وأما الضرب (الثانى) وهو ما تولّد من المعانى ، كقول القطامى :

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجته   وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

فقال مَنْ بَعده[٣] :

عليك بالقصدِ فيما أنت فاعلُه   إن التخلّقَ يأتى دونه الخُلُقُ

---

(١) زياد ، هو النابغة الذبيانى ، واسمه زياد بن معاوية . وهو إشارة إلى قوله :

ولست بمستبق أخا لا تلمه   على شعث أى الرجال المهذب

(٢) وكذا فى تحرير التحبير ٤٩٦ ولا بأس به ، وصححت فى ــه : « يعنى النابغة » .

(٣) الميمنى : « هو سالم بن وابصة الأسدى . الكامل ٩ وشرح شواهد المغنى ١٤٣ . ولكنه لم يكن بعد القطامى بمنى من المعانى . فقد ذكره الطبرى فى الصحابة وخولف ، غير أنه لا شك فى أنه فى الطبقة الأولى من التابعين ، مدح عبد الملك . الإصابة . والقطامى كان ابن أخت الأخطل ، فهما معاصران » .

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ؛ ومعنى عجز البيت مولّد بينهما ، وهو قوله :

* إن التخلّق يأتى دونه الخُلُقُ *

والقطامى أخذ معناه من عَدِىّ بن زيد العِبادى حيث قال .

قد يدرِك المبطىء من حظّه   والخيرُ قد يسبق جَهد الحريصْ

وعَدِىّ نظر إلى قول جُمانة الجُعفى :

ومستعجِلٍ والمُكثُ أدنَى لرشده   ولم يَدر فى استعجاله ما يبادرُ

ومن التوليد توليدٌ بديع من بديع ، كقول أبى تمّام :

لها منظرٌ قَيد النواظر ، لم يزل   يروح ويغدو فى خَفارته الحُبُّ[1]

فإنّه ولّد قوله « قيد النواظر » من قول امرئ القيس : « قيد الأوابد » لأن هذه اللفظة التى هى « قيد » انتقلت بإضافتها من الطرد إلى النسيب ، فكأن النَّسيب تولّد من الطّرد . وتناولُ اللفظ المفرد لا يعدّ سرقة .

وإنما سقنا هذا الفصل برُمّته لغرابته ، وقلّما يوجد فى موضع آخر .

وقول أبى تمّام (على مثلها من أربع) ضمير مثلها مفسر بالتمييز المجرور بمن ؛ والأكثر أن يكون التمييز مفسِّراً لضمير نعم وبئس وربّ . قال ابن هشام فى المغنى : والزمخشرىّ يفسر الضمير بالتمييز فى غير بابى نعم وربّ ، وذلك أنه قال فى : « فَسوّاهُنّ سَبْعَ سَمٰوات » : الضمير فى فسوّاهن ضمير مبهَم ، وسبع سموات تفسيره ، كقولهم رُبّهُ رجُلا ؛ ولولا تشبيهه برُبّه رجلاً لحمل على البدل . و (الأربُع) جمع ربْع بالفتح ، وهو مَحلّة القوم ومنزلهم

---

(١) فى تحرير التحبير : « له » تحريف . وانظر ديوانه ٣٠ . وقبله :

كواعب أتراب لغيداء أصبحت   وليس لها فى الحسن شكل ولا ترب

و (الملاعب) : جمع مَلعَب وهو موضع اللعب . و (تُذال) : مبنى للمجهول ، مضارع أذاله بمعنى أهانه ، وهو متعدّى ذال الشي ذَيْلا : هان . والثابت فى نسخ ديوانه وشروحه (أُذيلت) . و (المصونات) : من الصَّوْن وهو خلاف الابتذال . و (السواكب) : المنصبّة ، فإنّ سكب يأتى لازماً ، يقال سكب الماء سكباً وسكوباً انصب ، ويأتى متعدياً ، يقال سكب زيد الماء . قال الإمام أبو بكر بن يحيي الصولى فى شرحه : قد أنكر بعضهم « مصونات الدموع السواكب » وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مصون ! وإنما أراد أبو تمام : أذيلت مصونات الدموع التى هى الآن سواكب . ثم قوله : أذيلت بمعنى صُبّت صباً سائلا حتى يصير لها ذيل ، ليس بجيّد ، فإن معنى البيت أهينت الدموع الغزيرة بِسَكبها على مثل هذه المنازل، لخلوّها من الحبائب .

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ مدح بها أبا دُلَف القاسم بن عيسى العِجلى ، وبعده :

(أقول لقرحانٍ من البين لم يجد ... رَسيسَ الهوى بين الحشا والترائب
أعِنِّى أفرّقْ شملَ دمعى فإننى ... أرى الشملَ منهم ليس بالمتقارِب)

إلى أن قال :

(إذا العِيسُ لاقتْ بى أبادُلَفٍ فقدْ ... تقطَّعَ مابينى وبين النوائب
هنالك تلقى الجودَ حيثُ تقطَّعت ... تمائمه والمجدَ مُرخَى الذوائب
تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها ... إذا لم يعوِّذها بِنَغْمَة طالب[1])

قال الإمام المرزوقى فى شرح ديوانه : « القرحانُ » أصله : الذى لم يصبِهْ

(١) فى النسختين : « بنعمة طالب » ، صوابه فى الديوان ٤١ .

١٧١ الْجُدَرِيّ ، واستعاره هنا لمن لم يمتحن بالنوى ، ولم يدخل فى إسار الهوى . قال فى الصحاح : « رَسُّ الحمّى ورَسيسها : أول مسّها » . وقوله : أُعْنىً أفرّق . . البيت ، قال الصولى : أى لا أرى شملهم مجتمعاً بالرجوع إليها ، يقول : قد اجتمع دمعى ؛ لأنى لم أبك حتى رأيت منازلهم ، فأعِنّى بوقفة ثَمّ[1] معى ، حتى أبكيهم فأستريح . وقوله : إذا العيس لاقت بى . . البيت ، يقول : إذا أقدمتْنى الإبلُ إليه انقطعت الأسباب بينى وبين النوائب ، أى لم يبق لها سبيل علىّ . وقوله : هنالك تلقى الجود . . البيت ، قال الصُّولى : يقال : تقطّعت تمائم فلان فى بنى فلان : إذا تربّى ونشأ فيهم ؛ وأراد : أن المجدَ كالآمن فيهم أن يتحول إلى غيرهم ، فيكون قد أحاط به الشرف من كل جانب . ويروى (وافى الذوائب) . وقوله : (تكاد عطاياه) . . البيت ، قال الإمام المرزوقى : يقول : قد تعوّد هذا الرجل تفريقَ مالِه بالصِّلات ، وتبديدَه بالعطيّات ، حتى تقرُب عطاياه — لو أمسك يوما — من أن تجنّ إن لم يعلّق عليها عُوَذها من نَغَم الطلّاب والزوّار[2] . وقوله : يجنّ جنونها ، إنما يريد : يجن صحتها ، أى يصير بدلَ صحّتها جنون ؛ لكنه سمّاها بما يؤول إليه ، كما يقال خرجت خوارجه ، وكذلك عطاياه أى أمواله التى تصير عطاياه ، فسماه بما يؤول إليه .

وقال الصولى : مما أنكر أبو العباس بن المعتز من ردىء طباقه قوله : تكاد عطاياه . . البيت ، وفيه استعارة فقال : ولم يجنّ جنون عطاياه انتظاراً للطلب ، بل يبدأ بالعطاء ويستريح . وفيه قبحُ « لم يعوّذها بنغمة طالب » :

---

(١) كلمة « ثم » ساقطة من ط .

(٢) فى النسختين : « من نعم الطلاب والزوار » .

يعطيها لغير طالب . وفى هذا[1] الاعتراض نظر ، فإن مراده : أنه أغنى الناسَ فلم يبق طالبٌ إلا نادراً ، فإذا أبطأ طالب المعروف جُنّت عطاياه شوقا إليه . فتأمل .

ومنها ، وهو مما يستجاد :

(يرى أقبحَ الأشياءِ أوبةَ آملٍ كَسْتْه يدُ المأمول حُلةَ خائبِ
وأحسنَ من نَورٍ يفتّحه الندى بياضَ العطايا فى سواد المطالب
إذا ألجمت يوما لُجَيمٌ وحولَها بنو الحِصن نجلُ المحصَناتِ النَجائب
فإنّ المنـايا والصوارمَ والقنا أقاربُهم فى الروع دون الأقارب
جحافلُ لا يَتركن ذا جَبَرِيّة سَليباً ولا يحرُبْنَ مَن لم يُحارب
يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصولُ بأسياف قَواضٍ قواضبِ)

ولجيم بالتصغير : أبو عجل جدُّ أبى دُلف . والحِصن هو ثعلَبة بن عُكابة ؛ وبنو الحِصن أعمامه .

(إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقَوسها فخاراً على ما وطّدت من مَناقبِ
فأنتم بذى قارٍ أمالت سُيوفُكم عروشَ الذين استرهَنوا قوسَ حاجبِ)

قال الإمام المرزوقى : يعنى بالقوس قوسَ حاجب بن زُرارة ، رهنَها عند كسرى . وكان السبب فى ذلك أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان دعا على مُضَر وقال : « اللهم اشدُد وطأتك على مُضر ، وابعثْ عليهم سنين كسِنِى يوسف » . فتوالت الجدوبة عليهم سبعَ سنين . فلما رأى حاجبٌ الجهدَ على قومه جمع بنى زرارة[2] . وقال : إنى أزمعت على أتى آتِىَ الملك — يعنى

(١) ط : « هذه » ، صوابه فى س .
(٢) ط : « فزارة » ، صوابه فى س مع أثر تصحيح .

كسرى — فأطلب أن يأذنَ لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتّى يحيَوا .
فقالوا : رشَدت فافعل ! غير أنا نخاف عليك بكرَ بن وائل . فقال : ما منهم وجهٌ إلا ولى عنده يد ، إلا ابن الطويلة التَّيمى ، وسأداويه[1] . ثم ارتحل ، فلم يزل ينتقل فى الإتحاف والبرّ من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابنُ الطويلة ، فنزله ليلا ، فلما أضاء الفجرُ دعا بنطع ، ثم أمر فصُبّ عليه التمر ، ثم نادى : حَيَّ على الغَداء ! فنظر ابن الطويلة فإذا هو بحاجب ؛ فقال لأهل المجلس : أجيبوه . وأهدى إليه جُزُراً ، ثم ارتحل ، فلما بلغ كسرى شكا إليه الجهدَ فى أموالهم وأنفسهم ، وطلب أن يأذن لهم فيكونوا فى حدّ بلاده . فقال : أنتم معشرَ العرب غُدُر[2] ، فإذا أذنتُ لهم عاثوا فى الرعية وأغاروا . قال حاجب : إنى ضامنٌ للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى أنتَ ؟ قال : أرهنكَ قوسى ! فلما جاء بها ضحِك مَن حوله ، فقال الملك : ما كان ليُسلِمها ، اقبضوها منه . . ثم جاءت مضَر إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم ، فخرج أصحابه إلى بلادهم ، وارتحل عُطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال : ما أنت بالذى وضعتها . قال : أجل إنه هلك وأنا ابنه وفىٌّ للملك . قال : ردُّوا عليه . وكساه حُلّة . فلما وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ؛ فباعها من يهودىّ بأربعة آلاف درهم . فصار ذلك فخراً ومنقَبة لحاجب وعشيرته . فيقول أبو تمّام : إذا افتخرتْ تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين كسبوهم هذا المجدَ مما ارتهنوه وهدمتم عزّهم . وإنما يعنى وقعة ذى قارٍ حين قتلت بنو شَيبان العجَم

١٧٢

(١) فى النقائض ٤٦٢ : « وسأداريه » .
(٢) فى الإصابة ٤ : ٢٤٠ : « أهل غدر » .

ونـكَّلوا فيهم(١) وكان رئيسهم سيّار بن حنظلة العِجلى . وأبو دلف عجلىٌّ ، فلذلك خاطبه بهذا » اهـ .

وقد لمّح بعضهم إلى قوس (حاجب) بقوله فى مليح قَلَندرىّ(٢) قد حلق حاجبه ، فقال :

حَبيبى ، بحقّ الله قل لىَ ما الذى   دعاك إلى هذا ؟ فقال مجاوبى :
وَعدتُ بوصلى العاشقينَ تعطفاً   فلم يثقوا واسترهَنوا قوسَ حاجبى(٣)

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف هذه القصيدةَ استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال : والله ، إنها لَدونَ شعرِك . ثم قال له : والله ما مثلُ هذا القول فى الُحسن إلاّ ما رثيتَ به محمد بن حُميد الطوسىّ . فقال : وأىَّ ذلك أراد الأمير ؟ قال : الرائيّة التى أولها :

كذا فليَجِلَّ الخطبُ ولْيفدَحِ الأمرُ   وليس لعَينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ

وددت والله أنها لك فىَّ ! قال : بل أفدى الأمير بنفسى وأكون المقدَّم قبله . فقال : إنه لم يمتْ من رُثِى بهذا الشعر .

أبو تمام الطائى

و(أبو تمام) الطائى هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ ابن يحيى بن مرْوان بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدىّ بن عمرو ابن الغوث(٤) بن طيّ .

---

(١) ط : « ونـكوا فيهم » .

(٢) القلندرية : طائفة من الصوفية كانوا يحلقون لحام وحواجبهم وشواربهم ويتزيون نزى الأعاجم والمجوس .

انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٠ وتاريخ ابن كثير ١٤ : ٢٧٤ . ويسميهم ابن بطوطة « الفرندرية » .

(٣) ط : « بوصل العاشقين » .

(٤) ط : « يغوث » ، صوابه فى سه واضحا .

وُلد فى « جاسم » بالجيم والسين المهملة ، وهى قرية من قرى الجَيْدُور بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية ، وهو إقليم من دمشق ، فى آخر خلافة الرشيد سنة تسعين ومائة ، وقيل غير ذلك . ونشأ بمصر واشتغل إلى أن صار أوحدَ عصره . كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد . وله (كتاب الحماسة) الذى دل على غزارة علمه وكمال فضله وإتقان معرفته ، بحسن اختياره . وهو فى جمعه للحماسة أشعر منه فى شعره . وله كتاب (مختار أشعار القبائل) ، وهو دونَ الحماسة ؛ وكلاهما عندى .

ومات سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين ؛ وقيل غير هذا .

وكان شعره غير مرتب ؛ فرتبه الصُّولىّ على الحروف ، ثم رتبه علىّ ابن حمزة الأصفهانى[1] على أنواع الشعر . وترجمته طويلة تركناها لشهرتها . ١٧٣

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون ، وهو من شواهد س[2] :

٥٥ * ولقدْ أمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّنِي ‏‏ فمضَيْتُ ثُمتَ قُلتُ لا يَعنينى *

على أن التعريف غير مقصود قصده ؛ فإنّ تعريف (أل) الجنسية لفظى لا يفيد التعيين وإن كان فى اللفظ معرفة .

وقد أورد الشارح هذا البيتَ فى الحال ، والإضافة ، والنعت ، والموصوف ، والمعرف بأل أيضاً . وجملة (يسبّنى) وصف اللئيم فى المعنى ، وحال منه باعتبار اللفظ ؛ والأوّل أظهر للمقصود ، وهو التمدح بالوقار

---

(١) الميمنى : « غلط ، صوابه أن على بن حمزة بصرى . وحمزة بن الحسن أصفهانى » .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٦ . وانظر العينى ٤ : ٥٨ والهمع ١ : ٩/٢ : ١٤٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٣ والخصائص ٣ : ٣٣٠ ، ٣٣٢ .

والتحمّل(١) ، لأن المعنى : أمرُّ على اللئيم الذى عادتُه سبّى . ولا شك أنه لم يرد كل لئيم ، ولا لئيما معيَّناً . والواو للقسم ، و (لقد أمر) جوابه ، والمقسم به محذوف ، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية — كما فى الخصائص لابن جنى — أو للاستمرار التجدّدى . و (مضَيت) معطوف على أمرّ ، بمعنى أمضى ؛ وعبر به للدلالة على تحقق إعراضه عنه . وقوله : (ثُمت) هى ثُمّ العاطفة ؛ وإذا كانت مع التاء اختصَّت بعطف الجمل . وقوله (لا يَعنينى) أى لا يهمنى أو بمعنى لايقصدنى . وروى بدل هذا المصراع : « وأعفُّ ثم أقول مايعنينى » يقال : عفَّ عن الشىء من باب ضرب ، عِفَّةً وعفافاً : امتنع .

صاحب الشاهد — وهذا البيت أول بيتين لرجل من بنى سَلول . ثانيهما :

(غَضبانَ ممتلئاً علىَّ إهابُه إنى وحقِّك سُخْطُهُ يُرضينى)

وغضبانَ بالنصب : حال من اللئيم ، أو بالرفع : خبر مبتدأ محذوف . وممتلئاً : حال سببية من ضمير غضبان . وإهابه : فاعل ممتلئاً ؛ وهو فى الأصل الجلد الذى لم يُدبَغ ، وقد استعير هنا لجلد الإنسان . والسُّخط بالضم : اسم مصدر ، والمصدر بفتحتين بمعنى الغضب ؛ والفعل من باب تعب .

وروى الأصمعى بيتين فى هذا المعنى ، وهما :

لا يَغضبُ الُحرُّ على سِفْلَةٍ والُحرُّ لا يُغضِبه النذلُ
إذا لئيمٌ سبَّنى جهدَه أقول زِدْنى فَلِىَ الفضلُ

وأنشد سيبويه البيت الشاهد ، على أن (أمرّ) قد وضع موضع مررت ؛ وجاز أمرّ فى معنى مررت ، لأنه لم يرد ماضياً منقطعاً ، وإنما أراد أن هذا

(١) كذا فى النسختين بالحاء المهملة .

أمره ودأبه ، فجعله كالفعل الدائم . وقيل : معنى (ولقد أمر) : ربما أمرَّ ، فالفعل على هذا فى موضعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون ، وهو من شواهد س[1] :

٥٦ * قد أصبحَتْ أمُّ الخِيارِ تَدَّعى عَلَىَّ ذَنباً كلُّه لم أصنَعِ *

على أنَّ الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياساً عند الفَرّاء إذا كان منصوباً مفعولا به . والمبتدأ : لفظ كلّ . نقل الصفّار أنه مذهب الكسائى أيضاً . وقد نقل ابن مالك فى التسهيل الإجماعَ على جواز ذلك ، وزاد على (كلّ) ما أشبهها فى العموم والافتقار : من موصول وغيره ، نحو : أيُّهم يسألنى أُعطى ، ونحو : رجلٌ يدعو إلى الخير أجيبُ ، أى أعطيه وأجيبه . وقال شرّاح كلامه : لم نر هذا الإجماع ، بل منعه البصريون . وأما نقلُه فى شبه (كل) فقد قال أبو حيان : لا أعلم له سلفاً فى ذلك .

١٧٤ أقول : الصحيح جوازه بقلّة ، لوروده فى المتواتر ، قرأ ابن عامر فى سورة الحديد فقط : « وكلٌّ وعَدَ اللهُ الْحُسْنَى » ، وأمّا فى سورة النساء فقد قرأ مثلَ الجماعة بالنصب .

وقال ابنُ جنى فى المحتسب : « لحذف هذا الضمير وجهٌ من القياس ، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة ، وهو إلى الحال أقرب ، لأنها ضرب من الخبر ، وهو فى الصفة أمثل بشبه الصفة بالصلة . وفى حذفه من لم أصنع ما يقوم مقامه ويخلفه ، لأنه يعاقبه ولا يجتمع معه ، وهو حرف الإطلاق

---

(١) سيبويه ١ : ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٣٠/٦ : ٩٠ والهمع ١ : ٩٧ وابن الشجرى ١ : ٨ ، ٩٣ ، ٣٢٦ والخصائص ١ : ٢٩٢/٣ : ٦١ .

أعنى الياء فى أصنعى ؛ فلما حضر ما يعاقب الهاء صارت لذلك كأنها حاضرة » اهـ .

ومفهوم قول الفراء أن المبتدأ ، إذا لم يكن كلا يمتنع حذف العائد . والصحيح فيه أيضاً الجواز بقلّة فى الكلام والشعر ، أما الأول فقد قرأ يحيى وإبراهيم والسُّلَمى فى الشواذّ : « أَفَحُكْمُ الجاهِلِيَّةِ يَبغون » بالمثناة التحتية . وأما الثانى فكثير ، منه قول الشاعر :

* فخالدُ يحمَدُ ساداتُنا *

أى يحمده ساداتنا .

واعلم أن الشارح المحقق أورد هذا الشاهد فى باب الاشتغال أيضاً وقال : « يروى برفع كل ونصبه » . وكذلك رواها سيبويه . وقد أنكر عليه المبرّد رواية الرفع وقال : الذى رواه الجرمى وغيره من الرواة النصب فقط ، ومنع هذه المسألة نظما ونثراً .

قال ابن ولاّد : س أيضاً رواه بالنصب ، وقال : إن النصب أكثر وأعرف ، فأغنَى هذا عن الاحتجاج عليه بقول الجَرمىّ ، ألا ترى قوله إن الرفع ضعيف وهو بمنزلته فى غير الشعر لأن النصب لا يكسر ، ولا يخل به ترك إضمار الهاء ، كأنه قال كله غير مصنوع . وقد روى أهل الكوفة والبصرة هذه الشواهد رفعاً كما رواها س . اهـ .

وظاهر كلام س أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه فسحة . وتقدم الكلام عليها فى أول شاهد من هذه الشواهد[١] .

وزعم تقىّ الدين السبكىّ فى رسالة (كلّ) وفى تفسيره : أن رواية النصب

(١) انظر ما مضى فى ص ٣١ — ٣٤ .

تساوى رواية الرفع فى المعنى ؛ وذلك أنه قال : « لا فرق بين الرفع والنصب فى قول س : إن المعنى : كلُّه غير مصنوع . وهذا يقتضى أن النصب أيضاً يفيد العموم ، وأنه لم يصنع شيئاً منه ، لِما تقرّر من دلالة العموم . وقد تأمّلتُ ذلك فوجدتُ قول س أصحَّ من قول البيانيين ، وأن المعنى حضره وغاب عنهم ؛ لأنه ابتدأ فى اللفظ بكلّ ومعناها كلّ فردٍ ، فكان عاملها المتأخر فى معنى الخبر ، لأن السامع إذا سمع المفعول تشوّف إلى عامله كما يتشوّفُ سامع المبتدأ إلى الخبر ، وبه يتم الكلام ؛ فكان كله لم أصنع مرفوعاً ومنصوبا سواء فى المعنى ، وإن اختلفا فى الإعراب . ويبعد كل البعد أن يُحمل كلام سيبويه على أن كله لم أصنع بالرفع والنصب معناه عدم صنع المجموع فيكون قد صنع بعضه ؛ لأنّ معنى الحديث على خلافه فى قوله : كل ذلك لم يكن » . إلى آخر ما ذكره .

ونقل الدمامينى بعض هذا الكلام فى الحاشية الهندية وقال : وكأن ابن هشام لم يقف على كلام س فنقل تساويَ المعنى فى الرفع والنصب عن الشّلوبين وابن مالك ؛ ولو وقف على كلام سيبويه لم ينقل عنهما .

وقد نقل الشيخ بهاء الدين كلام سيبويه فى عروس الأفراح وبيّنه ، تابعاً لوالده السبكى .

ورواية الرفع عند علماء البيان هى الجيدة ؛ فإنّها تفيد عموم السلب ، ورواية النصب ساقطةٌ عن الاعتبار بل لا تصحّ ، فإنها تفيد سلبَ العموم ، وهو خلاف المقصود . وما ذكره السبكىّ لم يعرّجوا عليه ؛ وهو مفصّل فى التلخيص وشروحه .

ورأيت للفاضل اليمنى على هذا البيت كلاماً أحببتُ إيراده ، وهو قوله :

١٧٥

« معنى هذا البيت أنَّ هذه المرأة أصبحتْ تدَّعى علىَّ ذنباً ، وهو الشيب والصلع والعجْز وغير ذلك من موجبات الشيخوخة . ولم يقل ذنوباً بل قال ذنباً ، لأن المراد كِبر السن المشتمل على كلّ عيب ، ولم أصنع شيئاً من ذلك الذنب . ولم ينصب كلّه ، لأنه لو نصبه مع تقدُّمه على ناصبه لأفاد تخصيصَ النفى بالكلّ ويعود دليلاً على أنّه فعل بعضَ ذلك الذنب ؛ ومراده تنزيه نفسه عن كلٍّ جزء منه ، فلذلك رفعه إيذاناً منه بأنه لم يصنع شيئاً منه قط ، بل كلُّه بجميع أجزائه غير مصنوع » .

ثم قال : « ولقائل أن يقول : لما كان الضمير فى كله عائداً إلى ذنباً وهو نكرة ، والنكرة لواحد غير معيّن ، لابد أن يكون المضمر هو ذلك الذنب الذى ليس بمعيّن فقط لإعادة الضمير به ، فلا يكون نفيه نفياً لجميع الذنوب ، فلا يلزم ما ذكره من تنزيه نفسه من جملة الذنوب . لا يقال إن الضمير لما كان عبارةً عن النكرة المذكورة ، ودخولُ النفى عليها يقتضى العمومَ ، فدخول النفى عليه أيضاً يقتضى ذلك ؛ لأنا نقول : إن الفرق ظاهر بين قولنا : لم أصنع ذنباً ، وبين قولنا : لم أصنع ذلك الذنب المذكور الذى ليس بمعيّن ، فى اقتضاء الأول العمومَ دون الثانى » اهـ .

وقوله : « ولقائل أن يقول إلخ » فيه أنه قال أولا : إن ذنب الشيخوخة يستلزم ثبوته جميعَ الذنوب . وحينئذ نفيُه يستلزم نفيَ جميع الذنوب . وقوله : « والنكرة لواحد غير معيّن » فيه أنه حَمل الذنبَ سابقاً على كبر السن المشتمل على كلّ عيب . فالمراد به معيّن ، وأفاد أن كُلاّ حينئذ لاستغراق أجزاء هذا الذنب المعيّن . فإنْ رفع كلٌّ أفاد استغراق جميع أجزاء ذلك الذنب ، وإن نصب كلّ أفاد سلب العموم لجميع الأجزاء واقتضى ثبوت بعض الأجزاء . فهذا البحث غير وارد . فتأمل .

وبهذا يسقط قوله بعد هذا : « ثم نقول : فتكون القضية حينئذ شخصية ؛ والتقدير : كل ذلك الذنب غير مصنوع لى . وإنما يكون ذلك إذا كان هنالك ذنب ذو أجزاء يمكن الاتصاف ببعضه دون بعض . وعلى هذ إما أن يكون المراد بالكل " الكل " المجموعى وهو الغالب الظاهر من دخوله فى الشخصيات ، فلا تفاوت فى تقدم السلب عليه وتقديمه على السلب فى عدم اقتضاء شمول النفى جميع الأجزاء ؛ أو يكون المراد كل واحد من الأجزاء كما يستعمل فى الكلىّ باعتبار الجزئيات فقد يظهر الفرق بينهما ؛ فإنك إن رفعت كلاً لزم عموم النفى لجميع الأجزاء وإن نصبتها لا يلزم ، مع أن الاستعمال على هذا الوجه فى الشخصىّ قليل ، فإنه لا يلزم صدق ما ذكره من تبرئة نفسه من جملة أجزاء ذلك الذنب الواحد » اه .

وقال ابن خلف : قوله (كلّه لم أصنع) يحتمل أمرين : أحدهما أنه أراد أنه لم يصنع جميعها ولا شيئاً منها ، والوجه الآخر : أنه صنع بعضها ولم يصنع جميعها ، كما تقول لِمن يدّعى عليك أشياء لم تفعل جميعها : ما فعلتُ جميعَ ما ذكرتَ ، بل فعلتُ بعضها . اه

أقول : احتماله لوجهين غير صحيح ؛ فإنّ كُلاّ منهما مدلولُ روايةٍ يُعلَم وجهها مما تقدم . وقوله : أراد بقوله ذنْباً ذنوباً لكنه استعمل الواحد فى موضع الجمع ؛ ليس كذلك ، كما علم من كلام الفاضل اليمنى .

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت مطلع أرْجوزة لأبى النَّجم العِجْلى . وبعده :

(مِنْ أن رأت رأسى كرأس الأصلَع   مُيِّزَ عنه قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ

جَذبُ الليالى : أبطِئى أو أسرِعى   قَرناً أشِيبيهِ وقَرناً فانزَعى

أفناه قِيلُ الله للشمس : اطلُعى !   حتّى إذا واراكِ أفقٌ فارجِعى

حتى بدا بعدَ السُّخامِ الأفرَعِ يَمشى كمَشْى الأهدَإِ المكنَّعِ
يا ابنةَ عمًّا ، لا تلومى واهجعى لا يخرِق اللَّومُ حجابَ مسمَعى
ألم يكن يبيضُّ إنْ لم يصلع إن لم يصبنى قبل ذاكِ مَصْرَعى
أفنـاه ما أفنى إياداً فاربَعى وقومَ عادٍ قبلَهم وتُبَّعِ
لا تُسمعينى منك لوماً واسمعى أيهاتَ أيهاتَ فلا تَطَلَّعى
هى المقاديرُ ، فلومى أودَعى لا تطمَعى فى فرقَتى لا تطمعى[1]
ولا تَرُوعِينى[2] لا تروَّعى واستشعرى اليأس ولا تفَجَّعى
فذاكِ خيرٌ لك مِن أن تجزَعى فتُحبَسى وتُشْتَمى وتُوجَعى)

وأمّ الخيار هى زوجة أبى النجم . وقوله : من أن رأت الخ ، مِن تعليلية ؛ وزعم القُونَوىّ فى شرح تلخيص المفتاح أنها بيانية ، ثم قال : « فإن قلتَ : كيف يبين الذنب برؤية أم الخيار ، فإن الرؤية قائمة بها والذنب قائم به ؟ قلت : أراد المرئىّ وأطلق عليه الرؤية للملابسة » . انتهى . والأصلع : هو الذى لم يكن شعر على رأسه ؛ وَصَلِع الرأس صلَعا من باب تعب ؛ والصَّلَع يحدث للمشايخ إذا طعَنوا فى السن ، قال ابن سِينا : « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهنّ ، ولا للخُصيان لقرب أمزجتهم من أمزجة النسـاء » . والتمييز : العزل ، وفَصْل شىء من شىء ، والتشديد للكثرة ، فإنه يقال مازه مَيْزاً ؛ ويكون فى المشتبهات . وضمير عنه للرأس . والقنزع : كقنفذ ، والقُنزعة بضم الزاى وفتحها ؛ وهى الشعر حَوَالَىِ الرأس ، والخُصلة من الشعر تترك على رأس الصبى ، أو هى ما ارتفع من الشعر وطال . وأما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن القَنازع فهى أن يُؤخذ الشعر ويترك منه مواضع ، كذا فى القاموس

(١) ط : « لا تطمعى فى فرقع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .
(٢) ط : « ولا تروعين » ، صوابه فى سه .

وجعل النون أصلية . وعن بمعنى بعد . وجذب الليالى : فاعل ميّز ، قال فى الصحاح : جذبَ الشهر : مضى عامّته . وقوله : أبطئى أو أسرعى : حال من الليالى على تقدير القول أو كون الأمر بمعنى الخبر ، وصحّت من المضاف إليه لأن المضاف عامل فيهما ، وقيل : صفة الليالى . ويجوز أن يكون منقطعاً ، أى اصنعى أيتها الليالى فلا أبالى بعد هذا . وقال القُونَوىّ : « وقد يجوز أن يكون استئنافاً ، أمراً لأم الخيار ، على معنى أنّ حالى ما قررت لك فعند ذلك أبطئى أو أسرعى فى قبول العذر فيه ، فلا محيص لى عن ذلك . وهذا بديع » . انتهى .

وهذه غفلة عما بعده وهو : قَرَناً أَشِيبيه الخ ، فإنه خطاب لليالى . والقَرن بفتح القاف : الُخصلة من الشعر ، ونصبه من باب الاشتغال ، والقرن الثانى مفعول لما بعده . وأشيبيه فعل أمر والياء ضمير الليالى ، يقال : أشاب الحزن رأسه وبرأسه بمعنى شيّبه . وقوله : وانزعى : من النَّزَع بفتحتين وهو انحسار الشعر عن جانبى الجبهة[1] من الرأس ، وهو أنزع ، وذلك الموضع النَّزَعة محركة . وقوله : أفناه ، قيل الضمير لجَذْب ، وقيل لشعر رأسه ، وقيل لأبى النجم ، وهو المناسب لما بعده . وقيلُ الله : أمرُه ، وهو فاعل أفناه ، وهذا يدلُّ على أن الشاعر لا يريد أن المميِّز هو جذب الليالى الذى هو ظاهر كلامه ، بل يريد أن المميز قول الله وأمره . وقوله : حتّى بدا ، فاعله المستتر ضمير أبى النجم . والسُّخام بضم السين والخاء المعجمة : اللين ، يقال ثوبٌ سُخام : إذا كان ليّن المس مثل الخزّ . وريشٌ سُخام : أى ليّن رقيق . والأفرع بالفاء ، هو التامّ الشعر ، قال فى الصحاح[2] : ولا يقال للرجل إذا كا

١٧٧

(١) ط : « الجهة » ، صوابه فى ش .
(٢) عن ابن دريد .

عظيم اللحية أو الجمة أفرع وإنما يقال رجل أفرع بضدّ الأصلع » . والأهدأ مهموز كجعفر : الأحدب.والتكنّع : التقبض ، كنِع كفرح : يَبِس وتشنج ، وشيخٌ كنع ككتف : شَنِج . وكنَع كنع كُنوعا : انقبض وانضم . يقول : يمشى أبو النجم بعد الشباب كما يمشى الأحدب المتقبض الكزّ من الكبر . وقوله : يا ابنة عمّا الخ ، استشهد به شراح الألفية على أن أصله : يا ابنة عمّى ، فأبدلت الياء ألفاً . وفاعل يبيض ضمير الرأس . وإياد بالكسر : حىّ من معدّ . وقوله : فاربعى ، فى الصحاح « ربَع الرجل يربع بفتحهما : إذا وقف وتحبّس ، ومنه قولهم اربَع على نفسك ، أى ارفق بنفسك وكُفّ » . وأيهاتَ أيهاتَ . لغة فى هيهات . وتَطَلّعى بفتح التاء وتشديدُ اللام وأصله تتطلعى بتاءين : من التطلّع للشىء . وقوله : واستشعرى ، يقال : استشعرَ خوفاً ، أى أضمره . واليأس : ضدُّ الرجاء .

وترجمة أبى النجم تقدمت فى الشاهد السابع[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون ، وهو من شواهد س[2] :

٥٧ * ثلاثٌ كلُّهنَّ قتَلْتُ عَمْداً فأخزَى اللهُ رابعةً تعُودُ *

لما تقدم فى البيت قبله : وهو أنه حذف عائد المبتدأ الذى هو (كلّهن) من جملة الخبر حذفاً قياسياً عند الفرّاء . قال الأعلم : « استشهد به س على رفع كلّ مع حذف الضمير من الفعل ، وجعله مثل زيدٌ ضربت ؛ ولو نصب وقال[3] : كلَّه لم أصنع ، وكلَّهن قتلت ، لأجراه على ما ينبغى ولم يحتج

(١) ص ١٠٣ .
(٢) سيبويه ١ : ٤٤ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٦ .
(٣) ط : « وقبل » ، صوابه فى س .

إلى الرفع مع حذف الضمير . والقول عندى : أنّ الرفع هنا أقوى من زيد ضربت ، لأن (كُلاً) لا يحسن حملها على الفعل ؛ لأنّ أصلها أن تأتى تابعة للاسم مؤكِّدة ، كقولك : ضربت القومَ كلهم ، أو مبتدأة بعد كلام نحو : القوم كلهم ذاهب . فإن قلتَ : ضربتُ كلَّ القوم ، وبنيتَها على الفعل لخرجت عن الأصل . فينبغى أن يكون الرفع أقوى من النصب وتكون الضرورة حذف الهاء لا رفعَ كلّ[1] » انتهى .

وتبعه فى هذا ابنُ الحاجب فى شرح المفصّل ونقله عنه السعد فى المطوّل .

ونقل ابن الأنبارى فى الإنصاف[2] أن هذا البيت مما استدل به الكوفيون على جواز تأكيد النكرة ، قال : « ولا حجة لهم فيه ، لأنه محمول على أنه بدل لا تأكيد . ويجوز أن يكون أيضاً ثلاث مبتدأ ، وكلهن مبتدأ ثان ، وقتلت خبر كلهن ، وهما جميعاً خبر ثلاث » انتهى .

وقال أبو جعفر النحاس : « ولا يُنشد ثلاثا بنصبه بقتلت ؛ لأن قوله : كلهن قتلت ، جملة فى موضع نعت لثلاث . ومن رفع قدّره : لى ثلاث ، ويكون كلهن قتلت نعتاً . وإنّما لم يجز أن يُروىٰ ثلاثا لئلا يتقدم النعت على المنعوت » انتهى .

١٧٨ أقول : مَن رفع وجعل الجملة بعده نعتا قدّر لى ونحوَه خبراً للمبتدإ . وقوله « وإنما لم يجز أن يروى ثلاثا . . الخ » مراده : أنه إذا نصب ثلاث بقتلت كان ثلاثاً منعوتاً بجملة (كلّهن قتلت) ، فيكون قتلت من أجزاء

---

(١) لم يذكر الشنتمرى هذا الكلام عند هذا الشاهد ، وإنما ذكر مثله عند تفسير الشاهد السابق .

(٢) لم أجد هذا الشاهد فى كتاب الإنصاف ، على كثرة التنقيب فيه ، فلعل نسخة البغدادى أتم من النسخ المطبوعة .

النعت لثلاثا ، لأنه بعض الجملة المنعوت بها ، ومع كونه من أجزاء النعت هو عامل فى المنعوت المتقدم ؛ فيكون المنعوت متأخراً فى الرتبة ، فيلزم تقديم النعت على المنعوت من حيثُ الرتبة . وهذا كلامٌ مخالف للقواعد لا ينبغى تسطيره من مثله .

ونقل ابن خلف عن أبى علىّ : أن ثلاث مبتدأ ، وكلّهن قتلت خبر ، كأنه فى تقدير : زيد أخاه ضربته . وفيه نظر ؛ فإن الشاهد ليس من باب الاشتغال لعدم الضمير . فتأمّل .

واعلمْ أن الضمير المحذوف من الشاهد تقديره (قتلتها) لأن كُلاًّ المضافة إلى المعرفة يكون عائدها مفرداً ؛ قال تعالى : « وكُلُّهُمْ آتِيهِ » ، وفى الحديث : « كلّكم جائعٌ إلاّ مَن أطعمتُه » ، وقال الشاعر[1] :

وكلّهمُ قد نال شِبْعا لبطنه وشِبْعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

وقال آخر[2] :

وكلُّ القوم يَسأل عن نفَيل كأنّ علَيّ للحُبشان دَينا

قال أبو حيان : ولا يكاد يوجد فى لسان العرب كلهم يقومون ، ولا كلّهن قائمات ؛ وإن كان موجوداً فى تمثيل كثير من النحاة . قال السُّبكى ، فى رسالة كلّ : « وقد طلبته فلم أجدْه . وجوّز ابن مالك وغيرُه أن يُحمل على المعنى فيجمع ، وجعلوا منه : أنتم كلّكم بينكم دِرهم ، قالوا : يجوز كلكم بينه درهم على اللفظ ، وبينكم على المعنى ، وإنْ جعل كلّكم توكيداً جوّز بعضهم أيضا[3] أن يقول بينه ، والمشهور بينكم » انتهى .

---

(١) هو جبر بن المنيرة ، كما فى الحماسة ٢٦٥ بشرح المرزوقى .

(٢) هو نفيل بن حبيب ، كما فى السيرة ٣٦ والروض الأنف ١ : ٤٦ .

(٣) كلمة أيضا ساقطة من ط .

وقدَّر الضمير هنا بعضهم (قتلتهنّ) ، وكأنه بناه على مذهب ابن مالك . وقدره ابن خلف نقلا عن بعضهم : (قتلته) أو (قتلتهم) . ولا أعرف وجهه .

وقوله : (فأخزى الله) هذه جملة دعائية ، يقال : خزِى الرجل خِزيا ، من باب علم : ذلّ وهان ، وأخزاه الله : أذلّه وأهانه . و (تَعود) من العَود وهو الرجوع ، قال صاحب المصباح : « عاد إلى كذا وعاد له أيضاً عودا وعودة : صار إليه » ، فالصّلة هنا محذوفة أى تعود إلىّ . قال ابن خلف : « يجوز أن يريد بالثلاث ثلاثَ نسوة تزوَّجهنّ ، ويجوز أن يريد ثلاث نسوة هوِينَه فقتلهنّ هواه ، أو يعنى غير ذلك مما يحتمله المعنى ، وجعل مجىء الرابعة عَوداً — وإن لم تكن جاءت قبل — لأنه جعل فعل صواحبها الماضيات كأنه فِعلُها » . انتهى .

وقال شارح أبيات الموشّح[1] : ويروى : (تقود) من القَوَد ، وهو القصاص .

الكتاب لسيبويه

وهذا البيت — وإن كان من شواهد س — لا يُعرف ما قبله ولا ما بعده ولا قائله ، فإن سيبويه إذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه . وأما الأبيات المنسوبة فى كتابه إلى قائليها فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بنسبتها أبو عُمَر الجَرمى . قال الجرمىّ : « نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا ، فأما ألف فعرفتُ أسماء قائليها فأثبتُّها ، وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائليها » . وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعضُ الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله ، لأنه قدُم العهد به ، وفى كتابه

(١) الموشح للخبيصى ، وهو شرح له على كافية ابن الحاجب .

شيء مما يروى لشاعرين ، فاعتمد على شيوخه ونسبَ الإنشاد إليهم ، فيقول : أنشدنا ، يعني الخليل ، ويقول : أنشدنا يونس ، وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال : «أنشدني أعرابي فصيح» .
وزعم بعض الذين ينظرون في الشعر أن في كتابه أبياتاً لا تعرف ، فيقال له : لسنا ننكر أن تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك[1] وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ، ونُظر فيه وفتِّش ، فما طعن أحد من المتقدمين [عليه[2]] ولا ادَّعى أنه أتى بشعر منكر. ١٧٩
وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا ردُّوا حرفا منها[3] .

قال أبو إسحاق : إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة . قال أبو جعفر النحاس : وحدثنا علي بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد : أن المفتّشين من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبّعوا على سيبويه الأمثلة ، فلم يجدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة : منها الهُنْدلِع وهي بقلة ، والدُّرْداقِس وهو عظم في القفا ، وشَمَنْصِير وهو اسم أرض .

وقد فسّر الأصمعي حروفا من اللغة التي في كتابه ، وفسر الجرمي الأبنية ، وفسّرها أبو حاتم وأحمد بن يحيى . وكلٌّ واحد منهم يقول ما عنده فيما يعلمه ، ويقف عما لا علم له به ، ولا يطعن على مالا يعرفه ، ويعترف لسيبويه في اللغة بالثقة وأنه علم ما لم يعلموا ، وروى مالم يرووا .

---

(١) العبارة التالية ، سبقت للبغدادي في مقدمته ص ١٦ — ١٧ .
(٢) تكملة ليست في النسختين .
(٣) ـــ : « ولا رووا حرفا منها » ، صوابه في ط وما سبق في ص ١٧ .

قال أبو جعفر[١] : لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب سيبويه ، حتى لقد قال محمد بن يزيد : لم يعمل كتاب فى علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ، وذلك : أن الكتب المصنفة فى العلوم مضطرة إلى غيرها ، وكتاب سيبويه لا يحتاج مِنْ فهمه إلى غيره . وقال أبو جعفر : سمعت أبا بكر بن شقير يقول : حدثنى أبو جعفر الطبرى قال : سمعت الجرمى يقول هذا ! وأومأ بيديه إلى أذنيه ، وذلك أن أبا عُمر الجرمى كان صاحب حديث ، فلما علم كتاب سيبويه تفقّه فى الحديث إذْ كان كتاب سيبويه يُتعلّم منه النظر والتفتيش[٢] .
قال أبو جعفر : وقد حكى بعض النحويين أن الكسائى قرأ على الأخفش كتابَ سيبويه ودفع إليه مائتى دينار . وحكى أحمد بن جعفر[٣] : أنّ كتاب سيبويه وجد بعضُه تحت وسادة الفرّاء التى كان يجلس عليها . وكان المبرّد يقول — إذا أراد مُريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه — : هل ركبتَ البحر؟ تعظيماً لما فيه ، واستصعاباً لألفاظه ومعانيه . وقال المازنى : مَن أراد أن يعملَ كتابا كبيراً فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِى مما أقدم عليه . وقال أيضا : ما أخلو فى كلّ زمن من أعجوبة فى كتاب سيبويه ، ولهذا سمّاه الناس قرآن النحو . وقال ابن كيسان : نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضع الذى يستحقّه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ، لأنه كتاب أُلِّفَ فى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذاهبهم

(١) أبو جعفر هذا هو أحمد بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بابن النحاس النحوى المصرى . انظر كتاب سيبويه ١ : ٤ بتحقيق.

(٢) وأما أبو جعفر هذا فهو محمد بن رستم الطبرى . يروى عن المازنى والسجستانى والجرمى . له ذكر فى مجالس العلماء للزجاجى ٦٣ ، ٦٥ ، ٣٥٣ وأمالى الزجاجى ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٢٨ .

(٢) فى النسختين : « التفيس » ، صوابه من كتاب سيبويه ص٦ بتحقيق .

(٣) انظر حواشى سيبويه ١ : ٦ بتحقيق .

قال أبو جعفر : ورأيت عليّ بن سليمان يذهب إلى غير ما قال ابن كيسان ، قال : عمل سيبويه كتابَه على لغة العرب وخطبها وبلاغتها ؛ فجعل فيه بيّناً مشروحاً ، وجعل فيه مشتبهاً ، ليكون لمن استنبط ونظرَ فضلٌ . وعلى هذا خاطبهم الله عز وجل بالقرآن .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله عليّ بن سليمان حسن ، لأن بهذا يشرُف قدر العالم وتفضُل منزلته ، إذ كان يُنال العلم بالفكرة واستنباط المعرفة ؛ ولو كان كلّه بيّناً لاستوى فى علمه جميع من سمعه ، فيبطل التفاضل ؛ ولكن يستخرج منه الشيء بالتدبُّر ، ولذلك لا يملّ ، لأنه يزداد فى تدبره علماً وفهما .

وقال محمد بن يزيد المبرد : قال يونس — وقد ذكر عنده سيبويه — : أظن هذا الغلام يكذب على الخليل . فقيل له : قد روى عنك أشياء فانظر فيها . فنظر وقال : صدق فى جميع ما قال هو قولى .

ومات سيبويه قبل جماعة قد كان أخذ عنهم كيونس وغيره وقد كان يونس مات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة . وذكر أبو زيد النحوى اللغوىّ كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال : كل ما قال سيبويه «وأخبرنى الثقة[١]» فأنا أخبرته به .

ومات أبو زيد بعد موت سيبويه بنيف وثلاثين سنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

(١) ط : « وأخبر عن الثقة » ، صوابه فى سه .

(٢) سيبويه ١ : ٤٤ . وانظر العينى ١ : ٥٤٠ وابن الشجرى ١ : ٩٣ ، ٣٢٦ .

٥٨ (فَثَوْبٌ نَسِيتُ وثَوْبٌ أَجُرُّ)

أوّله : (فأقبلتُ زحفاً على الرُّكبتين)

على أن حذف الضمير المنصوب بالفعل من الخبر سماعيّ ، أى فثوبٌ نسيته وثوب أجرّه .

قال ابن عقيل فى شرح الألفية : وجاز الابتداء بثوب وهو نكرة لأنه قصد به التنويع .

قال الأعلم : ويجوز عندى أن يكون نسيت وأجرّ من نعت الثوبين ، فيمتنع أن يعمل فيه ، لأنّ النعت لا يعمل فى المنعوت ؛ فيكون التقدير فثوباىَ ثوبٌ منسىّ وثوب مجرور .

وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : « ومما ذكروا من المسوّغات : أن تكون النكرة للتفصيل ، نحو : فثوبٌ نسيت وثوب أجر . وفيه نظر ، لاحتمال نسيت وأجرّ للوصفية والخبر محذوف ؛ أى فمن أثوابى ثوبٌ نسيته ، ومنها ثوب أجره . ويحتمل أنهما خبران وثَمّ صفتان مقدّرتان ، أى فثوبٌ لى نسيته وثوب لى أجرّه . وإنما نسى ثوبه لشغل قلبه ، كما قال :

* لعوبٌ تنسّينى إذا قمتُ سِربالى[1] *

وإنما جرّ الآخَر ليعفّىَ الأثر على القافة ؛ ولهذا زحف على الركبتين » انتهى .

والقافة : جمع قائف ، وهو من يعرف الآثار ؛ يقال : قفا أثره ، أى تبعه .

وروى : (فلما دنوت تَسَدَّيْتُها فثوبٌ نسيت . . الخ)

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٣٠ . وصدره :

* ومثلك بيضاء العوارض طفلة *

قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات[١] : يقال تسديته : إذا تخطيت إليه ، وقيل علوته . وأنشد هذا البيت . وروى :

* فثوباً نسيت وثوبا أجرُّ *

وعليه فهو مفعول لما بعده .

قصيدة الشاهد

وهو من قصيدة لامرىء القيس ، عدّتها اثنان وأربعون بيتا . ومطلعها :

(لا وأبيكِ ابنةَ العامر ىّ لا يدّعى القومُ أنى أفِرّ)

وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى حروف الزيادة فى آخر الكتاب .

وأثبتَ هذه القصيدةَ له أبو عمرو الشيبانى والمفضّل وغيرهما . وزعم الأصمعى فى روايته عن أبى عمرو بن العَلاء أنها لرجل من أولاد النمِر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جُعْشُم ، وأولها عنده :

(أحارِ بنَ عمرٍو كأنى خَمِرْ ويَعدو على المرء ما يأتَمِرْ)

وبه استشهد ابن أمّ قاسم[٢] فى شرح الألفية لتنوين الغالى حيث لحق الروىّ المقيّد ، رواه : (ما يأتمرُنْ) بضم الراء . والهمزة للنداء ، وحارِ مرخّم حارث . قال فى الصحاح : والخُمار : بقية السكر ، تقول منه رجل خَمِرٌ بفتح فكسر ، أى فى عقب خُمار . ويقال : هو الذى خامره الداء ، أى خالطه . وعدا عليه : جارَ . والائتمار : الامتثال ، أى ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشَدٌ فربما كان هلاكه فيه . والواو عطفت جملة فعلية على جملة اسمية على قولين من

١٨١

(١) هذا تسمح منه ، وذلك أبا بكر محمد بن القاسم ، ابن الأنبارى ، هو راوى المفضليات عن أبيه . وأما الشرح نفسه فهو لأبيه القاسم بن بشار الأنبارى .

(٢) ط : « ابن قاسم » ، صوابه فى ســه مع أثر تصحيح ، واسمه الحسن بن قاسم . توفى سنة ٧٤٩ . البغية ٢٢٩ .

ثلاثة أقوال : الجواز مطلقا ، والمنع مطلقا ، والجواز مع الواو فقط . وليست للاستئناف ، ولا للتعليل ، ولا زائدة ، كما زعمها العينى .

وبعد بيت الشاهد :

(ولم يَرَنا كالئٌ كاشح ولم يُفْشَ مِنّا لدى البيتِ سِرّ
وقد رابنى قولُها يا هَنا ه ، وَيحكَ أُلحقتَ شرًّا بِشَرّ)

والكالئُ بالهمز : الحارس والرقيب . والكاشح : المبغض . ورابنى : أوقعنى فى الريبة . وهناهُ : كلمة يُكنى بها عن النَّكرات[1] ، كما يكنى بفلان عن الأعلام ؛ فمعنى يا هناه يا رجل ؛ ولا يستعمل إلّا فى النداء عند الجفاء والغلظة . وقوله : ألحقت شراً بشر ، أى كنت متّهما فلما صرت إلينا ألحقتَ تُهمةً بعد تهمة . وهذه الضمائر المؤنثة راجعة إلى (هِرّ) بكسر الهاء وتشديد الراء ؛ وكنيتها أم الُحويرث ، وهى التى كان يشبّب بها فى أشعاره ، وكانت زوجة والده ، فلذلك كان طردَه وهمّ بقتله من أجلها .

وفى هذه القصيدة بيتٌ فى وصف فرسه ، يأتى شرحه إن شاء الله فى أفعال القلوب .

وترجمة امرىء القيس تقدمت فى الشاهد [التاسع و] الأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون ، وهو من شواهد س[3] :

٥٩ (لَعَمرُك ما مَعْنٌ بتاركِ حَقِّه
ولا منسئٌ مَعْنٌ ولا متيسِّرُ)

---

(١) ط : « المنكرات » ، صوابه فى ش .
(٢) ص٣٢٩ من هذا الجزء .
(٣) سيبويه ١ : ٣١ . وانظر همع الهوامع ١ : ١٢٨ وديوان الفرزدق ٣٨٤

على أنَّ وضع الظاهر مقام الضمير إن لم يـكن فى معرِض التفخيم فعند س يجوز فى الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول كهذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو للفرزدق أول بيتين ثانيهما :

(أتطلبُ ياعَورانُ فَضلَ نَبيذهم   وعندك يا عَورانُ زِقٌ مُوَكَّرُ)

واللام لام الابتداء . و (العَمْر) : الحياة . والمعنى أنه أقسم بحياة مخاطبه لعزَّته عليه . والعَمْر فَتحاً وضَماً واحد ، غير أنه متى اتصل بلام الابتداء مقسَماً به وجب فتح عينه ، وإلاّ جاز الأمران . وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : قسمى ، وسيأتى الـكلام عليه ، إن شاء الله ، فى المفعول المطلق . وجملة (ما مَعنٌ ، الخ) جواب القسم ، وما نافية تميميّة[1] زيدت الباء فى خبرها . ومعن قال أبو على القالى فى ذيل أماليه[2] : قال أبو محلِّم : هو رجل كان كلاّء بالبادية : يبيع بالـكالئ ، أى بالنسيئة ، وكان يُضرب به المثل فى شدة التقاضى . قال سيّار بن هبيرة يعاتب خالداً وزياداً أخوَيه :

يُؤذِّننى هذا ويمنع فضلَه   وهذا كمعْنٍ أو أشدُّ تقاضيا

يؤذّننى : يحرمنى ، مضارع أذّنه بتشديد الذال المعجمة . قال فى المصباح : « وكلأَ الدينُ يكلأُ مهموز بفتحتين كلوءاً : تأخّر ، فهو كالئٌ بالهمز ، ويجوز تخفيفه فيصير كالقاضى . وقال الأصمعى : هو مثل القاضى ولا يجوز همزه . ونُهى عن بيع الـكالئ بالـكالئ ، أى بيع النسيئة بالنسيئة . قال أبو عبيد : صورته أن يسلم الرجل الدراهمَ فى طعام إلى أجل فإذا حل الأجل يقول الذى عليه الطعام : ليس عندى طعام ولـكن بِعنى إياه إلى أجل ؛ فهذه نسيئة

١٨٢

(١) وذلك لأن الفرزدق تميمى .
(٢) الأمالى ٣ : ٧٢ — ٧٤

انقلبت إلى نسيئة ، فلو قبض الطعامَ ثم باعه منه أو من غيره لم يكن كالئاً بكالئ . ويُعدَّى بالهمزة والتضعيف » انتهى .

وقال شراح أبيات الكتاب : عنى بالبيت معن بن زائدة الشيبانى ، وهو أحدُ أجواد العرب وسمحائهم . فوصفه ظلماً بسوء الاقتضاء وأخذِ الغريم على عُسرة ، وأنه لا ينسئه بدينه . انتهى .

وهذا غير صحيح ، فإن معن بن زائدة متأخر عن الفرزدق ، فإنه قد تُوفِّى الفرزدق فى سنة عشر ومائة ، وتوفى معن بن زائدة فى سنة ثمان وخمسين ومائة.

وقوله : (ولا منسئٌ) هو اسم فاعل من أنسأت الشيء : أخرته ، ويقال أيضاً نسأته ، فعلت وأفعلت بمعنًى ، فالمفعول محذوف أى حقه . قال الشارح : « الرواية بجرّ منسئٌ ، وإذا رفعته فهو خبر مقدم على المبتدأ » . أقول : الجر يكون بالعطف على مدخول الباء الزائدة ، ومعن فاعله أقيم مُقام الضمير ، فيكون من تتمة الجملة الأولى . وإذا رفع كان من جملة أخرى . وبالرفع أنشده سيبويه . قال الأعلم : استشهد به سيبويه على أن تكرير الاسم مظهراً من جملتين أحسن من تكريره فى جملة واحدة ، فلو حمل البيت على أن التكرير من جملة واحدة لقال : ولا منسئٍ معن عطف على قوله : بتارك حقَّه ؛ ولكنه كرّره مظهراً ، ولما أمكنه أن يجعل الكلام جملتين استأنف الكلام فرفع الخبر» . وقال ، اعلم[1] أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرير ذكره فى جملة واحدة كان الاختيار أن يُذكر ضميره ، لأن ذلك أخفُّ وأنفى للشبهة واللَّبس ، كقولك : زيد ضربته ، ولو أعدت لفظه بعينه فى موضع

(١) ـ : « وقال الأعلم » ، صوابه ماأثبت من ط.والكلام التالى ليس للأعلم ، بل هو للسيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه . انظر السيرافى ١ : ١٧٢ مخطوطة دار الكتب .

كنايته لجاز ولم يكن وجهَ الكلام[١] كقولك : زيد ضربت زيداً — على معنى زيد ضربته — وإذا أعدت ذكره فى غير تلك الجملة جاز إعادة ظاهره وحسُن كقولك : مررت بزيدٍ وزيدٌ رجل صالح ؛ قال تعالى : « وإذا جاءتهم آيةٌ قالوا لن نُؤْمِنَ حتى نُؤْتَى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ[٢] » فأعاد الظاهر لأن قوله « الله أعلم » ابتداء وخبر ، وقد مرّت الجملة الأولى . فإذا قلت : ما زيد ذاهباً ولا مُحْسن زيد ، جاز الرفع والنصب ؛ فإذا نصبت فقلت : ولا محسناً زيد جعلت زيداً هذا الظاهر بمنزلة كنايته ، فكأنك قلت : ما زيد ذاهباً ولا محسناً ، كما تقول ولا محسنا أبوه ، فتعطف محسنا على ذاهبا وترفع زيداً بفعله وهو محسن ، فإذا رفعت جعلت زيداً كالأجنبى ورفعته بالابتداء وجعلت محسنا خبراً مقدّما . واختار سيبويه الرفعَ لأنّ العرب لا تعيد لفظَ الظاهر إلا أن تكون الجملة الأولى غير الجملة الثانية[٣] وتكون الثانية مستأنفة كما قلنا فى : « رسلُ اللهِ اللهُ أعلم » . فإذا رفعته فهو مطابق لما ذكرناه وخرج عن باب العيب ، لأنك جعلته جملة مستأنفة . واستشهد سيبويه لجواز النصب وجعل الظاهر بمنزلة المضمر[٤] بقوله :

* لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شىء[٥] *

---

(١) فى النسختين : « وجه الكلام » ، صوابه من السيرافى .

(٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وفى السيرافى : « رسالاته » ، وهى القراءة الغالبة ، وقراءة الإفراد هى قراءة ابن كثير وحفص ، ووافقهما ابن محيصن . إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ وتفسير أبى حيان ٤ : ٢١٧ .

(٣) سـ : « خبر الجملة الثانية » ، صوابه فى ط وشرح السيرافى . وكلمة « الأولى » من السيرافى ، ساقطة من النسختين .

(٤) السيرافى : « بقول سوادة بن عدى » .

(٥) انظر الشاهد التالى .

[فأعاد الإظهار ، وذلك أن قوله لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيء ، الموتُ الأول هو المفعول الأول لأرى ، ويسبق الموت شيء[1]] في موضع المفعول الثانى وهما فى جملة واحدة ، وكان ينبغى أن يقول يسبقه شيء فيضمره .

واستشهد لاختيار الرفع فيما اختاره فيه بقول الفرزدق :

لعمرك ما معنٌ بتارك حقه . . (البيت)

ومعن الثانى هو الأوّل ، فهو بمنزلة قوله ما زيد ذاهباً ولا محسنٌ زيد . وللمعترض أن يقول : الفرزدق تميمىّ وهو يرفع خبر ما على كل حال مكنيّا كان أو ظاهراً ، ألا ترى أنّ الفرزدق من لغته أن يقول : ما معن تاركُ حقه ولا منسىء هو . فالظاهر والمكنى على لغته سواء » انتهى . ١٨٣

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون ، وهو من شواهد س[2] :

٦٠ (لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيء)

تمامه : (نغص الموتُ ذا الغِنى والفقيرا)

لما تقدم فى البيت قبله ، أى لا أرى الموت يسبقه شيء أى لا يفوته . وأنشده ثانياً فى الإخبار بالذى وجعلَه من قبيل « الحاقّةُ ما الحاقّةُ » مما إظهاره يفيد التفخيم ، فخالف كلامَه هنا . وتبع الشارحُ هنا س .

وخالفه المبرّدُ فى هذا وفرقَ بينه وبين ما ذكر ، لأن الموت جلس . وإنما كره زيد قام زيد ، لئلا يتوهم أن الثانى خلاف الأول ، وهذا لا يتوهم

---

(١) التكملة من السيرافى ، وبدونها لا يستقيم الكلام .

(٢) سيبويه ١ : ٣٠ . وانظر الخزانة ٢ : ٤/٥٣٤ : ٥٥٢ وابن الشجرى ١ : ٢٤٣ ، ٢٨٨ والخصائص ٣ : ٤٣ وشواهد المغنى ٢٩٦ .

فى الأجناس ، قال تعالى : « إذا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأخرجَتِ الأرْضُ أثقالَهَا » . وكذا إذا اقترن بالاسم الثانى حرف الاستفهام بمعنى التعظيم والتعجب كان الباب الإظهارَ ، كقوله تعالى : « القارِعَةُ مَا القَارِعَةُ » و « الحاقةُ ما الحاقَّةُ » . والإضمار جائز كما قال تعالى : « فأُمُّهُ هاوِيَةٌ . وَما أدْراكَ ما هِيَهْ » .

وكذلك لم يرتضه شرّاح أبياته . قال الأعلم — وتبعه ابن خلف ، ومثله لأبى جعفر النّحاس — : استشهد بهذا البيت سيبويه على إعادة الظاهر موضع المضمر ، وفيه قبح إذا كان تكريره فى جملة واحدة ، لأنه يستغنى بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز إلاّ فى ضرورة ، كقولك : زيد ضربت زيداً ، فإن كان إعادته فى جملتين حسُن ، كقولك : زيد شتمته وزيد أهنته ، لأنه قد يمكن أن تسكت عن الجملة الأولى ثم تستأنف الأخرى بعد ذكر رجل غير زيد . فلو قيل زيد ضربته وهو أهنته ، لجاز أن يُتوهّم الضميرُ لغير زيد ، فإذا أعيد مظهَراً زال التوهُّم . ومع إعادته مضمراً[1] فى الجملة الواحدة ، كقولك : زيد ضربته ، لا يُتوهّم الضمير لغيره ، لأنك لا تقول[2] : زيد ضربت عمراً . والإظهار فى مثل هذا أحسن منه فى هذا ونحوه ، لأن الموت اسم جنس ، فإذا أعيد مظهراً لم يتوهم أنه اسم لشىء آخر . فلذلك كان الإظهار فى هذا أمثَل ، لأنه أشكل .

وقوله : (نغّص الموتُ . . الخ) يريد : نغص عيشَ ذى الغِنىُ والفقير . يعنى أن خوف الغنىّ من الموت ينغّص عليه الالتذاذ بالغنى والسرورِ به ، وخوفَ الفقير من الموت ينغّص عليه السعى فى التماس الغنى لأنه لا يعلم أنه

(١) ـــ : « مظهراً » ، صوابه فى ط .

(٢) ـــ : « لأنك تقول » ، صوابه فى ط .

— إذا وصل إليه الغنى — هل يبقى حتّى ينتفع به ، أو يقتطعه الموت من الانتفاع ؟

وهذا البيتُ من قصيدة لعدىّ بن زيد ، وقيل لابنه سَوادة بن عدىّ . والصحيح الأول . وأولها : صاحب الشاهد

قصيدة الشاهد

(طال لَيلى أُراقبُ التنويرا ... أرقبُ الليلَ بالصباح بَصيرا
شطّ وصلُ الذى تريدين منّى ... وصغيرُ الأمورِ يَجنى الكبيرا
إنّ للدهر صولةً ، فاحذرَنْها ... لا تبيتَنّ قد أمنتَ الدهورا
قد يبات الفتى صحيحاً فيَرْدَى ... ولقد بات آمِناً مسرورا
« لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شىء ... نغّص الموتُ ذا الغنى والفقيرا »
لِلمنايا مَع الغُدُوِّ رواحٌ ... كلَّ يوم ترى لهُنّ عَقيرا
كم ترَى اليوم من صحيح تمنّى ... وغدا حَشْوَ رَيطة مقبورا
أينَ أينَ الفِرار مما سيأتى ! ... لا أرى طائراً نجا أن يَطيرا 184
فامشِ قصداً إذا مشَيتَ وأبصِرْ ... إنّ للقصد مَنهجاً وجُسورا
إن فى القصد لابن آدمَ خيراً ... وسبيلا على الضعيف يَسيرا)

و (عدىّ بن زيد) بن حماد بن زيد بن أيوب ، من بنى امرئ القيس ابن زيد مَناة بن تميم . عدى بن زيد

قال صاحب الأغانى[1] : « وكان أيوب هذا أوّل من سمى من العرب أيوبَ . وكان عدىّ شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وكذلك أبوه وأمه وأهله . وليس ممن يعدّ فى الفحول . [و[2]] هو قروىّ

(١) الأغانى ٢ : ١٧ .
(٢) التكملة من الأغانى . وكذلك سائر التكملات فى هذا النص .

قد أخذوا عليه أشياء عِيب فيها . وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان : عدىّ بن زيد فى الشعراء بمنزلة سُهيل فى النجوم : يُعارضها ولا يجرى معها مَجراها . وكذلك عندهم أمية بن أبى الصلت . ومثلهما من الإسلاميينَ : الكميت ، والطِرِمّاح .

وكان سبب نزول آل عدىّ الحيرة أن جدَّه أيوب كان منزله اليمامة ، فأصاب دماً فى قومه ؛ فهرب إلى أوس بن قُلّام : أحد بنى الحارث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسبٌ من قبل النساء ، فأكرمه وابتاع له موضع دار [ه] بثلاثمائة أوقيّة من ذهب ، وأنفق عليها مائتى أوقيّة ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعاتها[1] ، وفرساً ، وقَينة . واتصل بملوك الحيرة وعرفوا حقّه وحقّ ابنه « زيد » بن أيوب ، فلم يكن منهم ملك يملك إلاّ ولِوَلَد أيوب منه جوائز [وحُملان] . ثم إن زيداً نكح امرأة من آل قلام فولدت له « حماداً » . فخرج زيد بن أيّوب يوماً للصيد ، فلقيه رجل من بنى امرئ القيس الذين كان لهم الثأر فاغتال زيداً وهرب ، ومكث حمّاد فى أخواله حتى أيفع وعلمته أمّه الكتابة ؛ فكان أوّل من كتب من بنى أيوب ، فخرج من أكتب الناس حتى صار كاتبَ النعمان الأكبر ؛ فلبث كاتباً له حتى وُلد له ولد فسمّاه « زيداً » باسم أبيه . وكان لحمّاد صديق من دهاقين الفرس اسمه فَرّوخ[2] ماهان . فلما حضرت الوفاةُ حمّاداً أوصى بابنه زيد إلى الدِهقان — وكان من المَرازبة — فأخذه إليه .. وكان زيد قد حذق الكتابة [والعربية] ، وعلّمه الدِّهقان الفارسيّة . وكان لبيباً ، فأشار الدهقان إلى كسرى أن يجعله على البريد فى حوائجه ، فولاّه وبقى زماناً . ثم إنّ النعمان هلك ، فاختلفَ أهلُ

(١) ط : « برعاها » ، وأثبت ما فى س والأغانى .

(٢) الميمنى : « الأكثر فى الكتابة فرخ بلا واو ، ومعناه المبارك » .

الحيرة فيمن يملّكونه إلى أن يعقِد كسرى الأمر لرجل منهم[١] ، فأشار المرزُبان عليهم بزيد بن حمّاد ، فكان على الحيرة إلى أن ملّك كِسرى المنذرَ ابن ماء السماء . ونكح زيد نعمة بنت ثعلبة العدَويّة فولدت له « عدياً » . وولد للمرزُبان ابن وسمّاه شاهان مَرْد . فلما أيفع عدىٌّ أرسله المرزبان مع ابنه إلى كُتّاب الفارسيّة ، وتعلّم الكتابة والكلامَ بالفارسية ، حتى خرج مِن أفهم الناس وأفصحهِم بالعربية ، وقال الشعرَ وتعلّم الرّمىَ بالنُّشّاب [فخرج من الأساورة الرُّماة] ، وتعلّم لَعِب العجم على الخيل بالصّوالجة وغيرها . ثم إنّ المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له : إن عندى غلاماً مِن العرب هو أفصحُ الناس وأكتبُهم بالعربية والفارسية ، والملك يحتاج إلى مثله . فأحضر المرزُبان عدىَّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن — وكانت الفُرس تتبرّك بالجميل الوجه — فرغب فيه ؛ فكان عدىٌّ أوّلَ من كتب بالعربية فى ديوان كسرى . فرغب أهلُ الحيرة إلى عدىّ ورهِبوه . ولم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى معظماً . وأبوه زيد كان حيًّا ، إلا أن صِيته قد خمل بذكر ابنه عدىّ .

ثم لما هلك المنذر اجتهد عدىّ عند كسرى حتى ملّك النعمانَ بن المنذر الحيرة . ١٨٥

ثمّ بعد مدّة افترَوا على عدىّ وقالوا للنعمان : إنّ عديًّا يزعم أنك عاملُه على الحيرة . فاغتاظ منه النعمان وأرسل إلى عدىٍّ بأنه مشتاق إليه يستزيره[٢] . فلما أتى إليه حبسه ، وبقى فى الحبس إلى أن جاء رسول كسرى ليُخرِجه[٣] ؛ فخاف النعمان من خلاصه فغمّه حتى مات ؛ وندم النعمان على قتله ، وعرف أنَّه غُلب على رأيه . ثم إنه خرج يوماً إلى الصيد فلقى ابنا لعدىّ يقال له زيد ؛

(١) الأغانى : « لرجل ينصبه » .
(٢) ط : « ليستزيره » .
(٣) انظر قصة هذا الرسول فى الأغانى ٢ : ٢٦ — ٢٧ .

فلما رآه عرف شبهه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عديّ . فكلمه فإذا هو غلامٌ ظريف ، ففرح به فرحا شديداً ، فقرّبه واعتذر إليه من أمر أبيه ، ثم كتب إلى كسرى يربيه ويشفع له مكان أبيه . فولاّه كسرى . وكان يلي الكتابة عنده إلى ملوك العرب وفي خواصّ أمور الملك . وكانت لملوك العجم صِفَة النساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبعثون في تلك الأَرَضينَ تلك الصفة ؛ فإذا وُجِدت حُملت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب . فلما كتب كسرى في طلب تلك الصفة قال له زيد بن عديّ : أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان — بين بناته وأخواته وبنات عمّه — أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ، فابعثني مع ثِقة من رجالك يفهم العربية حتّى أبلغ ما تحبُّه . فبعث معه رجلا فطِناً وخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلطفه حتى بلغ الحيرة ؛ فلما دخل على النعمان قال له : إنّ كسرى قد احتاج إلى نساء لنفسه ولولده ، وأراد كرامتَك بصهره فبعث إليك . فقال النعمان لزيد — والرسول يسمع — : أمَا في مَها السَّواد وعِينِ فارس ما يبلغ به كسرى حاجتَه ؟ ! فقال الرسول لزيد ، بالفارسية : ما المها ؟ فقال له ، بالفارسية : كاوان ، أي البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنّما أراد الملك أن يكرمك ، ولو علم أنّ هذا يشقُّ عليك لم يكتب إليك به . فأنزلهما عنده يومين ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك ليس عندى . وقال لزيد : اعذرني عنده . فلما رجع إلى كسرى قال زيد للرسول : اصدُق الملكَ عمّا سمعتَ ، فإني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه ! فلما دخلا على كسرى قال زيد : هذا كتابه . فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنتَ خبّرتني به ؟ قال : قد كنت خبّرتك ببخلهم بنسائهم على غيرهم ، وأنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرىَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّموم

على طِيب أرضك ، حتى إنهم ليسمُّونها السِّجن ، فسل هذا الرسول الذى كان معى عما قال ، فإنى أكرم الملك عن مشافهته بما قال . فقال للرسول : وما قال النعمان ؟ فقال له الرسول : إنه قال : أمَا كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه ، حتّى يطلب ما عندنا ؟ ! فعرف الغضب فى وجهه . وسكت كسرى أشهرا — وسمع النعمان غضبَه — ثم كتب إليه كسرى : أن أقبل ، فإن لى حاجةً بك . فخافه النعمان وحمل سلاحَه وما قدر عليه ولجأ إلى قبائل العرب فلم يُجِرْهُ أحد ، وقالوا : لا طاقةَ لنا بكسرى . . حتى نزل بذى قار فى بنى شيبان سرًّا ، فلقى هانئَ بن قَبيصة ، فأجاره وقال : لزمنى ذِمامُك ، وإنى مانعُك مما أمنع منه نفسى وأهلى ، وإنّ ذلك مهلكى ومهلكك . وعندى رأىٌ لست أشير به لأدفعك عما تريده من مجاورتى ؛ ولكنه الصواب . فقال : هاته ! قال : إنّ كلَّ أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد المُلْك سُوقة ؛ والموت نازلٌ بكلّ أحد ، ولأنْ تموت كريماً خير من أن تتجرّع الذلّ أو تبقى سوقةً بعد المُلك . . امض إلى صاحبك واحمل إليه[1] هدايا ومالا ، وألقِ نفسك بين يديه ، فإما أن يصفح عنك فعدتَ ملكا عزيزا ، وإما أن يصيبك فالموتُ خير من أن تتلعّب بك صعاليكُ العرب ويتخطّفك ذئابها . . قال : فكيف بحُرَمى وأهلى ؟ قال : هنّ فى ذمّتى ، لا يخلص إليهن حتى يخلُص إلى بناتى . فقال : هذا — وأبيك — الرأى ! ثم اختار خيلاً وحللا من عَصْب اليمن ، وجواهر وطُرَفا كانت عنده ، ووجّه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه صائر إليه . فقبلها كسرى وأمره بالقدوم . فعاد إليه الرسول

١٨٦

(١) كذا فى النسختين ، وفى الأغانى ٢ : ٢٧ : « ثم كتب إلى كسرى : إن عديا كان ممن أعين به الملك فى نصحه ولبه ... » الخ . فلعل صوابه « يزكيه » .

(٢) ط : « وكان يلى المكاتبة عند آل ملوك العرب » صوابه فى س .

وأخبره بذلك وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوءا . فمضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدىّ فقال له : انجُ نُعَيم ، إن استطعتَ النَّجاء ! فقال له النعمان : أفعلتَها يا زيد ! أما والله لئن عشت لأقتلنك قِتلة لم يُقتَلها عربىّ قطّ ! فقال له زيد : قد — والله — أُخيت لك آخيّة لا يقطعها المهر الأرِن[1] فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيّده وسجنه ؛ فلم يزل فى السجن حتى هلك . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . وذلك قبيل الإسلام بمدّة ، وغضبت له العرب حينئذ ، فكان قتله سبب وقعة ذى قار » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون[2] :

٦١ (إذا المرء لَم يَغْشَ الكَرِيهةَ أَوْشَكَتْ
حِبالُ الهُوَينَى بالفتى أنْ تَقَطّعا)

على أن الاسم إن أعيد ثانيا ولم يكن بلفظ الأول لم يجز عند سيبويه ، ويجوز عند الأخفش سواء كان فى شعرٍ أم فى غيره ، كهذا البيت .

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة ، عند قول أبى النَّشناش :

إذا المرء لم يَسرَحْ سَواماً ولم يُرِحْ سَواماً ولم تَعطف عليه أقاربُهُ
فَلَلموت خيرٌ للفتى من حياته فقيراً ومن مولًى تدِبّ عقاربُهُ

كان يجب أن يقول : فللموت خير له ؛ فعدل عن المظهر والمضمر جميعا إلى لفظ آخر ، كقوله :

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ســه .
(٢) الأرن : النشيط . والآخية : عود كحلقة تشد فيها الدابة .
(٣) أنظر العينى ٢ : ١٣٢ والخصائص ٣ : ٥٣ والهمع ١ : ١٨٠ والنوادر ١٥٣ والمفضليات ٣٢ .

إذا المرء لم يغش الكريهة . . (البيت)

وسبب ذلك أن هذا المُظهَر المخالف للفظ المظهر قبله ، قد أشبه عندهم المضمر ، من حيث كان مخالفاً للفظ المظهر قبله خلاف المضمر له .

وقال ابن رشيق فى العمدة : « قوله (بالفتى) حشو ؛ وكان الواجب أن يقول (به) لأن ذكر المرء قد تقدَّم ؛ إلا أن يريد بالفتى معنى الزِّراية والأطنوزة [1] ، فإنه محتمل » اهـ وهذا تخيل دقيق .

و (الغِشيان) : الإتيان ، يقال غِشيته من باب تعب : أتيته . و (الكريهة) الحرب ؛ وقيل : شدّتها ، وقيل : النازلة . وهذا هو المراد هنا . و (أوشكت) : قاربت ودنت و (الحبال) : جمع حَبْل بمعنى السَبَب ، استعير لكل شىء يتوصَّل به إلى أمر من الأمور . و (الهُوَينى) : الرفق والراحة ؛ اوعده ابن دريد فى الجمهرة فى الكلمات التى وردت مصغَّرة لا غير ، قال : والهوينى السكون والخفْض . قال السَّمين ، فى عمدة الحفاظ : يقال : فلان يمشى الهوينى وهو مصغر الهُونى ، والهُونى تأنيث الأهون كالفضلى تأنيث الأفضل . و (بالفتى) الباء للمصاحبة فيكون حالا ، أو بمعنى عَن فيتعلق بما بعدها ، وجاز لأنه ظرف ، ومثله قوله تعالى : « وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ » . قال السمين : فى الباء أربعة أوجه : أحدها للحال أى تقطّعت موصولةً بهم الأسباب . الثانى للتعدية أى قطّعتهم الأسبابُ كقولهم : تفرّقت بهم الطرق أى فرقتهم . الثالث للسببية أى تقطّعت بسبب كفرهم الأسباب التى كانوا يرجون بها النجاة . الرابع بمعنى عَن ، أى تقطّعت عنهم الأسباب الموصِلات بينهم » وهى مجاز ؛

(١) يعنى الطنز والسخرية . وهذه الكلمة لم ترد فى المعاجم المتداولة .

(٢) العمدة ٢ : ٥٦ .

والسبب فى الأصل الحبل ، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شىء ، عيناً كان أو معنى . و (تَقَطّعا) أصله تتقطع بتاءين ، وفاعله ضمير حِبال .

وهذا البيت آخر أبيات للكلْحَبَة العرِينى ، وهى :

أبيات الشاهد

(فإن تَنجُ منها يا حَزِيمُ بن طارق ... فقد تركتْ ما خَلفَ ظهرِكَ بلقعا

ونادى منادى الحى : أنْ قد أُتِيتمُ ... وقد شَرِبت ماء المزادة أجمَعا

وقلتُ لكأسٍ : ألجِميها فإنما ... نزلْنا الكَثيبَ من زَرودَ لنَفْزَعا

فأدرَك إبقاء العَرادة ظلعُها ... وقد جعلتْنى من حَزيمة إصبَعا

أمرتكمُ أمرى بمنعرَج اللِوى ... ولا أمرَ للمَعصىّ إلاّ مضيّعا

إذا المرء لم يَغشَ الكريهةَ . . . . . البيت)

وسبب هذه الأبيات أنّ « الكَلحبة » كان نازلا بزَرود — وهى أرض بنى مالك بن حَنظلة ، وهو من بنى يربوع — فأغارت بنو تغلب على بنى مالك ، وكان رئيسهم حَزيمة بن طارق ، فاستاق إبلَهم ، فأتى الصريخُ إلى بنى يربوع فركبوا فى إثره فهزموه واستنقذوا ما كان أخذه .

فقوله : إن تنج منها ، الضمير راجع إلى فرس الكلحبة . وحَزِيم بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى المعجمة : مرخّم حَزيمة . وهذا البيت يشهد بانفلاته ، وشعر جرير يشهد بأسره ، وهو :

* قُدْنا حَزيمة قد عَلمتم عَنوةً *

ولا مانع منه ، بأن أدركه غيرُ الكلحبة وأسره لمّا ظلَعت فرسه .

قيل : ولما أُسر اختصم فيه اثنان : أحدهما أُنَيف بن جبَلة الضبّىّ ، وهو أحد بنى عبد مناة بن سعد بن ضبّة ، وكان أُنيف يومئذ نازلا فى بنى يربوع وليس معه من قومه أحد . وثانيهما : أُسيد بن حِنّاءة السَّليطىّ . فاختصما

إلى الحارث بن قُراد فحكم : أنّ جزّ ناصيته لأنيف ، وأنّ لأسيد عنده مائة من الإبل . فرضيا بذلك .

والحارث بن قُراد من بنى حِميرىّ بن رياح بن يربوع . وأمّه من بنى عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبّة .

وقوله : (فقد تركت الخ) ، العرب كثيراً ما تذكر أنّ الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يقول : إنْ تنج يا حَزيمة من فرسى لم تُفلت إلاّ بنفسك ، وقد استبيح مالُكَ وما كنتَ حويته وغنمته ، فلم تدع لك هذه الفرس شيئاً .

وقوله : (ونادى منادى الحى . الخ) كأنّ الكلحبة يعتذر من انفلات حزيمة ، يقول : أتى الصريخُ وقد شربت فرسى ملء الحوض ماء . وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها — وكانت عطاشاً — فمنها ما يشرب بعض الشرب ولا يَروى ، وبعضها لا يشرب البتة لما قد جرّبت من الشدّة التى تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وفاعل شربت ضمير الفرس . وجملة قد شربت حال ، أى أتيتم فى هذه الحال .

١٨٨ وقوله : (وقلت لكأس . البيت) كأس بنت الكلحبة ، وقيل جاريته ؛ والعرب لا تثق فى خيلها إلاّ بأولادها ونسائها . وقوله : لنفزعا ، أى لنغيث ؛ يقول : ما نزلنا فى هذا الموضع إلاّ لنغيث من استغاث بنا . والفزع من الأضداد ، بمعنى الاغاثة والاستغاثة .

وقوله : (فأدركَ إبقاء العَرادة . . الخ) العرادة بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلحبة ، كانت أنثى . والإبقاء : ما تبقيه الفرس من العَدْوِ ، إذْ من عتاق الخيل ما لا تعطى ما عندها من العدْو بل تبقى منه شيئاً

إلى وقت الحاجة ؛ يقال : فرس مبقية : إذا كانت تأتى بجرىٍ عند انقطاع جريها ، وقتَ الحاجة(١) . يريد أنها شربت الماء فقطعها عن إبقائها ففاته حزيمة .
وروى (أنقاء العَرادة) بفتح الهمزة وبالنون : جمع نِقو بالكسر ، وهو كل عظم ذى مخ ، يعنى ظلَعها وصل إلى عظامها . وروى أيضاً : (إرقال العرادة) بكسر الهمزة وبالقاف ، وهو السَّير السريع ، وهو مفعول ، والظلع فاعل .
قال ابن الأنبارى : الظُّلوع فى الإبل بمنزلة الغمْز أى العرج اليسير ، يقال ظلَعَ يظلع بفتحهما ظلعا وظلوعاً ؛ ولا يكون الظلوع فى الحافر إلا استعارة . يقول : فاتنى حزيمة وما بينى وبينه إلاّ قدر إصبع .

وأورد الشارح هذا البيت فى باب الإضافة على أن فيه حذف ثلاثة مضافات ، أى جعلتْنى ذا مقدار مسافة إصبع . والأَوْلى تقدير مضافين ، أى ذا مسافة إصبع ، كما قدّر ابنُ هشام فى مغنى اللبيب ؛ فإن المسافة معناها البعد ، والمقدارُ لا حاجة إليه . والمسافة وزنها مَفعَلة ، أى محل السَّوف وهو الشمّ وكان الدليل إذا سلك الطرق القديمة المهجورة أخذ ترابها فشمَّه ليعلم أعلى قصدٍ هو أم على جَور ؟ وإنما يقصد بشمّ التراب رائحة الأبوال والأبعار ، فيعلم بذلك أنه مسلوك .

وكذلك أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « فكانَ قابَ قَوْسَين » قال : فيه حذف مضافين ، كما فى هذا البيت . لكن تقديره مقدار مسافة إصبع يحتاج إلى تأويل لصحة الحمل .

وقوله : (أمرتكم أمرى . . الخ) اللِّوى بالقصر هو لوى الرمل ، أى

---

(١) عبارة أبى زيد فى النوادر : «هى التى يظن أنه لا جرى معها ، فإذا طلب منها وجد عندها » . وفى القاموس : « هى التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى الخيل » . وفى الأساس : « هى الخيل التى لا يخرجن ما عندهن من الجرى ، فهن أحرى ألا يلغبن » . واللغوب : التعب .

منقطَعه حيث ينقطع ويفضى إلى الجَدَد ، ومنعرجه : حيث انثنى منه وانعطف . وإنما قال بمنعرج اللوى ليعلم أين كان أمرُه أيام ، كما قال الآخر[١] :

ولقد أمرتُ أخاك عَمراً أمرَه   فأبى وضيّعه بذات العُجرُمِ[٢]

وهذا البيت من شواهد سيبويه . أورده الشارح أيضاً فى باب الاستثناء ، على أن نصب المستثنى فى مثله قليل . وقال الخليل : مضيّعاً : حال ، وجاز تنكير ذى الحال لكونه عاماً كأنه قال : للمعصىّ أمره مضيعاً . وبهذا يسقط قول الأعلم حيث قال « الشاهد فيه نصب مضيّع على الحال من الأمر ؛ وهو حال من نكرة . وفيه ضعف لأن أصل الحال أن تكون للمعرفة » اهـ .

أقول : إنْ جعل حالاً من الضمير المستقرّ فى قوله « للمعصىّ » فإنّه خبر لا النافية ، فلا يرد عليه ما ذكر .

وقال النحاس « ويجوز أن يكون حالاً للمضمر ، التقدير إلاّ أمراً فى حال تضييعه ، فهو حال من نكرة » .

أقول : هذا التقدير من باب الاستثناء ، ومضيّعاً وصف للمضمر لا حال منه .

وقال الأعلم « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير إلاّ أمراً مضيعاً . وفيه قبح لوضع الصفة موضع الموصوف » .

أقول : لا قبح ، فإنّ الموصوف كثيراً ما يحذَف لقرينة .

وقال ابن الأنبارى : « الاستثناء منقطع » . أقول : التفريغ لا يكون   ١٨٩

---

(١) هو عمرو بن الأسود ، كما فى الأصمعيات ٧٩ ، ونسب البيت فى معجم البلدان ٦ : ١٢٣ إلى بشر بن سلوة .

(٢) ويروى : « إمرة » و « آمرا » ، و « وضيعها » .

فى المنقطع . ثم قال : « ولو رفع فى غير هذا الموضع لجاز بجعله خبراً لِلا » .

أقول : يجب حينئذ أن يقال ولا أمراً للمعصىّ بالتنوين ، إلاّ على مذهب البغداديين .

وقد أورد أبو زيد فى نوادره[1] هذه الأبيات على غير هذا الترتيب ، وروى أولها :

أمرتهم أمرى بمنعرَج اللوى . . (البيت)

ترجمة الكلحبة

و (الكَلْحَبَة) لقب الشاعر ، وهو بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها حاء مهملة فباء موحدة . ومعناه فى اللغة صَوت النار ولهبها ، كذا فى العباب . وزاد فى القاموس : « وكلحَبهُ بالسيف : ضربه » . و (العَرينى) نسبة إلى عَرين بفتح العين وكسر الراء المهملتين ، والياء فى فَعيل تثبت فى النسب ، وهو جدّه القريب[2] . ويقال له : (اليربوعى) أيضاً نسبة إلى جده البعيد . وقولهم : الكلحبة عُرَنىّ نسبة إلى عُرَينه كجُهَنىّ نسبة إلى جُهينَة ، تحريفٌ ؛ فإن عُرينة بالتصغير بطن من بَجيلة ، وليس من نسبه .

قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : « الكلحبة اليربوعى اسمه هُبيرة ابن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ، أحد فرسان بنى تميم وساداتها ، وشاعر ؛ وهو القائل :

فقلتُ لكأس ألجميها . . (البيت)

وكذا قال أبو زيد فى نوادره : اسمه هبيرة بن عبد مناف ، عمّ واقد ابن [عبد الله بن[3]] عبد مناف .

---

(١) نوادر أبى زيد ١٥٣ — ١٥٤ .

(٢) انظر الاشتقاق ٢٢٦ بتحقيقنا .

(٣) التكملة من ـــه والنوادر .

ومثله قال ابن الأنبارى : الكلحبة : اسمه هبيرة بن عبد مناف .
وقال الصاغانى فى العباب : قال أبو عبيد : كلحبة : اسمه عبد الله بن كلحبة ، ويقال هبيرة بن كلحبة ، فارس العَرادة ، ويقال اسمه حُرَيْر . وأثبتُ من ذلك أنّ اسمه هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف . . إلى آخر نسبه . وقال صاحب القاموس : الكلحبة شاعر عُرَنىّ ، ولقب هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف ابن عَرِين العَرنى فارس العَرادة . اهـ فتأمّل ما فيه !

والظاهر أن حُريراً ابنه ، وهو بضم الحاء المهملة وفتح الراء الأولى ، كما يفهم من قوله :

لعلّ حُريراً أخطأته مَنيّةٌ ستأتيك بالعلم العَشيّةُ أوغدُ[1]
تقول له إحدى بَلِيٍّ شَماتةً : مَنِ الحنظلىُّ الفارسُ المتفقّدُ !

فإنه كان أراد بعض ملوك الشام ، فسار حتى [إذا[2]] صار فى موضع يقال له قَرن ظَبى رجَم ، وقال :

رددتُ ظعائنى من قَرن ظَبى وهن على شمائلهنّ زُورُ

فجاور فى بلىّ بن عمرو بن الحافِ[3] بن قضاعة ، فأغار عليهم بنو جشم ابن بكر من بنى تغلب ، فقاتل مع بلىّ هو وابنه ، وقد أخذ بنو جشم أموالهم ، حتى ردّها ، وجُرح ابنه فمات من جراحته .

ومن شعر الكلحبة يخاطب جاريته كأساً ، رواه أبو زيد فى نوادره[4] :

---

(١) ط : « سآتيك » صوابه فى س . وفى النوادر ١٥٥ : « سيأتيك » .
(٢) التكلة من شرح المفضليات ٢٤ .
(٣) وكذا فى الجمهرة ٤٤١ .
(٤) النوادر ١٥٤ .

يا كأس ويلك إنّى غالنى خلُق على السماحة صُعلوكاً وذا مالِ
تخيّرى بين راعٍ حافظٍ بَرَم عَبدِ الرِشاء عليك الدهرَ عمال(١)
وبين أروعَ مشمولٍ خلائقُه مستغرقِ المال للذّات مكسال
فأىُّ ذينكِ إن نابتك نائبة ! والقوم ليسوا وإن سُوُّوا بأمثال(٢)

قال أبو حاتم : فأىّ بالرفع . قال أبو على : أضمر (اختارى) لأن ذكره قد جرى ، فهو منصوب .

وقال أخوه يردّ عليه :

١٩٠ ألَم تكُ قد جرّبْتَ ما الفقرُ والغِنى وما يَعظ الضلّيل إلا ألالِكا(٣)
عُقوقاً وإفسادا لكلّ معيشة فكيف ترى أمست أضاعةُ مالكا

قال أبو حاتم : إضاعةَ بالنصب . وقال أبو على : ترى المتعدية لمفعولين ، ألغاها .

« تتمة »

قد أخذ البيتَ الشاهدَ شَبيبُ بن البَرصاء ، وغيّر قافيته وقال :

دعانى حُصَينٌ للفِرار فساءنى مَواطنُ أن يُثنى علىّ فأُشتَما
فقلتُ لحِصن : نجّ نفسك ، إنما يذود الفتى عن حوضه أن يُهدّما
تأخرتُ أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما
سيكفيكَ أطرافَ الأسنّة فارسٌ إذا رِيع نادى بالجواد وألْجما
إذا المرء لم يَغشَ الكريهة أوشكت حبالُ الهوينى بالفتى أن تجذّما

(١) ط : « حافظ بدم » ، صوابه فى سه والنوادر .
(٢) فى النوادر : « فأى ذلك » .
(٣) النوادر ١٠٤ .

فى القاموس : وجذَمه بالجيم والذال المعجمة فانجذم وتجذّم : قطعه .

ومثله كثير بين الشعراء . وسيأتى إن شاء الله تعالى له نظائر كثيرة .

شبيب بن البرصاء

والبرصاء هى أم شَبيب . وأبوه اسمه يزيد . وتنتهى نسبته إلى قيس بن عَيلان . وهو ابن خالة عَقيل بن عُلَّفة . وكلٌّ منهما كان شريفا سيدا فى قومه . وكانا من شعراء الدولة الأمويه . وترجمتهما طويلة فى الأغانى ، قال صاحبها : « كان عبد الملك بن مروان يتمثّل بهذه الأبيات لشَبيب بن البرصاء ، فى بذل النفس عند اللقاء ، ويَعجب منه[1] » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون[2] :

٦٢ (فإنّ فؤادى عندَكِ الدهرَ أجمَعُ)

صدره : (فإنْ يكُ جُثمانى بأرضٍ سواكم)

على أن الضمير انتقل من متعلَّق الظرف إلى الظرف وهو (عندك) . ووجه الدلالة أنه ليس قبل (أجمع) ما يصح أن يحمل عليه ، إلا اسم إنّ والضمير الذى فى الظرف والدهر ؛ فاسم إنّ والدهر منصوبان ، فبقى حمله على المضمر فى عندك . قال ابن هشام : « هذا هو المختار ، بدليلين : أحدهما امتناع تقديم الحال فى نحو : زيد فى الدار جالسا ، ولو كان العامل الفعل لم يمتنع . ولقوله :

* فإن فؤادى عندكِ الدهرَ أجمَعُ *

---

(١) الأغانى ١١ : ٩٤ . وترجمته شبيب فيها ١١ : ٨٩ — ٩٤ . وترجمة عقيل بن علفة فيها ١١ : ٨١ — ٨٩ .

(٢) العينى ١ : ٥٢٥ والهمع ١ : ٩٩ وابن الشجرى ١ : ٥ ، ٣٣٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٨٦ وسمط اللآلى ٥٠٥ .

فأكّد الضمير المستتر فى الظرف ، والضمير لا يستتر إلا فى عامله ؛ ولا يصح أن يكون توكيداً لضمير محذوف مع الاستقرار ، لأن التوكيد والحذف متنافيان ؛ ولا لاسم إنّ على محله من الرفع بالابتداء ، لأن الطالب للمحلّ قد زال » .

وقوله (بأرض سواكم) قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر أبى على القالى : « يروى بأرضٍ سواكم على الإضافة ، وهذا بيّن ؛ ويروى بأرضٍ سواكم يريد بأرضٍ سِوى أرضكم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه » اهـ . وقوله (عندكِ) بكسر الكاف ، فإنه خطابٌ لامرأة . فإن قلت : فكيف قال (سواكم) ؟ قلت : قد تخاطب المرأة بخطاب جماعة الذكور مبالغة فى سترها ، ومنه قوله تعالى : « فقالَ لِأَهْلِهِ امكثُوا » .

ابيات الشاهد — وهذا البيت من قصيدة لجميل بن مَعْمَر يتغزّل فيها بمحبوبته بُثينة . وما قبله :

١٩١ (ألا تتّقِين اللهَ فيمن قتلتِهِ ... فأمسى إليكم خاشعاً يتضرّع[1])

وبعده :

(إذا قلتُ هذا حينُ أسلُو وأجترِى ... على هجرها ظلّت لها النفسُ تَشفعُ
ألا تتّقِينَ اللهَ فى قتلِ عاشق ... له كَبِدٌ حَرّى عليك تقطّع
غريبٍ مَشوق مُولَع بادّ كاركم ... وكلُّ غريب الدار بالشوق مولَع
فأصبحتُ مما أحدث الدهرُ موجَعا ... وكنتُ لريب الدهر لا أتخشّعُ
فيارَبِّ ، حبّبنى إليها وأعطنى الـــمودّة منها ، أنت تعطى وتمنع)

(١) ط : « فيما قتلته » ، صوابه فى ش .

ورأيت فى تذكرة أبى حيّان أن البيت لكُثَيِّر عَزَّة[1] ، وقال : بعده :

(إذا قلت هذا حينُ أسلو ذكرتها فظلّت لها نفسى تتوق وتَنزِع)

والصواب ما قدّمناه .

جميل بن معمر العذرى

و (جميل) هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر ، كذا قال ابن الكلبى وفى اسم أبيه فمن فوقَه خلاف ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف[2] . وصاحبته بثينة . وهما من عُذرة . ويكنى أبا عمرو . وهو أحد عشّاق العرب المشهورين . وكانت بثينة تكنى أمّ عبد الملك ؛ ولها يقول جميل :

يا أمَّ عبدِ الملك اصرِمينى وبيِّنى صرمَك أوْ صِلينى

ويقال أيضاً : إنّه جميل بن معمر بن عبد الله . والجمال والعشق فى عُذرة كثير . وعشقِ جميل بثينةَ وهو غلام صغير ، فلما كبر خطبها فرُدَّ عنها ، فقال فيها الشعر ، وكان يأتيها وتأتيه — ومنزلها[3] وادى القُرى — فجمع له قومُها جمعاً ليأخذوه ، فحذّرته بثينة ، فاستخفى وقال :

ولو أنَّ ألفاً دونَ بَثنة كلُّهم غَيارى وكلٌّ مزمِعون على قتلى
لحاوَلْتُها ، إمّا نَهاراً مُجاهراً وإما سُرى ليل ، ولو قطعوا رجلى

وهجا قومَها فاستعدَوا عليه مرْوان بن الحكم — وهو على المدينة من قِبل معاوية — فنذر ليقطعنّ لسانه . فلحق بجُذام فقال :

أتانىَ عن مرْوان بالغيب : أنه مُقيدٌ دمى أو قاطعٌ من لسانيا
ففى العيس مَنجاةٌ وفى الأرض مَذهبٌ إذا نحن رفّعنا لهنّ المثانيا

---

(١) انظر ديوان كثير ١ : ٣٣ وديوان جميل ١١٨ .
(٢) المؤتلف والمختلف ٧٢ .
(٣) ط : « ومنزلها » ، صوابه فى ش .

فأقام هناك إلى أن عُزل مرْوان ، ثم انصرف إلى بلده . ومن شعره فيها :

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمى حبُّها ويزيدُ
وأفنيت عُمرى بانتظار نوالها فباد بذاك الدهرُ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حبُّها فيما يَبيد يَبيدُ

ويستجاد له قوله :

خليلىّ فيما عِشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلى

وقالت بثينة ، ولا يُعرف لها شعرٌ غيره :

وإنّ سُلوّى عن جميل لَساعةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينُها
سواء علينا يا جميل بن مَعمَر إذا مُتّ بأساء الحياة ولينُها

١٩٢ وترجمة جميل فى الأغانى طويلة جدّاً ، وما ذكرناه ملخّص من طبقات الشعراء لابن قتيبة .

من اسمه جميل وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف ثلاثةً ممن اسمُه جميل : أحدهم هذا . والثانى : جميل بن المعلّى الفَزارى وهو شاعرٌ فارس ، ومن شعره :

فلا وأبيك ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

والثالث جميل بن سِيدَان الأسدىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون[1] :

(١) الخصائص ٢ : ٣٨٦ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وابن الشجرى ١ : ١٨٠ وشرح شواهد المغنى ٢٦٣ وأمالى الزجاجى ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وسيكرر هذا الشاهد فى الرقم ١١٤ ، فهو سهو من البغدادى .

٦٣ (الا يا نخلةً مِنْ ذات عِرْقٍ   عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ)

لِما تقدّم فى البيت قبله ، بدليل العطف عليه . فإنّ قوله (ورحمة الله) عطف على الضمير المستكنّ فى (عليك) الراجع إلى (السلام) ، لأنه فى التقدير : السّلام حصَل عليكِ ، فحذف حصَل ونقل ضميره إلى عليك واستتر فيه . ولو كان الفعل محذوفاً مع الضمير لزم العطف بدون المعطوف عليه .

وبهذا البيت سقط قول ابن خروف بأنّ الظرف إنما يتحمل الضمير إذا تأخر عن المبتدأ . قال ابن هشام فى المغنى : « قول ابن خروف مخالفٌ لإطلاقهم ولقولِ ابن جنّى فى هذا البيت : إنّ الأولى حملُه على العطف على ضمير الظرف لا على تقديم المعطوف على المعطوف عليه . وقد اعتُرِض بأنه تخلّص من ضرورة بأخرى ، وهو العطف مع عدم الفصل ، ولم يُعترض بعدم الضمير . وجوابه : أن عدم الفصل أسهل لوروده فى النثر ، كررت برجلٍ سواءٍ والعدمُ ، حتى قيل : إنه قياس » اه .

وإنّما نسب الأولويّة إلى ابن جنّى لأنه ذهب — تبعاً لغيره — فى حرف الواو من المغنى إلى أنه من باب تقدم المعطوف على المعطوف عليه ، وأنه من خصائص الواو .

وما زعمه الدمامينى فى الاختصاص : بأن السعد قال فى شرح المفتاح إنّ تقديم المعطوف جائز بشرط الضرورة ، وعدمِ التقديم على العامل ، وكونِ العاطف أحد حروف خمسةٍ : الواو ، والفاء ، وثمّ ، وأو ، ولا ، صرّح به المحقّقون . وقال ابن السِّيد فى شرح أبيات الجمل : مذهب الأخفش أنّه أراد : عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورة ؛ لأن السلام عنده فاعلٌ عليك . ولا يلزم هذا سيبويه لأن السّلام عنده مبتدأ ، وعليك خبره ، ورحمة الله معطوف على الضمير المستتر .

وأنشد ثعلب فى أماليه[1] هذا البيت هكذا :

(ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرق   بَرُودَ الظلِّ شاعَكُمُ السلامُ)

شاعكم : تبعكم ، وعليه لا شاهد فيه . وأنشده صاحب الجمل فى باب النداء . قال اللخمىّ : ونخلة : منادى منكر وهو الشاهد . وحكى الأعلم : أن كل نكرة تؤنث فلا تكون إلاّ منصوبة وإن كانت مقصودة معيّنة . ونخلة عنده منادى مقصود ولكن لما نوّنها نصبها . قال : وذات عرق : موضع بالحجاز . وسلَّم على النخلة لأنه معهدُ أحبابه وملعبُه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازلَ مقام سُكّانها فتُسلِّم عليها وتكثر من الحنين إليها . قال الشاعر : ١٩٣

وكتل الأحباب ، لو يعلم العا   ذلُ ، عندى منازلُ الأحبابِ

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرَها ، وخوفاً من أهلها وأقاربها . وعلى هذا الأخير اقتصر ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير فى باب الكناية ، قال : ومن نخوة العرب وغيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبَيض ؛ وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه : « كأنّهنّ بَيضٌ مَكنُونٌ » ، وقال امرؤ القيس :

وَبيضةِ خدر لا يُرامُ خِباؤها   تمتّعت من لَهوٍ بها غيرَ مُعجَل[2]

ومن مليح الكناية قول بعض العرب :

ألاَ يا نخلةً من ذات عِرقٍ   عليك ورحمة الله السلامُ
سألتُ الناسَ عنكِ فخبّرونى   هَنًا مِنْ ذاكِ تكرهه الكرامُ
وليس بما أحلّ اللهُ بأسٌ   إذا هو لم يخالطه الحرام

---

(١) مجالس ثعلب ٢٣٩ .

(٢) ط : « وبيضة خلد ... تمنعت عن لهو » ، صوابه فى س . والبيت معروف فى معلقته .

فإنّ هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة ، وبالهَناة عن الرفث . فأمّا الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف[1] الكناية وغريبها » اهـ .

وقال شرّاح أبيات الجُمَل وغيرهم : بيت الشاهد لا يُعرف قائله ، وقيل هو للأحوص . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون ، وهو من شواهد س[2] :

٦٤ (أَحقًّا بنى أبناءِ سَلمى بن جَندَلٍ
تَهدُّدُكم إيّاىَ وسْطَ المجالسِ)

على أنّ (تهدّدكم) فاعل الظرف أعنى قوله (حقًّا) لاعتماده على الاستفهام ؛ والتقدير : أفى حقٍّ تهددكم إياى ؟ كما قال الآخر :

* أفى الحقّ أنّى مُغرمٌ بك هائم[3] *

وجاز وقوعه ظرفاً وهو مصدر فى الأصل لما بين الفعل والزمان من المضارعة ، وكأنه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه ، كما قالوا : أتيتك خُفوقَ النجم ، أى وقت خفوق النجم ، فكأنّ تقديره : أفى وقت حق .

وقال ابن الشجرى فى أماليه : قالوا حقًّا إنّك ذاهب ، وأكبَرَ ظنى أنك مقيم ؛ يريدون : فى حق ، وفى أكبر ظنى .

---

(١) فى تحرير التحبير : « طريف » ، بالمهملة .

(٢) سيبويه ١ : ٤٦٨ .

(٣) لعائذ بن المنذر ، كما فى العينى ٣ : ٨١ وشرح شواهد المغنى ٦٣ . وعجزه :
* وأنك لا خل هواك ولا خمر *

ولك فى أنّ مذهبان : فمذهب سيبويه والأخفش والكوفيين رفعُ أنّ بالظرف ؛ وكلّ اسم حدَثٍ يتقدّمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاعَ الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله : غداً الرحيلُ ، وأحقًّا أنّك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حقّ أنّك ذاهب [والحق أنّك ذاهب[1]] . والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع اسم الحدث بالابتداء ويخبر عنه بالظرف المتقدم . حكى ذلك عنه سيبويه فى قوله : وزعم الخليل أنّ التهدد ها هنا بمنزلة الرحيلُ بعد غد وأنّ أنّ بمنزلته اهـ . وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : أنّ وصلَتها مبتدأ والظرف خبره ؛ وقال المبرد : حقاً : مصدر لحقّ محذوفاً ، وأنّ وصلتها فاعل اهـ .

وقد استشكل النّحاس قول الخليل أنّ التهدّد هنا بمنزلة الرحيل بعد غد . الخ ، فقال : وهذا مشكل ، وسألت عنه أبا الحسن فقال : لأنك تقول أحقًّا أن تهدّدوا ، وكذا أحقًّا أنك منطلق ، قال : فحقًا عنده ظرف كأنه قال : أفى حقٍّ انطلاقكَ ؛ قال : وحقيقته أزَمنَ حقّ أنك منطلق[2] ؟ مثل « واسألِ القرْيةَ » . ١٩٤

قال محمد بن يزيد : لم يُجز الخليل كسر إنّ هنا ، لأنه يكون التقدير : إنك ذاهبٌ حقاً ، ثم تقدّم ؛ ومحال أن يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها . ولو كان العامل فيها جاز فيه التقديم والتأخير نحو حقاً ضربت زيداً ؛ ولا يجوز حقاً زيد فى الدار ، فلذلك اضطر إلى تقدير (فى) . وإن قلت : أحقاً أنك ذاهب ، جاز لأن العامل معنى . اهـ[3] . قال النحّاس : وسمعت أبا الحسن يقول :

(١) التكملة من ـ .
(٢) ط : « وحقيقة أن من حق أنك منطلق » ، صوابه فى ـ .
(٣) ـ : « وإن شئت قلت أحق أنك ذاهب جاز لأن العامل معنى أما » .

نظرت فى (أحقا) فلم أجد يصحّ فيه إلاّ قولُ سيبويه : على حذف فى ا هـ .
أراد بهذا الردَّ على الجرمى فإنه قال فى هذا البيت ونحوه : هو على التقديم والتأخير ، ولا يكون على ما قاله سيبويه : من أنه ظرف ؛ لأن الظرف لم يجىء مصدراً فى غير هذا . وهذا الذى قاله قبيح من جهة أن ما ينتصب لدلالة الجملة عليه متقدم . قال أبو على فى التذكرة هذا ليس بالحسن ، على أن سيبويه قال : غيرَ ذى شكّ أنه خارج . وقولهم : غيرَ ذى شك ، فيه دلالة على جواز نصب حقاً على الظرف ؛ ألا ترى أنه إنما أجاز تقديمه حيث كان غير ذى شك بمنزلة حقاً وفى معناه ؛ فلولا أن حقاً فى معنى الظرف عندهم لم يستعملوا تقديم ما كان فى معناه ، إذ العامل إذا كان معنى لم يتقدّم عليه معموله ؛ فلولا أن حقّا بمنزلة الظرف لمَا تقدّم على العامل فيه وهو معنى . ويؤكد ذلك أيضاً قولهم : أكبرَ ظنى أنك منطلق ، فإجراؤهم إياه مجرى الظرف يدلّ على أن حقاً أيضاً قد أجرىَ مجرى الظرف ، إذْ كانا متقاربَى المعنى . وقد أجرى الجرمىّ هذه الأبيات التى أنشدها سيبويه على أنّها محمولة على المصدر ، وأن ما بعد المصدر محمول على الفعل أو على المصدر ، فإما أن يعمل فيه المصدر وإما أن يعمل فيه الفعل العامل فى المصدر . وهذا الذى أجازه جائز غير ممتنع وهو ظاهر . وقد كنت سألت أبا بكر عنه فقلت : ما تنكر أن يكون محمولا على الفعل ؟ فأجاز ذلك ولم يمتنع منه » ا هـ .

و (بنى) منادى مضاف لما بعده . و (سَلمى) بفتح السين . وروى (وعيدكم) بدل تهددكم . (وسْط) بسكون السين : ظرف بمعنى بيَن .

صاحب الشاهد — وهذا البيت للأسوَد بن يَعفُر ، أول أبيات أربعة . وهذا ما بعده :

أبيات الشاهد — (فهلاّ جعلتم نحوَه من وعيدكم ... على رَهط قَعقاعٍ ورهطا بن حابس!

هُمُ منعوا منكم تُراثَ أبيكم فصار التراثُ للكرام الأكايس
وهُمْ أوردوكم ضَفّة البحر طاميا وهم تركوكم بَيْنَ خازٍ وناكس)

نحوه : أى مثله ، أى مثل ما هددتمونى به . والأكايس : جمع أكيَس ، من الكِياسة وهى الظَّرافة . والضَّفّة بالفتح والكسر : جانب البحر والنهر والبئر . وطامياً : من طما الماء يطمو طُموّاً ويَطمى طُميّا فهو طامٍ : إذا ارتفع وملأ النهر ، وهو بالطاء المهملة . وخازٍ : من خزِىَ بالكسر يخزى خِزياً ؛ إذا ذلّ وهان . والناكس : المطأطئ رأسه .

سبب الأبيات

والسبب فى هذه الأبيات كما فى الأغانى[1] : أن أبا جُعَل أخا بنى عمرو ابن حنظلة من البراجم ، جمع من شُذّاذ أسد وتميم وغيرهم ؛ فغزوا بنى الحارث ابن تَيم الله بن ثعلبة ، فنذِروا بهم وقاتلوهم قتالا شديداً حتى فَضّوا جمعهم ؛ فلحق رجل من بنى الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعةً من بنى نَهشل فيهم جرّاح بن الأسود بن يعفر ، وحُرير بن شمر بن هِزّان[2] بن زهير بن جَندل ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة بن جندل ، وعمرو والحارث ابنا حرير[3] بن سَلمى ابن جَندل ؛ فقال لهم الحارثى : هلمّ إلىّ يا طلقاء فقد أعجبنى قتالكم ، وأنا خير لكم من العطش . قالوا : نعم . فنزل ليجزّ نواصيهم ، فنظر جرّاح بن الأسود إلى فرسه[4] فإذا هو أجْوَد فرس فى الأرض — يقال لها العَصماء — فوثب فركبها ونجا عليها . فقال الحارثى للذين بقُوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، نحن لك عليه خفراء . فلمّا أتى جرّاح أباه أمَرَه فهرب بها فى بنى سعد فابتطَنَها

(١) الأغانى ١١ : ٢٣١ — ١٣٢ .
(٢) ـــ : « هزال » .
(٣) فى الأغانى : « ابنا حدبن » .
(٤) الأغانى : « إلى فرس من خيلهم » ، أى من خيل رهط الحارثى .

ثلاثةَ أبطُن — وكان يقال لها العصاء — فلما رجع النفر النهشليّون إلى قومهم قالوا : إنا خفراء فارسِ العَصاء ، فوالله لنأخذنّها . فأوعدُوه ، وقال حُرير ورافع : نحن الخفيران لها — وكان بنو جرول حلفاء بنى سَلمى بن جندل ، على بنى حارثة بن جندل — فأعان على ذلك التيّحان بن بَلْج بن جَروَل بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجوه :

أتانى ولم أخشَ الذى ابتعثا به   خفيرا بنى سَلمى حُريرٌ ورافع

همُ خيّبونى كلَّ يومِ غنيمةٍ   وأهلكتُهمْ لو أنّ ذلك نافع

وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مع بقية الأبيات فى آخر الكتاب فى حروف الشرط .

قال : فلمّا رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردّها أحلفَهم عليها ، فحلفوا أنهم خفراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمْهارها ، فردُّوا الفرس إلى صاحبها ، ثم أظهر الأمهار بعد ذلك فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسوَد :

أحقًّا بنى أبناء سلمى بنَ جندل[١] . الأبيات الأربعة

و (الأسود) هو ابن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نَهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم .   الأسود بن يعفر

قال السيوطى[٢] : وجعله محمد بن سلاّم فى الطبقة الثانية مع خداش ابن زهير والمخبَّل السعدى والنمر بن تولب[٣] . وكنيته أبو الجرّاح . وكان ممن

(١) ط : « أحقا بنى اسماء سلمى بن جندل » ، صوابه فى ش .

(٢) شواهد المغنى للسيوطى ٥٢ ، ١٨٨ .

(٣) هذا خلط ، فإن ابن سلام وضع الأسود مع خداش والمخبل فى الطبقة الخامسة . ابن سلام ١١٩ . وأما النمر بن تولب فهو عنده فى الطبقة الثامنة ص ١٢٣ .

يهجو قومه . وترجمه الآمدى فى المؤتلف والمختلف فيمن لقب بالأعشى ، فقال : ومنهم أعشى بنى نهشل وهو الأسود بن يعفر بن الأسود بن حارثة ابن جندل بن نهشل بن دارم ، الشاعر المشهور اهـ .

وفى الصحاح « الأسود بن يعفر الشاعر إذا قلته بفتح الياء لم تصرفه لأنه مثل يقتل . وقال يونس : سمعت رؤبة يقول أسود بن يُعفر بضم الياء — أى وبضم الفاء أيضاً — وهذا ينصرف لأنه قد زال عنه شبه الفعل » اهـ .

وهو شاعر مقدَّم فصيح من شعراء الجاهلية . ليس بمكثر . وله القصيدة المشهورة التى أولها :

نام الخلىُّ وما أُحِسُّ رقادى والهمُّ محتضر لدىَّ وِسادى

وفيها أبياتٌ شواهد فى المغنى لابن هشام تشرح هناك إن شاء الله تعالى ، وهى من مختار أشعار العرب ، وحكمُها مأثورة .

وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولما أسنَّ كُفَّ بصره ، فكان يقاد إذا ذهب إلى موضع .

وابنه (الجرّاح) وأخوه حُطائط شاعران . ومن شعر حُطائط ، يقول لأمه وقد عاتبته على جوده :

أَرينى جواداً مات هُزلاً لعلّنى أرى ما ترَينَ أو بخيلا مخلّدا
ذرينى أ كنْ للمال ربًّا ولا يكن لىَ المالُ ربًّا تحمَدى غِبَّهُ غدا
ذرينى يكن مالى لعرضى وِقايةً يقى المالُ عرضى قبل أن يتبدّدا[1]

١٩٦

* * *

(١) ط : « فى المال » ، صوابه فى س .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون ، وهو من شواهد س[1] :

٦٥ (أكلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهْ)

على أنه بتقدير (حِوايةُ نَعَمٍ) ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، فإن قوله (أكلّ عام) منصوب على الظرف فى موضع خبر لقوله (نعمٌ) فوجب تقدير مضاف . وقدّره الشارح المحقّق (حِواية) بدليل تحوونه ؛ وهو مصدر حويت الشىء أحويه : إذا ضممته واستوليت عليه وملكته . وقدّره ابن الناظم فى شرح الخلاصة (إحرازُ نَعم) . وقدّره ابن هشام (نَهْبُ نَعَم) . وقدره ابن خلف (أخذ نعم) أو تحصيل نعم . وقال النحاس : كان المبرّد يذهب إلى أن المعنى : أكلَّ عام حدوث نَعَم ! فيكون كلّ منصوبا بالحدوث كما تقول : الليلة الهلالُ . قال أبو الحسن ردًّا عليه : ليس النعم شيئاً يحدُث لم يكن ، كيوم الجمعة وما أشبهه ، ولكن العامل فى كلّ الاستقرارُ والخبرُ محذوف كأنه قال : نَعَمٌ تحوونه لكم اهـ .

أقول : المبرد قدّر هذا المضاف لصحة الإخبار ، لا لأنه عامل فى الظرف . وكيف يكون العامل فى كلّ الاستقرار مع كون الخبر محذوفا مقدّراً بلكم ! فتأمل .

وقدّر صاحب اللبّ المحذوفَ مثلَ المبرّد ، قال شارحه : « يحتمل أن يكون مراده أن المضاف هنا محذوف ، أى أحدوث نعم حصل فى كلّ عام ، أو أحصل فى كلّ عام حدوث نعم ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فيكون المبتدأ أو العامل فى التقدير حدثاً غير مستمرّ . وأن يكون مراده أنّ

(١) سيبويه ١ : ٦٥ . وانظر العينى ١ : ٥٢٨ والإنصاف ٦٢ والمخصص ١٧ : ١٩

للنعم فى نفسه تجدّداً وحدوثاً فى كلّ عام كما أن فى نفس الهلال تجدّداً وحدوثاً فى كل شهر » اهـ.

وفهم من كلامه شيئآن :

الأول الردّ على أبى الحسن فى قوله : « ليس النعم شيئاً يحدث » . والثانى : أنّ نَعما لا يتعين أن يكون مبتدأ ، بل يجوز أيضاً أن يكون فاعل الظرف . ومثله قال ابن هشام فى شرح الشواهد : « الأحسن أن يكون نَعَمٌ فاعلا بالظرف لاعتماده فلا مبتدأ ولا خبر ، ومع هذا فلا بد من التقدير أيضاً ، لأنه لأجل المعنى لا لأجل المبتدأ ؛ إذ الذى يحكم له[1] بالاستقرار هو الأفعال لا الذوات » اهـ.

وأورد س هذا البيت على أن جملة تحوونه صفة لنعم . واستشهد به أيضاً صاحب الكشاف على تذكير الأنعام فى قوله تعالى : « وإنّ لكم فى الأنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِمَّا فى بُطونهِ » ، لأنه مذكّر ، كما ذكّر الشاعر الضمير المنصوب فى تحوونه الراجع إلى النعم ، لأن (النَّعَم) اسم مفرد بمعنى الجمع ، قال الفراء : هو مفرد لا يؤنث ، يقال هذا نَعَمٌ وارد . وقال الهرَوىّ : والنعم يذكر ويؤنث وكذلك الأنعام تذكر وتؤنث ؛ ولهذا قال : مما فى بطونه ، وفى موضع آخر : مما فى بطونها . قال الراغب فى موضعٍ : النعم مختصّ بالإبل . قال : وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة . ثم قال : لكن الأنعام يقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون فيها إبل . وقال فى قوله تعالى « ممّا يأكل الناسُ والأنعام » : إن الأنعام هاهنا عامٌ فى الإبل وغيرها . ١٩٧

(١) فى ط : « عليه » .

ورُوى أيضاً : (فى كلّ عامٍ) بالجارّ بدل الهمزة ، والهمزة للاستفهام الإنكارى . وبعده :

(يُلقِحُــه قومٌ وتَنتِجونهْ أربابُه نَوْكَى فلا يَحمونهْ)

(ولا يُلاقون طعانا دونهْ أَنَعَمَ الأبنــاء تحسبُونهْ)

(أَيْهاتَ أَيْهات لِمــا ترجونهْ)

يقول : يحملون الفُحولة على النُّوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليهـا فأخذتموها وهى حَوامل فتلِد عندكم . يقال : ألقح الفحل الناقة : إذا أحبلها . واللَّقاح كسحاب : ماء الفحل . وتَنتِجونه ، بتاء الخطاب ، يقال : نتجَ الناقةَ أهلُها أى استولدوها ، وأنتجتِ الفرَسُ بالهمزة : حان نِتاجها . قال صاحب المصباح : « النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولىَ الإنسان ناقةً أو شاة ماخِضاً حتّى تضع قيل : نتجها نتْجاً من باب ضرب ، فالإنسان كالقابلة لأنه يتلقّى الولد ويصلح من شأنه ؛ فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة . والأصل فى الفعل أن يتعدى إلى مفعولين فيقال نتجها ولداً ، لأنه بمعنى ولّدها ولداً . ويبنى الفعل للمفعول فيحذف الفاعل ويقام المفعول الأول مُقامه . ويقال : نُتجت الناقةُ ولداً إذا وضعته ويجوز حذف المفعول الثانى اقتصاراً لفهم المعنى ، فيقال : نُتجَتِ الشاةُ . ويجوز إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل وحذف المفعول الأول لفهم المعنى فيقال : نُتج الولدُ ونُتجت السخلةُ أى وُلدت[1] . وقد يقال : نَتجت الناقةُ ولداً ، بالبناء للفاعل على معنى ولدت أو حملت . قال السَّرَقُسْطىّ : نتج الرجلُ الحاملَ : وضعت عنده ، ونَتَجت هى أيضاً : حملت ، لغة قليلة . وأنتجت الفرسُ وذو الحافر بالألف : استبان حملها فهى نتوج » اهـ .

(١) بعده فى المصباح : « كما يقال أعطى درهم » .

وهذا التفصيل لا يوجد فى غير هذا الكتاب ، ولهذا نقل برمّته .

ونَوكى بفتح النون : جمع أنْوَك ، وهو الأحمق الضعيف التدبير والعمل ؛ والاسم النُّوك بالضم والفتح ، نوِك كفرح نَوا كة ونَوَكا محرّكة واستنوك ، وهو أنوَك ومستنوِك ، والجمع نوكى كسكرى ونُوك كهوج ، وامرأة نَوكاء من نُوك أيضاً . وأنوَكه : صادفه أنوَكَ وقوله : فلا يحمونه ، أى لا يمنعون من أراد الإغارة عليه . والأبنـاء : كلّ بنى سعد بن زَيد[1] إلاّ بنى كعب بن سعد[2] . وتحسبونه بالخطاب أيضاً . وأيهات : لغـة فى هيهات . وقوله : لما ترجونه ، بالخطاب أيضاً ، أى رَجوا أن يدوم لهم هذا الفعل فى الناس فمنعناهم منه وحمينا ما ينبغى أن نحميَه .

وهذه الأبيات قيلت فى يوم الكلاب الثانى ، فإن للعرب فيـه يومين عظيمين . وهو بضم الكاف وتخفيف اللام ، وهو ماء لبنى تميم بين الكوفة والبصرة .

يوم الكلاب الثانى

وكان من حديث هذا اليوم على ما فى شرح المناقضات وفى الأغانى[3] : أنه لما أوقع كسرى ببنى تميم — وذلك أنهم كانوا أغاروا على لَطيمته فلجئوا إلى الكُلاب ، وذلك فى القَيظ ، وقد أمنوا أن تُقطَع عليهم تلك الصحارى ، فدلّ عليهم بنو الحارث بن عبـد المَدان فقَتلت المقـاتلَة وبقى الذرارىّ والأموال — بلغ ذلك مَذحِجاً فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموا بنى تميم ، ثم بعثوا الرسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأمور

١٩٨

(١) ط : « كل بنى سعد وبنى يزيد » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وجمهرة ابن حزم ٢١٥ .

(٢) وكذا عمرو بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، قال ابن حزم : « فإنهما يدعون البطون » .

(٣) النقائض ١٠٧٢ والأغانى ١٥ : ٧٠ .

الحارثى الكاهن : ما ترى ؟ فأشار بالكفّ عن غزوهم . وزعموا أنه اجتمع من مذحج ولفّها اثنا عشر ألفاً — فكان رئيسَ مَذحج عبدُ يغوث بن وقّاص[١] ، ورئيس همْدان رجلٌ يقال له ليشْرَح[٢] ، ورئيس كندة البَراء ابن قيس بن الحارث الملك — فأقبلوا إلى بنى تميم فبلغ ذلك سعداً والرِّباب ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكثم بن صيفى فاستشاروه . فقال : « أقلّوا الخلافَ على أمرائكم ، واعلموا أنّ كثرة الصياح من الفشل ، تثبّتوا فإنّ أحزم الفريقين الرَّكين ، وربّما عجلة تَهَبُ رَيثاً ؛ وابرُزوا للحرب ، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل » . فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا للغزو ، واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن فى بنى الحارث من أشرافهم : يزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المخرَّم ، ويزيد بن اليَكْسُم[٣] بن المأمور ، ويزيد بن هَوْبر ، حتى إذا كانوا بتَيمَن — وهى ما بين نجران إلى بلاد بنى تميم — نزلوا قريباً من الكُلاب ، ورجل من بنى زيد بن رياح بن يربوع يقال له مشمّت بن زنباع فى إبل له وهو عند خالٍ له من بنى سعدٍ ، ومعه رجل من بنى سعد[٤] يقال له زهير بن بوّ ، فلما أبصرهم المشمّت قال لزهير : دونك الإبل . وتنحّى عن طريقهم[٥] حتّى أتى الحىّ فأنذرهم ، فأعدُّوا للقوم وصبّحوهم ، فأغاروا على النعم فأطرَدوه ، وجعل رجلٌ من أهل اليمن يقول :

---

(١) فى الأغانى : « عبد يغوث بن صلاءة ، وكذا فى معجم البلدان (كلاب) . ومنشؤه اختصار النسب ، فهو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المعقل . وانظر سائر نسبه فى الأغانى والمفضليات .

(٢) كذا فى س مع أثر تصحيح . وفى ط : « مشرح » وفى الأغانى : « مسرح » .

(٣) كذا فى س واضحا . وفى ط : « الطيسم » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من الأغانى .

(٥) الأغانى : « وتنح عن طريقهم » .

في كلّ عامٍ نَعَمٌ تنتابُهْ على الكُلاب غُيَّباً أربابُهْ

فأجابه غلام من بني سعد كان في النَّعَم على فرس له ، فقال :

عما قليل يلحقن أربابه

وروى : عما قليل ستُرى أربابه

صلب القناة حازما شبابُهْ على جيادٍ ضُمَّر غيابه

وأقبل بنو سعد والرِّباب — ورئيس الرِّباب النعمان بن جِسَاس ، بكسر الجيم وتخفيف السين ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم . وأجمع العلماء على أن قيس بن عاصم كان الرئيس يومئذ — فقال رجل من بني ضَبَّة [1] حين دنا من القوم — وقال شراح أبيات سيبويه : هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثي — :

في كلّ عام نعم تحوونه . . . الأبيات

وتقدمت سعد والرِّباب فالتقوا في أوائل الناس فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النعم من قبل وجوهه فجعلوا يصرفونه بأرماحهم [2] ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يومَهم ، حتَّى إذا كان آخرَ النهار قُتل النعمان بن جِساس ، وظنّ أهل اليمن أنَّ بني تميم ليسوا بكثير ، حتى قُتِل النعمان فلم يزدهم ذلك إلا جراءة ، فاقتتلوا حتّى حجز بينهم الليل . فلما أصبحوا غدَوا على القتال [3] . فنادى قيس بن عاصم : يا آل مُقاعس — وهو الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — فسمع الصوتَ وعلةُ بن عبد الله بن الجَرميّ

---

(١) الأغاني : « فقال صبي » ، صوابه « ضبي » .

(٢) ط : « من قبل وجوهها فجعلوا يضربونها بأرماحهم » .

(٣) في العقد ٥ : ٢٢٧ والأغاني ١٥ : ٧١ زيادة طريفة ، وهي : « فنادى قيس ابن عاصم يال سعد ، ونادى عبد يغوث يال سعد : قيس يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبد يغوث : يال كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك .

وكان صاحب اللواء يومئذ فطرحه ، وكان أوّلَ من انهزم منهم ، وحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم وجعل رجل منهم يقول :

ياقوم لا يُفلتْـكم اليزيدانْ : يزيد حَزْنٍ ويزيد الرّيّانْ
مخرِّم أعنى به والدّيّانْ

(مُخرِّم) هو ابن شُريح بن المخرِّم بن حَزن بن زياد بن الحارث بن مالك ابن ربيعة بن كعب بن الحارث . وهو صاحب المخرِّم ببغداد[1] . ١٩٩

وجعل قيس ينادي : يالَ تميم ، لا تقتلوا إلاّ فارساً فإنّ الرجالة لكم ! وجعل يأخذ الأسرى فما زالوا فى آثار القوم يقتلون ويأسِرون حتى أسروا عبد يغوث بن وقّاص . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب المنادى عند شرح قوله :

فيا راكباً إمّا عَرضتَ فبلِّغنْ نَداماىَ من نجران أن لا تلاقِيا

وأما وَعْلة فإنّه لحق رجلاً من بنى نَهد يقال له سَليط بن قَتَب[2] فقال له وعلة : « أردفنى خلفك ! فإنى أتخوّف القتل » . فأبى أن يُردفه ، فطرحه عن قَرَبوسه وركب عليها[3] . وأدركت بنو سعد النهدىَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة لما أتى أهله :

لما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً تطلّع منى ثُغرة النحر جائرُ[4]

يعنى القلب .

(١) انظر معجم البلدان (المخرم) ؛ ففى هذا خلاف .
(٢) هذا ما فى النقائض . وفى ط : « قتب » . وسـ : « قشب » .
(٣) سـ : « فأبى أن يردفه فنجا بحضر » .
(٤) ط : « حائر » وفى العقد : « ناجر » ، محرفتان عما فى سـ . وفى الأغانى : « علمت بأن اليوم أغبر فاجر » . والجائر : حر يؤذى الجوف عند الجوع .

نجوتُ نجاءً ليس فيه وَتيرةٌ كأنّى عُقابٌ دون تَيمَنَ كاسرُ[١]

وقد قلت للنَّهدىّ هل أنت مُردفى وكيف رداف الفَلِّ أمُّك عابرُ ![٢]

من العَبْرة ، يقول : عَبِرتْ[٣] أمُّك ، كيف تُردفنى وإنك فَلٌّ منهزم ؟ !

أُناشده والرُّحْمُ بينى وبينه وقد كان فى نَهدٍ وجَرم تدابُرُ[٤]

أى تقاطع وتباغض .

فمن يك يرجو فى تميمٍ هوادةً فليس لجرم فى تميم أواصر

أى قرابات .

فِدىً لكما رجلىّ أمّى وخالتى غَداةَ الكُلاب إذ تُجزّ الدوابر[٥]

وذلك أن قيس بن عاصم لما أكثر قومُه القتل فى اليمن أمَرهم بالكفّ عن القتل وأن يجزّوا عراقيبهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون[٦] :

٦٦ (إلاّ جَبْرَئيلُ أمامُها)

---

(١) العقد : «عند تيماء» ، والأغانى : « دون تيماء »

(٢) عابر ، أى ثاكل ، كما فى الاشتقاق ٤٩٦ عند إنشاد هذا البيت وفى ط : « عاثر » ، صوابه فى ـ والاشتقاق واللسان (عبر) .

(٣) ط : « من العثرة يقول عثرت » ، صوابه فى ـ .

(٤) رواية العقد :

يذكرنى بالآل بينى وبينه وقد كان فى جرم ونهد تدابر

(٥) ط : « رحلى » بالمهملة ، صوابه فى ـ والمفضليات ١٦٥ وشرح المفضليات ٣٢ س ١٦ .

(٦) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١ : ٣٠٩ .

وهو قطعة من بيت وهو :

(شَهِدنا فما نلقى لنا من كَتيبةٍ يدَ الدهر إلاَّ جبرئيلُ أمامُها)

على أنّ الظرف الواقع خبراً إذا كان معرفة يجوز رفعه بمرجوحية ، والراجح نصبه ؛ وهذا لا يختص بالشعر خلافاً للجرمى والكوفيّين .

و (جبرئيل) مبتدأ . و (أمامُها) بالرفع : خبره ، والجملة صفة للكتيبة .

وقد أورد هذا البيت ابن هشام فى شرح بانت سعاد عند قوله :

* غلباء وَجناء عُلكومٌ مذكَّرة[1] *

وروى (نصرنا[2]) بدل شهدنا . ثم قال : « قوافى هذا الشعر مرفوعة ، وإنّما استشهدتُ على جواز رفع الأمام ، لأنّ بعض العصريّينَ وهِم فيه فزعم أنه لا يتصرّف[3] » اهـ .

وقوله (يدَ الدهر) بمعنى مدى الدهر ، ظرف متعلق بقوله نلقى . و (من) زائدة . و (كتيبة) مفعول لنلقى . و (لنا) كان فى الأصل صفة لكتيبة فلما قدّم صارَ حالاً منه . والكتيبة : طائفة من الجيش مجتمعة ، من الكَتْب وهو الجمع . ونلقى بالنون وبالقاف الفوقية من اللُّقِي ، يقال : لقِيته ألقاه من باب تعب لُقِيًّا ، والأصل على فُعول ، وكل شىء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه . و (شهدنا) من شهدت المجلس مثلا : إذا حضرته ، فالمفعول محذوف ، أى شهدنا غزواتِ النبى صلى الله عليه وسلم فما لقينا كتيبة . وعبّر بالمستقبل لحكاية الحال الماضية .

---

(١) عجزه ، كما فى حواشى ديوان كعب ١٠ .

* فى دفها سعة قدامها ميل *

(٢) ط : « نصرنا » .

(٣) ط « ينصرف » ، صوابه فى ش .

وهذا البيت لم أر من ذكره ابتداء إلاّ أبا إسحاق إبراهيم بن السرىّ الزّجاج فى تفسيره ، أورده عند قوله تعالى : « قُلْ مَنْ كانَ عدُوًّا لجبريلَ » قال : « جبريل : فى اسمه لغات قد قرىء ببعضها ، ومنها مالم يقرأ به ؛ فأجود اللغات جَبرَئيل بفتح الجيم والهمز ، لأن الذى يُروَى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صاحب الصُّور : « جَبْرَئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره » . هذا الذى ضبطه أصحاب الحديث . ويقال جَبْرِيل بفتح الجيم وكسرها ؛ ويقال جَبْرَئل بحذف الياء وإثبات الهمزة ؛ ويقال جُبرين بالنون ، وهذا لايجوز فى القرآن لأنه خلاف المصحف قال الشاعر :

شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة . . (البيت)

وهذا على لفظ ما فى الحديث وما عليه كثير من القرّاء ، وقد جاء فى الشعر جبريل ، قال الشاعر :

وجِبريلُ رسولُ الله فينا[1] وروحُ القدس ليس له كِفاء اهـ

ولم يبيّن قائلَ البيتين . وقد بيّنهما الصاغانى فى العباب قال : « وجبرئيل اسم يقال : هو جبر أضيف إلى إيل ، وجَبر هو العبد وإيل هو الله تعالى وفيه لغات : جَبرَئيل كجبرعيل ، وجَبْرَييل بغير همز .. وأنشد الأخفش لكعب بن مالك الأنصارى :

شهدنا فما نلقى من كتيبة . . (البيت)

ويقال جِبْريل كحزقيل وأنشد لحسّان بن ثابت .

وجبريل رسولُ الله فينا . . (البيت)

ثم ذكر بقية اللغات .

---

(١) ط : « منا » .

ونسبة ابن هشام فى شرح بانت سعاد ، وابن عادل فى تفسيره هذا البيتَ إلى حسّان غير صحيحة ، لأنه غير موجود فى ديوانه .

كعب بن مالك

و (كعب بن مالك) هو أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردُّون الأذى عنه . وكان مجوِّداً مطبوعاً قد غلب عليه فى الجاهلية أمر الشعر ، وعُرف به ، ثم أسلم وشهد العَقَبة — ولم يشهد بدراً — والمشاهدَ كلّها حاشا تَبُوك فإنّه تخلّف عنها . وقد قيل إنه شهد بدراً . وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : « وعلى الثلاثةِ الذينَ خُلِّفُوا حتّى إذا ضاقَتْ عَلَيهمُ الأرْضُ[1] » الآية . والثانى والثالث : هلال بن أميّة ، ومُرارة ابن الربيع[2] ، تخلفوا عن غزوة تبوك ، فتاب الله عليهم وعَذَرهم وغفر لهم ، ونزل القرآن المتلوّ فى شأنهم .

وتُوفى كعب بن مالك فى مدّة معاوية سنة خمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة .

ولبِس كعبٌ يوم أُحد لأمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت صفراء ، ولبس النبى صلى الله عليه وسلم لأمته ؛ فجرح كعب أحد عشر جرحاً . ولما قال كعب :

جاءت سَخينةُ كى تُغالبَ ربَّها فليُغْلبنَّ مُغالِبُ الغَلّاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

وله أشعار حِسان جدًّا فى المغازى وغيرها ؛ كذا فى الاستيعاب .

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٢) فى تفسير الآلوسى : « ويقال فيه ابن ربيعة » .

وأورد له ابن هشام فى سيرته مما قاله يوم بدر[1] :

٢٠١ ألا هَل أتى غسّانَ فى نأى دارِها وأخـــبرُ شىءٍ بالأمور عليمُها
بأنْ قدْ رمتْنا عن قِسِىٍّ عداوةٍ مَعدٌّ معاً جُهّالُهــا وحليمُها
لأنّا عبدنا اللهَ لم نرجُ غيرَه رجاء الجنان إذْ أتانا زَعيمُها
نبىٌّ له فى قومه إرثُ عزّةٍ وأعراقُ صِدقٍ هذّبتها أرومُها
فساروا وسرنا فالتقينا كأنّنا أسود لقاء لا يُرَجّى كليمُها
ضربناهمُ حتى هوى فى مَكَرّنا لمنخر سوء من لؤىّ عظيمُها
فولّوا ودُسناهم ببيضٍ صوارمٍ سواء علينا حِلفها وصَميمُها

اهـ . وفى نسخة (نَفيتةُ[2]) . وسخينة : لقب قريش ، قال فى الصحاح : والسَّخينة[3] : طعامٌ يُتّخذ من الدقيق دون العصيدة فى الرقّة وفوق الحَساء . وإنّما يأكلون السخينة فى شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال ، وكانت قريش تعيَّر بها » اهـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون ، وهو من شواهد س[4] :

٦٧ (فوَرَدنَ والعَيُّوقُ مقعدَ رابِئ الـ
ضُّرَباء خَلفَ النَّجم لا يَتَتلّعُ)

على أن (مقعد) ظرف منصوب وقع خبراً عن اسم عين ، وهو العيّوق .

---

(١) السيرة ٥٢٧ .
(٢) أى بدل « سخينة » ، والنفيتة : طعام أغلظ من السخينة .
(٣) كذا فى سـ والصحاح . وفى ط : « وسخينة » .
(٤) سيبويه ١ : ٢٠٥ . وانظر ابن يعيش ١ : ٤١ والميسر والقداح ١٣٣ والأزمنة والأمكنة ١ : ٢٠٧/٢ : ٢٠٩ والمفضليات ٤٢٤ والهذليين ١ : ٦ .

واستشهد به س على نصب المقعد على الظرفية مع اختصاصه به، تشبيهاً له بالمكان، لأن مقعد الرابئ مكانٌ من الأماكن المخصوصة ؛ وجاز عمل الفعل فى مثله ولم يجز فى « الدار » ونحوه ، لأنهم أرادوا به التشبيه والمَثل ، فكأنهم قالوا : والعيوق من الثريا مكان قعود الرابئ من الضرباء ، فحذفوا اختصاراً وجعلوا المقعد ظرفاً لذلك ، ولا تقع الدار ونحوها هذا الموقع ، فلذلك اختلف حكمهما . كذا قال الأعلم .

وقال الإمام المرزوقى : « ومَقعَد — وإن كان مختصاً فى الأمكنة — جائزٌ أن يكون ظرفًا ، لانتقاله عن بابه إلى معنى القرب ، كما أن معقِدَ الإزار ومقعَد القابلة منقولان إليه وجعلا ظرفين ، وكما أن مَناط الثريّا ومَزجرَ الكلب نقلا إلى معنى البعد والإهانة وجعلا ظرفين » .

وقال السيرافى : « اعلم أن هذا الباب ينقسم قسمين : أحدهما يراد به تعيين المنزلة من بُعد أو قرب ، والآخر يراد به تقدير القرب والبعد . فأما ما كان من ذلك يراد به تعيين الموضع وذكر المحلّ من قرب أو بعد فإنه يجوز فيه النصب على الظرف والرفعُ على خبر الأول تشبيهاً ، والأكثر فيه النصب . ويدلّك على ذلك أنه تدخل الباء عليه فتقول : هو منّى بمنزلة ، كأنه قال : هو منى استقرّ بمنزلة — والباء وفى بمعنى واحد — و : هو منّى بمزجر الكلب : إذا أردت هو مُهان مباعَد . فإذا نصبت فالناصب استقر ، وإذا رفعت فقلت : هو منى مقعدُ القابلة جعلته بمنزلة قولك : هو قريب كمقعد القابلة ، فإن قلت : هو منى مَناطُ الثريّا فكأنك قلت : هو بعيد . وجاز أن تكون هذه الأشياء ظروفًا ، لأنهم قد اتسعوا فيما هو من الأماكن أخصُّ من هذه فجعلوه ظرفًا ونصبوه — كقولهم : ذهبت الشامَ ، ودخلت البيتَ — تشبيهًا بالأماكن المحيطة كخلفَ وقدّام . قال سيبويه : إنما يجوز هذا فيما تستعمله

العرب ظرفاً من هذه الأماكن ، ولا يجوز القياس عليها » . اه

وهذا البيت من قصيدة مشهورة لأبى ذؤيب الهذلىّ يرثى بها أولاده ، عدتها اثنان وستون بيتاً ، مطلعها :

قصيدة الشاهد

(أمِنَ المنونِ وريبِها تتوجعُ والدهرُ ليس بمُعتِبٍ مَنْ يجزَعُ)

ومنها :

(أودى بَنِىَّ وأعقبونى غُصّةً بعدَ الرُّقاد وعَبرةً لا تُقلِعُ

فغبَرتُ بَعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أنى لاحقٌ مستتبعُ

ولقد حرَصت بأن أدافِعَ عنهم فإذا المنيّة أقبلتْ لا تُدفَعُ

وإذا المنيّة أنشبت أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ

وتجلُّدِى للشامتينَ أُريهمُ أنى لريب الدهر لا أتضعضعُ

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقنعُ

والدهرُ لا يبقى على حِدْثانه جَونُ السَراة له جدائدُ أرْبعُ)

على بمعنى مع . والحِدثان بمعنى الحادثة . والسَّراة بفتح السين : أعلى الظهر ، وسراة كل شىء : أعلاه . والجون بفتح الجيم : الأسود المائل إلى الحمرة ، وأراد بجون السراة الحمارَ الوحشىّ . والجدائد : الأُتُن التى لا ألبان لها واحدها جَدود بفتح الجيم .

أخذ يسلّى نفسه ويقول : إنْ أُصبتُ ببَنِىَّ فتكدّر بموتهم عيشى فإنَّ الدهر لا يسلم على نوائبه عَيرٌ أسود الظهر له أُتن أربع قد خفّت ألبانها . والمعنى : أن الوحش فى تباعدها عن كثير من الآفات التى يقاربها الإنس ، وفى انصرافها بطبعها وحَدْسها عن جُلّ مَراصد الدهر ، وعلى نفارها الشديد وحذارها

الكثير وبُعد مراتعها من الصيّاد — ليست تتخلص بجهدها من حوادث الدهر ، بل لابد من هلاكها .

وبعد هذا البيت وصفها بطيب العيش فى عشرين بيتاً ، إلى أن قال[1] :

فوردن والعيّوق مقعد . . . (البيت)

و (العَيّوق) : كوكب أحمر يطلُع حِيالَ الثريّا وفوقَ الجوزاء . و (المقعد) بفتح الميم : مكان القعود ، ويأتى مصدراً أيضاً . (والرابئ) مهموز الآخر : اسم فاعل من ربأهم ، من باب منع ، بمعنى علا وارتفع ورفع وأشرف ، كارتبأ . و (رابئ الضرباء) هو الذى يقعد خلف ضارب قِداح الميسر ، يرتبئ لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ، ويعتمدون على قوله فيه ؛ وهو مأخوذ من ربيئة القوم وهو طليعتهم . والضرباء : جمع ضريب ، ككريم وكرماء،وهو الذى يضرب بالقداح وهو الموكَّل بها ، ويقال له الضارب أيضاً . و (النجم) : الثريا . ويروى (فوق النظم) يعنى نظم الجوزاء[2] . و (يتتلع) يتقدم ويرتفع ، مأخوذ من التلعة . فقوله : والعيوق مقعد ، جملة اسمية حال من نون وردن ، يقول : وردت الأتن الماء والعيوقُ من النجم مقعدَ رابئ الضرباء من الضرباء ، أى خلفه لا يتقدّم . وهذا إنما يكون فى صميم الحرّ عند الإسحار . وإنما قال : خلف النجم لأنك فى الصيف ترى المجرّة عند الإسحار كأنها ملوّية[3] فترى العيّوق متخلفاً عن الثريا . وهذا الوقت

---

(١) هذا يوم أن قبل قول أبى ذؤيب « فوردن » عشرين بيتاً يصف بها ذلك ، وليس كذلك فإن قبله عشرة وبعده تسعة فيكون جميعها عشرين خصت بصفة ما ذكره . ففى العبارة تسامح .

(٢) النظم : ثلاثة كواكب من الجوزاء .

(٣) جعلت فى ـ : « كأنها مستوى » .

الذى أشار إليه هو وقت ورود الوحش الماء ، ولذلك يكمُن الصَّيَّادون فيه عند المشارع ونواحيها .

ومقعد وخلف : منصوبان على الظرف ، وقع الأول خبرا لقوله : والعيّوق، والثانى بدلاً منه ؛ كأنه أراد : والعيّوق من خلف النجم مقعدَ رابئِ الضُّرَباء من الضُّرباء ؛ فحذف من خلف ، لأن البدل وهو قوله : خلف النجم ، يدل عليه ، كما حذف من الضرباء لأن جملة الكلام يدلّ عليه . ويجوز أن يكون خلف النجم فى موضع الحال ، كأنّه قال : والعيّوق من النجم قريبٌ متخلّفاً عنه . ويجوز العكس فيكون خلف النجم خبر المبتدأ ، ومقعد حالاً ، والعامل فيه الظرف ، كأنه قال : والعيوق مستقرٌّ خلف النجم قريبا . وجملة لا يتتلع ، إمّا خبر بعد خبر وإمّا حال بعد حال . قال أبو سعيد الضّرير : إنما اشترط التتلّع لأن العيّوق ما دام متقدماً على الثريا ففى الزمان بقية من الأبارد — والأبارد : برد أطراف النّهار — فإذا استوى العيّوق معها فقد بقى من الأبارد شىء قليل ، فإذا استأخر عنها استحكم الحرّ .

٢٠٣

ثم ذكر أبو ذؤيب ، فيما بعد هذا من أبيات ، أن الصياد كمن لهن فأهلكها جميعا .

أبو ذؤيب الهذلى

و (أبو ذؤيب) اسمه خويلد بن خالدِ بن محرِّث بن زُبَيد بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل ، أخو بنى مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر . ومحرِّث بتشديد الراء المكسورة. وزبيد تصغير الزُّبْد وهو العطية ، وقيل براء مهملة .

وكان هلك لأبى ذؤيب بنونَ خمسة فى عام واحد ، أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا إلى مصر(١) . وهلك هو فى زمن عثمان رضى الله عنه

(١) لليمنى : « وفى التيجان أنهم كانوا قتلوا بذات الحجال ، وكانوا عشرة ، فى خبر طويل ».

فى طريق مصر ، ودفَنَهُ ابن الزبير . وقال أبو عمرو الشيبانى : مات فى طريق إفريقية .

وهو شاعر فحل مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو أشعر هذيل من غير مدافَعَة . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه بليلة ، أدركه وهو مسجّى ، وصلّى عليه وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم .

وحَكى عن نفسه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، وأوجسَ أهل الحى خِيفة واستشعرتُ حربا[1] ، فبتُّ بليلة طويلة حتى إذا كان وقت السحر هتف الهاتف يقول :

خطبٌ أجلُّ أناخ بالإسلام بين النُّخيل ومقعدِ الآطامِ[2]

قُبض النبيُّ محمدٌ فعيونُنا تَذرِى الدُّموعَ عليه بالتَّسجام

فوثبتُ من نومى فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلاّ سعد الذابح ، فتفاءلت به ذَبحا يقع فى الإسلام ، وعلمت أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قُبض .

وسيأتى له أخبار فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون ، وهو من شواهد س[3] :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى الإصابة ٧ : ٦٤ : « حوبا » ، وفى الروض الأنف ٢ : ٢٧٧ : « حزنا » .

(٢) الإصابة : « ومعقل الآكام » . والنخيل ، بهيئة التصغير : عين قرب المدينة ، كما فى معجم البلدان .

(٣) سيبويه ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ واللسان (درج ٩٢) .

٦٨ (هُمُ دَرَجَ السُّيولِ)

هو قطعة من بيت وهو :

(أَنُصْبٌ للمَنِيَّة يعترِيهم   رجالى أم هُمُ دَرَجَ السُّيولِ)

على أنّ دَرَجا ظرف منصوب وقع خبراً لقوله : هم .

وتقدم الكلام على نظيره قبله .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لإبراهيم بن هَرْمَة يبكى به قومه لكثرة من فقد منهم .

٢٠٤

و (النُّصب) بالضم : الشيء المنصوب ، والشر والبلاء أيضا ؛ ومنه قوله تعالى : « مَسَّنِيَ الشَّيطانُ بِنُصْبٍ وعَذاب » . و (دَرَج) السُّيول : الموضع الذى يمرّ به السيل فينزل من موضع إلى موضع حتى يستقرّ . والدَّرَج بفتحين : الطريق ، ورجع أدراجه [و[1]] يُكسَر ، أى فى الطريق الذى جاء منه .

يقول : قومى كانوا غرضا للمنيّة فأهلكتْهم أم كانوا فى ممرّ السيل فاجترفهم ؟ فرجالى مبتدأ ونُصْبٌ خبره ، وجملة يعتريهم بالياء التحتية : صفة لنُصب ، وبالتاء الفوقية : حال من المنية ، أى تنزل بهم .

إبراهيم ابن هرمة

وإبراهيم ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن هَرْمة — بفتح الهاء وسكون الراء المهملة — ابن على بن سَلَمة بن عامر بن هرمة .

قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو من الخُلُج ، من قيس عيلان ؛ ويقال : إنّهم من قريش» .

(١) تكملة ضرورية . والمراد كسر الهمزة ، كما فى اللسان ففيه : « ويقال رجع فلان على حافرته وإدراجه بكسر الألف » .

وفى الأغانى[١] : أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث . وقيس هم الخُلَّج وكانوا فى عَدْوان ثم انتقلوا إلى بنى نصر بن معاوية بن بكر ؛ فلما استُخلِف عمرُ أتَوه ليفرِض لهم فأنكر نسبهم ، فلما تولّى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث ابن فهر وجعل لهم ديوانا فسمُّوا الخُلُج ؛ لأنَّهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ؛ وقيل لأنهم نزلوا بالمدينة خلف بَطِحان[٢] ، يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خُلُج : جمع خليج .

وابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، قال ابن قتيبة : « حدثنى عبدالرحمن عن عمه الأصمعى أنه قال : ساقةُ الشعراء : ابن ميّادة ، وابنُ هَرْمة ، ورؤبة ، وحَكَم الخُضْرِىّ ، حىّ من محارب ، وقد رأيتهم أجمعين » .

وكان من مخضرمى الدولتين ، مدح الوليد بن يزيد، ثم أبا جعفر المنصور . وكان منقطعا إلى الطالبيّين. وكان مولده سنة سبعين ، ووفاته فى خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريباً . وله فى آل البيت أشعار لطيفةٌ منها قوله :

ومهما أُلامُ على حبِّهم فإنى أُحبّ بنى فاطمهْ

بنى بنتِ مَن جاء بالمحكما ت والدِّينِ والسنّةِ القائمهْ

قال ابن قتيبة : «وكان ابنُ هَرْمة مولَعاً بالشراب، وأخذه صاحب شرطة

---

(٢) الأغانى ٤ : ١٠١ .

(٣) هذا ضبط اللغويين ، ويضبطه المحدّثون بضم الباء . ولكل منهما شاهد . ففى اللغة الأولى قول ابن مقبل :

عفا بطحان من سليمى فيثرب فملقى الرجال من منى فالمحصب

وفى اللغة الثانية قوله :

سقيا لسلع ولساحاتها والعيش فى أكناف بطحان

أنشدها ياقوت فى معجم البلدان ، وذكر أن بطحان أحد أودية المدينة الثلاثة : العقيق، وبطحان ، وقناة .

زياد على المدينة لجلده فى الخمر ، وهو زياد بن عبيد الله الحارثى ، وكان والياً عليها فى ولاية أبى العباس . فلما ولى المنصور شخص إليه فامتدحه فاستحسن شعره وقال : سلْ حاجتَك . قال : تكتب إلى عامل المدينة لا يحدّنى فى الخمر . قال : هذا حدٌّ من حدود الله ، وما كنتُ لأعطّله . قال : فاحتلْ لى فيه يا أمير المؤمنين. فكتب إلى عامله : من أتاكَ بابن هَرْمة سكرانَ فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين . فكان الناس يمرُّون به وهو سكران ، فيقولون : من يشترى ثمانين بمائة . وترجمته فى الأغانى طويلة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون[2] :

٦٩ (فَساغَ لىَ الشَّرابُ وكنتُ قبلاً)

على أنَّ أصله « قبل هذا » ، فحذف المضاف إليه ولم ينو لفظه ولا معناه ولهذا نكّر فنوّن . وتتمته :

(أغَصُّ بنُقطة الماء الحميمِ)

أبيات الشاهد

وهذا آخر أبيات خمسة ليزيدَ بن الصَّعِق وهى :

(ألا أبلغْ لَدَيكَ أبا حُريثٍ ... وعاقبةُ الملامةِ للمُليمِ

٢٠٥ فكيف ترى معاقبتى وسعيي[3] ... بأذواد القُصيبة والقَصيمِ

وما برِحتْ قلوصى كلَّ يوم ... تكرّ على المخالِف والمقيم

فنمتُ الليلَ إذْ أوقعتُ فيكم ... قبائلَ عامر وبنى تميم

وساغ لىَ الشرابُ وكنت قبلًا ... أغصّ بنقطة الماء الحميم)

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) انظر العينى ٣ : ٣٤٥ وابن يعيش ٤ : ٨٨ .

(٣) ب : « ونسى » .

أبو حريث : كنية[1] الربيع بن زياد العَبسىّ . والمليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه . والمعاقبة : المناوبة ، من العُقبة بالضم وهى النَّوبة . والذَّود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر ، لا واحدَ لها من لفظها ، والكثير أذواد . والقُصيبة : على لفظ مصغر القصَبة . والقَصيم بفتح القاف وكسر الصاد : موضعان . والخالف : من الُخلوف ، وهم المقيمون فى الحىّ لمّا تذهب الرجال للغزو[2] . وقوله : وساغ . . إلى آخره ، معطوف على قوله فنمت . وروى (فساغ) بالفاء ، وهو خطأ . والحميم : الماء الحارّ ، وليس بمرادٍ وإنما أورده للقافية ، هو من الأضداد يطلق على الماء البارد أيضاً . وساغ من باب قال : إذا سهل مدخلُه فى الحلق ، وأسغته : جعلته سائغاً ، ويتعدّى بنفسه فى لغة ، ومن هنا قيل : ساغ فعلُ الشىء وسوّغته : إذا أبحتَه . والشَّراب : ما يشرب من المائعات . وأغصُّ : مضارع غَصِصت بالطعام غَصَصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ، والغُصّة : ما غَصّ به الإنسان من طعام أو غَيْظٍ على التشبيه . ويتعدّى بالهمزة ، وهو هنا مستعمل مكانَ الشَّرَق ، لأنه مخصوص بالماء ، يقال : شرق بالماء وبِريقه : إذا لم يبلعهما . والشَّجى بالقَصر يكون فى العَظْم ، يقال شجِىَ بالعظْم من باب فرح ، إذا وقف فى حلقه . والجَرَض بإعجام الطرفين ، يكون من الهمّ والحزن ، يقال جرِض بريقه، وهو أن يبتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد ، وهو من باب فرح ، والاسم الجرض بفتحتين . وما أحسنَ قول بعضهم :

ذلُّ السُّؤال شجًى فى الحلق معترِضٌ   من دونه شَرَقٌ من بَعده جَرَضُ

سبب الابيات

والسبب فى هذه الأبيات هو ما حكاه أبو عبيدة قال : كانت بلاد

(١) ط : « كنيته » ، صوابه فى ســه مع إثر إصلاح .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو سهو ، صوابه « حين تذهب الرجال للغزو » .

بنى غَطفان مخصِبة ، فرعَت بنو عامر بن صعصعة ناحيةً منْها ، فأغار الربيع ابن زياد العبسى على يزيدَ بن الصعِق وكان فى كرِش الناس — أى فى جماعتهم — فلم يستطعه الربيع ، فاستفاء سُروحَ بنى جعفر والوحيدِابنى كلاب (واستفاء من الفىء وهى الغنيمة ، أى ردّها معه ، والمعنى فاستاقَ سروحهم ، والسَّرح : الإبل التى ترعى) ، فقال فى ذلك الربيع :

فإذْ أخطأتُ قومَك يايزيدا[1] فأنعِى جعفراً لك والوَحيدا

فحرّم على نفسه يزيدُ بن الصَّعِق الطيبَ والنساء حتّى يغير عليه ؛ فجمع قبائل شتّى ثم أغار فاستاق نَعَماً لهم ، وأصاب عَصافير النعمان بن المنذر — وهى إبل معروفةٌ يقال لها العصافير — فقال يزيد فى ذلك هذه الأبيات . وقال لَبيد ابن ربيعة أيضاً يردّ على الربيع بن زياد حين ذكر جعفراً والوحيد :

لستُ بغافرٍ لبنى بَغيضٍ سفاهتَهم ولا خَطَل اللسان
سآخذُ مِن سَراتِهمُ بعرضى وليسوا بالوفاء ولا المدانى
فإنَّ بقية الأحساب مِنّا وأصحاب الحَمالة والطعان
جرائيمٌ مَنعن بياضَ نجد وأنت تُعَدّ فى الزَّمَع الدَّوانى ٢٠٦

وأجابه النابغة الذبيانى وقال :

ألا مَن مُبلغ عنى لبيداً أبا الدرْداء جَحفلة الأتانِ
فقد أزجى[2] مطيّته إلينا بمنطق جاهلٍ خَطِل اللسان[3]

وقول لبيد : خطَل اللسان ، يريد طول اللسان . وسمّى الأخطل لطول

(١) سه : « أخطاك قومك » .
(٢) ط : « أرخى » ، صوابه فى سه .
(٣) البيتان مما لم يرو فى ديوانه .

لسانه . ويقال شاة خطلاء ، إذا كانت طويلة الأذنين . والسَّراة : الأشراف . وقوله : وليسوا بالوفاء . . الخ ، أى سأنتقم من أشرافهم بسبب عرضى وإن لم يوفوا بعرضى ولا يدانوه . والحَمالة بالفتح : تحمُّل الدية . والجرثومة : التراب المجتمع تجمعه الريح فى أصول الشجر فيتلبّد حتّى يصير كأنه خِلقة . والزَّمع : جمع زَمَعة بالتحريك ، وهى هَنة زائدة فى قوائم الشاة .

وقول النابغة : جحفلة الأتان ، بدل من قوله لبيداً ، وهو بتقديم الجيم على المهملة . والأتان : الحمارة ، وهى كلمة ذمّ . وأزجى[1] : ساق .

(تتمـة)

المشهور فى رواية هذا البيت :

فساغ لىَ الشّرابُ وكنت قَبلًا ... أكاد أغصُّ بالمـاء الحميم

قال العينى : « قائله عبدالله بن يعرب بن معاوية بن عُبادة بن البكّاء ابن عامر ، وكان له ثأر فأدركه فأنشده » . انتهى . ورواه الثعالبىّ والزمخشرىّ:

* أكاد أغص بالمـاء الفُرات *

ولعله من شعر آخر ، وكذلك ماروا أبو حيّان فى تذكرته عن الكسائى:

* أكاد أغصّ بالمـاء المعينِ *

لـكنه رواه عنه (وكنت قبلٌ) بالرفع والتنوين . ثم قال : قال الفرّاء : هـذا التنوين نظير تنوين المنادى المفرد إذا لحقه التنوين فى ضرورة الشعر ، كما قال :

(١) ط : « ارخى » ، صوابه فى س .

قَدِّموا ، إذْ قيلَ قيسٌ قدِّموا … وارفَعوا المجدَ بأطراف الأسلْ[١]

أراد : يا قيسُ ، فنوّنه ضرورة ، والأجود النصب كما قال الآخر :

فطِرْ خالداً إنْ كنتَ تَستطِيعُ طيرةً … ولا تقعَنْ إلاّ وقلبُكَ طائرُ[٢]

قال أبو حيّان : « وهذا الذى اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد فى الضرورة هو مذهب أبى عمرٍو وأصحابه ، والمذهب الأول — وهو رفعه منونا — مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما . ومذهبُ أبى عمرو أقيَس » اهـ .

ووجه كونه أقيس أنَّ المنادى مفعول ، والقياس إذا نوّن فى الضرورة أن يرجع إلى أصله وهو النصب ، فإنَّ الضرائر تُرجع الأشياء إلى أصولها . وأما رفع قبلٌ مع التنوين فوجهه : أنَّ أصله كان مبنياً على ضمة لحذف المضاف إليه وإرادة معناه ، فنوّن ضرورة كتنوين العلَم المنادى .

يزيد بن الصعق — و (يزيد) هو يزيد بن عمرو بن خويلِد بن نُفَيل بن عمرو بن كلاب الكلابى . وخويلد يقال له (الصَّعِق) قال أبو عمرٍو وابن الكلبى: ابن الصَّعق إنّما سمى الصعِق لأنه عمل طعاماً لقومه بعُكاظ ، فجاءت ريح بغبار فسبّها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته . وقال ابن دريد : الصَّعق : أن يسمعَ الإنسان الهدَّة الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقله . والصَّعِق الكلابى أحد فرسانهم ، سمى الصَّعِق لأن بنى تميم ضربوه ضربة على رأسه فأمَّته[٣] فكان إذا سمع الصوت الشديد صَعِقَ فذهب عقله[٤] . والله أعلم . ٢٠٧

* * *

(١) للبيد فى ديوانه ١٩٢ برواية : « واحفظوا المجد » .

(٢) فى ط : « ولا تقعن » .

(٣) ط : « فأدمته » . أمه أما : اصاب ام رأسه .

(٤) انظر الاشتقاق ٢٩٧ .

وأنشد بعده وهو الشاهد السبعون، وهو من شواهد س[1] :

٧٠ (ترتعُ مارتعتْ حتى إذا ادّكرتْ

فإنمــا هى إقبالٌ وإدبارُ)

على أن اسم المعنى يصح وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هى. هذا من قبيل زيد عدلٌ.

وفيه ثلاثة توجيهات : أحدها : كونه مجازا عقليا بحمله على الظاهر، وهو جعلُ المعنى نفس العَين مبالغة. والثانى : أنّ المصدر فى تأويل اسم الفاعل فى نحوه وتأويل اسم المفعول فى نحو زيد خَلْق أى مخلوق. والثالث : أنه على تقدير مضاف محذوف أى ذات إقبال.

وهذا البيت للخنساء. قال سيبويه : « جعلتْها الإقبالَ والإدبار مجازا على سعة الـكلام، كقولك : نهارك صائم وليلك قائم ». صاحب الشاهد

واستشهد به صاحب الـكشاف عندقوله تعالى : «ولـكِنَّ البِرَّ مَنِ اتّقى» على أن الإسناد مجازىٌّ، بدعوى أن المتّقى هو عين البِرّ، بجعل المؤمن كأنه تجسّد من البر. وكان الزجاج يأبى غير هذا.

قال عبدالقاهر : [لم] تردْ[2] بالإقبال والإدبار غير معناهما حتى يكون المجاز فى الـكلمة، وإنما المجاز فى أنْ جعلتها لـكثرة ما تقبل وتدبر، كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار. وليس أيضا على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه — وإن كانوا يذكرونه منه — إذ لو قلنا : أريدَ إنما هى ذات

(١) سيبويه ١ : ١٦٩ . وانظر ابن يعيش ١ : ١١٤ وابن الشجرى ١ : ٧١ والخصائص ٢ : ٢٠٣/٣ : ١٨٩ والمنصف ١ : ١٩٧ ودلائل الإعجاز ٢١٢ .

(٢) ط : « تريد » سه : « ترد » بدون لم فيهما . وصوابه من دلائل الإعجاز . والنص مقتبس بتصرف .

إقبال وإدبار أفسدْنا الشعر على أنفسنا ، وخرجنا إلى شيء مغسول[1] ، وكلام عاميّ مرذول ، لامساغ له عند مَن هو صحيح الذوق والمعرفة ، نسّابة للمعانى .
ومعنى تقدير المضاف فيه : أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره ولم تُقصد لمبالغة لكان حقّه أن يُجاء بلفظ الذات ، لا أنه مراد » اهـ .

وروى الأخفش فى شرح ديوان الخنساء عن ابن الأعرابى أنه روى (فإنما هو) أراد : فإنما فعلُها .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لها ترثى بها أخاها صخرا تنيف على ثلاثين بيتاً فى رواية الأخفش ، وقبله :

(فما عَجولٌ على بَوٍّ تُطيف به قدْ ساعدتْها على التّحنان أظآرُ)

وبعده :

(لا تَسمَن الدهرَ فى أرضٍ وإن رَتعتْ وإنّما هى تَحنانٌ وتَسجارُ[2]
يوماً بأوجدَ منّى يوم فارقنى صَخرٌ ، وللدهر إحلاءٌ وإمرار)

العَجول : الثكول ، أراد به الناقة . وروى : (ماأمُّ سَقْب) وهو الذكر من ولد الناقة ، ولا يقال للأنثى سَقْبة ، ولكن : حائل . والبوّ : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلد أمّه ، يُحشى تبناً وهى لا تراه ، ويُدنى منها فتشمّه وترأمُه فتدرّ عليه اللبن . وساعدتها : وافقتها . والتحنان : الحنين . والأظآر : جمع ظئر ، وهى التى تعطف على ولد غيرها .

٢٠٨ يقال (رتعت) الإبل إذا رعت ، وأرتعتها : تركتها ترعى . وروى (ترتع ماغفلت) . و (اذّكرت) أى تذكّرت ولدها ، وأصله اذتكرت .

---

(١) ط : « مغسول » ، ووجهه فى سه ودلائل الإعجاز .
(٢) ط : « وتجسار » ، صوابه فى سه .

وزعم ابن خلف عن بعضهم : أنه فى وصف بقرة أُخِذ ولدُها . وقولها :لا تسمن الدهر الخ ، يقال حنّت الناقة ، إذا طرّبت فى إثر ولدها ، فإذا مدّت الحنين وطرّبت قيل سَجَرت بالجيم . وقولها : بأوجدَ منى ، أى بأشدّ منّي وجدا . وللدهر إحلاء وإمرار ، أى سرور وحزن ، يقال ما أحلى ولا أمرّ ، أى ما أتى بحلوة ولا مرّة .

من أبيات القصيدة

ومن هذه القصيدة :

(وإنّ صخراً لَمولانا وسيّدُنا وإنّ صخراً إذا نشتو لنَحّارُ
وإنّ صخراً لتأتمّ الُهداة به كأنه علَمٌ فى رأسه نار)

قيل إذا اجتمع المولى والسيّد قدّم المولى كما هنا . وروى :

* وإن صخراً لَحامينا وسيّدنا *

وإنما قالت : إذا نشتو لنحّار ، لأن النحر فى الشتاء ، لأن الإطعام فيه أشد مؤُنة . وقولها : لتأتمُّ الهداة به ، أى تجعله الأدلاء إماما . والعَلم : الجبل ، وكلُّ مُشْرِف ، شبّه بالجبل ، وفى رأسه نارٌ أشدُّ للدلالة والهداية ، وأشهر فى الشرف . وهذا (إيغال) وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها فإن قولها : كأنه علم ، يتم المعنى به ، وهو التشبيه بما هو معروف بالهداية ، فإنّها جعلت أخاها جبلا مشهوراً يُتوجَّه إليه ولا يخفى أمره على قاصٍ ودان ، ثم لما أرادت المبالغة لم تقنع بذلك وأردفته بقولها : فى رأسه نار ، فجعلته بعد أن كان علما يشار اليه ، معلَما بعلامة يعرفه كل من يراه .

الخنساء

و (الخنساء) هى بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يقَظة بن عُصَيّة ابن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة[1] بن سُلَيم .

(١) ط : « بهشة » ، صوابه فى سه مع أثر تصحيح .

واسمها تُماضِر ، بضم التاء المثناة فوق وكسر الضاد المعجمة . قال ابن خلف : قد قالوا للبياض تماضر ، وأكثر ما يكون للنساء ، ومنه قيل اشتقت المضيرة لبياضها . والخنساء : مؤنث الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة . ويقال لها خُناس أيضا ، بضم الخاء غير منصرف للعدل والتأنيث .

وهى صحابية ، رضى الله عنها ، قدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُلَيم وأسلمت معهم . وهى أمُّ العباس بن مِرداس ، وهى أم إخوته الثلاثة ، وكلُّهم شاعر . ولم تلد الخنساء إلا شاعراً ، ومن ولدها أبو شَجَرة السُّلَمى(١) . وقال الكلبى : أم ولد مرداس جميعًا إلاّ العباسَ ، فإنها ليست أمّه . ولم يذكر مَنْ أمّه . وذكر صاحب الأغانى أن الخنساء أمُّه .

وكان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يعجبه شِعرُها ويستنشدها ويقول : هِيهِ ياخُناسُ ، ويومىء بيدِه صلى الله عليه وسلم .

ولما قدِم عدىّ بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحادثَه فقال : يارسول الله ، إن فينا أشعرَ الناس وأسخى الناس وأفرسَ الناس ، قال : سَمِّهِمْ . قال : أمَّا أشعر الناس فامرؤ القيس بن حُجر ، وأما أسخَى الناس فحاتم بن سعد — يعنى أباه — وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرِب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس كما قلتَ ياعدىّ ، أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو ، وأما أسخَى الناس فمحمد — يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم — وأما أفرس الناس فعلىّ بن أبى طالب » .

واتفق أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن امرأةٌ قبلها ولا بعدها أشعر منها .

---

(١) جمهرة ابن حزم ٢٦٦ .

٢٠٩ وقيل لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا لولا الخنساء . قيل: بم فضلتك ؟ قال : بقولها :

إنَّ الزمان ومَا يفنىٰ له عجبُ أبقى لنا ذنَباً واستؤصل الراسُ

إن الجديدَين فى طول اختلافهما لايفسُدان ولـكن يفسُد الناس

وكانت فى أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ، ثم أخوها صخر ، فأ كثرتْ من الشعر وأجادت ، وكان أحبَّهما إليها لأنه كان حليما جواداً محبوباً فى العشيرة ، شريفا فى قومه . وكان أبوها يأخذ بيدى ابنيه صخر ومعاوية ويقول : أنا أبو خيرَى مضر . فتعترف له العرب بذلك .

وما زالت ترثى صخرا وتبكيه حتَّى عميت ، وكانت تقول بعد إسلامها : كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا اليوم أبكى له من النار .

ودخلتْ على عائشة رضى الله عنهما وعليها صِدار من شعر[1] فقالت لها : ما هذا ؟! فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ألبس صداراً عليه! قالت : إن له حديثاً . قالت : وما هو ؟ قالت : زوّجنى أبى سيّداً من سادات قومى مِتلافا مِعطاء ، فأنفد ماله وقال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . فأتيناه فقاسَمنا مالَه وأعطانا خير النِّصفين ، فأقبل زوجى يعطى ويَهب ويحمِل ، حتَّى أنفده ، ثم قال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . فأتيناه وقاسمنَا ماله وأعطانا خير النِّصفين ، إلى الثالثة ، فقالت له امرأته : أما ترضى أن تقاسمهم مالَك حتى تعطيَهم خير النِّصفين ؟ . فقال :

والله لا أمنحها شِرارها ولو هلـكتُ قدّدتْ خِمارها

* واتَّخذت من شَعَر صِدارها *

(١) الصدار ، ككتاب : ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر . والمقنعة : ماتقنع به المرأة رأسها .

فذاك الذى دعانى إلى لبس الصدار .

وكان من حديث قتله : أنه جمع جمعاً وأغار على بنى أسد بن خُزيمة ؛ فطعنه ابن ربيعة بن ثور الأسدىّ فأدخل فى جوفه حَلَقا من الدرع فاندمل عليه فأضناه وطال مرضُه وملّه أهله ، فكانوا إذا سألوا امرأته سليمى عنه قالت : لا هو حىّ فيُرجى ولا هو ميْت فيُنْعَى[1] — وصخر يسمع كلامَها فيشقّ ذلك عليه — وإذا سألوا أمّه قالت : أصبَح صالحاً بنعمة الله . فلما أفاق بعض الإفاقة عمَد إلى امرأته فعلّقها بعمود الفُسطاط حتّي ماتت . وقيل : بل قال : ناولونى سيفى لأنظر كيف قوّتى — وأراد قتلها — وناولوه فلم يُطق السيف، ففى ذلك يقول :

أرى أمّ صخر ما تَملّ عيادتى ... وملّت سُلَيمى مضجَعى ومَكانى

وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليكِ ومن يغترّ بالحدَثانِ

أَهُمّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حِيلَ بين العَير والنزوَان

لعمرى ، لقد نبّهتُ من كان نائما ... وأسمعتُ مَن كانت له أذنان

ولَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها ... مُعَرَّسُ يَعسوب برأس سِنان

وأىُّ امرىءٍ ساوى بأمٍّ حَليلةً ... فلا عاش إلاّ فى شقاً وهوانِ

وقيل : إن التى قالت ذلك بُديلة الأسديّة ، كان قد سباها من أسد واتخذها لنفسه . وأنشدوا مكان البيت الأول :

ألا تلكمُ عرسى بُديلة أوجست ... فراقى وملّت مضجعى ومكانى

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْدِ[3]

---

(١) ط : « فينلى » .

(٢) ط : « أوحشت » ، صوابه فى س .

(٣) هذا الصواب من نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٧ . وفى النسختين « مثل اليد » . وفى الأغانى ١٣ : ١٣١ : « مثل الكبد » .

فى موضع الطَّعنة واسترخت ؛ قالوا له : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ ، قال : شأنَكم ، الموت أهونُ علىّ مما أنا فيه . فقطعها ، فيئس من نفسه ومات .

وروى أن امرأته هذه كانت ذات كَفَل وأوراك ، وكانت قد ملّته ، وكان يكرمها ويقدّمها على أهله ؛ فمرّ بها رجلٌ وهى قائمة فقال لها : أيباع هذا الكَفَل ؟ فقالت : عما قليل — وصخر يسمع — فقال : لئن استطعت لأقدِّمَنّكِ أمامى . ثم قال لها : ناولينى السيفَ أنظر هل تُقلّه يدى ! فدفعته إليه فإذا هو لا يقلّه . فعندها أنشد الأبيات المذكورة .

ذكر ياقوت فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى وقد ترجمناه نحن أيضا فى الشاهد الثامن والعشرين[1] — أن الصاحب ابن عبّاد كان يودّ الاجتماع به ويكاتبه ويستميلُ قلبه ، فيعتلّ عليه بالشيخوخة والكبر ، فلما يئس منه احتال فى جذب السلطان إلى ذلك الصّوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مُكْرَم[2] كتابا يتضمن علومًا نظما ونثراً ، ومنه قوله :

ولمّا أبيتم أن تزوروا وقلتمُ : ضَعُفنا فما نقوى على الوَخَدانِ
أتيناكمُ من بُعد أرضٍ نزوركم على منزلٍ بِكر لنا وعَوان
نُسائلكم : هل من قرى لنزيلِكم بملء جفون لا بملء جِفان ؟

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب : عن النثر نثراً ، وعن النظم نظماً ، وهو :

أروم نهوضًا ثم يَثنى عزيمتى تعوُّصُ أعضائى من الرَّجفان[3]

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٢٠٢ .

(٢) عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحى خوزستان .

(٣) ط : « تعود أعضائى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى معجم الأدباء ٨ : ٢٥٣ : « تعوذ أعضائى » .

فضمّنتُ بيتَ ابنِ الشريد كأنما تعمّدَ تشبيهى به وعَنانِى :
« أهمّ بأمرِ الحزم لو أستطيعه وقد حِيل بين العَير والنزوان »

فلما بلغت الصاحبَ استحسنها ووقعت منه موقعاً عظيماً ، وقال :لوعرفت أن هذا المصراع يقع فى هذه القافية لم أتعرض لها .

وبقية الحكاية هناك مسطورة.

وفى الاستيعاب : أن الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنُوها : أربعة رجال : فقالت لهم : يابنىّ أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ؛ ووالله الذى لاإلّه غيره إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ،ماخُنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجّنت حسبكم ، ولا غيّرت نَسبكم[1] . وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الباقية ، خير من الدار الفانية ؛ يقول الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدّموا واحداً بعد واحد ، ينشدون الأراجيز ؛ فقاتلوا حتى استُشهِدوا جميعا . فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرّفنى بقتلهم ، وأرجو من ربّى أن يجمعنى بهم فى مستقرّ رحمته . فكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاقَ أولادها الأربعة ، لكلّ واحد منهم مائة درهم ، حتّى قبض وماتت الخنساء

٢١١

* * *

(١) فى بعض نسخ الاستيعاب ١٨٢٨ : « ولا غبّرت نسبكم » .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والسبعون[١].

٧١ (أنَا أبو النَّجم وشِعْرِى شِعْرِى)

على أن عدم مغايرة الخبر للمبتدأ إنّما هو للدلالة على الشهرة، أى شعرى الآن هو شعرى المشهور المعروف بنفسه لاشىء آخر.

استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ[٢]»، على أن المراد السابقون مَنْ عَرفتَ حالَهم وبلَغك وصفُهم، كما فى شعرى شعرى، أى شعرى ما بلغك وصفه وسمعتَ ببراعته وفصاحته. وصحّ إيقاع أبى النجم خبراً لتضمّنه نوع وصفيّة، واشتهاره بالكمال، والمعنى: أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال، وشعرى هو الموصوف بالفصاحة.

وهذا البيت من أرجوزة لأبى النجم العِجْلِىّ، وبعده:

من ارجوزة الشاهد

(لله دَرّى ما أجنَّ صدرى من كلماتٍ باقيات الحرِّ
تنامُ عينى وفؤادى يَسرى مع العفاريت بأرضٍ قَفْرِ)

الدَّرُّ فى الأصل اللبن، يقال فى المدح لله دَرّه أى عمله. وقد شرحه الشارح فى باب التمييز بما لا مزيد عليه. وقوله ما أجنّ صدرى، هو صيغة تعجب من الجنون، قال فى الصحاح: وقوله ما أجنّه — فى المجنون — شاذّ لايقاس عليه. و(من كلمات) متعلق به، ومن ابتدائية أو تعليلية.

وأبو النجم تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع[٣]

* * *

(١) ابن يعيش ١ : ٩٨/٩ : ٨٣ وابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والخصائص ٣ : ٣٣٧ والهمع ١ : ٦٠/٢ : ٥٩.

(٢) الآية ١٠ من سورة الواقعة.

(٣) ص ؟

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والسبعون[1] :

٧٢ (رَفَوْنى وقالوا ياخُوَيلِدُ لا تُرَعْ

فقلتُ — وأنكرتُ الوجوهَ — : هُمُ هُمُ)

لِما تقدم فى البيت قبله، أى هم الذين يطردوننى ويطلبون دمى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت لأبى خِراش الهذَلىّ، مطلع قصيدة، وهى ستة عشر بيتاً، ذكر فيها تفلُّته من أعدائه حين صادفهم فى الطريق كامنين له، وسرعة عدْوه حتّي نجا منهم.

روى السكّرىّ فى شرح أشعار الهذليّين عن الأخفش قال: « خرج أبو خِراش وأمّ خراش يريدان بعضَ أهلهما، فمرّا بخزاعة، فلما رأتهما خزاعة قالوا: هذا أبو خِراش وامرأته فلاتهِيجوهما حتّي يدَنوا مِنّا[2]. فقال أبو خراش لأم خراش: فإن سألوك فقولى: تخلّف كأنه يقضى حاجة، وهو مارٌّ بكم. فمضت حتى إذا علم أبو خراش أنها قد جاوزت الثَّنيّة وأمِنهم جاء يمشى رُويداً حتى مرّ فى وسطهم، فسلّم فردّوا عليه السلام، فقال: ممن أنتم؟ قالوا: إخوتك وبنو عمك فتباعدَ منهم، فهمّوا به فعدا وعدَوا على إثره، فأعجزهم وجعلوا ينظرون إليه ويرمونه، ونجا منهم » اهـ.

وفى الأغانى بسنده: « أن أبا خراش الهذلى خرج من أهله هذيل[3]، يريد مكة، فقال لزوجته أمّ خراش: ويْحك إنى أريد مكة لبعض الحاجة، وإنّ بنى الدِّيل يطلبوننى بِتِرات، فإياكِ أن تذكرينى؟ فخرج بها وكمن لحاجته،

(١) الخصائص ١ : ٣/٢٤٧ : ٣٣٧ والهذليين ٢ : ١٤٤ وشرح السكرى ١٢١٧ .

(٢) ط : « يدنو منها » ، صوابه فى سـ مع أثر تصحيح .

(٣) فى الأغانى ٢١ : ٣٨ : « من أرض هذيل » ، وفى ط : « من اهل هذيل » صواب هذه من سـ .

وخرجت إلى السوق لتشترىَ عطراً وما تحتاجه النساء[1] فمرّ بها فتَيانِ من بنى الدِّيل فقال أحدهما لصاحبه : أمُّ خِراش وربّ الكعبة ؟ فسلّما عليها فقالت: ٢١٢
بأبى أنتما مَن أنتما ؟! فقالا : رجلان من أهلِك هذيل . قالت : فإن أباخراش معى فلا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشية . فجمع الرجلان جماعة وكمنوا فى طريقه ، فلما نظر إليهم قال لها : قتلتِنى . قالت : ماذكرتك وربُّ الكعبة إلاّ لفَتَيين من هذيل . فقال : والله ماهما من هذيل ولكنهما من بنى الدِّيل ، وقد جلسا لى وجمعا جماعة من قومهما ، فإذا جزتِ عليهم فإنّهم لن يعرِضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم ، فاركضى بَعيرَك وضعى عليه العصا . فكانت على قَعودٍ يسابق الريح . فلما دنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تَمرا على طريقه على كساء فوقف قليلاً كأنه يصلح شيئًا — وجازتهم أم خراش ووضعت العصا على قعودها — وتواثبوا إليه ، فوثب يعدو ، وسبقهم ولم يلحقوه . وقال أبو خراش فى ذلك هذه القصيدةَ » اهـ .

و (رفَونى) قال المفضل بن سلمة فى الفاخر ، والمرزوقى فى شرح الفصيح : رفَوت الرجل : إذا سكّنته — وأنشد هذا البيت — ثم قالا : ويقال رافيت فلانًا أى وافقته . قال الشاعر :

ولما أنْ رأيتُ أبا رُويم ... يُرافينى ويَكره أن يُلاما

وأما رفأت الثوب إذا أصلحت خرقه أرفؤه رفئًا فبالهمز، ومنه : بالرِّفاء والبنين ، إذا دعى للمتزوج .

وفى المقصور والممدود للقالى : الرفاء بالمدّ : الاتفاق والالتئام ، ومنه قولهم : بالرِّفاء والبنين — ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يقال :

(١) الأغانى : « أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن » .

بالرِّفاء والبنين[١] . وقال أبو عبيد قال الأصمعي : الرفاء يكون على معنيين : يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، قال : ومنه أُخذ رفء الثوب ، لأنه يُرفأ فيضمّ بعضه إلى بعض ويلأم ، ويكون الرِّفاء من الهدوّ والسكون ، قال :

رفَونى وقالوا يا خويلد . . (البيت)

وحدثنى أبو بكر بن دريد قال : قال الأصمعي فى بيت أبى خراش : أراد رفئونى بالهمز . والدليل على صحّة ما روى أبو بكر قول الأصمعي فى كتاب الهمز : ويقال رفأت الرجل ، إذا سكّنته حتى يسكن . وكذلك : المرافأة مهموز ، والدليل على ذلك قول أبى زيد فى كتاب الهمز : رفأت الثوب أرفؤه رفئًا ، ورفّأت المملّك ترفئة[٢] إذا دعوت له ، ورافأنى الرجل فى البيع مرافأة اهـ فجعله مهموزاً لا غير .

وكذلك قال العسكرى فى كتاب التصحيف : « أخبرنا ابن أبى سعيد أخبرنى طابع[٣] سمعت قعنب بن مُحرز[٤] يسأل الأصمعي عن قول الشاعر : رفونى وقالوا يا خويلد . . البيت ، فقال قعنب : رقونى بالقاف ، فقال الأصمعي : ما معنى رقونى ؟ قال : رقوه بالكلام . قال يصحّف ويفسر التصحيف : إنما هو رفَونى بالفاء ، وأصله رفئونى من رفأت ، فأزال الهمزةَ الشاعرُ » اهـ .

و (خويلد) : اسم الشاعر . و (لا تُرَع) نَهىٌ بالبناء للمفعول ،

---

(١) فى اللسان (رفا) : « وإنما نهى عنه كراهية ؛ لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سن فيه غيره » .

(٢) ط : « ترفؤه » ، صوابه فى س والنوادر ١٩٣ .

(٣) فى التصحيف ٣٧ : « طائع » .

(٤) فى النسختين : « محرر » ، وأثبت ما فى التصحيف .

أى لا يحصل لك رَوع وخوف . وجملة أنكرتُ حال من ضمير قلت ، بتقدير قد وجملة هُم هم مقول القول[1] .

أبو خراش

و (أبو خراش) قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو خويلد بن مرّة ، أحد بنى قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذَيل . أحد فرسان العرب وفُتّاكهم . أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه » .

وفى تاريخ الذهبى ما يدل على أن إسلامه كان يوم حنين .

٢١٣

وذكره ابن حجر فى القسم الثالث من الإصابة ، وهم المخضرمون الذين لم يرد فى خبرٍ قطّ أنهم اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وفى الأغانى[2] عن الأصمعى قال : « دخل أبو خِراش مكة فى الجاهلية — وكان ممن يعدو على رجليه فيسبق الخيل — فرأى الوليدَ بن المغيرة له فرسانِ يريد أن يوسلهما [فى الحلبة[3]] فقال : ما تجعل لى إن سبقتُهما عدْوا ؟ قال : إن فعلتَ فهما لك .. فسبقهما » . وقال الكلبى والأصمعى : « مر على أبى خراش نفر من اليمن حجاجاً فنزلوا عليه فقال : ما أمسى عندى ماء ، ولكن هذه بُرمة وشاة وقِربة ، فرِدوا الماء فإنه غير بعيد ، ثم اطبخوا الشاة وذَرُوا البرمة والقربة عند الماءِ نأخذهما . فامتنعوا وقالوا : لا نَبرح . فأخذ أبو خراش القربةَ وسعى نحو الماء تحت الليل فاستقى ، ثم أقبل فنهشتَه حيّة

(١) ط « مفعول القول » .

(٢) الميمنى « هذا النقل عن الأغانى يوجد فى ٢١ ، ٣٩ . وهذا دليل على أن الجزء الحادى والعشرين منه الذى كان طبع أولا بليدن مجموع عن عدة نسخ من الأغانى من زياداتها على طبعة بولاق ، وإنما نبهنا على ذلك لأن دار الكتب المصرية أنكرت هذا الجزء (انظر مقدمتها على الجزء الأول من طبعتها) ، وفى حفظى أنى وجدت فى اللآلى أيضا نقلا عن الأغانى وجدته فى هذا الجزء » .

(٣) التكملة من الأغانى .

فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء ولم يُعلمهم بما أصابه. فباتوا يأكلون ؛ فلما أصبحوا وجدوه فى الموت ؛ فأقاموا حتى دفنوه. فبلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه خبره فقال : والله لولا أن تكون سنّة لأمرت أن لا يُضاف يمانىّ بعدها ثم كتب إلى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا به فيغرّمهم ديته » ..

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون[1] :

٧٣ (بنُونا بنُو أبنائنا ، وبناتُنا بنوهُنّ أبناء الرجالِ الأباعِدِ)

على أن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفاً وتخصيصاً يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ ، فإنه قدم الخبر هنا على المبتدأ لوجود القرينة من حيث المعنى ، فإنك عرفت أن الخبر هو محطّ الفائدة ، فما يكون فيه التشبيه الذى تذكر الجملة لأجله فهو الخبر ، وهو قوله بنونا ، إذ المعنى : أن بنى أبنائنا مثل بنينا ، لا أن بنينا مثل بنى أبنائنا .

قال ابن هشام فى شرح شواهد ابن الناظم : « وقد يقال : إن البيت لا تقديم فيه ولا تأخير ، وإنه جاء على عكس التشبيه كقول ذى الرمّة :

* ورملٍ كأوراك العذارى قطعتُه[2] *

فكان ينبغى للشارح — يعنى ابن الناظم — أن يستدلّ بما أنشده والده فى شرح التسهيل من قول حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

قبيلةُ ألأمُ الأحياء أكرمُها وأغدرُ الناس بالجيران وافيها

(١) ابن يعيش ١ : ٩٩ / ٩ : ١٣٢ والإنصاف ٦٦ والهمع ١ ، ١٠٢ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧ .

(٢) عجزه كما فى حواشى ... والديوان ٣١٨ .

* وقد جللته المظلمات الحنادس *

إذ المراد : الإخبار عن أكرمها بأنه ألأم الأحياء ، وعن وافيها بأنه أغدر الناس ؛ لا العكس » . انتهى المراد منه .

وقد منع الكوفيون تأخير المبتدأ ، قال ابن الأنبارى فى الإنصاف ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان أو جملة ؛ فالأوّل نحو ، قائم زيد ، والثانى نحو : أبوه قائم زيد . وأجازه البصريون لمجيئه فى كلام العرب نظماً ونثراً ، ومن النظم قوله : « بنونا بنو أبنائنا .. البيت » . وأطال الكلام فيه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته فى كتب النحاة وغيرهم ؛ قال العينى : « وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيّون على دخول أبناء الأبناء فى الميراث ، وأنّ الانتساب إلى الآباء ، والفقهاء كذلك فى الوصية ، وأهل المعانى والبيان فى التشبيه . ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله » اهـ .

ورأيت فى شرح الكرمانى فى شواهد شرح الكافية للخبيصى أنه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همّام الفرزدق بن غالب ، ثم ترجمه . والله أعلم بحقيقة الحال .

٢١٤

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون ، قولَ أبى تمام[1] :

٧٤ (لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابُهُ

وأرْىُ الجنى اشتارتْهُ أيدٍ عواسلُ)

لِما تقدم فى البيت قبله . أى لعابه مثل لعاب الأفاعى .

(١) ديوانه ٢٥٧ .

أبيات الشاهد

وهذا البيت أحد أبيات عشرة فى وصف القلم ، من قصيدة لأبى تمام ، مدحَ بها محمد بن عبد الملك الزيات .

وأبيات القلم هى، هذه ، وهى أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم[1] :

(لك القلم الأعلى الذى بِشَبَاتِهِ ... يُنال من الأمر الـكُلَى والمفاصلُ

له الخَلوات اللاءِ لولا نَجِيُّها ... لما احتَفلت للمُلكِ تلك المحافل

لعاب الأفاعى القاتلاتِ لعابه .. .. البيت

له ريقةٌ طلٌّ ، ولـكنَّ وقعَها ... بآثاره فى الشرق والغرب وابلُ

فصيحٌ ، إذا استنطقته وهو راكب ... وأعجَمُ ، إن ناطقته وهو راجل

إذا ماامتطى الخمسُ اللِّطافُ وأفرغت ... عليه شِعابُ الفـكر وهى حوافل

أطاعتْه أطرافُ الرماح وقوّضتْ ... لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافلُ

إذا استغزر الذهنَ الخلىُّ وأقبلت ... أعاليهِ فى القِرطاس وهى أسافل

وقد رفدتْه الخِنصِرَان وسَدّدت ... ثلاثَ نواحيهِ الثلاثُ الأناملُ

رأيتَ جليلًا شأنُه وهو مُرهَفٌ ... ضَنًي ، وسميناً خطبُه وهو ناحل)

الشَّبا بفتح الشين والقصْر : حدّ كلّ شىء . وقوله : ينال من الأمر ، روى أيضاً « يصاب من الأمر » . والـكلى : جمع كُلْيَة وكُلْوة ، جاء بالياء والواو . والمفاصل : جمع مَفصِل ، وهو ملتقى كلّ عظمين ، أراد أن القلم يطبّق المفصل ويصادف المحزّ ، وبه يُنال مقاصد الأمور ، فإنه ينال بالأقلام ، ما يعجز عنه مجالدة الُحسام .

وقوله : له الخلوات الخ ، يعنى أن أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السرّ يُخلى لهم الملوك المجالسَ للمشورة ، وبهم يحصل نظام الملك . والنجىّ :

(١) الحيوان ١ : ٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٥٣٦ .

المسارُّ[1] والتناجي . المسارّة ، وأراد به المشير ، فإنّ المشورة تكون سرًّا غالباً . والاحتفال : حسن القيام بالأمور . والمحافل : جمع محفلٍ كمجلس ومقعد ، وهو المجتمع .

واللُّعاب : ما يسيل من الفم . والقاتلات : صفة كاشفة للأفاعى ، ذكرها تهويلا . والأرْى ، بفتح الهمزة وسكون الراء : مالزق من العسل فى جوف الخليّة . والجنى بفتح الجيم والقصْر : العسل ، والإضافة للتخصيص ؛ فإن الأرى يأتى أيضاً بمعنى مالزق بأسفل القِدر من الطبيخ ، وإنْ جعلتَ الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كلّ ما يجنى : من ثمرةٍ ونحوها ، يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة . واشتارته : استخرجته ، يقال شار فلانٌ العسلَ شَورا وشِيارا وشِيارة : إذا استخرجه ، وكذلك أشاره واشتاره . وأيدٍ جمع يد . والعواسل : جمع عاسلة أى مستخرِجة العسل ، والعاسل : مشتار العسل من موضعه . والمصراع الأوّل بالنسبة إلى الأعداء والثانى بالنسبة إلى الأولياء ، يعنى أن لعاب قلمه بالنسبة إلى الأعداء سمٌّ قاتل ، وبالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل . فقوله : لعابه ، مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعى خبر مقدّم ، وأرى معطوف على الخبر ، وجاز هذا مع تعرّف الطرفين لأن المعنى دالّ عليه ، فإن اللعاب القاتل إنما هو لعاب الأفاعى ، فلعاب القلم مشبَّه به فى التأثير . وعُلم من هذا أنه ليس من التشبيه المقلوب[2] فإن لعاب القلم قد شُبِّه بشيئين وهما[3] السمّ والعسل باعتبارين . وإن جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل ، والخبر فى المعطوف محذوف . وفيه تكلّف .

(١) ط : « المساور » بالفك ، والوجه فى سه مع أثر تصحيح .
(٢) انظر مامضى من كلام ابن هشام قريبا .
(٣) فى النسختين : « وهو » .

وقوله : « له ريقة طلٌّ » ريقة مبتدأ ، وطلٌّ وصفه ، والظرف قبله خبره ، والطَّلّ : المطر الضعيف ، والوابل وكذا الوَبل : المطر الشديدُ الضخم القَطْرِ. إنّ مايجرى من القلم حقير تافِهٌ فى ظاهر الأمر ، ولـكن له أثر خيرٍ عمّ المشارقَ والمغارب .

وأراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس . والشِّعاب : جمع شِعب بكسرهما : الطريق فى الجبل . والحوافل : جمع حافلة ؛ يقال حَفَل اللبن وغيره حَفلا وحُفولاً : اجتمع ، واحتفل الوادى : امتلأ وسال .

وقوله : أطاعته أطراف الخ ، هو جواب (إذا) . وروى : « أطاعته أطراف القنا وتقوّضت » ، يقال تقوضت الصفوف : إذا انتقضت ، وأصله من تقويضِ البناء وهو نقضُه من غير هدم . والنجوى : السرّ . وتقويضَ أى كتقويض الخيام . والجحافل : فاعل تقوّضت ، وهو جمع جحفل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر : الجيش .

واستغزر الذهنَ : وجده غزيرا . وفاعله ضمير القلم . والخلىّ : الخالى . وروى بدله (الذكىّ) أى المتوقد . وإنما تـكون أعالى القلم أسافلَ حين الـكتابة .

ورفدَته : أعانته . ورأيت : جواب إذا . وشأنه : فاعل جليلًا . وجملة « وهو مرهف » حال ، وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوَه إذا رقّقت شَفرتيه ، ويقال أيضاً رَهَفته رهفا ، فهو رهيف ومرهوف . وضنى تمييز ، وهو مصدر ضنِيَ من باب تعب ، إذا مرض مرضاً ملازماً . وسميناً معطوف على جليلا . وناحل : من نحَل الجسم ينحَل بفتحهما نُحولا : سقِم ، ومن باب تعب لغة .

وأبو تمام الطائى مضت ترجمته فى الشاهد الرابع والخمسين[١] ولم يورد الشارح المحقق بيته هنا شاهداً ، وإنّما أورده نظيراً لمـا قبله .

الوزير ابن الزيات

وأما (ابن الزيات) الذى مدحه أبو تمّام بهذه القصيدة فهو أبو جعفر محمد ابن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ، كان جدّه أبان من قرية يقال لها الدَّسكَرَة يَجْلِب الزيت . وكان محمدٌ من أهل الأدب فاضلا عالما بالنحو واللغة . ولما قدِم المازنىُّ بغداد فى أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يحضرون بين يديه فى علم النحو ، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم المازنى : ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب — يعنى محمد بن عبد الملك — فاسألوه واعرفوا جوابه . وكان يصوّب جوابه ، فعلا شأنه بذلك .

وكان فى أول أمره من جملة الكتاب ، وكان أحمد بن عمّار البصرىّ وزيرَ المعتصم ، فورد على المعتصم كتابٌ من بعض الأعمال فقرأه الوزير عليه فإذا فى الكتاب ذكر « الكَلأ » ، فقال له المعتصم : ما الكلأُ ؟ فقال : لا أعلم . فقال المعتصم : خليفةٌ أمىّ ووزير عامىّ ؟! ثم قال : أبصروا مَن بالباب من الكتاب . فوجدوا محمد بن عبدالملك ، فقال له : ما الكلأُ ؟ فقال : هو العُشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الخلا ، وإذا يبس فهو الحشيش — وشرع فى تقسيم أنواع النبات — فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكّمه وبسط يده .

١٦

ومدحه أبو تمام بقصائد . ومدحه البحترى بقصيدته الدالية وأحسن فى وصف خطّه وبلاغته[٢] .

---

(١) انظر ص ٣٥٦ . وفى الأصل « الثانى والخمسين » خطأ .

(٢) وذلك فى أحد عشر بيتا من قصيدته التى مطلعها :

بعض هذا العتاب والتفنيد   ليس ذم الوفاء بالمحمود

وكان ابن الزيات هجا القاضيَ ابنَ أبي دُؤاد الإياديّ بتسعين بيتاً ، فعمل القاضي فيه بيتين وقال :

أحسنُ من تسعين بيتاً سدًى جمعُك معناهنّ في بيتِ
ما أحوجَ الملكَ إلى مَطْرة تغسِل عنه وَضَر الزيت[1]

وقيل : هما لعليّ بن الجهم .

وبعد المعتصم وزَر لابنه الواثق هارون ، فقال ابن الزيات :

قد قلتُ إذ غَيّبوه وانصرفوا من خيرِ قبرٍ لخــير مدفون
لن يجبُرَ اللهُ أمةً فقدتْ مثلكَ إلا بمثل « هارون »

وبعد الواثق وزَر للمتوكل . وكان ابن الزيات يدخل عليه المتوكل أيامَ المعتصم والواثق ،فكان يتجهّمه ويحتقره ويستهزئُ به ، فحقَد عليه المتوكل ، وبعد أربعين يوماً من ولايته قبض عليه واستصفى أمواله .

وكان ابن الزيات قد اتخذ تَنّوراً من حديد ، وأطراف مساميره المحدودة إلى داخله ، وهي قائمة مثل رءوس المسالّ ، وكان يعذّب فيه أيام وزارته فكيفما انقلب المعذَّب أو تحرّك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه ، وإذا قال له أحد ارحمني أيها الوزير ، فيقول له : الرحمة خَوَر في الطبيعة ! فلما

---

(١) في الأغاني ٢٠ : ٥١ :

أحسن من خمسين بيتا سدى جمعك إياهن في بيت
ما أحوج الناس إلى مطرة تذهب عنهم وضر الزيت

والقصة في ابن خلكان ١ : ٢٥ تخالف هذه ، فإنه قال : وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدة أبياتها سبعون بيتا ، فبلغ خبرها القاضي أحمد — يعني ابن أبي دؤاد — فقال :

أحسن من سبعين بيتا هجا ... الخ كرواية البغدادي

اعتقله المتوكل أمر بإدخاله فى التنور ، وقيّده بخمسة عشر رطلا من الحديد . فقال له : يا أمير المؤمنين ارحمنى . فقال له : الرحمة خَوَر فى الطبيعة !! كما كان يقول للناس . وكان ذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . وكانت مدّة تعذيبه فى التنور أربعين يوما إلى أن مات فيه . ووجد مكتوبا بالفحم فى جانب التنوّر :

مَن له عهدٌ بنوم يرشد الصبَّ إليهِ
رحم الله رحيماً دلَّ عينىَّ عليهِ
سهِرتْ عينى ونامت عينُ من هُنتُ عليهِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون[1] :

٧٥ (إلى الملك القَرْم وابنِ الهُمامِ
وليثِ الكتيبة فى المزدَحمْ)

على أنه يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض الأوصاف على بعضها كما هنا . قال ابن الهمام : وليث الكتيبة وصفان للملك ، وقد عطفا على الصفة الأولى ، وهى القرم .

واستشهد به الفرّاء فى معانى القرآن وصاحب الكشّاف أيضاً لهذا الأمر. وبعده بيت أورده ابن الأنبارى فى الإنصاف وهو :

(وذا الرأىِ حين تُغَمّ الأمورُ بذاتِ الصَّليل وذاتِ اللُّجُمْ)

وقال : « نصب ذا الرأى على المدح » . والقَرْم بفتح القاف : السيّد .

---

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٣٣١ ، ٥٣٤ بولاق والإنصاف ٤٦٩ .

والهُمام : الملك العظيم الهمّة ، والسيد الشجاع السخيّ . والكتيبة : الجيش ، وقيل جماعة الخيل إذا [أ] غارتْ ، من المائة إلى الألف . والمزدحم : محلّ الازدحام ، يقال ازدحم القوم وتزاحموا أى تضايقوا ؛ وأراد به المعركة . والغمّ فى الأصل : ستر كلِّ شىء ، ومنه الغمام لأنه يستر الضوء والشمس ، ومنه أيضا الغم الذى يغم القلبَ أى يستره ويغشّيه . وقوله : بذات الصليل ، متعلق بالرأى ، وهو البيضة . يقال : صلّ البيض يصلّ صليلا : سُمع له طنين عند القراع . وذات اللجم : الخيل ، وهو جمع لجام . أراد أنه يمدهم بالسلاح والرجال.

٢١٧

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون[1] :

٧٦ (فأما القتالُ لاقتالَ لديكمُ)

على أن حذف الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الواقع بعد (أما) ضرورة ، فإن القتال مبتدأ وجملة لاقتال لديكم خبره ، والرابط العموم الذى فى اسم لا . قاله ابن إياز فى شرح الفصول . ومثله بيت الكتاب لابن ميّادة :

ألا ليت شعرى هل إلى أم مَعْمَرٍ سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صبرا[2]

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : هو بمنزلة قولهم نعم الرجل زيد ، وذلك أن الصّبر عنها بعض الصبر لا جميعه ؛ وقوله : فلا صبر نفى للجنس أجمع فدخل الصبر عنها وهو البعض ، فى جملة ما نفى من الجنس ، كما أنّ زيدا بعض الرجال . فأما البيت الآخر :

فأما الصدورُ لا صدورَ لجعفرٍ[3] ولكنّ أعجازاً شديداً ضريرُها

---

(١) العينى ١ : ٥٧٧/٤ : ٤٧٤ وابن يعيش ٧ : ١٣٤/٩ : ١٢ والمنصف ٣ : ١١٨ والهمع ٢ : ٦٧ .

(٢) فى النسختين : « فلا صبر » ، صوابه من سيبويه ١ : ١٩٣ . والصواب أيضا « إلى أم جحدر » ، وهى صاحبته .

(٣) ط : « فاما الصدود لا صدود » ، صوابه فى ســ .

فالثانى هو الأول سواء ، وكذلك قول الآخر :

فأما القتال لا قتال لديكم . . . . . . (البيت)

فالثانى هو الأول ، وكلاهما جنس . انتهى .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(ولكنّ سيراً فى عراض المواكب[1])

(لكنّ) اسمها محذوف ، و (سيراً) مفعول مطلق عامله محذوف وهو خبر لكنّ ، أى ولكنكم تسيرون سيراً . ويجوز أن يكون سيراً اسم لكنّ والخبر محذوفاً أى ولكنّ لكم سيراً . و (فى عراض) متعلق بتسيرون المحذوف ، وهو جمع عُرض بضم العين وسكون الراء وآخره ضاد معجمة ، بمعنى الناحية . و (المواكب) : الجماعة ركباناً أو مشاة ، وقيل ركاب الإبل للزينة ، من وَكَب يكِبُ وكوباً : مشى فى دَرَجان . وقبل هذا البيت بيت ، وهو :

فضحتم قريشاً بالفِرار وأنتم قُمُدّون سُودانٌ عظامُ المناكب

و (القُمُدّ) بضم القاف والميم وتشديد الدال : الطويل ، وقيل الطويل العنق الضخمُهُ ، من القَمَد بفتحتين وهو الطُّول ، وقيل ضخامة العنق فى طول . والوصف أقمد وقُمُدّ ، والأنثى قمداء وقَمُدّة وقمدانية . والسُّودان أراد به الأشراف ، جمع سُود وهو جمع أسود ، أفعل تفضيل من السيادة .

صاحب الشاهد

والبيتان للحارث بن خالد المخزومى ، كذا قال ابن خلف . وقال صاحب الأغانى : هما مما هجا بهما قديماً بنى أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس اهـ .

الحارث المخزو

والحارث هو ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم .

---

(١) ط : « المراكب » صوابه فى ش والمراجع المتقدمة .

قال الزُّبير بن بكار فى أنساب قريش : كان الحارث شاعراً كثير الشعر ، وهو الذى يقول :

من كان يسأل عَنّا أين منزلنا … فالأقحُوانة منا منزل قَمِنُ

إذْ نلبَسُ العيشَ غضًّا لا يكدّره … خوفُ الوشاة ولا ينبو بنا الزَّمن

٢١٨ والأقحوانة : ماء بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام[1] وكان يزيد استعمله على مكة وابنُ الزبير يومئذ بها ، فمنعه ابن الزبير ، فلم يزل فى داره معتزلا لابن الزبير حتّى ولى عبد الملك بن مروان فولّاه مكة ثم عزله ، فقدم عليه دمشق فلم ير له عنده ما يحبّ ، فانصرف عنه وقال :

عطفتُ عليك النفسَ حتّى كأنما … بكفّيك بؤسى أو لديك نعيمها

فما بىَ إن أقصيتنى من ضَرَاعة … ولا افتقرت نفسى إلى مَن يضيمها[2]

انتهى . ومن شعره :

أظلومُ إنّ مُصابَكم رجلًا … أهدَى السلامَ تحيةً ظلمُ[3]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون ، وهو من شواهد س[4] :

---

(١) انظر (أقحوانة) فى معجم البلدان ، ففيه إلى هذين البيتين بيتان آخران . وهناك خبر طريف .

(٢) ط : « يضيرها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ش : « أظليم » ، وهما روايتان . انظر العينى ٣ : ٥٠٢ والهمع ٢ : ٩٤ وابن الشجرى ١ : ١٠٧ ومجالس ثعلب ٢٧٠ والاشتقاق ٩٩ ، ١٥١ .

(٤) سيبويه ١ : ٧٠ . وانظر الخزانة أيضا ٣: ٣٩٥/٤ : ٤٢١ ، ٥٥٢ وابن يعيش ١ : ١٠٠/٨ : ٩٥ والهمع ١ : ١١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٩ ، ٢٩٥ .

٧٧ ﴿ وقائلةٍ خولانُ فانكِحْ فتاتَهم ﴾

عجزه : (وأُكرومةُ الحيَّينِ خِلوٌ كما هيَا)

على أن الفاء فى فانكح زائدة عند الأخفش . وخولان مبتدأ ، وانكح خبره . وعند سيبويه غير زائدة ، والأصل : هذه خولان فانكح فتاتهم .

قال ابن خلف : قال أبو على : من جعل الفاء زائدة أجاز فى خولان الرفع والنصب . كقولك : زيداً فاضربه . فإن قلت زيدا فاضربْ جاز عند الجميع . قال تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » .

ونقل أبو جعفر النحاس عن المبرد أنّه قال : لو قلت هذا زيداً فاضربه ، جاز أن تجعل زيدا عطف بيان أو بدلا ، فلو رفعت خولان بالابتداء لم يجز من أجل الفاء، وإنما جاز مع هذا لأن فيها معنى التنبيه والإشارة . وقال أبو الحسن: ويجوز النصب على الذم . انتهى .

والظاهر أن يقول : ويجوز النصب على المدح كما قال غيره . فإن المرغَّب لايذمّ .

وعلى قول س : فالفاء إما لعطف الإنشاء على الخبر وهو جائز فيما له محل من الإعراب ، وإما لربط جواب شرط محذوف ، أى إذا كان كذلك فانكح . قال سيبويه : قد يحسن ويستقيم أن تقول عبدالله فاضربه ، إذا كان الخبر مبنيا على مبتدأ مظهر أو مضمر ، نحو هذا زيد فاضربه والهلال والله فانظر إليه . وقال السيرافى : الجمل كلها يجوز أن تكون أجوبتها بالفاء نحو زيد أبوك فقم إليه ، فإنّ كونه أباه سببٌ وعلّة للقيام إليه ، وكذلك الفاء فى فانكح يدلّ على أن وجود هذه القبيلة علة لأن يُتزوّج منهم ويتقرّب إليهم ، لحسن نسائها وشرفها . وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ

وما بَيْنَهُما فاعْبُدْهُ » ، قال إنّ ربّ خبر مبتدأ ، أى هو رب السماوات كما فى خولان بالرفع ، أى هؤلاء خولان . وخولان : حىّ باليمن . وروى : « فانكح فتاتها » لأنّه أراد القبيلة . وجملة[1] خولان فانكح فتاتهم ، فى محل نصب على أنها مقول القول ، وإنما عمل فيها النصب وهو قائلة لاعتماده على الموصوف المقدر ، أى رب امرأة قائلة . وبه يدفع ما يردُ عليه من أنّ مجرور ربّ غير موصوف بشىء مع أن وصفه واجب ، فإن المجرور هو الوصف ، والموصوف محذوف . أو تقول : الصفة محذوفة ، أى رب قائلة قالت لى . لكن يردُ عليه أنّ ما بعد ربّ يلزمه المضى ، والوصف هنا مستقبل بدليل إعماله . ويدفع أيضاً بأنه أراد حكاية الحال الماضية ، بدليل أن المعنى : قد قيل لى ذلك فيما مضى ، وليس المراد أنه يقال لى هذا فيما يستقبل . أو أنه ماض وعمل على مذهب الكسائى . قال ابن هشام فى المغنى : وسُمع أعرابىٌّ يقول بعد انقضاء رمضان : « رُبَّ صائمه لن يصومه ، ويارب قائمه لن يقومه » : وهو مما تمسّك به الكسائى على إعمال اسم الفاعل المجرد بمعنى الماضى . وربَّ هنا للتكثير ، وهى حرف جر لا يتعلّق بشىء ، والفعل المعدّى محذوف ، أى رب قائلة هذا القولَ أدركتها ورأيتها ، فمجرور ربّ جاء فى محل رفع على الابتداء ، أو فى محل نصب على المفعولية على شريطة التفسير . وإن قدّرت أدركت فمحلّه نصب لاغير . وقوله « وأكرومة الحيين خِلو » الأكرومة : فعل الكرم ، مصدر بمعنى اسم المفعول أى ومُكرَّمة الحيين . وأراد بالحيين حىّ أبيها وحىّ أمها . والخِلو بكسر الخاء المعجمة : التى لا زوج لها . وهذه الجملة الظاهر أنها فى محل نصب على الحال ، والمعنى : ربّ قائلة قالت لى هؤلاء خولان فانكح فتاتها ، فقلت : كيف أنكحها وأكرومة الحيين خاليةٌ عن الزوج ؟ قيل :

٢١٩

(١) ـــ : « وجلتان » ، صوابه فى ط .

ويجوز أن الجملة من تمام قول القائلة . ولا يخفى أنه لو كان كذلك لكان الوجه أن يقال فأ كرومة الحيين ، بالفاء . فتأمل . وقوله « كما هيا » صفة خِلو ، وفيه فعل محذوف أى كما كانت خلوا ، فلما حذفت كان برز الضمير ، وما مصدرية فى الجميع ، ويجوز أيضا أن يكون هى مبتدأ وخبره محذوف وما موصولة ، أى كالحالة التى هى عليها فيما عهدته . والكاف بمعنى على ، ويحتمل أن ما زائدة فيكون ضمير الرفع قد استعير فى موضع الضمير المجرور . والمعنى أنّها خلو الآنَ كهى فيما مضى ، والكاف للتشبيه . ويحتمل أيضاً أنها كافّة وهى مبتدأ خبره محذوف ، أى هى عليه . وقد جوّزوا هذه الوجوه إلاّ المصدرية فى قولهم : كن كما أنت ، نقلها ابن هشام فى المغنى فى الكاف وزاد عليها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها ناظم . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون ، وهو من شواهد جمل الزجاجى[1] :

٧٨ (إنّ مَنْ يدخُلِ الكَنيسةَ يوماً يَلقَ فيها جآذِراً وظِباء)

على أن اسم (إنّ) ضمير شأن ، والجملة الشرطية بعدها خبرها ، وإنما لم يجعل (مَن) اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر فى جملته فلا يعمل فيه ما قبله[2] .

---

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٤٦٣/٤ : ١٢ ، ٣٨٠ وابن يعيش ٣ : ١١٥ والهمع ١ : ١٣٦ وابن الشجرى ١ : ٢٩٥ .

(٢) عبارة الرضى ١ : ٩٢ : « وأما كلمات الشرط الجازمة ، الثابتة الأقدام فى الشرطية ، فلا يدخلها شىء من نواسخ الابتداء إلا فى الضرورة ، فيضمر مع ذلك بعدها ضمير الشأن حتى لا تخرج كلمات الشرط فى التقدير عن التصدر فى جملتها ، وذلك نحو قوله : إن من يدخل . . الخ » . فعبارة الرضى أعم وأوضح .

صاحب الشاهد

قال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل : « هذا البيت للأخطل وكان نصرانياً ، فلذلك ذكر الكنيسة » .

وقال ابن هشام اللخمىّ فى شرحها : « لم أجده فى ديوان الأخطل » .

(أقول) : قد فتّشت ديوان الأخطل من رواية السُّكرىّ[1] فلم أظفر به فيه ، ولعله ثابتٌ فى رواية أخرى . ونسبه السيوطى فى شواهد المغنى إلى الأخطل وقال : وبعده :

(مالتِ النفسُ بعدَها إذْ رأتْها فهى رِيحٌ وصار جسمى هباء
ليتَ كانتْ كنيسةُ الرُّومِ إذْ ذا ك علينا قَطيفةً وخِباء)

(الكنيسة) هنا : متعبَّد النصارى ، وأصله متعبَّد اليهود ، معرّب كُنِشْتْ بالفارسية[2] . و (الجآذر) : جمع جُؤذُر ، وهو ولد البقرة بضم الذال المعجمة ، وحكى الكوفيون فتحها أيضاً ، وسردوا ألفاظاً كثيرة على فُعْلَل بضم الأول وفتح الثالث ، منها جُؤذَر وبُرقَع وطُحلَب وجُخدَب وضُفدَع ، والبصريون لايعرفون فيها إلاّ ضم الثالث . و (الظباء) : الغزلان ، الواحد ظَبية . يقول : مَن يدخل الكنيسة يَلقَ فيها أشباه الجآذر من أولاد النصارى ، وأشباهَ الظباء من نسائهم . فكنَى عن الصبيان بالجآذر ، وعن النساء بالظباء .

٢٢٠

وقال اللخمىّ : ويحتمل أن يريد الصور التى يصوّرونها فيها ، لأنّ كنائس الروم قلّ أن تخلوَ من الصور شبيهة بالجآذر والغزلان . قال عمر ابن أبى ربيعة :

---

(١) الميمنى : « رواية السكرى هى المطبوعة عن نسخة بطرسبرج » .

(٢) هذا الضبط من معجم استينجاس ١٠٥٥ ، ومعناه فى الفارسية « معبد النار » : A fire - temple . وانظر كلام الخفاجى فى شفاء الغليل (كنيسة) .

دُميةٌ عند راهبٍ ذى اجتهاد   صَوَّروها بجانب المحْرابِ

ويعنى بالدمية الصورة . والهباء : الغبار الرقيق . والقَطيفة : كساءذوخمل .

و(الأخطل) هذا هو التَّغلبيّ الشاعرالمشهور ، من الأراقم ، واسمه غياث ابن غوث[1] بن الصَّلت بن طارقة . وأنهى نسبته الآمدىُّ فى المؤتلف والمختلف إلى تغلب .

ترجمة الأخطل

قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « وسمى الأخطل من الخطَل ، وهو استرخاء الأذنين[2] ومنه قيل لكلاب الصيد[3] خُطْل » . قال شارحه ابن السيد : « لا أعلم أحداً ذكر أنّ الأخطل كان طويلَ الأذنين مسترخيَهما ؛ والمعروف أنه لقّب الأخطلَ لبذاءته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابنىْ جعيل[4] احتكما إليه مع أمّهما فقال :

لعمرك إنّنى وابنىْ جُعَيل   وأمَّهما لَإسْتارٌ لئيمُ

فقيل : إنّه لَأخطل ! فلزمه هذا اللقب — والإستار معرب جهار ، وهو أربعة من العدد بالفارسية[5] .

وقال بعض الرواة ، وحكى نحو ذلك أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى :

(١) ط : « من غوث » ، صوابه فى ش وتيمور . قال الميمنى : ورأيت فى المخطوطات هذا التصحيف — أى تصحيف بن بمن وبالعكس — كثيرا جدا » .

(٢) أراد ابن قتيبة أن كلامه كان مسترخيا كذلك ، وذلك لتعرضه لسفاسف الأمور . وقال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣٨ : « وإنما سمى الأخطل لسفهه واضطراب شعره . هكذا قال الأصمعى . والخطل : الالتواء فى الكلام ، يقال رمح خطل ، إذا كان شديدا لاهتزاز ، وشاة خطلاء : طويلة الأذنين » . ومثله فى الجمهرة له ٢ : ٢٣١ . وفى اللسان : « وقيل إنما سمى بذلك لطول لسانه » . وصرح العينى ١ : ٤٢٥ بطول أذنيه اغترارا بلفظ ابن قتيبة .

(٣) ط : « كلاب الصيد » صوابه ، فى ش وأدب الكاتب والاقتضاب ١٢٤ .

(٤) هما كعب وعميرة ، ذكرهما ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣١ .

إنّ السبب فى تلقيبه بالأخطل أن كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب فى وقته ، وكان لايلمّ برهط منهم إلاّ أكرموه وأعطوه ، فنزل على رهط الأخطل فأكرموه ، وجمعوا له غنمًا وحظروا عليها خظيرة ، فجاء الأخطل فأخرجها من الحظيرة وفرّقها ، فخرج كعبٌ وشتمه ، واستعان بقومٍ من تغلب فجمعوها له وردّوها إلى الحظيرة ، فارتقب الأخطل غفلته ففرّقها ثانية ، فغضب كعب وقال: كفّوا عنّى هذا الغلام وإلاّ هجوتكم ! فقال له الأخطل : إن هجوتنا هجوناك — وكان الأخطل يومئذ يقرزم . والقرزمة[1] : أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه وتقوىٰ قريحته — فقال كعب : ومن يهجونى ؟ فقال : أنا ! فقال كعب :

* ويل لهذا الوجه غبّ الحمّه[2] *

فقال الأخطل :

* فناك كعبُ بن جُعيل أمّهْ *

فقال كعب : إنّ غلامكم هذا لأخطل . ولجّ الهجاء بينهما فقال الأخطل :

سُمّيتَ كعباً بِشرِّ العِظامِ ... وكان أبوك يسمّى الجُعَلْ

وأنت مكانُكَ من وائل ... مكانُ القُرادِ من آست الجملْ

ففزع كعب وقال : والله لقد هجوتُ نفسى بهذين البيتين ، وعلمتُ أنْ سأهجى بهما . وقيل : بل قال : هجوت نفسى بالبيت الأول من هذين البيتين.

(١) فى النسختين : « يفرزم ، والفرزمة » ، والتصحيح للعلامة أحمد تيمور . وفى القاموس : « القرزام ، بالكسر : الشاعر الدون . وهو يقرزم شعره » ومثله فى اللسان وجاء فى الاقتضاب ١٢٤ : «يفرزم» ،وهو تصحيف كذلك . وانظر ما سيأتى فى ص ٣٥١ من صفحات الأصل .

(٢) الاقتضاب : « الجه » .

وقيل إنّ الأخطل اسمه غويث ، ويكنى أبا مالك ، ويلقب دَوْبلا أيضاً ، والدَّوبل : الحمار القصير الذنَب ، ويقال : إنّ جريرا هو الذى لقّبه بذلك بقوله:

بكى دَوبل لايرقِئْ الله دمعه ... ألاَ إنما يبكى من الذلّ دَوبلُ[1]

٢٢١ ومات على نصرانيته ، وكان مقدّماً عند خلفاء بنى أمية ، لمدحه لهم وانقطاعه إليهم . ومدح معاويةَ وابنه يزيد ، وهجا الأنصار رضى الله عنهم بسببه ، فلعنه الله وأخزاه وخذله . وعُمِّر عمراً طويلا إلى أن ذهب إلى النار وبئس القرار .

قال ابن رشيق فى العمدة[2] : « ومن الفحول المتأخرين الأخطل . . وبلغت به الحال فى الشعر إلى أن نادم عبدَ الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير ابن عطية الشاعر وهو مسلمٌ تقىّ ، أمره بذلك عبدالملك بسبب شعرٍ خايره فيه بين يديه . وطوّل لسانه حتّى قال مجاهراً لعنة الله عليه — لا يستتر فى الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين — :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعاً ... ولست بآكل لحمَ الأضاحى

ولستُ بزاجرٍ عَنساً بُكوراً ... إلى بطحاء مكةَ للنجاح

ولستُ منادياً أبداً بليلٍ ... كمثل العَير : حىّ على الفلاح

ولكننى سأشربها شَمولا ... وأسجدُ عند منبلَج الصبَاح

وقد ردّ على جرير أقبحَ ردّ ، وتناول من أعراض المسلمين وقبائل العرب وأشرافهم مالا ينجو من مثله علوىّ فضلاً عن نصرانىّ .

من لقبه الأخطل

وعدّ الآمدى فى المؤتلف والمختلف[3] : مَن لقّب الأخطل أربعة : أحدهم

(١) الاقتضاب ١٢٥ : « لا أرقأ الله دمعه » . وانظر اللسان (دبل ٢٥٠) .

(٢) العمدة ١ : ٢١ .

(٣) المؤتلف والمختلف ٢١ .

هذا . والثانى الأخطل الضُّبعى ، كان شاعراً وادّعى النبوة ، وكان يقول : لمضر صدر النبوة ولنا عجزها . فأخذه ابن هبيرة فى دولة الأمويّين فقال : ألستَ القائل :

لنا شطر هذا الأمر قسمةَ عادلٍ ... متي جعل الله الرسالة تُرتبا

أى راتبة دائمة فى واحد . قال : وأنا القائل :

ومن عجبِ الأيام أنّك حاكم ... علىّ وأنى فى يديكَ أسيرُ

قال : أنشدنى شعرك ، قال : اغرُبْ ويلك ! فأمر به فضربت عنقه . والثالث الأخطل المجاشعي وهو الأخطل بن غالب أخو الفرزدق ، وكان شاعراً ، وإنما كسفه الفرزدق فذهب شعره . والرابع الأخطل بن حمّاد بن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب .

* * *

وأنشد بعده : (ولو أنّ ما أسعى لِأدنى مَعيشةٍ)

تقدّم شرحه فى الشاهد التاسع والأربعين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون[2] :

٧٩ (قالتْ أُمامة لمّا جئتُ زائرَها ... هلّا رَميت ببعضِ الأسهُمِ السُّودِ

لادَرَّ دَرُّكِ ! إنّى قدْ رَميتهمُ ... لولا حُدِدتُ ولا عُذْرَى لمحدُودِ)

على أنه ربما دخلت (لولا) على الفعلية كما هنا ، أى لولا الحدّ وهو

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٢٧ .

(٢) انظر ابن يعيش ١ : ٩٥ والإنصاف ٧٣ وابن الشجرى ٢ : ٢١١ واللسان (عذر ٢١٩) .

الحرمان . وهذا البيت يردّ مذهب الفرّاء القائل بأنّ مابعد لولا مرفوع بها ، فلو كانت عاملة للرفع لذكر بعدها هنا مرفوع ، فوجب كونها غير عاملة لعدم مرفوع .

وهذا الذى نسبه الشارح المحقق إلى الفرّاء نسبه ابنُ الأنبارى فى الإنصاف وابن الشجرى فى أماليه إلى الكوفيين . وذهب ابن الأنبارى إلى صحة مذهبهم وقال : الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون من أنّ (لولا) نائبة عن الفعل الذى لو ظهر لرفع الاسم ، فإن التقدير فى لولا زيد لأكرمتك : لو لم يمنعنى زيد من إكرامك لأكرمتك ، إلاّ أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو) فصارا بمنزلة حرف واحد . وأجاب عن البيت بأن لولا هنا هى (لو) الامتناعية و (لا) معها بمعنى (لم) ، لأن لا مع الماضى بمنزلة لم مع المستقبل ، فكأنه قال : قد رميتهم لو لم أحدّ ، وهذا كقوله تعالى : « فَلَاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » ، أى لم يقتحمها اهـ .

وقال يوسف بن السيرافى فى شرح شواهد الغريب المصنّف لأبى عُبيد القاسم بن سلّام : لولا لايقع بعدها إلا الأسماء ، وتكون مبتدأة وتحذف أخبارها وجوبا ، وتقع بعدها أنّ المفتوحة المشدّدة ، وهى واسمها وخبرها فى تقدير اسم واحد . فلما اضطُرّ الشاعرُ حذَفَ أنّ واسمَها ، أى لولا أنى حُدِدت ، يقول : لولا أنى حددت لقتلت القوم . وهذا قبيح لأنه يجرى مجرى حذف الموصول وإبقاء الصلة . ويجوز أن يكون شبّه لولا بلوْ فأوْلَاهَا الفعل ، أو شبّه أنّ الشديدة بأنْ الخفيفة ، فأن الخفيفة قد تحذف كقوله :

* ألا أيُّهذا الزاجرِى أحضُرَ الوغى[1] *

---

(١) لطرفة . وعجزه :

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فلما استجازُوا حذفَها حذفوا الثقيلة ، لأنهما حرفا مصدر .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر للجَموح ، أحد بنى ظَفَر من سُلَيم بن منصور . وبعدهما بيتان آخران وهما :

(إذْ همْ كرِجْل الدَّبى لا دَرَّ دَرُّهمُ يغزُون كلَّ طُوال المشى ممدودِ

فما تركت أبا بشرٍ وصاحبَه حتّى أحاط صريحُ الموت بالجيد)

وروى هذه الأبيات الأربعة أبو تمّام فى كتابه مختار أشعار القبائل لراشد بن عبدالله السُّلَمىّ[1] ، ونسبها ابن السيرافى وابن الشجرىّ للجَموح كما ذكرنا .

وقال ابن السيرافي : كان من خبر الجموح الظَفَرىّ أنه بيّت بنى لِحْيان وبنى سَهم بن هذيل ، بوادٍ يقال له ذات البَشام ، وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سُليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر ، فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت ، وكان فى كنانةِ الجموحِ نَبل مُعلَمة بسواد ، حَلف ليرمينّ بها جُمَعَ قبل رجعته فى عَدوِّه . فقُتل أبو بشر وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة ، وأعجز الجموح . فقالت له امرأته وهى تلومُه : هلّا رميتُ تلك النَّبْل التى كنتَ آليت لترمينّ بها !

وأمامة : زوجته . وروى : (لما جئتُ طارقها) . وروى : (هلّا رميتَ بباقى الأسهم السود) .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات : وتتخذ السهام من القنا ، وقلّما يرغب فيها أهل البوادى ، لأنّها خِفاف وإن كان مداها أبعد ؛ وقداح أهل البوادى غِلاظ ثِقال عِراض الحدائد فهى قويّة ، إذا نَشِبت فى الصَّيد

---

(١) صحابى كان يدعى غويا فسماه صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد الله . الإصابة والاستيعاب .

فعضّها لم تنكسر وكانت جراحاتها واسعة ، لأنهم أصحابُ صيد وحروب . وسهام القنا سود الألوان ، وإياها عنى الشاعر بقوله :

* هلّا رميتَ ببعض الأسهم السود * اه

وقوله (لا درّ درّكِ) أى فقلت لها : لا كان فيك خير ولا أتيتِ بخير ، يدعو عليها ؛ والكاف مكسورة . و (حُدِدتُ) بالبناء للمفعول حرمت ومنعت ، قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات : يقال حددته حدّا : إذا منعته .وقد حُدّ الرجل عن الرزق إذا مُنع منه ، وهو محدود . وأنشد هذا البيت . يقول : قد رميتُ واجتهدت فى قتالهم ولكنّى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . وروى (لا درّ كسبك) . وروى أبو تمام :(للهدرك) فيكون دعاء لها . و (العُذرى) بضم العين والقصر : اسم بمعنى المعذرة ، قال فى الصحاح : « عذرته فيما صنع أعذِره عُذْرا وعُذُرا ، والاسم المعذِرة والعُذرَى » . وأنشد هذا البيت . والرِّجل بكسر الراء وسكون الجيم : القطعة العظيمة من الجراد . والدَّبى بفتح الدال وبالموحدة وبالقصر : أصغر الجراد . والطُّوال كغراب : الطويل . ٢٢٣

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٨٠ (وما لَيلُ المَطِىّ بنائِمِ)

أصله :

(لقد لُمتِنا يا أمَّ غَيلان بالسُّرى ونمتِ ، وما ليلُ المطىّ بنائمِ)

---

(١) سيبويه ١ : ٨٠ وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٦ ، ٣٠١ والإنصاف ٢٤٣ وديوان جرير ٥٥٣ والنقائض ٧٥٣ .

على أنّ الزمان يسند إليه كثيراً مايقع فيه ، فإن النوم يقع فى الليل ، وقد أسند إليه مجازاً عقلياً ، كقول رؤبة :

* فنـــامَ ليلى وتجلّى همّى *

فإن قلت : إنّ الشاعر قد نفى النوم عن الليل ، فكيف ذلك مع قول الشارح بأن النّوم قد أُسند إلى الليل ؟ قلتُ : النفى فرع الإثبات .

وقد أورده سيبويه على أن وصف الليل بأنه غير نائم على طريق الاتساع ، والليل لا ينام ولا يوصف بأنه غير نائم ، لأنه ليس من الحيوان ، وكان حقه ينوم فيه . وأراد : وما ليل أصحاب المطى ، فحذف . وأراد بأصحاب المطى من يركب ويسافر ، فلا ينبغى أن ينام من أول الليل إلى آخره .

و (أم غيلان) قال ابن خلف : هى بنت جرير . يقول : لمْتِنا فى تركنا النوم واشتغالنا بالسرى . و (المطىّ) : جمع مطيّة ، وهى الراحلة التى يُمتطى ظهرها أى يُركب . و (السُّرى) : سير الليل .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير يردُّ بها على الفرزدق . مطلعها :

(لاخيرَ فى مستعجِلات المَلاوم ... ولا فى حبيبٍ وصلُه غيرُ دائمِ

تركتُ الصِّبا مِن رهبةٍ أن يَهيجنى ... بتُوضِحَ[1] رسمُ المنزل المتقادم

وقال صِحابى : ماله ؟ قلت : حاجةٌ ... تُهيج صُدوعَ القلب بين الحيازم

تقول لنا سلمى : مَن القومُ أن رأتْ ... وُجوهاً عِتاقاً لُوِّحت بالسمائم

لقد لمتِنا يا أمَّ غيلان بالسُّرى ... . البيت)

والمَلاوم : جمع مَلامة . والمستعجِلات بكسر الجيم . والحيازم : جمع حَيزوم وهو وسط الصدر . وقوله : مَن القوم ، بالاستفهام . وأن رأت ، بفتح همزة

(١) ط : « بتوضيح »، صوابه فى س والديوان ٥٥٤ .

أن . ولُوِّحت ، بالبناء للمفعول : مبالغة لاحهُ السفرُ أى غيّره . والسمائم : جمع سَموم ، وهى الريح الحارّة ، مؤنثة . وقوله (لقد لمتنا .. الخ) أى قلتِ لنا[1] .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع[2] .

* * *

اسم ما ولا المشبهين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

٨١ (مَن صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا بَراحُ)

على أنّ (لا) تعمل عمل ليس شذوذا .

وأنشده سيبويه أيضاً على إجراء (لا) مُجرى ليس فى بعض اللغات .

٢٢٤ فبراح اسمها والخبر محذوف أى لى . قال ابن خلف : ويجوز رفع براح بالابتداء ، على أن الأحسن حينئذ تكرير (لا) كقوله تعالى : « لا خَوفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يحزَنُون » . وقال المبرد ، كما نقله النحاس : لا أرى بأساً أن تقول لا رجلٌ فى الدار فى غير ضرورة ، وكذا لا زيد فى الدار ، فى جواب هل زيد فى الدار ؟

وقوله (فأنا ابن قيس) ، أى أنا المشهور فى النَّجدة كما سمعتَ . وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به . وجملة (لا براح لى) حال مؤكدة لقوله :

---

(١) ط : « قلت لها » ، صوابه فى ش .

(٢) فى ص ٧٥ .

(٣) سيبويه ١ : ٢٨ ، ٣٥٤ . وانظر ابن يعيش ١ : ١٠٨ والإنصاف ٣٦٧ وابن الشجرى ١ : ٢٣٩ ، ٢٧٢ ، ٢/٣٢٣ : ٢٢٤ وشرح شواهد المغنى ٢٠٨ .

أنا ابن قيس ، كأنه قال : أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب . وإتيان الحال بعد أنا ابن فلان كثير ، كقوله :

* أنا ابنُ دارةَ مشهوراً بها نسبى[1] *

وقيل : الجملة فى محل رفع خبر بعد خبر . وقيل تقرير للجملة التى قبلها . ويجوز نصب ابن قيس على الاختصاص فيتعيّن جملة لابراح لى كونها خبراً لأنا وهو أفخر وأمدح . قال الإمام المرزوقى فى قوله :

* إنّا بنى نَهشل لا ندّعى لأبٍ[2] *

« الفرق بين أن تنصبَ بنى نَهشل على الاختصاص وبين أن ترفع على الخبرية ، هو أنه لو جعله خبراً لكان قصدهُ إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم ؛ وإذا نصبَ أمِن من ذلك . فقال مفتخرا : أنا أذكُر مَن لا يخفى شأنه ، لأنه يفعل كذا وكذا ! » اهـ .

و (البراح) بفتح الموحّدة : مصدر برِح الشىء براحا من باب تعب : إذا زال من مكانه .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة مذكورة فى الحماسة هى خمسة عشر بيتاً لسعد ابن مالك ، وأولها :

(يا بؤسَ للحرب التى وضعتْ أراهطَ فاستراحوا)

---

(١) لسالم بن دارة . وعجزه كما سيأتى فى ١ : ٥٥٣ بولاق :

* وهل بذلك يا للناس من عار *

(٢) لبشامة بن حزن . وعجزه كما فى الحماسة ١٠٢ بشرح المرزوقى :

* عنه ولا هو بالآباء يشرينا *

وهو من أبيات مُغنى اللبيب ، أو رده على أن الأصل : يا بؤسَ الحربِ ، فأقحمت اللام بين المتضايفين تقوية للاختصاص ؛ ثم قال : « وهل انجرار ما بعدها بها أو بالمضاف ؟ قولان : أرجحهما الأول ، لأن الجارّ أقرب ولأنه لايعلّق » .

وفى أمالى ابن الشجرى:قال المبرد : من قال يا بؤساً لزيد جعل النداء بمعنى الدعاء على المذكور ؛ ومثله : يا بؤس للحرب . . البيت ، كأنه دعاء على الحرب ، وأراد يا بؤس الحرب فزاد اللام . ويجوز عندى أن يكون من قبيل الشبيه بالمضاف نحو : لا مانعَ لما أعطيت ؛ ولم أر مَن جوّزه فيه . ويجوز أن يكون المنادى محذوفا وبؤسَ منصوبا على الذم واللام مقحمة ، أو حذف التنوين للضرورة ، أى ياقوم أذمّ شدّة الحرب .

ومعنى وضعت أراهط : حطّتهم وأسقطتهم ، فلم يكن لهم ذكر شرف فى هذه الحرب ، فاستراحوا من مكابدتها كالنساء ؛ وفيه حذف مضاف أى وضعت ذِكر أراهط ، وهو جمع أرهُط جمع رَهط : وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة ، وقد جاء أرهُط مستعملًا ، قال رؤبة :

* وهو الذليلُ نفراً فى أرهُطِهْ *

وزعم أكثر النحويين أن أراهط جمع رَهط على خلاف القياس . وروى برفع أراهط فالمفعول محذوف ، أى وضعتها أراهطُ ؛ والأول أنسب ، فإن هذا الشعر قاله (سعد) فى حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب لقتل كليب ، واعتزل الحارث بن عُباد وقال : هذا أمر لاناقة لى فيه ولا جمل[1] ! فعرّض سعد فى هذا الشعر بقعود الحارث بن عُباد عن الحرب ،

---

(١) ط : « لا ناقتى فيها ولا جملى » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

كما يأتى بيانه . وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية : أن الوضع هنا معناه الإهلاك ، وذلك لعدم وقوفه على منشأ هذا الشعر .

أبيات الشاهد وبعد هذا البيت :

٢٢٥ (والحربُ لايبقى لجا ـحِمها التخيّلُ والمِراحُ
إلا الفتى الصبّارُ فى النَّجدات والفرسُ الوَقاحُ)

وهما من أبيات سيبويه ، أوردهما على أن الفتى وما بعده بدلٌ من التخيّل والمراح على الاتساع والمجاز . ولذلك أوردهما الشارح أيضا فى باب المستثنى ، وذلك أنه استثناء منقطع كقولك : ما فيها أحد إلاّ حمارٌ ، فرفع على لغة بنى تميم. ولا يخفى أن هذا البدل ليس بدل بعض كما هو شأنه ، ولهذا قال سيبويه : على الاتساع والمجاز .

ثم أقول : هذا بناء على الظاهر ، وإن اعتُبر حذفُ مُضاف أى ذو التخيّل فالاستثناء متصل ، ويختار فيه الإبدال .

والجاحم بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرّ ، مِن جَحمت النار فهى جاحمة : إذا اضطرمت ، ومنه الجحيم . والتخيّل: التكبّر ، من الخُيلاء . يقول : إنها تزيل نَخوة المنخوّ ، وذلك أن أولى الغَناء[1] يتكرّمون عن الخَيلاء ، ويختال المتشبّع فإذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط . والمراح بكسر الميم : النشاط ، أى إنها تكفُّ حِدّةَ البِطر النشيطِ . وهذا تعريض بالحارث بن عُبَاد بأنه صاحب خيلاء ومراح . والصبّار : مبالغة صابر . والنجدة : الشدة والبأس فى الحرب . والوقاح بفتح الواو : الفرس الذى حافرُه صُلب شديد ، ومنه الوقاحة .

(١) ط : « أولى الغنى »

وقال بعدها بأبيات :

(بِئسَ الخلائفُ بعدَنا أولادُ يَشكرَ واللَّقاحُ
مِن صَدَّ عَنْ نيرانها . . . . البيت
الموتُ غايتُنـــا فلا قَصْرٌ ولا عنه جِماحُ
وكأنّمـــا وِرد المنيـ ـة عندنا ماءٌ وَراحُ)

وهذا آخر القصيدة . أى إذا ذهبنا وبقيتْ يشكر وحنيفة فبئس الخلائف هم منّا : لا يحمون حريما ، ولا يأبَوْن ضيما . وكانت حنيفة تلقب : اللَّقاح ، لأنهم لم يدينوا لملكٍ ، يقال حىٌّ لَقاح بفتح اللام ، إذا لم يكن فى طاعة ملك . وقال بعض شراح الحماسة : إنه بكسر اللام ، جمع لَقْحة ، أى إذا خلفنا من لادفاع به من الرجال والأموال فبئس الخلائف بعدنا — جعلَ أولاد يشكر كاللِّقاح ، وهى الإبل التى بها لبن ، فى احتياجها إلى من يذبّ عنها — وهذا ليس بالوجه ، وإنما مراده ذمّ الحيّين لقعودهما عن بكر فى حربهم . والقَصْر بسكون الصاد : الحبس . والجماح بكسر الجيم : مصدر جمح إذا انفلت وهرب يريد : لا يمكن حبس نفس عن الموت ، ولا مهربَ عنه . والورد[1] : الورود ، وهو دخول الماء ، وقيل حضوره وإن لم تدخله .

سبب حرب البسوس

وهذه القصيدة قالها (سعد) يعرِّض بالحارث بن عُباد لقعوده عن الحرب ، وذلك : أن جسّاسا البكرىّ لما قتل كُليبا التغلبىّ هاجت الحرب بين بكر وتغلب ابنَىْ وائل . وهى حرب البسوس : واعتزلها الحارث بن عُبَاد عن هذه الحرب فعرّض به سعد كما قلنا .

قال أبو رياش فى شرح الحماسة : كان الحارث بن عُباد بن ضُبيعة بن قيس

(١) ط : « والمورد » ، صوابه فى سه .

ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين . وكان اعتزل حرب ابنى وائل وتنحّى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ؛ وحلّ وتر قوسه ونزع سنان رمحه ، ولم يزل معتزلا حتى إذا كان فى آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بُجير بن عمرو ابن عُباد فى أثر إبل له ندّت يطلبها ، فعرض له مهلهِل فى جماعة يطلبون غِرّةَ بكر بن وائل ؛ فقال لمهلهِل امرؤُ القيس بنُ أبان بنِ كعب بن زهير بن جُشَم ، ٢٢٦ وكان من أشراف بنى تغلب وكان على مقدّمتهم زمانا طويلا : لاتفعل ! فوالله لئن قتلته ليقتلنّ به منكم كبشٌ لا يُسأل عن خاله : مَن هو ؟ وإياك أن تحقِر البغى فإنّ عاقبته وخيمة ؛ وقد اعتزلَنا عمّه وأبوه وأهلُ بيته وقومه . فأبى مهلهِل إلاّ قتله ، فطعنه بالرمح وقتله وقال : « بُؤْ بشِسْع نعل كليب » ! — يقال : أبأت فلانا بفلان فباء به : إذا قتلتَه به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثانى كفء للأوّل — فبلغ فعلُ مهلهل عمّ بجير وكان من أحلم أهل زمانه وأشدّهم بأسا ، فقال الحارث : نِعمَ القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل ! فقيل له : إنما قتل بِشِسْع نعل كليب . فلم يقبل ذلك ، وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلت بجيرا بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلته بشسع نعل كليب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه — وكانت تسمّى النَعامة — فجزّ ناصيتها وهلَب ذَنبها[1] ، وهو أول من فعل ذلك بالخيل ، وقال :

قرِّبا مَربِطَ النعامة منّى لقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ
لا بجيرٌ أغنى قتيلا[2] ولا ره طُ كليب تزاجروا عن ضلالِ

(١) يقال قد هلب ذنبه ، أى استأصله جزا .
(٢) الميمنى : « وكذا فى كتاب بكر ٦١ حيث القصيدة فى مائة بيت ، ولكنى أرى الصواب : قتيلا » .

لم أكنْ من جُناتها ، عَلِمَ اللهُ وإنّى لجرها اليوم صالى[1]

قرِّبا مَربِطَ النعامة منّي إنّ قتلَ الغلام بالشِسْع غالى

ولقحت : حملت . والحِيال : أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل . وهذا مثلٌ ضربه ؛ لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها ، وإنما يعظّم أمر الحرب لما تولّد منها من الأمور التى لم تكن تحتَسب .

ثم ارتحل الحارث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، فقال الحارث ابن عباد له : إن القوم مستقلّون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقاتِلْهم بالنساء ! قال له الحارث بن همّام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلِّدْ كلّ امرأة إداوة من ماء ، وأعطِها هِراوة ، واجعلْ جمعهنّ مِن ورائكم فإن ذلكم يزيدكم اجتهادا ، وعلّموا بعلامات يعرفْنها : فإذا مرّت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونَعَشته ، وإذا مرّت على رجل من غيركم ضربته بالهِراوة فقتلته وأتت عليه . فأطاعوه ، وحلقت بنو بكر يومئذ رءوسها استبسالاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ، واقتتل الفُرسان قتالا شديدا ، وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظُّعُن بقيّة يومها وليلتها ، واتّبعهم سَرَعانُ بكر بن وائل[2] ، وتخلّف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك (القائل :

يا بؤسَ للحرب التى وضعت أراهطَ فاستراحوا) :

---

(١) الميمني : « الصواب : بجمرها . وفى كتاب بكر : بحرها » .

(٢) سرعان الناس محركة : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، ويسكن . ومن الخيل : أوائلها ، وقد يسكن .

أتُرانى ممن وضَعَته ؟ قال : لا ، ولكن لاَمخبأ لعِطر بعد عَروس .

ومعناه : إن لم تنصر قومك الآن فلمن تدّخر نصرك ؟ !

سعد بن مالك

و (سعد) هو سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : كان سعد هذا أحدَ سادات بكر بن وائل وفرسانِها فى الجاهلية . وكان شاعرا . وله أشعار جياد فى كتاب بنى قيس بن ثعلبة .

قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الأقيصر القُريعى أحد بنى قُريع بن سَلامان بن مُفْرِج . وكان فارساً شاعراً .

آخر الجزء الأول

والحمد لله وحده

الفهارس



فهارس الجزء الأول

١ — فهرس التقديم

صفحة

٢ — فهرس التراجم

٣ — فهرس الشواهد

(خواص الاسم)

(أقسام التنوين)

(المعرب والمبنى)

(الفاعل)

(التنازع)

(مفعول ما لم يسم فاعله)

(المبتدأ والخبر)

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٩/٤٧٢٨

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٧٧٨ ٤